

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARIES



32101 003497631

Princeton University Library

This book is due on the latest date
stamped below. Please return or re-
new by this date.

JUN 15 2002

Shafiq

مَذْكِرَاتِي فِي قُرُونِي

مذكرة بقله
Mudhakkirati

fi
nisf
al-qarn



الحاج أحمد شفيق باشا

رئيس الديوان الحديوي ووكيل الجامعة المصرية الأهلية
ونخبة مدارس العلوم الدينية وكلية الحقوق باليس

الجزء الثالث

عباس والحرب العظمى

١٩٢٣ - ١٩١٥

الرق في الاسـ_____لام : باللغة العربية طبعة ثانية وثمنه ٥ قروش
قناة السـ_____ويس : باللغة العربية وبخريطة وصور وثمنه ٥
مصر الحديثة ونفوذ الأجنبي فيها : باللغة الفرنسية وبه كثير من الصور
والخرائط وثمنه ٣٠ قرشاً

حوليات مصر السياسية : في عشرة أجزاء منها الثلاثة تمهيد التمهيد الأول : فذلك من محمد على إلى نشوب الحرب . الحماية وتولية السلطان حسين . تأليف الوفد ونفي سعد وصحبه إلى مالطة . ثورة ١٩١٩ . إطلاق سراح سعد وصحبه وسفرهم لباريس . لجنة ملبر وقاطعتها . مفاوضات سعد وملبر . الاعتداءات . (٨٧٢ ص ٤١ صورة وأربع خرائط وثمته ٥٠ قرشاً)

التمهيد الثاني : الاتحاد المقدس . انقسام الوفد . سعد وعدلى يختلفان . المظاهرات وقعتها بالقوة . الوفد الرسمي ، بلندرة وإخفاقه . سعد وصحبه في سيشيل . اعتقال أعضاء اللجنة المركزية للوفد . ثروت وألنبي . (٩٢٧ ص و ٣٢ صورة وثمنه ٣٠ قرشاً)

التمهيد الثالث : نـصـرـيـح ٢٨ فـبـرـاـيـر ورجوع المنفيين . لجنة تحضير الدستور .
تعويض الموظفين الأجانب . تأليف حزب الأحرار الدستوريين .
(٧٣٤ص و١٧صورة وثمنه ٥٠ قرشاً والباقي للبيع ٥٨ نسخة)
الحولية الاولى : الانتخابات . وزارة سعد . الخلافة . البرلمان . السودان . الاعتداء
على سعد . مفاوضات سعد مع مكيدونالد . مقتل السردار . الانذار
البريطاني . حل البرلمان . (٦١١ص و١١٩صورة وثمنه ٣٠ قرشاً
والباقي منها للبيع ١٢٠ نسخة)

الحولية الثانية : الوفد والعرش . أليف حزب الاتحاد . اخلاء السودان . الانتخابات الثانية . افتتاح البرلمان وحله . استقالة أنبي . النضال بين الأحزاب ووزارة زيور . الحكم في قضية مقتل السردار . محاكمة الشيخ علي عبد الرازق . الدعوة إلى عقد مؤتمر وطني عام . تسليم جغوب لايطاليا . (١١٠٤ ص ٧٤ صورة وثمته ٤ قرشاً والباقي للبيع ١٨١ نسخة)

الحولية الثالثة : الأحزاب المتوتفة . الانتخابات الثالثة . عدلى يخلف زيور . عبد الجهاد الوطني . (٧٠٦ ص ١٩ صورة وثمته ٣٠ قرشاً والباقي منها للبيع ١٧٣ نسخة)

الحولية الرابعة : القضية المصرية والأحزاب . ثروت يخلف عدلى . زيارة جلالة الملك رسمياً لاييطاليا وفرنسا وانجلترا وبلجيكا . مفاوضة ثروت وتشمبرلان . وفاة سعد . افتتاح البرلمان . الامتيازات الاجنبية (٧٨٢ ص ٦٠ صور وثمنه ٥٠ قرشاً والباقي منها للبيع ٣٥ نسخة)

الحولية الخامسة : ملك الأفغان فى مصر . أعمال البرلمان . ولى عهد إيطاليا فى مصر . النحاس يخلف ثروت . حالة الائتلاف بين الأحزاب . مشروع اتفاق ثروت مع انجلترا . وفاة حسين رشدى . النزاع الحزبى . محمد محمد يخلف النحاس . تعطيل البرلمان . النحاس فى الأقاليم . مشروعات الرى الكبرى فى مصر والسودان . وفاه ثروت . النضال بين الوفد والوزارة . محاكمة النحاس . (١٥٢٦ ص ٢٤ صورة وثمنه ٥٠ قرشاً والباقي منها للبيع ٣٢ نسخة)

الحولية السادسة : الاتفاق على مياه النيل . زيارة جلالة الملك لألمانيا وفرنسا وسويسرا وانجلترا . مفاوضات محمد محمود وهندرسون . تفتيش بيت الأمة . عدلى يخلف محمد محمود . عودة الحياة النيابية . الانتخابات الرابعة . (١٦٠٠ ص ٢١ صورة وثمنه ٥٠ قرشاً والباقي منها للبيع ٩٢ نسخة)

الحولية السابعة : النحاس يخلف عدلى . افتتاح البرلمان وأعماله . مفاوضات النحاس وهندرسون . اسماعيل صدقى يخلف النحاس . تأجيل البرلمان . موقف الانجليز . تغيير الدستور وقانون الانتخابات . تأليف حزب الشعب . (١٦٠٠ ص ١٣ صورة وقد نفذت)
وتتضمن هذه المجموعة الخطب والمحادثات السياسية وتعليقات الصحف على اختلاف نزعاتها ؛ فهى دائرة معارف سياسية جامعة .

الجزء الأول من مذكراتى فى نصف قرن من سنة ١٨٧٣ إلى وفاة توفيق فى يناير سنة ١٨٩٢ (٥٢٧ صفحة و ٣٥٥ صورة وثمنه ٣٠ قرشاً)

القسم الاول من الجزء الثانى من سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٩٠٢ (٤٥٦ صفحة و ١٧٦ صورة وثمنه ٣٠ قرشاً)

القسم الثانى من الجزء الثانى من سنة ١٩٠٣ إلى سنة ١٩١٤ (٤٤٩ صفحة و ٨٤ صورة وثمنه ٣٠ قرشاً)

الجزء الثالث — (عباس والحرب العظمى من سنة ١٩١٥ إلى ١٩٢٣) (٣٨٤ صفحة و ٨٩ صورة وثمنه ثلاثون قرشاً)
وهذه الأسعار غير أجرة البريد

2274
8681
366
٧١٣

فهرس

القسم الثالث من مذكراتى فى نصف قرن

صفحة

٣

مقدمة بقلم الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد

سنة ١٩١٥

١٥

امبراطورا ألمانيا والنسا والانقلاب

١٦

الموظفون بالمعية والاقتصاد (وساطة سفير أمريكا فى عودة بعض الموظفين لمصر)

١٧

السندات والتحف التى استحضرها الخديو من مصر

١٨

عيد الجلوس الخديوى

١٩

زيارتى لأعضاء العائلة الخديوية

٢١

الارادة الشاهانية وتحديد مهمة الحملة على مصر

(ارادة خديوية بتعيين البرنس ابراهيم حلى قائممقام مرافقاً للحملة - الارادة

الشاهانية - مقابلتى للصدر وشعوره نحو الخديو والسلطان حسين - مقابلتى لسفير

ألمانيا واقتراحى اصدار إرادة تحدد مهمة الحملة - مقابلتى للصدر ورده على اقتراحى

مقابلتى لسكرتير جمعية الاتحاد والترقى - مقابلتى الثانية لسفير ألمانيا - نفقات

القائمقام - معارضة الصدر فى تعيين القائمقام - المقابلة الاخيرة لسفير ألمانيا بشأن

الارادة - العودة إلى فينا - صدور الارادة)

٢٨

أخبار عن الحالة فى مصر

٣٠

نيات الأتراك نحو السلطان حسين

٣٠

بين الصدر والخديو

٣٣

فشل الحملة التركية على قناة الدويس

٣٧

مشروع إنشاء مستشفى يحمل اسم الخديو

مشروع خطير لفصل فرنسا عن إنجلترا في الحرب العظمى

(تعرف الخديو بموسيو كايو وموسيو بولو - الخديو يعمل لحفظ العرش له أو للبرنس عبد المنعم - تفكير بولو في مشروع صلح انفرادى بين فرنسا وألمانيا - الخديو يعمل لمقاومة الامبراطور - العودة إلى التفكير في المشروع - تكليف بمهمة خاصة بالمشروع - موافقة وزير الخارجية على المشروع - موافقة الامبراطور نهائيا على المشروع - تخوف الخديو من يوسف - سفرى إلى سويسرا - حضور الخديو ومقابلة بولوباشا - تفكير الخديو في ابعاد يوسف عن المشروع - مطامع يوسف باشا وصاحبة الخديو - الدفعة الأولى وكيف أنفقت - فشل المشروع)

سفرى إلى برلين ومهمتى بها

(المساعى لتسهيل زيارة الخديو للامبراطور - سلف للبرنسات - الخديو ومحمود مختار باشا سفير الدولة في برلين)

أحداث الحرب (خطط هندبورج - موقعة الدردنيل وسفر والدة إلى بروسة)

تنظيم مخبرات مع مصر وتدير ثورة ضد الانجليز

(الاتحاد الاسلامى - إنشاء صحيفة عربية للدعاية - ألمانيا تنفق على تنظيم المخبرات والدعاية - استخدام أرباب الطرق - تحديد مهمة الجمعية السرية في مصر - نظام المخبرات مع الجمعية السرية بالاسكندرية - استعمال شفرة وحبر كىماوى - المندوبون في الاسكندرية و نابولى وأتينا وطرابلس - توصيل الرسائل - البريد عن طريق أتينا - توصيل نقود ومفرقات - طرق للدعاية الوطنية في مصر - تحليف المندوبين - تقرير الدكتور سيد كامل - اسماعيل لبيب يفكر في مشروع مستقل - تقرير البارون)

السلف والمرتبات التى تقرر للبرنسات والحاشية

الشريف فيصل ومهمته في الآستانة

(اتهام الشريف حسين بموالاة الخديو ثم الانجليز - عواطف العرب نحو الخديو - ثقة أنور وطلعت بالشريف حسين - العمل مع فيصل وأونهايم للتوفيق بين الشريف والأتراك - المشروع النهاى وانتهاء مهمة فيصل - تقرير أونهايم - خشونة جمال باشا تسبب انضمام العرب للانجليز)

الانجليز يعرضون ولاية العهد على عبد المنعم

الخلاف بين الخديو ورجاله والوطنيين وسفره إلى السويس

(بحث موقف الخديو من جميع الوجوه - ألم الخديو من بعض القرارات - خلاف الخديو مع رجاله - سفر الخديو إلى السويس - رأى رجال الخديو في موقفه - تهديد تركيا للخديو بسحب الأوسمة وشكوى عباس للسلطان - شكوى عباس من قنصل تركيا في جنيف - بينى وبين الخديو - سوء ظن الخديو برجاله)

صفحة

٧٢

توجيه انذار لعباس

٧٧

شؤون مختلفة

(عج باشا في نظر الألمان - حفلة وداع لهندي كبير وخطبتي فيها - الاتحاد العربي)

سنة ١٩١٦

٨٣

المصريون يختلفون مع عباس بسبب محاولة إنشاء جريدة

(محاولة إنشاء الجريدة - توسطي بين رجال الحزب الوطني والخديو)

٨٩

كيف عشت في السويسرة بعد انقطاع مرتبي من تركيا

٩٢

التحقيق مع احمد بك صادق وقضية الأوقاف ضد

٩٤

حياد الخديو

٩٦

مخبرات الخديو مع الانجليز ومناوراته ووساطة ملك البلجيكي

(سفير ألمانيا على علم بالمخبرات - عباس يتحدث عن مساعيه الخفية - وساطة

ملك البلجيكي لحفظ حقوقه المادية - شروط الانجليز - الأتراك يحاولون

استمالة عباس اليهم - العمل لتحسين العلاقات بين عباس وحلفائه - نص

المخبرات بين عباس وملك البلجيكي)

١٠٧ تسديد النقود الألمانية والحجز على مبلغ يوسف صديق (عباس ويوسف صديق)

١٠٩

بين عباس ورجاله والوطنيين

(بنى وبين سموه - الشيخ محمد عثمان والخديو - عباس ورجال الحزب الوطني -

مدام لوزانج تعرف نقطة ضعف عباس فتستغلها)

١١٤

العلاقات بين الخديو وحلفائه

(فتور العلاقات بين عباس والنمسا - سخابة تنقشع - عودة اهتمام الألمان به -

البريد الخديوي والصدر وسفير النمسا - وفاة امبراطور النمسا - المساعي

للتقريب بين الخديو وحلفائه - النمسا تعترف بخديوية عباس)

١٢٣

القبض على يكن باشا وضبط أوراق الخديو

(السويسرة تعترف بخديوية عباس - معرفة سارق الأوراق - تهديد

عباس ليسكن - عباس يحصل على اعتراف منه - بحث في امتيازات رجال

الحاشية بسويسرا - استرداد بعض الأوراق المضبوطة)

(رأى الخديو في غورست وكنتشمر - الخديو وملك اسبانيا - غرق كنتشمر -
محادثة البرنس محمد على مع مكسويل عند اعلان الحرب - أوراق الخديو
في رودس)

سنة ١١٩٧

١٣٧ فشل المخبرات مع الانجليز ومحاولتي التوفيق بين الخديو والأتراك

(اتداني للتفاهم مع الأتراك - سعى الخديو لدى الانجليز ومناوراتهم -
مقابلتي لفؤاد بك سليم - مقابلة شديد بك - مقابلة موسيو بارودي - مقابلة
الخديو - مقابلة البرنس محمد على وانتقاده شقيقته - مقابلتي مع قنصل النمسا - مقابلتي
مع بارودي مرة أخرى - من أذاع سر المحادثات - مناورات الخديو بين الأتراك
والانجليز - استقالة البرنس سعيد حلم من الصدارة - إرسال التهنة - جس النبض
لدى رجال تركيا - تحضير مذكرة للمخبرات - السفر الى برن - مذكرة جديدة)

١٤٧ الاحتفال ببلوغ عبد المنعم سن الرشد

١٥١ البرنس عبد المنعم وولاية العهد

١٥٤ سفرى الى الآستانة للتفاهم مع الأتراك

(الاستعداد للسفر - عقبات - حضور الصدر إلى فينا ومقابلته - استئناف
السفر - العقبات في حدود الدولة - عدم الثقة بالخديو في بلغاريا - الوصول
للآستانة - مقابلة الوالدة - حيلة - مقابلة البرنس ابراهيم حلمى - فكاهة -
عند أنور باشا - عند طلعت باشا - مقابلة ناظر العدلية - أذنان الصدر -
مقابلة أخرى لأنور باشا - الحصول على ورقة رسمية - خطاب طلعت للخديو -
السفر من الآستانة - عقبات - مفاجأة بمقابلة الخديو - العودة الى زرونج -
السعى لموافقة النمسا وألمانيا على المخبرات - تردد الخديو - مذكرة إلى الصدر
يحملها عارف باشا - رد صريح من طلعت تعززه رسالة من أنور - شديد يزن
للخديو جانب الانكليز وهو يرجع جانب الأتراك - ترتيبات السفر - اختيار
بعض المصريين لمرافقة الخديو بالآستانة)

١٧٨ عودة الخديو للآستانة

(السفر - الوصول إلى فينا - زيارة امبراطور النمسا - حادث مكدر - الوصول
إلى الآستانة - مقابلة السلطان - الخديو يستخف بجلالته - زيارة الصدر للخديو
زيارة ولي العهد - الحفاوة بالخديو - أسف الامبراطور على الحادث المكدر
عباس وامبراطور ألمانيا بالآستانة - رأى الامبراطور في الانجليز والأتراك -
عباس يشكو من معاملة ناظر الخارجية الألمانية - مرتبات المصريين - اهداء
نياشين من الخديو)

صحيفة

١٨٩

كيف تلقى الخديو خبر وفاة السلطان حسين وتولية السلطان فؤاد

١٨٩

بين وبين عباس

١٩٥

بين الخديو وولى عهده

سنة ١٩١٨

١٦٩

احتفال هام بعيد الجلوس الخديو

(موقف جمال باشا من الاحتفال - إنابة الخديو لى فى حضور الحفلة - اعتذار البرنس ابراهيم حلى عن رياستها - كلمتى بالنياة عن الخديو - انشاد السلام الخديوى - لجنة الاحتفال فى دار الأناى العسكرية - حفلة لمواساة عائلات الشهداء فى القنال - تخوف الخديو من الفشل - تنحى البرنس ابراهيم حلى ونيابى من الخديو)

٣٠٣

معلومات وأسرار عن الحالة فى طرابلس

(مندوب عثمانى فى طرابلس للإصلاح بين زعمائها - مشروع القيام بحركات حرية على حدود مصر الغربية - الخديو يقترح احتلال سيوه - ترقية الضباط المصريين بطرابلس)

٣٠٨

بين الخديو ورجال الحزب الوطنى

(عباس يقرب الشيخ جاويش - مؤتمر الحزب فى برلين - الشقاق بين زعماء الحزب الوطنى - غضب الخديو على الشيخ جاويش)

٢١٣

محكمة بولو واعدامه

(فزع الخديو - تشهير الفرنسيين ببولو - فى سويسرا - فى أمريكا - شهادة يوسف صديق تسبب إعدام بولو)

٢١٧

رحلة للسويسرة كلها متاعب وآلام

(أوامر بخصوص عبد المنعم - يريد الخديو وطبيب خاص له - الاستعداد للعودة إلى الآستانة - أمانة السويسريين - السفر - ضياح حقبة بها حلى ونقود - انتظار عباس بالقطار فى بودابست - عودة إلى الحقبة الضائعة - الرجوع إلى بودابست وهدنة البلغار - متاعب ومرض وآلام - العودة إلى السويسرة)

٢٢٢

شئون مختلفة

(أسرار الثورة العرابية - أخبار العائلة الخديوية - المصريون فى السويسرة - وفاة السلطان عبد الحميد - مذكراتى فى يد الخديو - رأى الصدر فى حل المسألة المصرية)

سنة ١٩١٩

٢٢٦

بين وبين البرنس محمد على (البرنس والحركة الوطنية - بين أفراد العائلة الخديوية)

٢٢٩

العلاقات بين وبين عبد الله البشرى

٢٣٠

أوامر بخصوص الأستاذ وقيق المحامى

صحيفة

٢٣٢

مخابرات متنوعة مع عباس وحاشيته

(حالي الصحة - واجب الخديو وواجب الوطن - المفاوضة في بيع شركة الأزيكية البلجيكية - المتأخرات من مرتبي في الأستانة - احتلال الحلفاء للأستانة)

٢٣٥

حفلة تأبين للرحوم محمد بك فريد (اطلب الكثير تمل القليل)

٢٣٦

أخبار عن مصر (شجاعة أسرة تقلا باشا)

سنة ١٩٢٠

٢٣٨

جهاد المصريين بالسويسرة واقتراح عقد المؤتمر

(اختيارى رائدا للجمعية المصرية بلوزان . إشاعة قبول سعد للنظارة وترك القضية الوطنية . المخابرة لعقد مؤتمر مصرى فى السويسرة - ظهور عقبات - البرنس محمد على والمؤتمر - طلبى مساعدة من عباس للمصريين - أخبار المصريين فى باريس)

٢٤٤

عودتى إلى الأستانة (مع عباس - قبض مرتباتى المتأخرة)

٢٤٥

استقالاتى وأسبابها

(نقود البيرحمى .. مذكرة عن الموضوع .. نص الاستقالة .. تسديد دين حمى)

٢٥١

تصفية الحاشية

(عبد الحميد شديد بك - رمزى طاهر باشا .. الدكتور سيد كامل وعبد الله البشرى - نور الدين)

٢٥٤

مسعى عباس لاستغلال الحركة الوطنية

٢٥٦

شئون مختلفة

(عباس وصاحبه - من أسرار الحرب العظمى - رأى ضابط انجليزى فى الادارة المصرية المستقلة .. الآن حصص الحق - اشتراكى فى جمعية خيرية عربية)

سنة ١٩٢١

٢٦٠

التحقيق فى ضياع المجوهرات

٢٦٢

عودتى إلى مصر

(المساعى للعودة .. مساعى مظلوم باشا وتسويق السراى .. الترخيص بالعودة - السفر .. الوصول إلى أرض الوطن .. مقابلاتى وزياراتى بعد العودة - بين عابدين ودار الحامية .. فى الأزهر .. ما لقيته من حفاوة رجالات مصر)

صحيفة

- ٢٦٨ المساعى لعودة عبد الحميد شديد وعلاقاته بعباس
- ٢٦٩ رأي في الاتفاق بين مصر وانجلترا
- ٢٧٢ برنامجي للاصلاحات الداخلية
- ٢٧٣ الخلاف بين سعد وعدلى ومساعى التوفيق
- (خلاف بعد وفاق - عمل اسماعيل أباطة للتوفيق - مساعى البرنس عمرطوسن - مساعى البرنس عزيزحسن - عريضى مع بعض الكبراء للسلطان - دعوة البرنس عزيز حسن للاجتماع بمنزل البكرى - الخلاف بين سعد وزملائه - سفر الوفد الرسمى - زيارة بعض النواب الانجليز لمصر - رحلة سعد باشا فى الصعيد - قطع المفاوضات الرسمية - نفي سعد ورفاقه إلى سيشل)
- ٢٨٠ حوادث الاسكندرية والدفاع عن سمعة مصر
- (صدى حوادث أزمير - بيان بالدفاع عن سمعة مصر)
- ٢٨٨ شؤون مختلفة (نور الدين يشكو من معاملة عباس - نوادر عن شخ عباس)

سنة ١٩٢٢

- ٢٩٠ الأحوال السياسية وتصريح ٢٨ فبراير
- (الأغلبية والتصريح - موقف الصحف - الجاليات الاجنبية وسياسة التصريح - الامراء والتصريح - بدء تنفيذ التصريح - رأى عباس فيه - وزارة ثروت باشا والرأى العام - تأليف حزب الاحرار الدستوريين - استقالة ثروت باشا)
- ٢٩٥ الجرائم السياسية ضد الانجليز
- ٢٩٥ قانون وراثة العرش
- ٢٩٦ قانون تصفية أملاك عباس
- ٢٩٦ اشتغالى بالصحافة
- (مقالات تثير اهتمام الدوائر العليا - السراى تخشى الدعاية لعباس - النهضة النسوية - انقطاعى عن التحرير)
- ٢٩٧ مساعدة المنكوبين بالحريق فى الآستانة
- ٢٩٩ رحلتى فى سوريا وفلسطين
- (إعجابى بالتعليم فى الجامعة الامريكية ببيروت - رحلتى فى بعض البلاد)
- ٣٠٣ مطلوباتى من عباس

سنة ١٩٢٣

صحيفة

٣٠٥

عمارة المسجد الأقصى

٣٠٨

السماح للوالدة بالعودة إلى مصر

٣٠٩

الحكم ضد في قضية الأوقاف

٣١٢

بين مؤلفاتي وعضوية البرلمان

٣١٣

شئون مختلفة

(تعرفي بالمستركراين الامريكى - مشروع اقتصادى - أسرار عن مسألة طابة .

الملك فؤاد لا يأذن لى بالمقابلة)

ملحقات

٣١٧

جمعية الرابطة الشرقية

(انضمائى إليها - الاجتماع الاول - اعتقال عضو فى الجمعية والافراج عنه - مهمتى لدى عطاء الاستانة - مقابلتى للخليفة وحديثى معه عن الرابطة - مقابلة ممثل انقرة - مقابلة الحاكم العسكرى للاستانة - دعايتى لها فى الاستانة - رسالة شكرى إلى الخليفة - احياى ذكرى جمال الدين بالرابطة - تدخل الجمعية فى الحرب الحجازية النجدية - افتتاح نادى الرابطة - عطف الرئيس ولسن - مساعدة الجمعية لجرى الريف بمراكش - تدخلها فى حوادث دمشق - مساعدتها للنيكوبين فى سوريا - بحث فى الازياء والتقاليد الشرقية - صلة الرابطة بالجمعيات فى الشرق - إصدار مجلة الرابطة ومقالاتى بها - تمثيلى للرابطة فى افتتاح المسجد الأقصى - تدخل الجمعية للاصلاح بين الاحزاب فى جاوة - تقدير الملك فيصل لمجلة الرابطة - معونة الجمعية لعرب فلسطين المتهمين فى حوادثها - الرابطة تقدم لى تذكراً - استقالتي من لجنة المجلة - فتور الرابطة ثم انقطاعها عن العمل - بعض عطاء الزائرين للرابطة)

٣٣٣

مطلوباتى من عباس

(بيان واف بمطلوباتى - مقابلتى لوزير المالية ورد لجنة التصفية - رسالتى لمصطفى أملاك الاعداء ورده عليها - تدخل دار المندوب السامى - العودة إلى لجنة التصفية بالمالية - نهاية المطاف)

٣٣٨

صلوات عباس الشخصية (الكوتس توريك)

٣٤٣

تحليل شخصية عباس

(جاذبية عباس - فضلة على الحركة الوطنية - عمله على حفظ حقوقه الشرعية - مهارته السياسية - عباس لا يكتفى السر ولا ينتصح - هل عباس دستورى؟ - مطامع عباس المالية وملاذه الخاصة - نوادر عن نبخل عباس - آداب عباس وأخلاقه - تردد عباس)

٣٥٠

كلمة ختامية

فهرس الأعلام

٢٥٦	أحمد شوقي بك	(١)	
- ٩٣ - ٩٢ - ٤٣ - ٢٨	أحمد بك صادق	- ١٥٤ - ١٢١ - ١٢٠ - ٩١	ابراهيم أدهم بك
- ٢١٣ - ٢٠٩ - ١٩٩ - ١٦٢ - ٩٤		- ١٩٠ - ١٨٩ - ١٧٩ - ١٧٥ - ١٧٠	
- ٢٥١ - ٢٤٩ - ٢٤٧ - ٢٤٦ - ٢١٥		- ٢٥٣ - ٢٥٢ - ١٩٦ - ١٩٣	
- ٢٦٣ - ٢٥٥ - ٢٥٤ - ٢٥٢		- ٢٤ - ٢٢ - ٢١ - ١٩	البرنس ابراهيم حلى
٣٢٦ - ٣٠٩		- ٣٧ - ٣١ - ٣٠ - ٢٧ - ٢٦ - ٢٥	
٢٢٢	أحمد عرابى باشا	- ١٤٩ - ١٤٨ - ١٠٥ - ٦١ - ٥٩ - ٤٩	
٣١٥ - ٢٦٧	أحمد عزت العابد باشا	- ١٦٩ - ١٦٨ - ١٦٧ - ١٦٥ - ١٥٨	
٢٨٤	أحمد فائق باشا	- ٢٤٢ - ٢٠٠ - ١٩٩ - ١٧٧ - ١٧١	
- ٢٠٦ - ٢٠٣ - ٢٠٠ - ١٩٨	أحمد فريد بك	- ٣١ - ٣٠ - ٢٩ - ٢١	ابراهيم بك راتب
- ٢٥٣ - ٢٤١ - ٢٣٥ - ٢٢٥ - ٢٠٧		- ٢٣٥ - ٢٢	
٢٠٧ - ٢٠٥ - ٢٠٤ - ٢٠٣	أحمد أفندى فريد	٢٧٨	ابراهيم سعيد باشا
- ١٨٩ -	السلطان أحمد فؤاد (جلالة الملك)	٢٥٨	ابراهيم نجيب باشا
- ٣٠٦ - ٢٩٨ - ٢٩٥ - ٢٨٧ - ٢٦٢		٣١٥	أبو الهدى الصيادى
٣١٥ - ٣١١ - ٣٠٨		٣٢٠	أحمد جودت بك
٢١٣ - ١٧٥ - ١٦٢ - ٧٨	الدكتور أحمد فؤاد	(صاحب جريدة أقدام التركية)	
- ٢٣٩ -	أحمد لطفى السيد بك (باشا)	٢٠٧ - ٢٠٥	السيد أحمد الشريف
٢٧٨ - ٢٧٥		٢٦٧	أحمد حافظ عوض بك
٣٠٤	أحمد بك لطفى المحامى	٢٨٤	أحمد حشمت باشا
- ٢٦٦ - ٢٦٢ - ٢٣٩	أحمد مظلوم باشا	- ٢٦٣ - ٩٤ - ٩٣	أحمد خيرى باشا
٢٨٤ - ٢٦٧		٣٠٩ - ٢٨٤	
- ١١٧ - ٩٢ - ٥٦ - ٥٥	أحمد نور الدين	٣٤٢ - ٣١٩ - ٣١٧ - ٣٠٦	أحمد زكى باشا

الدكتور أمستر ٤٧-١١٩-١٢٠-١٢١-	١١٨-١٢٠-١٢١-١٢٣-١٤٨-
١٢٢-١٥٤-١٥٥-١٥٦-١٦٤-	١٥٤-١٥٥-١٦٤-١٨٢-٢٠٠-
١٧٨-١٨٨	٢٢٤-٢٤٩-٢٥٤-٢٨٨
٣٣١ السيد أمير علي الهندي	٢٣٠-٢٣١ الأستاذ أحمد وفيق
٢٧٣-٢٩ أمين بك الرافعي	١١٥-١٢٢-١٢٣-١٢٦
٢٨٤-٢٦٧ أمين يحيى باشا	٢٢٢ اسماعيل فاضل باشا التركي
٣٣١ الدكتور أنصاري الهندي	٢٨٤ اسكندر فهمي باشا
٥٨-٥٧-٥٥-٥١-٢٧ أنور باشا	٢٨٤-٢٧٥-٢٦٧ اسماعيل أباطة باشا
١٢٣-٩٥-٧٢-٦٢-٦١-٥٩	٢٠٤-٢٠٣ اسماعيل أفندي حسن
١٧٣-١٦٢-١٥٨-١٥٧-١٤٥	٥٧-٥٦-٥٥-٥٢ اسماعيل بك ليبيب
٢٠٠-١٨٥-١٨١-١٧٩-١٧٦	٧٦-٧٥-٧٤-٧٢-٦٥-٥٨
٢٠٦-٢٠٨	٩٥-١٠٩-١١٢-١١٣-١١٤-
٥٠-٤٨-٤٢-٤١-٤٠ البارون أوبنهايم	٢٢٦-٢٣٥-٢٤١-
٧٧-٦٣-٦١-٥٨-٥٧-٥٦-٥١	٣١٧ النبيل اسماعيل داود
٢٠٦-١٢٥-٧٨	٢٩٣ اسماعيل زهدى بك
(ب)	٢٨٤ اسماعيل صبرى باشا
١٠٧-٧٧-١٠٧	٢٢ أغاخان الهندي
١٨٥-٢١٦	٢٦٨-١٧١-١٣٨ اللورد اكتور
٣٩ موسيو بارتو الفرنسى	٢٠٧-٢٠٥ السيد الادريسي
١٠٠-٩٩-٩٨ موسيو بارودى	١٠٦-٩٨ البير ملك البلجيك
١٣٨-١٢٦-١٢٥-١١١-١٠٣	٢٥١-٢٤٧-٢٤٦-٢٤٥ البير حمصى
١٤١-١٤٠-١٣٩	٢٠٤ الطيب السنوسى
٩٦-٧٤ باغوص نوبار باشا	٥٠-٤٩-٤٧ موسيو الكساندر الالماني
٣٤٢-٣٤١-٣٣٩ بروستر بك	٧٧-٥١
٣٩ موسيو بريان	٢٩٥-٢٩٠-٢٧٩-٢٢٨ اللورد ألبنى
١٦٥ بلفور	٣٠٨-٣٠٧-٣٠٦

١٣٤ جراهام باشا
٢٨١ جعفر نقر بك
١٦ جلال الدين باشا (صهر عباس)
٥١ - ٢٧ - ٢٦ - ٢٥ - ٢٤ - ١٨
١٢٠ - ٩٥ - ٨٩ - ٧٤ - ٦٧ - ٥٩
١٣١ - ١٢٦ - ١٢٤ - ١٢٢ - ١٢١
١٧٢ - ١٧١ ١٦٥ - ١٤٩ - ١٤٨
٢٢٢ - ٢٠٠

٢٦٧ جلال فهم بك (باشا)
٢٢ جمال باشا (قائد الحملة على مصر)
٢١١ - ٢٠١ - ١٩٧ - ٦٥ - ٦١
٣٢١ جمال الدين الأفغاني
١٠٢ البرنس جميل طوسون
٢٧٨ جورج خياط بك

(ح)

٢٧٤ الدكتور حافظ عفيفي (باشا)
٢٧٨ - ٢٧٥
٣٣٣ الشيخ حافظ وهبه
٩٨ - ٩٧ حبيب بك لطف الله
٣١٣ - ٢٨٤ - ٢٦٧ حسن حسيب باشا
٣٣٣ - ٣٠٣ حسن صبرى بك (باشا)
٣٤٦ حسن عاصم باشا
٢٩٣ - ٢٨٤ - ٢٨١ حسن عبدالرازق باشا
٢٩٩ حسن نشأت بك (باشا)
٣١٢ الشيخ حسونه النواوى
١٨٠ - ٦٢ - ٦٠ الشريف حسين (الملك)

٣٣١ بندت مونيلال نهرو الزعيم الهندى
١٢٣ بوريان ناظر خاوجية النمسا
٣٠٦ - ٣٠٥ القصص بولس غبريال
٤١ - ٣٩ - ٣٨ موسيو بولو (باشا)
١٢٨ - ٧٥ - ٤٧ - ٤٦ - ٤٤ - ٤٣
٢١٦ - ٢١٤ - ٢١٣ - ٢١٠
مستر بويل السكرتير الشرقى
٢٧٧ - ٢٧٦ لمعتمد انجلترا
٢١٦ بيروتورف سفير ألمانيا في
واشنطنطون

(ت)

٣٣١ تاجور الفيلسوف الهندى
٣٤٨ - ٣٣٩ - ٢٨٩ كوتيس توريك
٢٩٧ - ٢٢٥ توفيق باشا الصدر
٣٣١ توفيق دوس باشا
١٧٥ - ٩١ - ٨٩ توفيق بك فهمى
٢٥٣ - ٢٥٢ - ١٨٢ - ١٧٩

(ث)

٢١٣ - ١٧٨ - ٨٩ ثريا بك الالبانى

(ج)

موسيو جانيو مدير بعثة مصر
٢٦٩ - ٢٦٨ - ٢٦٣ بجنيف
١٥٨ - ٢١ جاويد بك
٢٣٦ جبرائيل بك تقلا (باشا)
٢٠٤ جبريل بك شيخ العرب

دومرتينو باشا ٢٤٧ و ٣٣٩ و ٣٤٠ -

و ٣٤١ و ٣٤٢ و ٣٤٣

كونت دى تورن ١٢٦ و ١٤٠

(ر)

رأفت باشا التركى ٣٣٠ -

السيد رشيد رضا ٣٠٦ و ٣١٩ -

رضا توفيق الفيلسوف التركى ٣١٤ -

رفعت باشا سفير الدولة بباريس ١٩٩ -

رمزى طاهر باشا ١٧٥ و ١٧٩ و ١٨٢ -

و ١٩١ و ١٩٣ و ٢٢٤ و ٢٥٢ و ٢٥٣ -

رمضان السواحلى ٢٠٥ و ٢٠٧ -

موسيو روليه (سكرتير عباس) ٣٤٤ -

٣٤٥ و ٣٤٦

(ز)

الجنرال زكى باشا (التركى) ٢١١ -

(س)

اللورد سسل ١٣٤ و ١٣٥ -

سعد زغلول باشا ٢٢٧ و ٢٣٨ و ٢٣٩ -

و ٢٤٢ و ٢٥٤ و ٢٥٦ و ٢٦٦ و ٢٦٧ -

و ٢٧٣ و ٢٧٨ و ٢٧٩ و ٢٨٧ و ٢٩٠ -

الامير سعود بن عبد العزيز ٣٣٣ -

البرنس سعيد حليم ٨٥ و ١١٦ و ١١٧ و ١٤١ -

و ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٥ و ١٥٨ و ١٥٩ -

و ١٦٠ و ١٦١ و ١٦٣ و ١٨٠ و ١٨٢ -

و ٢٠٢ و ٢٠٩ و ٢١٣ و ٣٤٨ -

حسين حلى باشا سفير الدولة فى فينا ٣٢ -

١٠٣ - ١١٧ - ١٤٥ - ١٧٨

حسين رشدى باشا ٧٧ - ١٣٦ - ٢٢٥ -

٢٣٩ - ٢٤٣ - ٢٦٥ - ٢٨١

حسين بك زكى ٢٦٨

حسين بك شيرين ٨٣ - ١١٣ - ٢٣٩ -

٢٤١ - ٢٤٢

السلطان حسين كامل ٢٢ - ٢٩ - ٧٣ -

١٨٩ - ٩٦ - ٩٩ - ١٦٥ - ١٨٩ - ٣١٠ -

حسين محرم باشا ٩٤ - ٢٦٣ - ٢٦٧ -

حكيم أجمال خان الزعيم الهندى ٣٢٤ - ٣٣١ -

حمد الباسل باشا ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٨ -

حمد أبو سلطان ٩٣

حمد الله باشا ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠٣ -

حمدى بك سيف النصر (باشا) ٢٦٧

البرنس حيدر فاضل ٢٠

(خ)

خالد باشا الراماد ٢٠٢

خليل بك ناظر الخارجية التركية ١٠٠

و ١٢٠ و ١٤٥ و ١٤٦ و ١٥٨ -

و ١٦٠ و ١٦١ -

خليل بك مطران ٣٠٠

(د)

الغازى درويش باشا ٢٢٢

موسيو دومرتينو (معمد إيطاليا) ١١٢

٣٤٤ و ٣٤٥

طلعت باشا الصدر ٣٠ و ٥٩ و ٦٢ و ٦٤
 و ٩٠ و ١٠٣ و ١٤٣ و ١٤٦ و ١٥٨
 و ١٥٩ و ١٦٠ و ١٦٣ و ١٦٨ و ١٧٠
 و ١٧٣ و ١٧٨ و ١٨٣ و ١٨٤ و ٢١٠
 و ٢١٢ و ٢١٨
 طور نيزن باشا ٣٤٠ و ٣٤٣

(ع)

عارف باشا ١٦ و ٢٤ و ٢٦ و ٥٩ و ٩٢
 و ١٠٥ و ١٦٥ و ١٦٨ و ١٦٩ و ١٧٠
 و ١٧١ و ١٧٢ و ١٧٥ و ١٨٠ و ١٨٢
 و ١٨٤ و ١٨٨ و ١٩١ و ١٩٤ و ١٩٨
 و ١٩٩ و ٢٠١ و ٢٢٢ و ٢٢٤ و ٢٢٥
 و ٢٤٦ و ٢٤٨ و ٢٥٢ و ٢٥٤

البرنس عباس حليم ٥١ و ١٤١
 السلطان عبد الحميد ٨٤ و ١٨٠ و ٣١٨

و ٢٢٢ و ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٣٤٧
 السيد عبد الحميد البكرى ٢٧٥ و ٢٧٦
 و ٢٨٤ و ٣٠٥ و ٣٠٧ و ٣١٣ و ٣١٤
 و ٣١٧ و ٣٢١ و ٣٢٢ و ٣٢٦

عبد الحميد الزهراوى ٧٩ و ٨٢
 عبد الحميد بك شديد ٢٠ و ١٠٠ و ١٠٤
 و ١٠٥ و ١٢٣ و ١٢٤ و ١٣٩ و ١٤٠
 و ١٤٣ و ١٤٨ و ١٥٣ و ١٥٥ و ١٦٥
 و ١٦٦ و ١٦٨ و ١٦٩ و ١٧٠ و ١٧١
 و ١٧٣ و ١٧٦ و ١٧٨ و ١٨٩ و ٢١٤
 و ٢١٨ و ٢٢٢ و ٢٣٨ و ٢٤١ و ٢٤٦
 و ٢٥١ و ٢٥٣ و ٢٦٦ و ٢٦٨

سعيد ذو الفقار باشا ٢٦٥ و ٣٠٧
 و ٣٠٨ و ٣١٦
 الشيخ سليم البشرى ١٣٦
 سليمان شفيق باشا ٣٠٦ و ٣١٤
 الدكتور سيد كامل ٣١ و ٥٤ و ٥٥
 و ٥٧ و ٥٨ و ٦٣ و ٦٥ و ٦٦ و ٧١
 و ٧٨ و ٨٣ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٩ و ٩١
 و ٩٢ و ٩٥ و ٩٦ و ١٠٤ و ١٠٥
 و ١٠٩ و ١١٠ و ١١١ و ١١٣ و ١١٤
 و ١١٧ و ١١٨ و ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٣
 و ١٢٤ و ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٢٩
 و ١٣١ و ١٤٣ و ١٤٥ و ١٤٨ و ١٦٤
 و ١٦٨ و ١٧٧ و ٢٢٦ و ٢٢٩ و ٢٣٢
 و ٢٣٤ و ٢٤٤ و ٢٤٦ و ٢٤٩ و ٢٥٣
 و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٥٨ و ٢٨٧ و ٣٠٣

(ش)

شهام (متولى أعمال الوكالة البريطانية بمصر) ٢٤
 شكيب بك أرسلان ٢١٣
 البرنيسيس شويكار هانم (الاميرة) ٢٥٤

(ص)

صفية هانم زغلول (أم المصريين) ٢٥٤ و ٢٥٥

(ض)

ضيا بك قنصل جنرال الدولية في جنيف ٦٩

(ط)

طالب بك البصرى ٧٩
 طه الهاشمى باشا ٨٢
 طلاماس بك ٩٣

عبد الله وهي باشا	٢٦٧ و ٢٨١
و ٢٨٢ و ٢٨٤	
الأمير عبد المجيد (السلطان)	١٨٠
و ١٩٩ و ٢٠٢	
السيد عبد المحسن الكاظمي	٣١٩
عبد الملك بك حمزة	٢٤١
البرنس عبد المنعم	٦٨ و ٦٥ و ٣٩
و ١٠٠ و ١١٠ و ١٢١ و ١٤٧ و ١٤٩	
و ١٥١ و ١٥٢ و ١٦٦ و ١٧٢ و ١٧٨	
و ١٩٥ و ٢١٧ و ٢٢٣ و ٢٤٥ و ٢٥٢	
و ٣٣٤	
عثمان مرتضى باشا	٢٨٤
عدلي يكن باشا	٢٦٥ و ٢٦٦ و ٢٦٩
و ٢٧٣ و ٢٧٥ و ٢٧٩ و ٢٩٣	
عدنان بك التركي	٣٢٠
البرنس عزيز حسن	٢١ و ٢٧٦
و ٢٧٧ و ٢٨٤	
عزيز على المصري باشا	٨٢
الشريف على (الملك)	٦٠
على بك اسماعيل	٢٠٣
على الشمسي بك (باشا)	٤٢ و ٥٤ و ٥٥
و ٦٥ و ٦٧ و ٦٨ و ٧٢ و ٧٥ و ٧٦	
و ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ و ٩٥	
و ٩٧ و ١٠٨ و ١٠٩ و ١١٢ و ١١٣	
و ١١٥ و ١١٦ و ١١٧ و ١١٤ و ٢٣٥	
و ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢١٣	
عبد الخالق ثروت باشا	٢٦٥ و ٢٦٦
و ٢٦٩ و ٢٧٩ و ٢٩٠ و ٢٩٣ و ٢٩٤	
عبد الخالق مدكور باشا	٢٠٤ و ٢٧٨
عبد الرحمن بك العابد	٢٥٨
عبد الرحمن عزام (بك)	٢٠٧
عبد الرحمن بك فهمي	٢٥٧ و ٢٥٨
عبد الرحيم افندي نجل السلطان	
عبد الحميد	٢٢٤
الشيخ عبد العزيز جاويز	٥٣ و ٨٥
و ١٥٧ و ١٦٢ و ٢٠٠ و ٢٠٨	
و ٢٠٩ و ٢١٢ و ٢٢٥ و ٣٤٨	
السيد عبد العزيز الثعالبي	٧٩ و ٣٣٣
عبد العزيز عزت باشا (صاحب المقام الرفيع)	
و ٢٣٩ و ٢٤١ و ٢٤٢ و ٢٦١ و ٢٨٨	
و ٣٤٦	
عبد العزيز بك فهمي (باشا)	٢٣٩ و ٢٧٣
عبد الفتاح يحيى باشا	٢٦٢
البرنس عبد القادر	١٤٩ و ١٧٢ و ١٧٨
و ٢٣٢ و ٢٦٩	
عبد اللطيف المسكباتي بك	٥٤ و ٥٥ و ٢٧٥
عبد الله البشري (بك)	١٦ و ١٨ و ٦٧
و ٦٨ و ٦٩ و ٧١ و ٩٥ و ٩٦ و ١٠٥	
و ١٠٩ و ١٢٠ و ١٢٦ و ١٢٩ و ١٣٠	
و ١٣٧ و ١٤٨ و ١٧٨ و ٢٠٦ و ٢١٥	
و ٢١٧ و ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢٢٩ و ٢٣٠	
و ٢٣٥ و ٢٤٣ و ٢٤٧ و ٢٤٩	
و ٢٥٣ و ٢٥٥	

الامبراطور فرانسوا جوزيف ١٢٢	الاستاذ على الغياثي ١٨ و ٩٥ و ٢٤١
فريد باشا الصدر الأعظم ٢٢٤	على باشا حلي ٢٠٤
فريد افندي صدقي ١٩٧ و ٢٠٠	الشريف على حيدر ٦٢
الشيخ فوزان السابق ٣٣٣	على باشا شعراوى ٢٧٣
فيزندونق الألمانى ١١٦ و ١١٧	البرنس على بك فاضل ١٩ و ٢٠ و ١٩٩
الشريف فيصل (الملك) ٦٠ و ٦٢	اللواء على فهمى باشا (الفريق) ٢٦٧
٦٤ و ٣٢٩ و ٣٣٣	و ٢٨٤
(ك)	الشيخ على يوسف ٣٠٤ و ٣٣٦
مستر كار سكرتير اللبى ٣٠٨	عماد الدين بك ٣١ و ٢١٠
كافاليني التليانى ٤٥ و ٤٦ و ٧٥ و ١٢٩	عمر بك شريف ٢٨٤
٢١٤ و ٢١٦	الأمير عمر طوسون ١٩ و ٢٧٥
الدكتور كاوتسكى (طبيب عباس) ٤٩	و ٢٩٨ و ٣٠٦ و ٣٢٠ و ٣٢٢ و ٣٢٦
و ١٥٤ و ٢٢١ و ٣٤٠	عوض بك البحر اوى ٢٤١
موسيو كابو ٣٨ و ٣٩ و ٤٤	(غ)
اللورد كشتير ١٣٢ و ١٣٤	الامبراطور غليوم ٩٥ و ١٢٢
و ١٨٣ و ٢٦٩	غورست (معمدا انجلترا) ١٣٢ و ٢١١
اللورد كرزون ٢٢٩ و ٢٧٩	(ف)
لورد كرومر ٢٤٩ و ٣٤١ و ٣٤٤	الامير فاروق (جلالة الملك) ٢٩٥
مستر كراين (سفير امريكا فى الصين)	وؤاد بك سليم (سفير تركيا فى برن)
٣١٣ و ٣١٤ و ٣٢٣	٩٠ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٤
كليانصو ٣٩	و ١١١ و ١٢٢ و ١٢٧ و ١٣١ و ١٣٨
كونستان شوفلبرجر ٢٣١ و ٢٣٢ و ٢٣٣	و ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤١ و ١٤٢
(ل)	و ١٤٥ و ١٥٤ و ١٦٩ و ٢١٢
الامير لوهار الهندى ٣٣١	و ٢٥٦ و ٢٥٧
موسيو ليون كاسترو ٢٩٦	فتحي بك سفير الدولة بصوفيا ١٥٧

محمد شفيق باشا ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٣٠٣ و ٣١٣
 محمد شكري باشا ٢٨٤
 محمد بك طاهر ١٤٨ و ١٤٩
 الأستاذ الشيخ محمد عبده ٣٤٧
 الشيخ محمد عثمان ٢٩ و ٥٩ و ٧١
 و ٩٥ و ١١٠ و ١١١ و ١٦٢
 محمد عزت باشا (زوج فائقة هاشم) ٢١ و ٣٢
 و ١٧٩ و ١٩٦ و ١٩٩
 البرنس محمد علي ٧٨ و ٧٩
 و ١١٠ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٣٦ و ١٤٠
 و ١٤٩ و ١٥٢ و ٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٤٢
 و ٢٦٥ و ٢٧٥ و ٢٧٨ و ٢٨١ و ٢٨٤
 و ٢٨٦ و ٣٠٦ و ٣٠٨ و ٣١٥
 البرنس محمد علي حليم ٢٨٤
 محمد علي علوبه بك (باشا) ٢٧٤ و ٣٣١
 محمد فتح الله بركات باشا ٢٧٨
 محمد فريد بك ٢٥ و ٣٣ و ٤٧ و ٥٨
 و ٦٥ و ٦٨ و ٦٩ و ٧٥ و ٧٦ و ٨٣
 و ٨٤ و ٨٥ و ٨٧ و ٨٨ و ١١٢
 و ١١٣ و ١١٤ و ١١٩ و ١٧٧ و ٢٠٦
 و ٢٠٩ و ٢١٢ و ٢٢٦ و ٢٣٥ و ٢٤٣
 و ٣٤٨ و ٣٤٩
 الأستاذ محمد فهمي ٣٣ و ٤٢ و ٦٧
 و ٦٩ و ٧٢ و ٧٦ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٧
 و ٨٨ و ٨٩ و ١٠٩ و ١٧٧ و ٢٤٢
 محمد محب باشا ٧٧ و ١١٧ و ١٤١ و ١٤٥

(م)

ما كيو سفير النمسا في روما ١١٩
 مدام تقلا باشا ٢٣٦ و ٢٦٥
 مدام لوزانج ٤٢ و ٧٧ و ٨٤ و ١٠٤
 و ١٠٨ و ١١٣ و ١٧١ و ١٧٢ و ٢١٥
 و ٢٥١ و ٢٥٦ و ٢٨٨ و ٣٣٨
 الأستاذ مجد الدين حفي ناصف ٢٤٣
 الدكتور محبوب ثابت ٣١٩
 محي الدين بك جلال ٣٧ و ٧١
 مدحت بك شكري (السكرتير العام
 لجمعية الاتحاد والترقي) ٢٤ و ٨٠ و ١٧٩
 مدحت يكن باشا ٢٢٦
 محمد أفلاطون باشا ٢٨٤
 السيد محمد الغنيمي التفتازاني ٣١٤
 و ٣١٩ و ٣٢٢
 محمد بك المويلحي ٢٧٦
 السيد محمد أمين الحسيني ٣٠١ و ٣٠٥
 الشيخ محمد نجيت ٢٧٥ و ٢٧٦
 و ٢٨٤ و ٣٠٥ و ٣١٧ و ٣١٩
 محمد توفيق نسيم باشا ٢٩٤ و ٣٣٥
 محمد توفيق افندي الضابط المدفعي ٣٦
 محمد بك راسم ٢٣٩ و ٢٤١
 السلطان محمد رشاد ١٨٠
 محمد زكي الابراشي (باشا) ٩٣ و ٣٠٩
 محمد سعيد باشا ٢٥٦ و ٢٦٧
 و ٣٣٦ و ٣٤٥

الاستاذ منصور القاضى ۸۹ و ۱۴۸ و ۱۷۷	محمد محمود باشا ۲۷۳ و ۲۷۸
۲۴۱ و ۲۳۹ و ۲۳۸ و ۲۳۵ و ۲۱۸	محمد يكن باشا ۴۵ و ۶۸ و ۷۱ و ۸۹
موسى قطاوى باشا ۲۸۲ و ۲۸۴ و ۲۸۷	و ۹۱ و ۹۵ و ۹۹ و ۱۰۰ و ۱۱۰
موسى كاظم باشا ۳۲۳	و ۱۱۱ و ۱۱۷ و ۱۱۸ و ۱۲۱ و ۱۲۳
ميرزا مهدى رفيع مشكى بك ۳۱۷	و ۱۲۵ و ۱۲۶ و ۱۲۷ و ۱۲۸ و ۱۳۰
۳۱۹ و ۳۲۲ و ۳۲۳	و ۱۳۱ و ۱۳۲ و ۱۴۸ و ۱۶۹ و ۱۷۴

(ن)

الشريف ناصر ۶۱	محمود خيرى بك (باشا) ۳۹ و ۲۸۴
نجيب بطرس باشا ۲۶۶	محمود شكرى باشا ۳۴۶
نجيب منصور شكور باشا ۲۶۷ و ۲۷۶	محمود مختار باشا ۴۹ و ۲۰۰
۲۷۷ و ۲۸۰ و ۲۸۲ و ۲۸۴ و ۲۸۷	الغازى مختار باشا ۳۱۵
۳۰۸ و ۳۱۱	السيد مصطفى الادريسي ۳۱۳ و ۳۱۴
الاستاذ نسيم صبيعه ۳۰۶	الاستاذ مصطفى عبدالرازق ۳۱۹ و ۳۲۲
نشأت باشا الألبانى ۸۹ و ۱۷۸ و ۱۸۱	مصطفى فهمى باشا ۳۴۵
نورى باشا ۲۰۳ و ۲۰۴ و ۲۰۷	مصطفى كامل باشا ۳۴۳

(هـ)

هارفى باشا ۹۳	مظهر بك سباعى زاده ۹۰ و ۱۹۰
موسيو هكسيوس ۱۰۹ و ۲۳۴	۲۴۵ و ۲۳۳
هندبورج (الرئيس) ۵۱	ماكدونالد وكيل الأشغال ۱۳۵
هنرى نوس بك ۲۸۷	الاستاذ مكرم عبيد (باشا) ۳۳۱
بروفسور هيس ۳۴۸	جنرال مكسويل ۲۸ و ۱۳۴

(و)

واصف غالى باشا ۲۷۶ و ۲۸۰	سير مكاهون ۶۵
الامير وحيد الدين (السلطان) ۱۸۰	ملحمة باشا ۱۰۱ و ۱۲۱ و ۱۳۰
سير ونجت ۶۵ و ۱۳۴ و ۱۳۵	و ۱۴۰ و ۱۴۱ و ۱۵۲ و ۱۵۴
	اللورد ملنر ۲۷۳

٣٩ و ٣٣ و ١٨	يوسف صديق باشا	٧٣ و ٦٣ و ٢٣	البارون ونجنهيم
٥١ و ٥٠ و ٤٨ و ٤٦ و ٤٢ و ٤١		٦٢ و ٦٠	وهيب باشا القائد التركي
٦٩ و ٦٨ و ٦٧ و ٦٦ و ٦٥ و ٥٩		٣٢٣ و ٢٢٦	الرئيس ويلسون
١٠٢ و ٨٨ و ٨٧ و ٨٣ و ٧٧ و ٧٥			(ى)
١١٧ و ١١٥ و ١١٤ و ١٠٩ و ١٠٨			
١٦٦ و ١٤٥ و ١٤١ و ١٣٨ و ١٣١		٤١	موسيو ياجو وزير خارجية المانيا
٣٤٦ و ٢٦٣ و ٢١٦ و ٢١٥ و ٢١٣		١١٦ و ١١٥	
٣٤٨		٢٨٤	يحيى ابراهيم باشا
١٩٨ و ١٨	يوسف ضيا باشا	٢٤١ و ٨٥ و ٨٤ و ٨٣	الدكتور يحيى الدردبرى
٢٨٠	يوسف قطاوى باشا	٣١٥ و ٢٢٢	يوسف رضا باشا
٢٩٣	البرنس يوسف كمال	٢٨٤ و ٢٨١ و ٢٦٧	يوسف سابا باشا
٣٢٦ و ٣١٧		٢٢٤ و ٢٠٧	يوسف شتوان بك

فهرس الصور

الموجودة بالجزء الثالث

صفحة	بيان الصور	صفحة	بيان الصور
١	أمر تعييني مديرا للأوقاف	٦٠	الشريف حسين
١٣	عباس والحرب العظمى	٦٠	الجنرال وهيب باشا
٢٠	عبد الرؤوف بك يسرى	٦٢	الشريف ناصر
٢١	محمد عزت باشا	٦٧	عبد الله البشرى افندى
٢٣	البارون ونجنهم	٧٦	محمد فريد بك
٢٤	مدحت شكرى بك	٧٦	على الشمسى بك
٢٩	امين بك الرافعى	٧٧	اسماعيل لبيب
٣٠	ابراهيم راتب بك	٧٧	الأستاذ محمد فهمى
٣٢	حسين حلمى باشا	٧٩	الأستاذ عبد العزيز الشعالى
٣٤	خريطة سير الحملة التركية	٨٢	عزيز على المصرى باشا
٣٥	منظر فشل الأتراك على القناة	٩٠	فؤاد سليم بك
٣٦	محمد افندى توفيق الضابط المدفعى	٩١	ابراهيم ادهم بك
٣٧	جثث الأتراك والمصريين بعد	٩٧	حبيب بك لطف الله
	حادثة العريش فى سنة ١٩١٥	١٢٤	محمد يكر باشا
٣٨	بولو باشا	١٣٤	الجنرال سير جون مكسويل
	مسيو يوسف كايو	١٥٠	الاحتفال ببلوغ سمو البرنس محمد
٣٩	مسيو بارتو		عبد المنعم من الرشد
٤٠	مسيو كليمانصو	١٦١	خليل بك ناظر العدالة
٤٠	مسيو بريان	١٧٧	احمد فريد بك
٥٢	البارون مكس أوبنهايم	١٨١	الأمير وحيد الدين
٦٠	الشريف فيصل	١٨٥	امبراطور المانيا خارجا من سراى يلدز

صفحة	بيان الصور	صفحة	بيان الصور
١٩٧	فريد صدق افندى	٢٨١	يوسف أصلان قطاوى باشا
١٩٩	عبد المجيد افندى	٢٨٢	يوسف سابا باشا
٢٠٣	احمد افندى فريد	٢٨٥	يحيى ابراهيم باشا
٢٠٤	على اسماعيل بك	٢٨٥	حسن حسيب باشا
٢٠٤	محمد عبد الخالق مدكور باشا	٢٨٥	احمد فايق باشا
٢٠٨	الأستاذ عبد الرحمن عزام	٢٨٥	اسكندر فهمى باشا
٢٠٩	الشيخ عبد عزيز جاويز	٢٨٦	محمد افلاطون باشا
٢٣٠	الأستاذ احمد وفاق المحامى	٢٨٦	عثمان مرتضى باشا
٢٣٦	مدام تقلا باشا	٢٨٦	امين يحيى باشا
٢٤	حسين شيرين بك	٢٩٠	عبد الخالق ثروت باشا
٢٤٠	محمد بك راسم	٢٩١	اللورد اللنى
٢٤٠	عزيز عزت باشا	٢٩٤	محمد توفيق نسيم باشا
٢٤٣	الأستاذ مجد الدين حنفى ناصف	٣٠٠	منظر معبد بعلبك
٢٥٢	رمزى طاهر باشا	٣٠١	» ظهور الشوير
٢٦٦	نجيب بطرس غالى باشا	٣٠٣	حسن صبرى باشا
٢٦٧	محمد شفيق باشا	٣٠٥	السيد محمد أمين الحسينى
٢٦٧	على فهمى باشا	٣٠٦	القمص بولس غبريال
٢٦٧	احمد عزت العابد باشا	٣٠٩	محمد زكى الابراشى باشا
٢٧٣	محمد محمود باشا	٣١٣	السيد مصطفى الأدريسى
٢٧٤	عبد العزيز فهمى بك	٣١٤	الدكتور رضا توفيق الفيلسوف التركى
٢٧٤	محمد على علوبة باشا	٣١٧	النميل اسماعيل داود
٢٧٤	حمد الباسل باشا	٣١٨	أعضاء جمعية الرابطة الشرقية
٢٧٤	الدكتور حافظ عفيفى	٣٣٠	مجلس ادارة الرابطة الشرقية سنة ١٩٢٩
٢٨١	نجيب شكور باشا	٣٣٢	السيد أمير على
		٣٣٣	السيد عمر بن أبى بكر

فهرس الخطا والصواب

خطأ	الصواب	خطأ	الصواب
٤	٣	والمعنين	والمعنين
٥	٢٧	بناء	أبناء
٣٢	٢٦	حسين حلى باشا	حسين حلى باشا
٥٢	٢٦	الاءاد	الاءاد
٦٣	٢٠	ونجهايم	ونجهايم
٨٥	٢٧	ء أخبارلى	ء أخبارلى
١٠١	٣	المتحادثين	المتحادثين
١٠١	١٣	مذ	مذ
١٠١	٥	ملاكى	ملاكى
١١٢	١١	ذكر	ذكر
١٢٠	٢٠	أوجدوا	أوجدوا
١٢٥	٨	به	به
١٢٨	٢٤	قلبيها	قلبيها
١٣١	٧	الاءاف	الاءاف
١٤١	٢٤	قالتبأ	قالتبأ
١٤١	٢٥	بيل	بيل
١٤٢	٢٥	١٧ منه	١٧ منه
١٤٧	١٣	إذ	إذ
١٥٩	٢٧	ودأعته	ودأعته
١٥٩	٢٧	وامره	وامره
١٧١	٢	فبد لها	فبد لها
٢٠٥	١٢	السنوسين	السنوسين
٢٠٦	١	أوينهايم	أوينهايم
٢١٢	٢٥	حادثة	حادثة
٢٣٦	٢	لاكتفاء	لاكتفاء
٢٣٨	٦	عبد الله شديد	عبد الله شديد
٢٤٢	٢٥	بأمرها	بأمرها
٢٤٥	٢٦	سويسر	سويسر
٢٤٧	٢٤	لخص	لخص
٢٦٥	٩	ى	ى
٢٦٦	٢٧	فى	فى
٢٧٠	١٠	ن	ن
٢٧٠	١١	لواسطه	لواسطه
٢٧٨	٢٧	لتمقاوضين	لتمقاوضين
٣٢٢	٣	العمومية	العمومية
٣٢٣	٣	عجيب	عجيب
٣٣٣	٢٠	عبد الحميد الثعالبي	عبد الحميد الثعالبي
		عبد العزيز الثعالبي	عبد العزيز الثعالبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله

الى مصر

الوطن الذي فيه نشأت و اياه أحببت وله أخلصت ووفيت
اقدم هذه المذكرات لاشهر أبناء الجيل الحاضر صفحة من أعمال الجيل
الغابر في غير تزييف ولا التواء وما أخشى غير الله هو حسبي

احمد شفيق

صاحب السعادة احمد شفيق باشا
لما عهدتكم فيكم من الاخوة و صديقاتنا والاولاد و صديقاتنا و صديقاتنا و صديقاتنا
سبحانكم ربنا انت اقصى الناس في وطنيتنا و طيباتنا و طيباتنا و طيباتنا و طيباتنا
صحة و سعيه فينا و صديقاتنا و صديقاتنا و صديقاتنا و صديقاتنا و صديقاتنا
صحة و سعيه فينا و صديقاتنا و صديقاتنا و صديقاتنا و صديقاتنا و صديقاتنا
صحة و سعيه فينا و صديقاتنا و صديقاتنا و صديقاتنا و صديقاتنا و صديقاتنا

أمر تعييني مديرا للأوقاف العمومية في ٢٦ مارس سنة ١٩١٠

مقدمة

بقلم الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد

كل عمل يتولاه الانسان له أناس مطبوعون عليه وأناس يصنعونه تكلفاً أو مجارة للعرف والعادة ، ومن ذلك ولا شك كتابة المذكرات الخاصة والتعليقات اليومية فالمطبوع على كتابة مذكراته يهتم بتسجيل كل ما يعرض له من الحوادث والخواطر كما يهتم الشاعر المطبوع بتسجيل معانيه وأحاسيسه في القصيد ، وكما يهتم المصور المطبوع بتسجيل مرئياته واختياراته النفسية في الصور والتماثيل ، وكما يهتم كل فنان بتسجيل ما يدور بنفسه ويعلق بحسه ، فالباعث هنا هو باعث الأحياء الفنى الذى لا اختيار للانسان فيه ، وإخلاص المرء فى هذا العمل كإخلاصه فى الإفضاء بأسراره وهومومه ووقائع أيامه ولياليه إلى الصديق العطوف الموثوق بأمانته وترحيبه بما يسمع من شواغل صديقه ، فإنه ليستريح بعد هذه المكاشفة كمن التى عن صدره عبثاً ثقيلاً يرين عليه وأفرغ من ضميره قلقلًا دخيلاً يعتلج فيه ، وقد يتخرج من السهو والتحريف كما يتخرج الشاهد التقي من الحنث فى يمينه والإخلال بشرفه ، ويذكر ماله كما يذكر ما عليه كأن هناك رقيقاً حياً عالماً بما فى السرائر يحاسبه على ما يذكره وما ينسأه . فالذاكرة الخاصة عند صاحبها هى ذلك الصديق الصدوق وهى ذلك الرقيب المطلع على الغيب ، ومن لم يكن مطبوعاً على تدوينها فن المستحيل عليه كل الاستحالة أن ينظر إليها هذه النظرة ويشعر بها ذلك الشعور ، وأن يستريح إلى مناجاتها كما يستريح الصديق إلى مناجاة الصديق . لأن المطبوعين وحدهم هم الذين يشغفون حباً بأعمالهم ويعطونها جزءاً من قلوبهم وضمائرهم وينفثون فيها قسماً من حياتهم ، فهم حريون بعد ذلك أن يعاملوها معاملة الأحياء مذ كانوا يشعرون بها شعورهم بالأحياء الذين يتعاطفون ويتكشفون ويتجاوب بينهم الإحساس

وعندى أن هذا هو التعليل الوحيد الصالح لتفسير جميع الملاحظات المستغربة

التي لا حظها النقاد على كبار كتاب المذكرات المشهورين في التاريخ ، وعلى رأسهم السياسي الانجليزي صمويل بيبينز (Samuel Pepys) الذي نشأ في القرن السابع عشر ولا تزال مذكراته موضع البحث والاستقراء بين دارسي التاريخ والمعنيين بالطبيعة الانسانية

لقد كان هذا الرجل نائبا وموظفا كبيرا في وزارة البحرية ورئيسا لمجمع العلوم ومغرمًا بالموسيقى والتمثيل ، وترك بعده مذكرات مستفيضة لا تزال كما قلنا موضع البحث بل موضع الحيرة عند بعض النقاد ، فلا هم قادرون على أن يجزموا بأنه كتبها لنفسه لأن الانسان لا يكتب كل هذه المجلدات وكل هذه الحوادث ليطلع عليها وحده ، ولا هم قادرون على الجزم بأنه كتبها للأجيال المقبلة لأنه كشف فيها أسراراً عن سيرته وسيرة اقربائه كان معروفاً أنه يخفيها أشد الاخفاء ويود لو يتعقبها بالحو والنسيان

مثال ذلك أنه حكى يوماً عن زميل قديم له من زملاء الدراسة تغدى معه وتذاكرا أيام التلهذة فقال له الصديق : إنك كنت يا صمويل يومئذ من أنصار كرمويل وخصوم الملك ! .. قال صمويل في مذكرته . « فارتعبت لأنني خشيت أن يكون زميلي ذا كرا ما قلته له يوم قتل الملك » ومن حق القارئ أن يفهم بعد هذا أن الرجل الذي ارتعب لخوفه من ذكريات زميله سيحرص أشد الحرص على كتمان ما قال ، ولكن القارئ لا يلبث أن يقرأ بين قوسين اعترافا بما قاله صمويل يومذاك ، وهو أنه لو ألقى عظة عن قتل الملك لجعل عنوانها إن « ذكرى الاشرار لا بد أن تعطب وتبلى ! »

ومثال آخر : انه اشترى كتابا من السكتب الشائنة فتعمد أن يختاره من الطبعة الرخيصة لأنه عول على احراقه بعد الاطلاع عليه اذن يحق للقارئ أن يفهم انه لن يذكر هذا الكتاب ولن يشير اليه في حديث ولا كتابة ، ولكن الواقع انه أثبت في وقائع ذلك اليوم انه اشترى الكتاب وانه كتاب خبيث وانه اشتراه من الطبعة الرخيصة لانه لا يحب أن يرى في مكتبته

ومثال ثالث: ان مسألة من المسائل البيتية كدترته فأنتلف جميع أوراقها وأسانيدها ثم عاد إلى مذكراته فدون فيها جميع تلك الأوراق والأسانيد بأقصى ما استطاع في اسهاب وتفصيل

كيف يتسنى لنا تعليل ذلك إلا بأن الرجل كان منقاداً لايحاء الطبع الذى لا اختيار له فيه ؟؟ اننا نستطيع أن نعرف علة صناعة الصانع الذى ليس بالمطبوع ولا الموهوب ، فان المنفعة التى ينالها أو السمعة التى يحظى بها كافية لتفسير أعماله ومصنوعاته ، ولكن لا المنفعة ولا السمعة كافية لتفسير أعمال المصور الذى ينقاد فى تصويره بدافع من سايقته ووجدانه ، فانه قد يخسر المال والسمعة جميعاً بل قد يجازف بحياته وعافيته ومستقبله ليثبت على لوحة التصوير ما ثبت منه فى صفحة الحس وطيات الضمير

وكذلك الرجل المطبوع على تدوين مذكراته لا يدونها لتزينه ولا لتشيئته ، وليس من همه أن يدخرها لنفسه أو يعرضها لغيره ، وانما هو كاتب لها لأنه يستريح إلى كتابتها كما يستريح المرء إلى المكاشفة والثقة بمن يكشفه ولو حاق به الضرر من جراء ذلك فى كثير من الاحوال

هذه سليقة نافعة تقيد الثقافة الانسانية كما تفيدها كل ملكة مطبوعة وخليقة حية ، تفيدها فى درس النفس البشرية ، وفى تحقيق الحوادث التاريخية ، وفى تمحيص عادات الأمم وآداب المجتمعات ، ولعلنا لا نخطئ إذا قلنا إن تاريخ بنى الانسان فى جملة لا يحتاج إلى المزيد من أصحاب الملكات الفنية والقرائح الشعرية لأنهم يظهرون بمقدار الحاجة اليهم فى كل فترة من الزمن وكل شعب من الشعوب ، ولكن الملكة التى يحتاج فيها تاريخ بنى الانسان إلى المزيد هى ملكة اليوميات والمذكرات ، لأنها لا تزال منذ القدم أندر من القدر المطلوب ، ولا سيما بين رجال المناصب الذين اضطلعوا بالأعمال السياسية واتصلوا بدخائل الامور

ويدلنا على مبلغ هذه الندرة ان تاريخنا المصرى الحديث لم يشتمل على أكثر من مؤرخين اثنين فقط يرجع اليهما الباحث فى هذه الناحية ، وهما الشيخ عبدالرحمن الجبرتى وصاحب السعادة الحاج احمد شفيق باشا صاحب هذه المذكرات ، وانما نذكر الجبرتى فى هذا الصدد من باب التساهل والمقارنة . لأنه رحمه الله لم يكن « أولاً » بمن شغلوا المناصب التى تتيح لهم الوقوف على ما وراء الاخبار الشائعة ، ولأنه من الجهة الأخرى كان مصرّوفاً إلى نوع آخر من الكتابة غير نوع اليوميات الخاصة والمذكرات الشخصية ، والفرق بين النوعين أن الجبرتى كان يدون أخبار بناء عصره التى يصح أن تقع تحت عنوان الاخبار التاريخية من الوجهة العمومية

وان تحدث فيها عن أشخاصهم وعلاقاتهم الخصوصية ، أما النوع الآخر وهو نوع اليوميات والمذكرات فهو أشبه باعترافات الانسان عما يعمله وما يراه وما يتصل به مباشرة من الحوادث والأبناء ، وهنأ موضع الحاجة إلى الملكة الخاصة والاستعداد المطبوع ، لأن مشاهدة الحوادث وتدوينها قلأ تحتاج إلى تلك الملكة أو ذلك الاستعداد . أما الاعتراف بكل ما يصنعه الانسان واثباته على القرطاس بينه وبين نفسه فذلك هو الباعث النفسى الذى يندر بين المؤرخين

ومن ثم يكون الحاج احمد شفيق باشا هو المؤرخ الوحيد فى التاريخ المصرى المطبوع على تدوين اليوميات ومكاشفة القرطاس بما يجرى له وينطوى فى ضميره : يكتبها فى عهد الحداثة كما يكتبها فى عهد النضج والاكتمال ، ويكتبها وهو آمن فى بلده كما يكتبها وهو مغرب فى الديار الأجنبية ، ويكتبها فى أيام السلم والطمأنينة كما يكتبها فى أيام الحرب والفرع وهو محاط بالجواسيس وقناص الأخبار وأصحاب الدسائس والمشاغبات ، ويعنى بالمحافظة عليها أشد من عنايته بالمحافظة على حقائب الجواهر والمصوغات ، ويعلم أن سمو الأمير الذى يعمل معه قد عرف سر هذه اليوميات وتوجس منها والتزم الصمت والحذر من أجلها فلا يثنيه ذلك عن المضى فيها والمثابرة عليها ، ولم يكن يشغله عنها كما قال فى مقدمة الجزء الأول « عمل ولا لهو . وما كانت مشاغلى الخاصة لتحول بينى وبينها ، بعد أن غدت جزءا لا يتجزأ من برنامج حياتى . فكنت أدونها أثناء الدراسة بين كد الدرس والمذاكرة ولا أفر عن تقييدها أثناء أسفارى خارج مصر سواء للهام أو للرياضة . ذلك ان تدوينها كان فى ذاته سلوى لى ، لأنه يتصل بعامل خفى فى نفسى ، هو الشغف بتسطيرها ثم استجناء مسرة استعراضها وما آتسه فى ذلك من لذة معنوية »

هذا الشغف أو هذه اللذة المعنوية هى الخصلة التى يمتاز بها المؤرخ المطبوع على تدوين يومياته ومذكراته ، وهى التى نغنيها حين نقول إنها ملكة فنية كملكة الشاعر الذى يسجل احساسه واختباره فى قصيده ، أو المصور الذى يسجل احساسه واختباره فى لوحاته وتماثيله .

لقد كان صمويل بيبز الملقب بامام اليوميين وأستاذ كتاب المذكرات Master Diarist يدون أسرارهن ونوادره بالخط المختزل فلا يقرؤه إلا من عرف مفتاح اختزاله . أما صاحب هذه المذكرات فانه يكتبها بالعربية الصريحة السهلة ولا يبالى أن يستثنى

منها سرا من الأسرار ولاخبرة من الخطرات ، وإنما يحذف منها عند الطبع ما تقضى بحذفه الضرورات الاجتماعية والسياسية وما يشير بحذفه الأ أصحاب والأصدقاء . وهو — علم الله في سريرة نفسه — آسف جد الأسف على كل بتر واستثناء من هذه المذكرات التي لم يبالغ حين قال إنها « غدت جزءا لا يتجزأ من برنامج حياته »

عند ما قرأت هذه المذكرات عرفت منها ما كنت أود أن أعرفه ، ووجدت فيها كذلك ما لم أكن أنتظره ولم يقع في حسابي ، لأنه بعيد — على ما يظهر لأول وهلة — من نطاق المذكرات في زمانه ومكانه وأشخاص المشتركين فيه .

فصورة عباس الثاني — مثلا — واضحة في خلال هذه الصفحات وضوحا لا يشوبه أقل لبس أو تمويه : واضحة من وراء المراسم والمظاهر ودواعي الحيلة والتجمل ، واضحة في علاقاته بشعبه وحكومته ، وعلاقاته بأبنائه وأخوته وآله ، وعلاقاته بأصحابه وأتباعه وأعوانه وموظفيه ، وعلاقاته بمن يرجوهم ويخشاهم من ذوى الجاه والسلطان ، وعلاقاته بزوجه وصواحيبه وأصحاب سره وهواه ، ولا نطن أن كتاباً من الكتب يعرض لنا صورة نفسية لعباس الثاني أوضح ولا أوفى من صورته في هذا الكتاب .

كذلك الرجال الذين عاشهم وعاشروه واتصل بهم واتصلوا به ولو لحظات معدودات . فإن الحديث المروى في هذه الصفحات بين عباس و غليوم يعرفنا بالشئ الكثير من دخائل غليوم ومطامعه الاستعمارية وأساليبه في مخاطبة الناس واستمالتهم إلى ما ينويه ويفكر فيه

وعلى هذا المنوال نعرف كثيراً عن الصدر الأعظم سعيد حليم وعن طلعت وأنور وجمال ، وعن فريد وجاويش ولبيب ، وعن سائر الرجال المصريين وغير المصريين الذين عرض ذكرهم هنا في حادث من الحوادث أو مناسبة من المناسبات وعلى هذا المنوال أيضاً نعرف ما أحاط بالحملة التركية على مصر من أسباب الفشل والتعطيل ، تارة من جراء الدسائس الشخصية ، وتارة أخرى من جراء المآرب السياسية ، وتارة غير هذه وتلك من جراء التضارب والتناقض بين مطامع الترك ومطامع الألمان في هذه البلاد ، وتنجلي لنا أثناء ذلك إدارة الحكم التركي وكيف تدور وتسكن ، وتقديرات الحكومة الألمانية وكيف تخطئ وتصيب بين

آراء الساسة وخطط العسكريين ، وغير ذلك من ملابسات الحرب التي لها مساس بمصر من جانب . وبدول أوروبا الوسطى من جانب آخر ، وبانجلترا والحلفاء من جانب ثالث غير يسير

وكذلك نطلع أثناء هذا كله على مغامرات الجاسوسية وأساليب الوقوف على المساعي الخفية ، وما كان يتوخاه الانجليز من تقديم المسائل أو تأخيرها لتعليق الاطماع بهم حيناً بالتسويق في تقرير ولاية العهد ، وحيناً بالإشارة من بعيد أو قريب إلى مصادرة أموال المغتربين وأملأهم وقطع علاقاتهم بذويهم ووكلائهم ، وحيناً بفتح باب العودة لمن يشاء واستدراج من يسهل استدراجه إلى الخدمة والموالة ، وندرك الشيء الكثير من أسرار السياسة الانجليزية التي ظاهرها الرحمة والانصاف واحترام الحقوق والأموال ، وباطنها الكياسة والأناة والانتفاع بالفرص وتأجيل الأمور إلى أوقاتها لاستغلالها أتم استغلال

كل هذا مما يخطر على بال القارئ أن يلم ببعض مناسباته وملابساته في سياق هذه المذكرات ، لأنها مذكرات رجل لازم الخديو ابان الحرب العظمى في الاستانة وسويسرة ، وساح معه في النمسا والمانيا وقام له بالمهام التي يقوم بها المعين الأمين المؤتمن على ما يسمع من المقاصد والأسرار . ولكن الشيء الذي قلما يخطر على بال القارئ وهو يتصفح هذه المذكرات انه سيعلم منها نبأ عن قضية مدام « كايو » التي كانت لها ضجة عالمية في حينها ثم كانت لها نتائج خطيرة في تقلب الوزارات الفرنسية ، ففي استعراض حوادث سنة ١٩١٥ يقول صاحب المذكرات « تعرف الخديو بباريس في صيف سنة ١٩١٤ برجل فرنسي يسمى بولو بواسطة يوسف صديق باشا وهو ينتمي إلى موسيو كايو الوزير الفرنسي السابق الذي عرفه الخديو كذلك عندما كان في باريس . وحدث أن أحد محرري جريدة الفيجارو ويدعى كملت (شقيق الآنسة تالبوتيه معلمتي الفرنسية في أثناء دراستي وقد عرفتني به) نشر مقالات يتهم فيها موسيو كايو بالاختلاس وخيانة وطنه لسعيه في خدمة المانيا . فما كان من زوجته إلا أن ذهبت لهذا المحرر وأطلقت عليه رصاصة من مسدسها أردته قتيلا ، فقدمت للحاكمة الجنائية . وقد طلب موسيو كايو من الخديو أن يبذل نفوذه لدى رئيس محكمة الجنايات لانقاذ قريبته ، وعرف سموه به في مأدبة خاصة ، فسعى بجميع الوسائل لديه ، ومن ذلك أن وعده بالانعام عليه بنيشان كان

يطمح اليه ، وكانت النتيجة براءة مدام كايو ، وأصبح كايو من هذا الوقت يود أن يقدم خدمة لسموه رداً لجميله ... »

وان الإنسان ليزكر الآن ما كانت تنشره الصحف عن أسباب هذه الجناية وما حام حولها من الشبهات الغرامية ، ثم ينظر فيما رواه صاحب المذكرات فيتبادر الى ذهنه قول القائل « ويأتيك بالأخبار من لم تزود » ويتدبر كيف تستفيض الأشاعات وتختلف التعاليل ، وتحتاج الحقائق الى المضاهاة بين أقرب المصادر وأبعدها على السواء

ويتفق أن تبدأ اليرمية من اليوميات وأنت لا تتوقع ان تقرأ في هذا السياق شيئاً الا أن تكون محادثة عرضية في زيارة عرضية مما تقضى به المجاملات ويقطع به السكوت ، فاذا أنت على غير انتظار أمام خبر من الأخبار التي تتعلق بها مصائر الأمم ، وتريك كيف يتحول مجرى التاريخ . ففي الرابع عشر من يناير سنة ١٩١٨ يقول صاحب المذكرات : « حضر اسماعيل باشا فاضل من رجال الحرية القدماء وكان مرافقاً للسلطان عبد الحميد . وبعد أن زار الخديو جلس عندي » ثم يقول على أثر ذلك وهو الخبر الذي جاء عرضاً في الطريق : « وذكرنا شئون مصر والاحتلال فقال لي إنه لم يمعض أطراف المسألة المصرية ، وروى لي أنه عند ما ثار عرابي على توفيق باشا كانت الدولة عازمة على ارسال حملة لاختداد الثورة وصدرت الأوامر باستعداد عساكرها التي كانت في كريت للسفر إلى مصر ، وأمرت فرقة من الاستانة بالذهاب الى كريت لتخلفها . الا أن يوسف رضا باشا رئيس لجنة اسكان المهاجرين رفع تقريراً الى السلطان يحذره من اخلاء العاصمة من العساكر لئلا يخلعه الشعب كما خلع السلطان عبد العزيز . يخاف على نفسه واستعاض عن الحملة العسكرية بارسال درويش باشا سعيًا للوفاق بين العرايين وتوفيق باشا »

ولا يسع الإنسان وهو يعبر هذا النبا الصغير الذي جاء في عرض الحديث الا أن يسائل نفسه : ترى الى أي مصير كانت القضية المصرية منتمة لو حضر الجيش العثماني وتولى اختام الثورة العرابية ؟ والا أن يعجب للحوادث الكبرى كيف تتوقف في بعض الأحيان على كلمة يوعز بها رجل غير مسئول عنها ، وقد يكون فيما أوعز به موعزا اليه

وفي المذكرات كثير من أمثال هذه الأحاديث العرضية التي يطالعها القارىء على غير انتظار ، وكثيرا ما تفاجئنا بطرائفها اذا هي لم تفاجئنا بموضوعاتها ، فالتعريف بالخدّيو مثلا موضوع منتظر من بداية المذكرات ، ولكن النواذر التي تعرفنا به هي الشيء الطريف الذي لا يدور في الحسبان ، وقد يسعى طلاب الدراسات النفسية الى العثور على نواذر من هذا القبيل لاحصاء النقائص الأخلاقية فلا يظفرون بها الا بعد عناء

كان صاحب المذكرات والمرحوم الدكتور السيد كامل بك يتحدثان في الثالث عشر من شهر ابريل سنة ١٩١٦ فأبدى الدكتور تألمه بما فاه به الخدّيو في جلسة ماضية عن رجال الحزب الوطنى ثم قال : « ان صاحبته هي التي تزين له ذلك . وقد عرفت مواضع الضعف فيه . واستشهد بما رآه ذات يوم من الخدّيو وقد جلس يفرز الرسائل الواردة ويفصل منها الجزء الأبيض الخالى من الكتابة فيحتفظ به ، فما كان منها الا ان أخذت رسالة سها عنها وصنعت بها كذلك . وهي الآن تستغل حرصه فتقول له : ما الذى نفعلك به المصريون فتشفق عليهم ؟ وتحسن له ابعاد رجاله واحدا واحدا اقتصادا للنفقات »

اننى أعرف الدكتور سيد كامل رحمه الله رجلا حريصاً جداً في أحاديثه ، يشفق أن تغفل منه كلمة تحسب عليه أو تنم عن افشائه الأسرار . فما إخاله أفضى بهذه « الطرفة » الخلقية إلا وقد غلبته طرافتها فلم يقو على كتمانها ، وهي والحق يقال جديرة باخراج المرء عن حواجز المراسم والعادات ، وأى شيء أظرف من منظر امرأة تكلف رجلا عشرات الألوف من الجنيهات في أشد الأزمات وهي تستضيه بعد ذلك « بتوفير » قصاصة من الورق لا تساوى المائة منها بضعة قروش ؟ وأى شيء أعجب من الطبيعة التي تشغل رجلا « بتوفير » القصاصات وقد أضاع عرشاً وأضاع معه القصور والأموال ؟

هذه النواذر الشخصية هي مزية اليوميات الخاصة التي من أجلها كانت عظيمة القيمة للتاريخ والدراسات النفسية ، لأنها تعرفنا بإبطال الحوادث التاريخية أضعاف ما تعرفنا بهم المظاهر الاجتماعية والأعمال العامة والكتابات العلنية ، فقد يتحملون بهذه المظاهر أمام الناس وهم في الحقيقة عاطلون من جمالها ، وقد تنسب اليهم الأعمال العامة وهم لا يساهمون فيها ، وقد تراعى في الكتابات العلنية مصاحبة موقوتة أو

مجملات مفروضة . أما النوارد المرتجلة التي تبدر من صاحبها عفو البديهة فهي هي الصورة الصحيحة بلا مبالغة ولا تجميل

* * *

ومن الأمور الحقيقة بالتنويه في هذا المقام ذلك الحديث الذي جرى بين صاحب السمو الملكي الأمير محمد علي والقائد مكسويل في بداية الحرب العظمى فقد اقترح الأمير إعلان استقلال مصر وقال للقائد : « أرى أن الفرصة سانحة للانجليز لإعلان استقلال مصر ، وبهذه الوسيلة يمكنكم أن تجهزوا جيشاً من المصريين للدفاع عن استقلال بلادهم وتتفقوا معنا على أن تتركوا مصر بعد مدة تحدّدونها . فان صنعتكم ذلك تكسبوا ثقة المصريين وغيرهم في البلاد العربية »

نعم . هذا هو رأى الصواب ، ولو أصرت عليه الوزارة الرشدية وأخذ به الانجليز لاتقينا كثيراً من المحظورات ، ولكن « وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم » ... فان مطالبة المصريين باستقلال بلادهم وثورتهم التي ثاروها في سبيل هذه المطالبة هي في ذاتها غنيمة من الغنائم الأدبية التي تستفيد منها الشعوب وتجعل للاستقلال شأنأ غير شأن العطاء الموهوب .

* * *

وعلى الجملة نرجو أن تقوم هذه المذكرات بحصتها المشكورة القيمة في تاريخ هذه البلاد ، فقد جاءت في أوانها لاتمام العلم بتاريخنا القريب قبل أن تترامى به الأيام وتحول الحوائل دون المراجعة والتمحيص ، وجاءت في أوانها من الجهة الأخرى لأن العصر الحديث في أوروبا يوشك أن يكون عصر المذكرات والمشاهدات الشخصية وإن لم يكن لها بعد نصيب من الشيوع في بلادنا ، وقد تعود القوم هناك أن يضاهاها بينها ويقابلوا بين رواياتها وياتمسوا فيها من مصادر الحقيقة ما لا يتاح في غير هذا النوع من التأليف ، وربما كانوا مدينين بمعظم ما يعرفون عن رجالهم وأقطابهم لما يدونه عنهم كبار الصحفيين والسائحين في أمثال هذه المذكرات ، ولعل مذكرات شفيق باشا أن تكون فاتحة لاتشجع هذا النوع من التأليف في العالم العربي فيسكون له فضل في التقدم والتشجيع إلى جانب فضل التأريخ والتدوين .

عباس محمود العقاد



عباس والحرب العظمى

امبراطور النمسا وألمانيا والاتحاد — الموقوفون بالمعية والاقتصاد —
السندات والتخف التي استخضرها الخديو من مصر — غير الجاوس الخديوي بالاستانة
زيارات لأعضاء العائلة الخديوية وما سمعته منهم — الإرادة السلطانية ومحمد مرهم
المجلة على مصر — أخبار عن الخانة في مصر — نيات الأتراك نحو السلطان حسين —
طعن المصدر في الخديو — فشل الحملة التركية على قناة السويس — مشروع خطير
لفصل فرنسا عن إنجلترا في الحرب العظمى — سفرى إلى برلين ومرمى بها —
أحداث الحرب — تنظيم مخبرات مع مصر وتبوير ثورة ضد الإنجليز — الاعانات
والمرتبات التي تقدرت للبرنات والخاصية — الشريف فيصل ومرمى في الاستانة
للتوقيف بين العرب والاتراك — الخلاف بين الخديو ورجاله وخروجه من النمسا
إلى السويسرة — توجيه انذار لعباسى — مؤدونه مختلف

امبراطور النمسا^(١) وألمانيا^(٢) والاتحاد : أرسل الخديو في صباح يوم
أول يناير سنة ١٩١٥ برقتين للتهنئة برأس السنة لأمبراطورى ألمانيا والنمسا متمنياً
لها الظافر على أعدائهما . وكذلك أرسل برقية تهنئة للملك ايطاليا
وفي يوم ٢ منه توجه لمقابلة امبراطور النمسا في قصر شنبرون ، فلما مثل بين
يديه حيا سموه تحية لطيفة ، وأظهر له أسفه لتصرف الانجليز معه ، فأجاب سموه :
« إننى في مدى ثلاثة وعشرين عاما حكمتها في مصر ، كنت أعمل بنصائح جلالتم ،
التي تلقيتها عند مبارحتي مدرسة الترزيانوم لتولى الخديوية المصرية سنة ١٩٠٢ .
فقد قلت لى جلالتم إننى سأجد صعوبات في الحكم . كما وجدت جلالتم في النمسا »

(١) سورج ٢ ق ١ ص ٢

(٢) سورج ٢ ق ١ ص ٢٦٩

وإنه يجب على الصبر والجلد في تذليل الصعاب . وبالفعل صادفتني صعوبات شديدة في معاملة الانجليز للمصريين واشتد عليّ ؛ فكنت أدافع عن صوالح بلادى ، على قدر إهكائى ؛ ولهذا كانوا يعدوننى غير مخلص لهم . ولما نشبت الحرب ، حاولوا إقناعى بالسفر الى إيطاليا ، لأنها أقرب لمصر من الاستانة ! ولو أنى أطعهم ما عزلونى . ولكن التربية التى تلقيتها فى التريزيانوم تحت رعاية جلالتهكم ، والتى هى مؤسسة على الصدق فى القول والعمل وحفظ الكرامة ، وعزة النفس ، هى التى منعتنى أن أقبل نصائح الانجليز ؛ وأرجو أن تكون نتيجة الحرب ، نصراً لجيوش جلالتهكم وحلفائكم فينتصر الحق على الباطل .

وكان الامبراطور يصغى لحديث الخديو مسروراً . فلما انتهى رد عليه قائلاً : « إن شاء الله نفوز بالنصر ولو أن أعداءنا أشداء » .

وقد وردت فى اليوم نفسه برقية من جلالته بالشكر للخديو مع تمنيه أن يفوز الحق على الباطل . وكذلك وردت برقية أخرى بالشكر فقط من امبراطور ألمانيا والعنوان فى البرقيتين « عباس حلى الثانى خديو مصر »

وحتى يوم ٣ يناير لم يرد رد ملك إيطاليا وسافرت أنا الى الاستانة

الموظفون به بالمعية والاقتصاد : رأى الخديو بمناسبة الحالة الجديدة ، التى لا يعرف مداها أن يجرى اقتصاداً فى النفقات ، فأمرنى بالسفر للاستانة ومعى أوامر للمستخدمين المملوكين والعسكريين و « الخدمة السائرة » فى جبوقلى والضلمان لتنفيذها بواسطة عبد الله افندى البشرى ، وهى تلخص فى أن كل من أراد منهم الرجوع لمصر يرحل إليها ، وأن يعود ألماس أغا لمصر فيرسل الخادومات اليونانيات والتركيات اللواتى فى قصر القبة إلى رودس (١) بلدهن ، وأن أكلف جلال الدين باشا قبو كتحداى الخديو وصهره أن يقتصد فى نفقات داخل الحريم ، أما موظفو القبو كتحداية فانه إذا ورد للبنك العثمانى أمر من مصر بقطع مرتباتهم فمن يرد الرجوع لمصر منهم يرحل إليها . وأن أخبر عارف باشا رئيس الديوان التركى بأن وظيفته أصبحت ملغاة نتيجة لانتقال الذى حصل فى مصر حتى تعبر الجنود العثمانية القنال وأن أصرف له خمسين جنبها

وفى يوم ٣ يناير سافرت لتنفيذ هذه الأوامر فوصلت الاستانة يوم ٦ منه

(١) ولكن ألماس أغا لم يستطع السفر لهذه المهمة

ولما قابلت ألماس أغا وأبلغته الأمر الخاص به تردد في الذهاب ، وأخيراً أظهر القبول إذا لم يكن هناك مانع من الحكومة المصرية ، فقلت له : إننا سنسأل عن ذلك بواسطة سفير أمريكا

وساطة سفير أمريكا في عودة بعض الموظفين لمصر : وفي يوم ١٠ يناير قابلت السفير ، وحادثته في الوساطة لرجوع بعض الموظفين المصريين الملاحقين بالخدو مصر ، فوعد ببذل السعي اللازم

وفي يوم ١٤ منه جمعت في جبوقلي الضباط والملكيين وسألتهم عما إذا كانوا قد تشاوروا بينهم فيما يلزم عمله لصالحهم ؟ وطلبت منهم إبداء رأيهم دون أن يحول في خاطرهم أن الغرض هو التخلص منهم ، أو استئصال وجودهم ، وأن كل من لا يود الرجوع لمصر يبقى على الحرب والسعة وسراى الخديو هى منزلهم ، وسموه يخصص لكل منهم شيئاً من النقود لبقائه الخاصة

وبعد الأخذ والرد اقترحت عليهم أخذ رأى سفير أمريكا في ذلك ، فاتفقوا على أن يكلفوني القيام بهذه المهمة ، وأن اسلم له بياناً بأسماء الموجودين منهم هنا وفي الضلحان . فاذا رخص لهم من مصر في الرجوع ، ومنعت الحكومة العثمانية سفرهم فانهم يراجعون السفير في ذلك ، لينظر دصر وبذلك يحفظون حقوقهم

وفي يوم ١٥ منه قابلته وسلمته بيان الأسماء ، فوعد بالتحابة في شأنها وفي يوم ١٧ منه أخبرني بنجاحه في «مخابرة» دصر والترخيص لمن يريد السفر منهم في العودة . وبعد أن سافر ثلاثة منهم وردت أوامر أخرى ببقائهم في الاستانة الى نهاية الحرب

وقد كان لهذه المساعي أثر طيب بالنسبة لهؤلاء الموظفين ، فحفظت لهم حقوقهم مدة الحرب ، وسلمت لهم مرتباتهم فيها بعد رجوعهم ، وحسبت لهم في المعاش ، وحفظوا الى هذا الجليل

السمرات والنحف التي استحضرتها الخديو من مصر : كلفى الخديو وأنا مسافر للاستانة يوم ٣ يناير أن أرسل له مفاتيح الصناديق التي أحضرها معى لفينا من الاستانة وفيها أسهم البنك العقارى واسهم البيان فون وشركة الازبكية المصرية البلجيكية (وكان سموه استحضرها من مصر بعد سفره) . والغرض من أخذها فى فينا هو إيداعها البنك السويسرى فى برن

وقد كان مطلوباً كذلك إصلاح تركيبات « الشبوكات » وهى من السكرمان (السكرباء) المرصع ، لأن بعض الفصوص محلولة فكلفت عند وصولى للاستانة عبد السلام ظافر افدى معاون القبوكتخدائية أن يخبر جلال الدين باشا ليرسل المفاتيح ؛ وأن يقوم هو بأصلاح التركيبات المشار اليها وإرسالها

عبد الجوسى الخديوى: فى يوم ٨ يناير كان عيد الجلوس الخديوى فاجتمع ضباط المحروسية ومستخدموها والياوران وعارف باشا وجلال الدين باشا ومستخدمو القبوكتخدائية ويوسف ضيا باشا (١) (رئيس الياوران سابقا) فقيدنا أسماءهم ، وأرسلناها لدولة والدة مع تمنياتنا بأن نهى سمو الخديوى السنة الآتية بسرارى عابدين ؛ فردت دولتها بالشكر

ثم أرسلت ليوسف صديق باشا (٢) فى فيدق امبريال بفينا ، البرقية التالية :
« إن المصريين الكثيرين من الضباط والملكيين احتفلوا هنا بهذا اليوم ، وبالاصالة عن نفسى والنيابة عنهم أقدم إخلاصنا للعتبات الخديوية »

وفى يوم ١٢ منه تلقيت من الشيخ على الغياقى (٣) خطاباً من جنيف بتاريخ ٨ جاء فيه :
« يذكرنى هذا اليوم بعادقنى فى كل عام من تقديم عبارات التهنئة والاخلاص إلى مولانا العباس ؛ ولكنى أذكر بملء الأسف ما قضت به الأقدار فى هذا العام مما لم يكن فى الحسبان ، من التغيير الكبير فى شكل الحكومة الحاضر ، الذى سنسير ولا محالة من طريقه إلى الاستقلال التام فى يوم من الأيام .

إلا أتنى كنت أود أن يكون سموه على رأس هذه الحكومة سلطاناً عظيماً على وادى النيل ، يحدد لنا فى عهده أيام السلاطين العظام ، ويعمل بما عهد فيه من الذكاء والغيرة على تقدمه واستقلاله .

ولا ريب أن السلطة المحتلة ، وعظمة السلطان الكامل ، وجميع ذوى الشأن فى مصر ، كانوا يودون ما كنت أوده لسموه حفظه الله ، حتى لا يحدث تغيير ولا تبديل فى شخص ولى الأمر الأعظم ؛ ولكن قضت السياسة بما قضت ؛ وكان لوجود سموه

(١) صور ج ٢ ق ١ ص ٢١

(٢) صور ج ٢ ق ١ ص ١٩١

(٣) صور ج ٢ ق ٢ ص ٢٣١

بالاستانة فى تلك الظروف تأثير كبير فى الحالة الحاضرة ، لأسباب لا تخفى . وعلى كل حال فالحمد لله على ما بقى من السلطة العليا فى بيت محمد على ، مصلح مصر الكبير ؛ فان فى ذلك تعزية كبرى ، وأملا عظيما سيتمحقق بارتقاء عظمة السلطان حسين الأول على العرش العلوى ، وبقاء الامر فى يد هذا البيت الكريم . ومولانا العباس أعرف بذلك ، وأولى بتقديره والعزاء به ؛ فان حق الاسرة من حيث هى ، قد روعى وزيد فيه ، ومصالحة البلاد لم تنل سوءا قط ، والامل فى المستقبل قد ترعرع وأزهر ؛ وما كان يرجى من الامير قد أصبح يرجى من السلطان . ولا بقاء فى الحقيقة للأشخاص ، وإنما البقاء للأعمال ؛ فليسموه خير تعزية قلبية .

« ولا غرو إن هأنته مع ذلك بانتهاء الامر على هذه الصورة المرضية . وعلى أية حال فانتى أكرر تهنئتي لذاته المحبوبة بماضيه المجيد ، وبما سلف من جميل أعياده ومشهود أيامه ؛ وأسأل الله أن يهبه الصحة والطاؤينة ويوفقه للرضاء بالمقادير »

زيارنى لأعضاء العائلة الخديوية : فى يوم ٨ يناير زرت منزل البرنس على بك فاضل . وتركت له بطاقة أبلغه فيها تحيات الخديو ، ثم مررت بأسرة البرنس عمر طوسن وأرسلت سلام الخديو لها ، وسألت عنه وعن أخباره ، فردت شاكرة وقالت : إن « أخباره طيبة » . وقد أبلغتها أن الخديو كان قد فكر فى إرسال مندوب لمرسيليا للأطمئنان عليه ، ولكن خشى أن يناله مكروه بسبب ذلك ، لأن الخديو معتبر عدو فرنسا الآن .

ثم قابلت البرنيس فاطمة اسماعيل وفائقة هانم أفندى ، وأبلغتهما تحيات سموه فتلقنا السلام بالشكر والدعوات الصالحة ، وقالت البرنيس فاطمة إنها مرتاحة لوجود الخديو فى أوروبا ، وأنه سيبقى فيها حتى يتم الصلح .

وبعد ذلك توجهت إلى البرنس ابراهيم باشا حلى ، وأبلغته سلام الخديو ، وتحذيره له من الكلام بشئ من خطط سموه أمام حاشية الصدر ، لأن رجالها جواسيس الانجليز ، والكتاب الأبيض الانجليزى شاهد بذلك .

وفى ١١ منه كنت على موعد معه ، فقابلته فى ميركون وفى هذه المقابلة أظهر لى استياءه مما سمعه من عقيل بك يسرى ، من أن الخديو قال له : إنه فى هذه الأوقات الحرجة ، لم يجد بين « البرنسات » من هو أخلص وأصدق له من على بك فاضل فتألم البرنس ابراهيم حلى من هذا التصريح ، لأنه يعتقد بحق ، أنه هو الذى أظهر

الاخلاص والصدقة الحقيقية لسموه . ثم قال البرنس : إن عقيل بك أبلغه كذلك أن الخديو لا يفكر إلا في ملذاته ؛ وأنه حصل على أربعة آلاف جنيه بواسطة عبد الحميد بك شديد في روما . فلطمأنته وقلت له : إننى أعرف من عقيل بك بحقيقة احساسات الخديو ، وأنه لو لم تكن لسموه ثقة تامة بدولته ما عزم على تعيينه قائمقام له في الحملة على مصر وفى ١٦ منه قابلته منفردا ، وأفهمته أن عقيل يسرى حضر عندى أمس ، وأكد لى أنه قال : إن البرنس على بك فاضل ، أصدق البرنسات من عائلة مصطفى فاضل لأن الكلام كان دائراً حول البرنسين حيدر وكامل فاضل ، وأنه لم يتكلم بشيء عن الخديو كما يدعون عليه ، فقال دولته : إننى سمعت هذا الكلام من عبد الرؤوف بك يسرى



عبد الرؤوف بك يسرى

وفى يوم ١١ فبراير توجهت الى بلك فقابلت والدة نحو ساعة ، أخبرتها فى خلالها بتأكيد سفير ألمانيا مسألة عودة الخديو لعرشه ، وبقرب صدور ارادة شاهانية تحفظ امتيازات مصر ، فسرت بذلك ثم قالت : « وبما أن الصدر يتوقع حصول أمور من أفندينا تغضب المصريين فعلينا أن نتلافى ذلك ؛ وأن يترك الأمور التى تمس بسمعته ، ويلتفت للبلد » ، فقلت لها : « ياسيدتى أنا أقسم لك أنه إذا لم يفعل كما تأمرين ، فأنى أترك خدمته » فتأوهت وقالت : « فليراع شيخوختى وليس تقم فى

أحواله حتى أستريح وأموت راضية » ثم قلت لها : « إن لى رأيا ، وهو أن يطلب الخديو من الحكومتين الألمانية والنمساوية بعض الأخصائيين لاستخدامهم مستشارين فى النظارات ، وينتخب نظارا مقتدرين ومخلصين ، وفى مدة الاحتلال التركى يترك لهؤلاء الرجال التصرف ، ولا يتدخل سموه فى شيء ، حتى لا يقال عنه إنه عمل كذا وكذا ، لأن الوقت الحرج هو وقت وجود الجيش التركى فى مصر » . فوافقت على رأيى ، ثم دعت للخديو بالتوفيق ، ولفقتى حمل تحياتها له وتقبيل وجنتيه .

وفى يوم ١٥ منه كنت قد عدت لفينا وقابلت الخديو ، فأبلغته تحيات الوالدة والبرنسيسات ، والبرنس ابراهيم حلى

وقد لاحظ سموه أن الوالدة تركت نفسها بدون نقود كافية ، وكان يمكنها أن ترسل احدى « القلفوات » لمصر لتخبر الوكيل بأن يبعث لها ورق بنسكنوت مصرية إلى أوروبا ، أو بواسطة بنك دى روما ، ليحول المبلغ إلى فرنكات ، ويصرف للوالدة فى الاستانة ورق بنك نوت تركيا . فقلت لسموه : وهل هى تلم بهذه الأمور ؟ قال : كان على وكيلها أن يتدبر الامر . ثم قال بتهكم : ها هى ذى الحكومة المصرية تصرف لها والسيدة خانم افندى (زوجته) مرتباتهما ! فسألت سموه ، من أين علم بهذا ، فأجابنى ، من ابراهيم بك راتب ، الذى طرده الانجليز فحضر للاستانة ، وقال : إن السلطان حسيناً زاد مرتب البرنس عزيز حسن إلى مائتى جنيه شهرياً بدلاً من مائة . ثم أظهر استياءه من أعضاء العائلة بمصر وهم البرنسان حيدر وكامل فاضل والبرنسيسان فاطمة فاضل وزهرة حلیم ، فانهم يحمدون ويشكرون على هذا التغيير ! الذى حصل بمصر ، والاخيرة تقول : « لم يصنع لنا الخديو عباس شيئاً نحمده عليه » ، ثم أخبرنى الخديو أنه كتب الى البرنس ابراهيم حلى رسالة لطيفة لتطيب خاطره ، مما سمعه من عقيل يسرى

الارادة السلطانية ومحمد مرصعة المحمد على مصر : فى يوم ٨ يناير قابلت البرنس



محمد عزت باشا

ابراهيم حلى ، فسألنى عما إذا كان الخديو يقبل العودة للاستانة ومنها يذهب لمرافقة الجيش العثمانى بصفته سرداراً ، لأن الأتراك فهموا الآن ضرورة ذلك بعد الانقلاب الذى حصل فى مصر ، وتبذل الآن مساع من محمد عزت باشا زوج فائقة هانم بواسطة جاويد بك لذلك . فقلت : ما أظن الخديو يرضى بأن يرأس الحملة ، والأحسن ترك هذه المساعى ، لتصنع الحكومة العثمانية ماتراه صواباً ، خصوصاً وقد فهمت أن الصدر غير راض بذلك ، وأن الأصوب تعيين قائم مقام خديوى لمرافقة الحملة خوفاً من أن تطلب الحكومة العثمانية من الخديو

تعيين جمال باشا القائد العام قائم مقام لسموه . فطلب منى البرنس أن أقبله بعد غد ليتكلم معى مرة أخرى ، بعد أن يروى الفكر فيما دار بيننا من الكلام

ارادة خديوية بتعيين البرنس ابراهيم حلى قائم مقام مرافقا للحملة : وفى يوم ١٠

منه قابلته ، وأطلعته على صورة الارادة الخديوية بتعيينه قائم مقام خديوياً ليرافق الحملة نائباً عن سموه . فوافق عليها . ثم قال لى : إنه فكر فيما قلته له فى المقابلة الأولى وأنه يجب التعجيل بصدر هذه الارادة ، وأما ما يحتمل من انتقام الانجليز منه فى أملاكه بمصر فهو أمر لا يهيمه . ثم قال : « ولو أننى كنت أشرت عليك بسفر سمو الخديو مع الحملة ، إلا أننى الآن بعد ما عرفت من الحوادث الماضية ، وبعد ما سمعت من ثلاثة أشخاص أن فى النية القضاء على حياته ، لا أرضى له بأن يلقى بنفسه فى التهاكة »

الارادة الشاهانية : ثم تحدثت مع دولته فى ضرورة استصدار ارادة شاهانية بتحديد

مهمة الحملة على مصر ، بأن ينص على أنها مرسلة لارجاع الخديو لعرشه ، ولارجاع مصر إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال ، مع احترام الفرمانات . فقال : إن الأتراك لا يعملون عملاً بطيبة خاطر ، ومن اللازم أن يتكلم الخديو مع الألمان ليجهروهم على إصدار هذه الارادة . ثم ضرب مثلاً لذلك : إجبار الألمان لهم على التصريح للخديو بالسفر من الآستانة إلى فينا وقد سبق ذكر ذلك

مقابلتى للصدر وشعوره نحو الخديو والسلطان حسين : وفى اليوم نفسه قابلت

الصدر فلم أجد منه غطرسته وخشونته المعتادة مع رجال المعية الخديوية ، وتحدث معى ساعة كاملة ، وقد ابلغته تحيات الخديو وتهنئته بانتصار العساكر الشاهانية فى القوقاس فتشكر وقال : « إن الحكومة التركية مهتمة بالحملة على مصر وكادت المعدات اللازمة لاجتياز القنال تتم ، وعمما قريب سيعود الخديو لبلاده معززاً مكرماً » وسألنى عن صحة سموه ، فأخبرته بتفاصيل حالته الصحية ، ثم قلت له : « ان الحفاوة التى يلاقها سموه فى فينا تنسيه أكداره ، ولا سيما بعد الانقلاب » فقال الصدر : « نعم إن النساء يبين أهل ذوق ! » ثم سألنى عن رأيى فى قبول البرنس حسين كامل للسلطنة ، فأجبت بأنه لا بأس من ذلك للمحافظة على الأريكة الخديوية فى عائلة محمد على ، وربما هددوه فى حالة عدم قبوله بضم مصر لانجلترا ، أو تولية غريب عن العائلة ، كما سمعت أن « أغاخان الهندى » كان مرشحاً لهذا المنصب . قال : « لا . هذا

خطأً ، ولا يمكن إجراء هذا العمل من جانب إنجلترا ، والروسيا نفسها حتى الآن لم توافق على الحماية . ثم قال : « الحقيقة هي أن الأمير مدين ، وقبل هذا المنصب لسداد ديونه فقط »

وفي النهاية سألتني عما إذا كان الخديو ينوى الحضور للاستانة ، فأجبت بأني لا أعرف ، فعقب على هذا بقوله : « سيعود إن شاء الله » ثم ودعته وانصرفت .
مقابلتي لسفير ألمانيا واقتراحي باصدار إرادة تحديد مهمة الحملة : وفي يوم ١٥

منه قابلت سفير ألمانيا ، ومكثت عنده ثلاثة أرباع الساعة ، أبلغته في أثنائها تحية الجناب العالي ، وأخبرته بكل معلوماتي عن الحالة السياسية ، وبارتياح الخديو لوجوده في فينا ، وصلاته بسفيرى ألمانيا والدولة وناظر خارجية النمسا ، وما دار في الحديث بينه وبين امبراطور النمسا ؛ ثم تفاهمت معه بصفة شخصية في ضرورة إصدار إرادة شاهانية ، يصرح فيها بأن الحملة السائرة الى مصر ، إنما تذهب لارجاع السلطة الخديوية دون المساس بالامتيازات التي نالتها مصر من قبل ؛ وما ينتج هذا التصريح من الطمأنينة ، ومن انجاح الحملة في مهمتها ومساعدة المصريين لها فوافقني السفير قائلاً : « نعم إن هذا ضرورى وأعضاء الحزب الوطنى بخفيف ياحون في ذلك ؛ وقد تحدثت مع الصدر في هذا الموضوع ، ونحن متفقون عليه » ثم طلب منى مقابلة الصدر والالحاح عليه في ذلك . فقلت له : « لا أعفى من هذه المهمة لأن الأتراك لا يحبون



البارون ونينجيم
سفير ألمانيا

التدخل في شؤون حكومتهم ؛ وربما قالوا « ما لهذا الذى يريد أن يعطينا درساً ؟ » قال السفير : « إذا كان الأمر كذلك فقل للصدر إننى كلفتك ذلك » . فقبلت . ثم أفهمته أن الانجليز يخدعون المصريين ويقولون لهم . هانحن أولاء قد جعلنا مصر سلطنة ، وسنعطيكم الحرية والدستور ، أما الأتراك ، إذا دخلوا مصر ، فانهم ينهبونها ويسلبونها ويهتكون أعراضها ، فإذا صدرت الارادة برجوع الحالة الى ما كانت عليه قبل سنة ١٨٨٢ وبرجوع

خديويهم المحبوب لبلاده ، فانهم لا يعبأون بخداع الانجليز . وبعد هذا سألتني السفير عما إذا كان الشعب المصرى يثور على الانجليز ، فأجبت أنه ذلك محتمل إذا نجح

الأتراك في عبور القنال ، لأنه في هذا الحالة يضمن الثائرون النتيجة ، ويأمنون الانتقام منهم . أما الآن فلا يجرون على ذلك وفي النهاية سألتني عن أيام مكثي في الأستاذة ؛ فأخبرته أن المنتظر أن أظل هنا حتى يلحق البرنس ابراهيم حلمي بالحملة نائباً عن الحديو . فاستصوب ذلك بحماس قائلاً « برافو ! » ثم استأذنت وانصرفت .

مقابلتي للصدر ورده على اتراحي : في يوم ١٦ منه ذهبت ومعى جلال الدين باشا وعارف باشا لمنزل الصدر في استامبول ؛ فوجدنا عنده البرنس ابراهيم حلمي فقدمت للصدر نسخة من جريدة الأهرام فيها صور المخاطبات التي دارت بين شتهام متولى أعمال الوكالة البريطانية في مصر ، وحسين رشدي باشا رئيس النظار بخصوص الانقلاب الأخير ، مع ترجمتها بقلم عارف باشا ، فأخذها شاكرًا .

ثم قلت له : « إن سفير المانيا تحدث معي في ضرورة صدور ارادة شاهانية تحدد مهمة الحملة على مصر ، وطلب مني أن أذكر فخامتكم بذلك . » وما كدت أنهت من هذه الجملة حتى قال بجمدة : « مالي أرا كم تستعجلون هذا الطلب يا مصريون ؟ فمن منذ شهرين وأنتم تلحون علينا ! » قلت : « إن هذا في صالح الحملة حتى يطمئن الأهالي في مصر » فقال « بل في صالحكم أنتم ! » ثم قال : « هذه الارادة ستصدر في حينها » فتحدث عارف باشا وجلال الدين باشا في وجوب إصدارها . فقلت : « مادام فخامتكم قد وعد بأنها ستصدر في الوقت المناسب فمتحن نكتم في بهذا الوعد » وذلك لاسجل عليه ما قال ، وخرجنا . مقابلتي لسكرتير جمعية الاتحاد والترقي :



مدحت شكرى بك

بعد خروجنا توجهت انا وعارف باشا إلى نادى جمعية الاتحاد والترقي ، وقابلنا مدحت شكرى بك السكرتير العام ، فأبلغته سلام الحديو وتهنئته بانتصار الدولة ، وشرحت له حالة إيطاليا والنمسا ، والحفاوة التي لقيها الحديو فيهما بعد سفره فشكرني على هذه المعلومات . ثم تطرق الحديث إلى الحملة التركية على مصر فحادثته في ضرورة إصدار

ارادة شاهانية تحدد مهمة الحملة حتى يطمئن أهالى مصر ، ويوزل خوف ايطاليا كذلك ، فقال : « نعم هذا ضرورى ويجب إجراؤه »

مقابلتى الثانية لسفير ألمانيا : وفي يوم ٢٥ منه قابلت سفير ألمانيا فأخبرته بأننى أبلغت الصدر تكليفه لى فيما يختص بأمر الحملة ، فوجدت منه امتعاضاً ؛ وكنت أتوقع ذلك كما أخبرته ، أعنى السفير . فضحك وقال : « اما أجابك بأن الأرادة ستصدر لاحالة فى وقتها المناسب » قلت : « والآن أنسب وقت ، لأن الجيش على حدود القتال » . وعرضت عليه صورة مشروع للارادة الشاهانية ، حضرته بناء على طلبه فى المقابلة السابقة وهو :

أولاً : « نظرا لكون انجلترا منعت الجناح الخديوى من الرجوع لمصر بدون حق ، فمهمة الجيش إرجاع سموه لعرشه . وثانيا : مهمة الجيش أيضا اخراج الانجليز من مصر واعادتها إلى ما كانت عليه قبل سنة ١٨٨٢ . وثالثاً : تعلن الحكومة العثمانية أنها لا تنبغى من زحف جيشها ضم مصر لولاياتها ، ولا احتلال البلاد ، بل احترام الفرمانات التى خولتها استقلالها الداخلى » وبعد الاطلاع عليها أعادها لى قائلاً : « أبقها لوقتها ، وأننى سأقابل الصدر وأطلب منه الأسراع فى إصدار الأرادة » . وأخيراً أخبرته أن الأمر الخديوى بتعيين البرنس ابراهيم باشا حلى لمرافقة الحملة ، قد أرسلت صورته للجناح العالى لتوقيعه .

ثم حادثنى عن حالة الجيش العثمانى فى القوقاس ، وأنها غير حسنة ؛ والجنود كانوا غير منتظمين حتى ذهب اليهم مدد منظم أخيراً ، ثم عرج على حملة مصر فقال : « إنها بعكس ذلك » .

نفقات القائم مقام : وفى أول فبراير وصلت إلى أوامر من فينا بالبريد من بينها حجز ألف جنيه من المبلغ الموجود بالخزانة لنفقات سفر البرنس ابراهيم حلى ، وأنه أرسلت لجلال الدين باشا صورتان موقع عليهما من الأرادة الخديوية ؛ إحداها للبرنس بانتدابه ، والأخرى للصدارة لاختبارها بهذا الانتداب

وقد ظن جلال الدين أنه مأمور بتوصيلهما ، مع أن الأوامر الواردة لى تقول بابقائهما عندى حتى يتقرر سفر دولته من لدن الحكومة العثمانية ، خوفاً من امتناعها فى آخر وقت ، فلا يكون من المستحسن عدم تنفيذ أوامر الخديو ؛ خصوصاً وأنا سمعنا من فريد بك ، أن رئيس مجلس النواب لا يرى ضرورة لهذا الانتداب

ولما قابلت جلال الدين باشا أخبرني أنه سلم صورة للبرنس ابرهيم حلمي ؛ ولما سمع بالأوامر الواردة لي ، تقرر أن نذهب ومعنا عارف باشا لمقابلة دولته ، وإخباره بالأوامر ، وبالفعل قابلناه فرد لنا الصورة التي تسلمها .

معارضة الصدر في تعيين القائم مقام : ثم تقرر أن يذهب دولته للصدر لجس نبضه فيقول له : « ان الجناب الخديوى لما علم بقرب وصول الجيش للقنال سيرسل الارادة بتعيين مندوباً من قبله ، فهل يرى الصدر مانعاً من ذلك ؟ » ويرى كيف يكون رده ! وفي اليوم التالي تقابلنا ، فأخبرنا أن الصدر لا يرى مانعاً ، ولكنه يلاحظ أن هذا العمل قد فات أوانه ، لأنه كان يجب قبل حدوث الانقلاب حينما كان للخديو قائم مقام في مصر ، فكان يجوز له عزله وإقامة الأمير مقامه . أما الآن فانه يوجد في مصر سلطان مناظر له ، فالواجب أن يسير بنفسه مع الحملة ، فأجابه البرنس : « بأن الخديو كان قد عزم على مرافقة الحملة وأرسل رجاله ومعداته ، ولكن الحكومة التركية أرجعتهم ثانية . فقال الصدر « نعم حصل هذا لأن الوقت لم يكن قد حان . أما في هذه المرة فسيطلب الخديو للسفر في الوقت المناسب » . ولما سأله دولته عما إذا كان سيشار إلى ذلك في ارادة تصدر من السلطان ؟ قال : « نحن لا نقبل شروطاً مطلقاً ، ونحن لا نرجو الخديو ، و فقط عندما يحين الوقت نكلف سفيرنا في فيينا بأن يطلب منه الحضور للاستانة للحاق بالحملة ، فان قبل كان بها ، وإلا فيعرف صالحه ونعرف صالحنا ! . أما إذا كان يعتقد بأنه يركب وابوراً من تريسته ويذهب لمصر كما حصل عند تعيينه فهذا لا يكون » ! . ثم سأل البرنس عما إذا كان في النية ترك المصريين المرافقين للحملة الآن ، والذين هم أعداء للخديو ، أم ارجاعهم ؟ فرد الصدر بأن هذه مسائل ثانوية تافهة ، لا يلزم ادخالها في الشؤون الهامة . وانقطع الحديث بينهما بعد ذلك لدخول أحد رجال جمعية الاتحاد الميالين للخديو وهو عبد الحق بك الكاتب المشهور

ولما أخبرنا البرنس بهذا الحديث فكّرنا في الأمر ، ثم قررنا أولاً : أن جلال الدين باشا يكلف مالك بك المعين من قبل الجناب العالي للاتصال بجمعية الاتحاد — وهو من أعضاء مجلس إدارتها — أن يستعلم عما قرره الجمعية في صدد سفر الخديو فإذا عرفنا أن ما قرره مثل ما قاله الصدر سافرت إلى فيينا لعرض الأمر على سموه ثانياً : نكتفي بما قدمته من البيانات بشأن الارادة . ثالثاً : السعي لدى المانيا والنمسا

لتأييد ما نطلبه، ومن التوسط في إرجاع المصريين المرافقين للحملة الذين هم ضد الخديو وقد بعثت للخديو بالتفاصيل

وفي يوم ٧ فبراير قابلنا مالك بك، فعلمنا منه أن الجمعية لم تقرر شيئاً بخصوص سفر الخديو، فأخذت في الاستعداد للعودة إلى فينا، وللتفكير في طريق آخر

المقابلة الأخيرة لسفير ألمانيا بشأن الإرادة : وقبل السفر قابلت سفير ألمانيا، وسألته عن الإرادة الشاهانية، فقال : «إنها ستصدر مختصرة، وموجهة إلى المصريين يقول فيها السلطان : إنه أرسل الحملة لتخليصهم من يد الانجليز وإرجاع الحالة إلى ما كانت عليه مصر قبل الاحتلال »

فسألته عما إذا كان سيشار فيها إلى رجوع الخديو لأريكته فقال : « لا . لأن هذا قرره مع الصدر » ثم قال : « وقد قلت له إنني باعتباري سفيراً لألمانيا اتفقت مع سموه ومع أنور باشا على ذلك ؛ فلا محيص عن تنفيذ هذا الاتفاق، لأنه لم يكن هزلاً ولا لعباً . فقال الصدر : « إنما أخشى ألا يسير سيرة طيبة حينما يجد نفسه بدون مراقبة، فيسئ إلى المصريين فيتظلمون » .

قال السفير « وأنا قلت له ذلك، لأنني أعرف أن الصدر يدعى وجود اتفاق بيني وبين الخديو، فأردت بكلامي هذا أن أطمئنه من جهة، ومن جهة أخرى أن أعرف تصميمنا على إرجاع الخديو لمنصبه، وأنا متحقق من ذكائه واقتداره وهمة » ثم سأله عن رأيه فيما إذا طلبت الحكومة العثمانية سمو الخديو لمصاحبة الحملة فهل يقبل، مع العلم بوجود بعض خصومه من المصريين معها ؟ فأجاب : « أما كلام الصدر للبرنس ابراهيم حلمي وتهديداته، فلا معنى لها، ولا يعول عليها، ولا بد أنه طامع في الخديوية » قلت : « هذا أمر معلوم إنما أسأل : هل الخديو يقبل مصاحبة الحملة ؟ » فقال : « قل له من طرفي : إنه يوجد من يحافظ عليه ويحب له الخير » قلت : « إن الأحسن إذا طلب من سموه السفر مع الحملة أن تبذل مساع في ألمانيا، للتأثير على الحكومة هنا، بإرجاع أعداء سموه » فقال السفير : « ما على الخديو إلا أن يقبض عليهم ويشنقهم في مصر » ! فقلت : إن سموه لا يجب خلق مشاكل بينه وبين القائد العام بمجرد دخوله عاصمة بلاده . وأخيراً كرر على أن أقول لسموه : « إنه يوجد من يحافظ عليه » وأن أقدم له احترام السفير

العودة إلى فينا : وقد سافرت في صباح يوم ١٢ فبراير ومعى جلال الدين باشا

ووصلنا إلى فينا يوم ١٥ منه وقابلنا سموه ، واقتصر الحديث على إبلاغه التحيات التي كلفت إبلاغها له بمن قابلتهم بالآستانة

وفي اليوم التالي حضر جنابه إلى غرفتي ، فقصصت عليه بالتفصيل كل ما أحمله من الأخبار ؛ وهو منتبه أشد الانتباه ؛ وقد سرلما عرف أن الإرادة ستتضمن النص على ارجاع مصر لحالتها قبل سنة ١٨٨٢ ، وان لم يأت ذكر لسموه فيها

صدور الإرادة : وأخيراً صدرت الإرادة الشاهانية ، ونصت فقط على تحديد مهمة الحملة بارجاع حالة مصر لما كانت عليه قبل الاحتلال ، والاحتفاظ بالامتيازات التي خولتها لها الفرمانات

أخبار عن الحانة في مصر : في يوم ١٧ من يناير توجهت لزيارة قاضي مصر التركي ، الذي عزل من منصبه ، وحضر للآستانة ، فعلمت منه أن الأهالي في مصر مستاءون من هذا الانقلاب ، حتى إنه عندما يدعو الخطيب في يوم الجمعة للسلطان الجديد لا يؤمنون على الدعاء ؛ وأنه صدر الأمر إلى الخطباء باسقاط اسم الخليفة من الخطبة ، والاكتفاء بالدعاء « لخليفة المسلمين » دون ذكر اسمه ، كما كان المتبع ، وأن أول جمعة صلاها السلطان كانت في مسجد السيدة زينب ، مع أنه كان ينوى الصلاة في مسجد سيدنا الحسين ؛ وفي اللحظة الأخيرة بلغه وجود مؤامرة ضده ، فحول قصده ، وبقي رجال البوليس في طريق سيدنا الحسين لايهام الناس أنه سيمر من هذا الطريق ؛ وأن رجال الحزب الوطني الذين كانوا ضد الخديو ، قد أصبحوا في صفه ، حينما تأكدوا أنه مضطهد من الانجليز ؛ وأن طلبة المدارس لبسوا أربطة رقبة سوداء إعلاناً للحداد ؛ وأن الشيخ هارون من هيئة كبار العلماء أفتى بتحويل نظارة الأوقاف الخديوية إلى السلطان الجديد ؛ وأن الانجليز آذوا أحمد بك صادق لاتهامه بتبديد أموال الأوقاف

وفي يوم ٢٠ منه كنت في بيك فقابلت الدكتور مصطفى حسني مورو ، الذي حضر من مصر بمساعدة قنصل أمريكا بها ، فعلمت منه أن السنوسيين استبدلوا بأسرى الطليان أسلحة ، واستعدوا للزحف على مصر ، ولهذا وضع الانجليز على الحدود من السلوم إلى بني سويف جنوداً انجليزية ؛ ثم توجه الجنرال مكسويل للفيوم ، وقابل مشايخ العرب ، وطلب منهم أن يحلفوا يمين الطاعة فلم يقبلوا أن



امين بك الرافعى

يؤدوها إلا للحكومة المصرية ، فاستاء الجنرال منهم وأمر المدير بحبسهم ، ولكنه أفهمه أن لكل شيخ من هؤلاء أتباعا بين المائة والمائتين ينتظرون عودتهم ، فإذا علموا بحبسهم حدث ما لا تحمد عقباه ، فاضطر أن يأمر باخلاء سبيلهم . ولكن السلطان حسين فى يوم تتويجه تلقى وفد مشايخ العربان بشدة ، وقال لهم : « انهم صاروا مصريين لأن لهم عقارات وأطيانا ووظائف بالحكومة ، فهو من الآن لا يعرف عربا وفلاحين ، لأن الكل سواء فى نظر القانون » فساءهم ذلك . وأن الانجليز انتخبوا البرنس حسينا حتى يستعينوا بسلطته على

استخدام الجيش المصرى للدفاع عن مصر ، ولكن لم يقع ذلك ؛ وأن الأهالى يستغربون قبول نظار الخديو للانقلاب والعمل مع السلطان حسين ؛ وأن عظمتهم طلب الاستاذ أمين الرافعى ، وكلفه أن يصدر جريدة الشعب ، فاعتذر بأنه لا يمكن ذلك إلا إذا صدر أمر بمجلس إدارة الحزب ؛ وأن السرايات الخديوية لم تفتش لأن الانجليز علموا أن الخديو أخذ جميع المستندات والأوراق المهمة ، ولم تصدر أملاك سموه لأنها مرهونة ؛ وأن المصريين يعتقدون أن الاتراك يصلون للقناة فى آخريناير وأن الخديو اتفق معهم على استقلال مصر استقلالا تاما ، وأنه سافر إلى فيينا للعمل على ما فيه صالح مصر مع الحكومة النمساوية والألمانية

وفى يوم ١٥ فبراير علمت من الشيخ محمد عثمان أن ابراهيم بك راتب الذى حضر من مصر قابل سمو الخديو وأخبره أن الأمة المصرية بأجمعها تنتظر رجوعه بفارغ الصبر ، وأنها معه قلباً وقالبا ، وقال له بلهجة مؤثرة : « أنت قاعد هنا ليه يا أفندينا ؟ أمك كلها تنتظر حضورك . حرام عليك تقوتها وهى متعلقة بك ... » فبعد أن كان سموه فى حالة يأس ، رجعت له قوته وأمله

وفى يوم ٢٥ منه قابلت الدكتور حسين همت وكان فى الأوقاف الخديوية

والدكتور نصر فريد من الحزب الوطنى
وعلمت منهما :

١ — أنه حدث حريق فى غرفة
الاستقبال الكبرى فى عابدين ، أحدثه
أحد الفرشين القدماء بقصد احراق السراى
كلها ومنع السلطان حسين من التمتع بها .
وأنه ألصقت إعلانات تهديدية للسلطان
بداخل سراى عابدين .

نيات الزرائك نحو السلطان حسين :
فى يوم ٥ فبراير علمت من البرنس ابراهيم
حلى أن الصدر قال فى معرض الكلام
عن مصر : « إذا لا سمح الله لم ندخل مصر
فاننا نطلب فى مؤتمر الصلح إرجاعها إلى

ما كانت عليه بما فى ذلك عزل الأمير حسين ؛ وإذا دخلنا فاننا سنشقه أمام ضولمه
بغجة . أما طلعت بك ناظر الداخلية فىرى أن هذا المكان ليس به مارة كثيرين
ويستحسن شقه على الجسر » !

بين الصدر والخديو : فى يوم ٥ فبراير قابلت البرنس ابراهيم حلى فعلمت منه
أنه دار كلام بين محمد عزت باشا والصدر ، الذى أكد عودة الخديو لعرشه ،
ولكنه قال : « إنما أخشى أنه بمجرد أن يصل إلى قصره فى القبة يبتدىء فى أعماله
السابقة غير المرضية ، فيأسى الأهالى على عهد الاحتلال الانجليزى » فأجابه عزت
باشا : هذا لا يمكن لأن الخديو ذكى ويفهم أن العهد الحالى ليس كالعهد الماضى .
قال الصدر . « أنا أشك فى ذكائه ، وأتوقع حصول مخالفات تجربنا إلى نتائج سيئة »
وفى يوم ٢ ابريل قابلت البرنس فى ميركون فأخبرنى أن الصدر مستاء جدا ،
لأن ابراهيم بك راتب قال له : « إن الجناب الخديو يتهمه بأن الانجليز رشوه بمبلغ
١٤٣ ألف جنيه حتى تمتنع الدولة عن دخول الحرب ، وأن الانجليز مخطئون فى تعيين
السلطان حسين على مصر ، ولو عينوا الصدر لأمكنه إثارة اليمن ضد الدولة » . وأن
دولته أجاب على كلام الصدر بأن هذا لا يمكن أن يقع من الخديو ، فرد بأن قائل



ابراهيم راتب بك

هذا الكلام من المتسبين لسموه وله علاقات بحاشيته . ثم إن الصدر أرسل لسفير الدولة في فينا يطلب منه أن يسأل الخديو عما ينسبه إليه ابراهيم راتب ؛ فجاء الرد بنفيه وعلمت أن تقرير السفير كان في صالح الخديو .

قال البرنس : والصدر يخلق الفرص للعلن في الخديو ، وكان يوما في النادى الشرقى مع سفير ألمانيا وعزت باشا ، فدار الحديث عن المصريين فقال : « إنهم كخدويهم لا يساوون شيئا » وهو كثيرا ما يتحدث ويصيح قائلا : « نعم هو الخديو الشرعى ، على رأسنا ! ، وأنه يعود إلى عرشه على رأسنا ! ولكن تصرفاته سيئة » وفى يوم ٩ منه كنت مع الدكتور نصر فريد والدكتور سيد كامل ، وبينما نحن نتحدث حضر ابراهيم بك راتب ، ودار الحديث حول مصر والمخلصين لقضيتها والدسائس بين الخديو والصدر ، فوجهت الكلام لراتب بك فما بلغ الصدر من حديث الخديو نقلا عنه ، كما أبلغنى البرنس ابراهيم حلمى ، فقال مستغربا : « هل البرنس ابراهيم قال ذلك ؟ » قلت : « نعم . وربما كانت دسيسة ضدك حتى يبعدوك عن الخديو » فلم يوافق على هذا الكلام ، واكتفى بالسكوت ، إلا أن عدم تصريحه بالنفى أر ابنى من ناحيته . فقلت : « يسوؤنى أن أجد دسائس تقوم بين عظيمين يديران دفة مملكتين اسلاميتين مهمتين ، لأجل تفريقهما ، مع أننا فى وقت محتاج فيه إلى الوفاق ؛ ولعنت الدسائس الذين ليس من ورائهم إلا الخسارة » . ثم قلت : « يوجد بين محبى الطرفين من يمكنه أن يزيل هذا الشقاق ، فلماذا لا نسعى للوفاق ؟ إننى أعمل لهذا » . فقال راتب بك : « أما أنت يا باشا فانه معلوم أنك تحب الوفاق » . قلت : « وأنا أعرف واحدا محبا للجانبين ، ومخلصا لهما ، ويستطيع التوسط في هذا الموضوع ، وهو عماد الدين بك . فليفعل » قال راتب : « إن من طبيعة الصدر ، أنه إذا رسخ في ذهنه شيء عن انسان فلا يمكن تحويله عنه » يعنى أن الصدر على ثقة أن الخديو ضده ، ولا يمكن تغيير اعتقاده

وفي هذا اليوم قابلت سفير ألمانيا وساقنا الحديث إلى الكلام عن الصدر وما يشيعه من اتهام الخديو له ، فأبلغته نفى راتب بك للخبر ؛ فأخبرنى أن رجال الدولة والسultan وزوجة الصدر نفسه ينتقدون خطته

وفى يوم ١٣ منه أخبرت البرنس بحديثى مع راتب بك فاستغرب ، وقال : « هل الصدر إذن كذب في ادعائه ؟ » قلت : « لا أظن . ولكن ربما لم يبلغه م »

بلغه من راتب رأساً ، بل بواسطة جعلت من الحبة قبة » فقال : إن « هذا الشاب لما حضر للاستئانة قال : « علمنا ونحن في مصر أن الخديو متفق مع الخلافة ، ومتحد مع رجال الدولة ، ولكنني أسفت لما علمت عند حضوري بأنه في شقاق مع الصدر الذي يقول عن سموه كذا وكذا » . ثم أخبرته بما قاله لي سفير ألمانيا عن الصدر فقال : « انه خرج عن حد الاعتدال ، حتى أنه أصبح يصيح بأعلى صوته أمام المأمورين في الصدارة قائلاً : « هل تقبلون أن يدعى الخديو على أنني ارتشيت من الانجليز ؟ ! »

وفي يوم ١٨ تناولت الغداء مع محمد عزت باشا ، فأبلغته نفي ابراهيم بك راتب لما قيل من أنه هو الذي أبلغ الصدر كلام الخديو عنه ، فرد وكذا بأنه قال هذا الكلام شخصياً للصدر مرتين .

وفي يوم ٨ مايو كنت مع حسين حلمي باشا سفير الدولة في فيينا ؛ وجاء ذكر الشقاق بين الخديو والصدر ، فأظهرت له أسفي لهذا الشقاق في وقت يجب فيه اللوام ، وأثيت على السفير لأنه أرسل للصدر بنفي التهمة عن الخديو في أسلوب لطيف ، فقال : « أنا كتبت مرتين » قلت : « ان الصدر الآن خفف وطأة



حسين حلمي باشا الصدر الاعظم

الكلام ضد الخديو ؛ ومن الواجب على بصفة كوني مصرياً وعثمانياً أن أجتهد على قدر الامكان في انتهاز الفرصة المناسبة للتأليف بينهما . والآن توجد فرصة مناسبة وهي أن الدولة قدمت مساعدات لبعض الموظفين وأرباب المعاشات بحاشية الخديو ؛ فيصح أن يكتب الخديو رسالة شكر للصدر ، أو أن يرجو دولة السفير إبلاغ شكره ، فنتحسن العلاقات . فاستحسن كتابة رسالة خطية لأنها تكون أوقع . ثم قال :

« ان بعض الحاشية يتفوه أحيانا بكلام ليس من الحكمة التفوه به ، فيحسب أنه

صادر من الخديو نفسه ، وأنه ذكر لحاشيته هذه الانتقادات فرددتها . وأنا لم أسمع من الخديو شخصياً أى انتقاد ؛ ولا يمكن أن يقدم رجل ذكى مثله على اتهام الصدر بالرشوة ، وإلا كان مجنوناً .

وفي يوم ٢٣ مايو كنت أحضر جلسة من جلسات اللجنة التى كانت قد شكلت للنظر فى كل ما يهم الخديو وهى مؤلفة منى ومن فريد بك ويوسف صديق باشا و «ى» بك والاستاذ فهمى والاستاذ سيد كامل ، فعرضت فكرة التقريب بين الخديو والصدارة بكتابة رسالة الشكر التى سبق الحديث عنها مع السفير ؛ ثم حضر الخديو الجلسة ففتحه فريد بك بالحديث فى هذا الشأن ، وذكره أن هذا العمل يحسن العلاقات بينهما فأمنت على كلامه قائلاً : « إن أفندينا يريد انتهاز الفرص من وقت لآخر للخبرة بصفة كونه خديوياً مع الباب العالى ، وهذه هى فرصة مناسبة » وقال فهمى : « إن إظهار المودة - ولو ظاهرياً - ربما يمنع عنا ضرر حقه - أى الصدر - على المصريين » وأظهر «ى» بك ، أن من الضروري كتابة هذه الرسالة . فقال الخديو : « إنكم تعملون معى كما كان النظار يعملون . فانهم كانوا يقولون لى : يا أفندينا نحن نساير الانجليز ونرضيهم لنمنع عنا ضررهم . وبعد أن أوافقهم ونعطيهم ما يريدون ، يرجعون إلى قائلين : إنهم لم يمكنهم أن يستفيدوا من الانجليز شيئاً » فقال الأستاذ فهمى : « إن النظار ربما كانت لهم أغراض . أما نحن فأنتا لا تريد إلا خدمة البلاد »

وفى النهاية وعد الخديو على مضض بكتابة هذه الرسالة . وفى اليوم التالى أمر سموه ثريا بك الألبانى من المقربين له بعد الحاح منى أن يحرر رسالة الشكر ، وقد وقع عليها سموه شبه مكره . وسافرت للاستانة يوم ٢٥ ومعى هذه الرسالة . وكان فريد بك قد سافر إليها كذلك ؛ وتواعدنا على زيارة الصدر ، فزرناه يوم ٣٠ مايو ، وأبلغته تحيات الخديو وعذمت له الرسالة التى أحملها ، فأخذها شاكرًا ، وكنت أحس أنه مسرور ، وأنتى أفلحت فى مهمتى

فصل الحزب التركى على قناة السويس : جاء ذكر هذه الحملة فى مذكرات سنة ١٩١٤ ، والخطوات التى خطتها إلى نهاية هذه السنة . والآن نعود إليها لتفصيل ما تم بشأنها فى سنة ١٩١٥

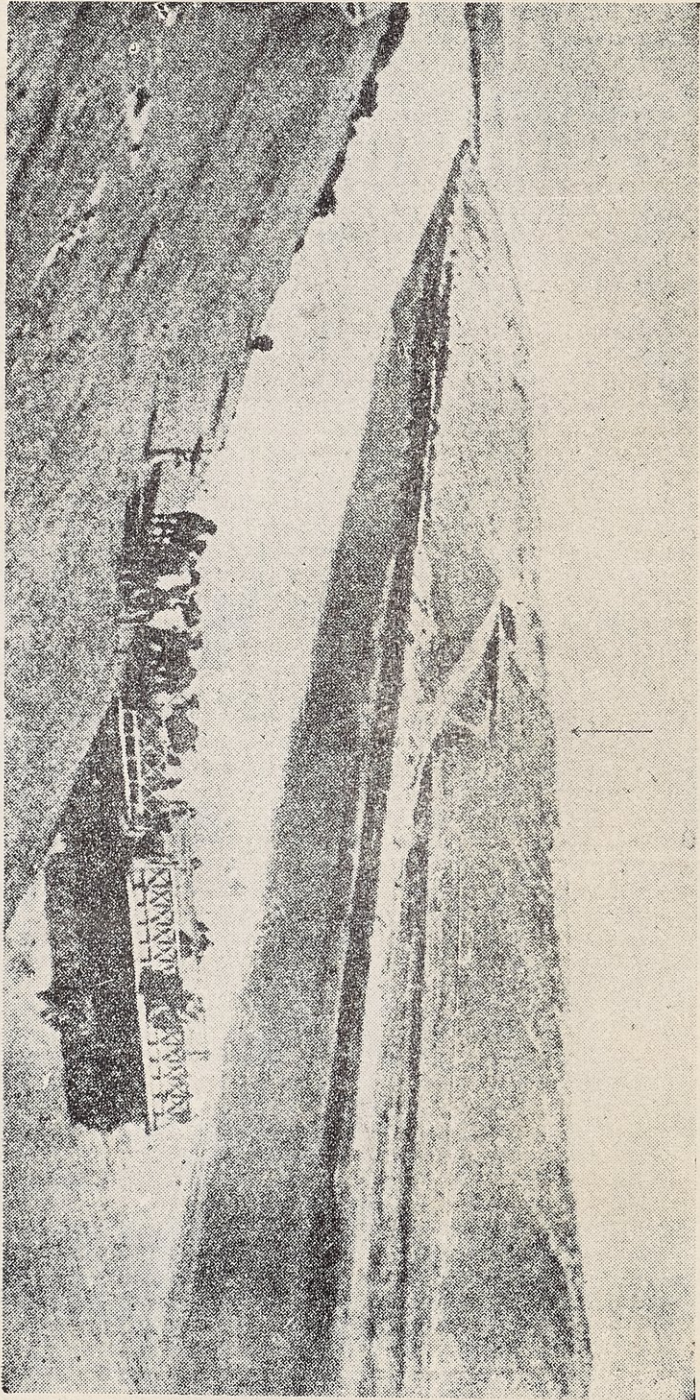
فى يوم ٨ فبراير قابلت سفير ألمانيا فى الآستانة فعلمت منه أن الجيش العثمانى مذكرات ج ٣ م ٣

وعده عشرون ألف جندي ، تقدم إلى القناة على خمسة أقسام ، إلى أحدها جسراً
نقلا في نقطة بالقرب من الاسماعيلية ثم رجع إلى سيناء تاركا خلفه ثلاثمائة عسكري



خريطة سير الحملة التركية (١)

لا بد أن يكون الانجليز قد أخذوهم أسرى . وأن سبب الرجوع عدم كفاية القوة



منظر فئيل الأترك على القناة

العثمانية الهاجمة ، ولكنها تمكنت من أخذ موقع مرتفع على بعد سبعة أميال من القناة . وهذه التجربة تدل على أنه في الامكان العبور في المستقبل ؛ كما أن « أركان حرب » الحملة وقد عرف حالة الدفاع الانجليزى سيدبر أمره على حسب المعلومات التى حصلها ؛ وسنرسل مدافع من عيار ٢١ سنتمترا . وأقول لك بصفة سرية : إذا احتاج الأمر سنرسل جنودا ألمانية ، لأننا صممنا على محاربة الانجليز إلى النهاية ولو تم الصلح مع فرنسا وروسيا . لهذا سنهتم باتمام السكة الحديدية من برلين إلى القاهرة بين بوزانتى وقره قولاق لتسهيل النقل ، ثم قال : « إن ألمانيا تعاق أهمية كبرى على هذه الحملة ولا بد من كسر الانجليز هناك » قلت « إنه ينتظر إذهابوا أن يثور الشعب ضدهم فى مصر والسودان كذلك ، وأن الشيخ الطيب من أقارب قاضى الخرطوم أكد لى هذا الغزم » فسر السفير لهذا الخبر .

وفى يوم ٢٥ منه غلبت من الدكتورين نصر فريد وحسين همت من أخبار الحملة ما يأتى :



المرحوم الضابط اغاسى الطوبى
محمد افندى توفيق

١ — ان الضابط المصرى المدفعى محمد توفيق افندى الذى كان ببطارية الاسماعيلية طلب اعفائه من أداء واجباته ، فقبل ضابط مصرى أن يحل محله ، ولما وقع القتال على القنال رفض الجنود المصريون استعمال المدافع ضد الأتراك ، فأخذ الضابط نفسه يستعمل المتراليوز ، ولكن أصابته قنبلة أماته فى الحال ، ولم يقبل ضابط آخر أن يحل محله

٢ — يشاع أن الجرحى من الانجليز فى واقعة القناة نحو مائمائة والآهالى يقولون إن هذه مناوشة كشفية ، وأنها نجحت ، وأنه عند ما تتمع قوى الاتراك لا يقوى الانجليز على دفعها ، ويهزأون بدعوى الانجليز أن الرمال كانت سببا فى تقهقرهم فى جهة الاسماعيلية



٣- زار السلطان
حسين جرحى الأتراك
بمستشفى قصر العيني ،
فسأل ضابطاً طرابلسي
الأصل عن عدد جيش
الأتراك ، فرد عليه
قائلاً : « وما مقدار
قوة الانجليز ؟ فهل
يمكنك أن تجيئني ؟ »

جثث الأتراك والمصريين بعد حادثة العريش في سنة ١٩١٥

فقال : « لا » فقال : « وأنا كذلك لأستطيع إجابتك ! » فسأله السلطان : هل أنت
مستريح للطعام بالمستشفى ؟ فأجابه : « ماجئنا لنا كل وليتني مت في الموقعة » !
٤ - بعد موقعة القناة ابتدأ الأهالي يتخلون عن السلطان ، ويجاهرون بالعداء
للانجليز والتجمع في المقاهي على الرغم من وجود الجواسيس ، وأحس الانجليز
خطورة مركزهم أمام الأهالي ، والبوليس المصري يتظاهر بتنفيذ الأوامر ولكنه
في الحقيقة لا يعمل بها

مشروع إنشاء مستشفى يحمل اسم التحرير : في أثناء وجودي بالاستانة حضر
الدكتور مورو اليها وفكر في إنشاء مستشفى باسم « مستشفى الهلال الأحمر الخديوي »
لمعالجة الجرحى الأتراك والمصريين من المصابين في الحملة على مصر وغيرها
وقد عقد اجتماع لبحث هذه الفكرة من بعض « البرنسات » المصريين والأعيان
المقيمين بالاستانة ، وكنت حاضرا هذا الاجتماع تحت رئاسة البرنس ابراهيم حلمي
فاقترحت أن يتبرع جميع المصريين الذين يتناولون إعانات شهرية من خزانة الدولة
بما يعادل ١٠ ٪ من مرتباتهم

وقد اعترض الدكتور صالح صبحي بك على المشروع بأن موارده المالية
لا تسمح بتنظيمه والقيام بنفقائه ، واقترح أن تحول التبرعات للهلال الأحمر التركي ،
وأورد محي الدين بك جلال اعتراضاً آخر على اسم المستشفى ، مشيراً إلى الخلاف
القائم بين الاتحاديين والخديو ، وعدم استحسانهم لأن يحمل المستشفى اسم سموه
فأجبت على الاعتراض الأول بأن المستشفى سيكون في إحدى سرايات جبوقلي
حيث تتوفر الأسرة والنور الكهربائي والمياه الصالحة ، وهذا يوفر كثيراً من المبالغ

وردت على الاعتراض الثانى بأن الاتحاديين لا يزالون معترفين بخديوية عباس ، ولذلك لن يعترضوا على تسمية المستشفى باسمه .
وأخيراً انتهى المشروع إلى الفشل

مشموع ضطير لفصل فرنسا عن إنجلترا في الحرب العظمى :
تعرف الخديو بموسيو كايو وموسيو بولو : تعرف الخديو ببواريس في صيف



الموسيو يوسف كايو



بولو باشا

سنة ١٩١٤ برجل فرنسى يسمى « بولو » بواسطة يوسف صديق باشا وهو ينتمى إلى موسيو « كيو » الوزير السابق ، الذى عرفه الخديو كذلك عند ما كان فى باريس وحدث أن أحد محررى جريدة الفيجارو ويدعى « كلبت » (شقيق الأنسة تالبوتيه معلمتى الفرنسية فى أثناء دراستى وقد عرفتى به) نشر مقالا يتهم فيه موسيو « كيو » بالاختلاس وبخيانة وطنه لسعيه فى خدمة ألمانيا . فما كان من زوجته إلا أن ذهبت لهذا المحرر وأطلقت عليه رصاصة من مسدسها أردته قتيلا ، فقدمت للمحاكمة الجنائية . وقد طلب مسيو « كيو » من الخديو أن يبذل نفوذه لدى رئيس محكمة الجنايات لانقاذ قرينته ، وعرف سموه به فى مأدبة خاصة . فسعى بجميع الوسائل لديه ، ومن ذلك أن وعده بالانعام عليه بنيشان كان يطمح إليه . وكانت النتيجة براءة مدام

« كيو » ، وأصبح زوجها من هذا الوقت يود أن يقدم خدمة لسموه رداً لجميله .
الخدويو يعمل لحفظ العرش له أو للبرنس عبد المنعم : ولما نشبت الحرب رأى
الخدويو أن يستعين بموسيو « بولو » الذى أشار « كيو » على سموه باستخدامه ، للسعى
فى لندن لدى « ربرتسون » أحد أصحاب النفوذ فى انجلترا للحصول على وعد من
الحكومة الانجليزية بأنها تعيد الخدويو لعرشه أو على الأقل تعامله معاملة حسنة
بتعيين نجله البرنس محمد عبد المنعم بعد السلطان حسين
وقد قام « بولو » بهذا المسعى ، ولكنه أخفق فيه وقابله « ربرتسون » بخشونة ،
وقال له : كيف تتحدث فى هذه الظروف فى شأن كهذا ؟ وأمره بالرجوع من حيث
أتى ، وإلا نبه الحكومة الانجليزية للقبض عليه .

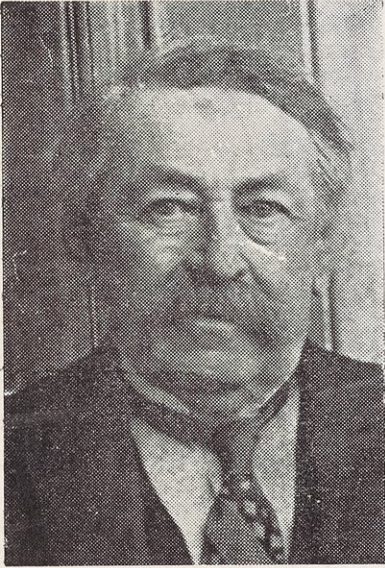
تفكير بولو فى مشروع صلح انفرادى بين فرنسا وألمانيا : وفى ٢١ ديسمبر
سنة ١٩١٤ كان « محمود خيرى بك » من الحاشية الخديوية بباريس ، فكلفه « بولو »
أن يرسل برقية إلى « يوسف صديق » ليقابله فى جنيف
وفى ٢٩ منه تقابلا وقتل عنه يوسف باشا ماأتى : —
إن حالة الجيش الفرنسى ليست على مايرام ، ولكن يمكنه المدافعة مدة طويلة ،
والألمان لا يرغبون فى محو فرنسا ، ولا يقصدون إلا القضاء على نفوذ الانجليز .



مسيو بارتو

ولذلك فكر بولو فى مشروع خطير
يقضى بتحسين العلاقات بين فرنسا وألمانيا
للوصول إلى الصلح بينهما . وذلك باستمالة
بعض أصحاب الصحف المهمة فى فرنسا
وبعض كبار الفرنسيين مثل « بارتو »
و« كليمانصو » و« بريان » ومساعدة موسيو
« كيو » بنفوذه على أن يسير العمل سرىا .
ولهذا فكر فى انشاء بنك كاثوليكي يكون
شقيق البابا « الكونت دى لا كيزى » مديرا
له ، وهذا البنك يقوم بهذا العمل بأمواله
التي ستدفع من ألمانيا . ولو علم أنه فعل
ذلك فلا حرج لأن من وظيفة البابا أن
يعمل لصالح الإنسانية الذى يقضى بوقف

الحروب . وطلب من « يوسف صديق » ألا يبرح الخديو بسر المشروع لأى إنسان وألا يتحدث فيه إلا مع امبراطور ألمانيا نفسه ، لأن الفرنسيين لوعدوا الآن شيئاً عنه لفتكوا به ، أما اذا تم فانهم يرفعونه فوق رؤوسهم .



موسيو بريان



الموسيو كليانوف

الخديو يعمل لمقابلة الامبراطور : وقد وافق الخديو على هذا المشروع الخطير وبدأ يعمل لمقابلة الامبراطور وعرضه عليه ؛ ولكن رجال تركيا كانوا يعا كسونه ويعرقلون هذه المقابلة ، خوفاً من اتصاله رأساً بالامبراطور .

ولما نئس من المقابلة ، أرسل إلى برلين لاستحضار « البارون أوبنهايم » المستشرق الألماني ، وكان بقمصية ألمانيا فى مصر ، وأسر اليه المشروع كما أسره للسفير الألماني فى فينا ، ولكن الموضوع أهمل ، ولم يهتم به أحد فى المبدأ ؛ ولم ترسل وزارة الخارجية ردها على السفير .

العودة إلى التفكير فى المشروع : وكان الخديو قد تعرف فى فينا برجل ألماني كبير اسمه « سمرى » فدعا سموه لمأدبة تضم سفير ألمانيا فى رومه سابقاً وكان الخديو يعرفه ، فانتهاز هذه الفرصة وحادثه فى المشروع فأظهر اهتماماً كبيراً به ، وخاطب وزارة الخارجية الألمانية ، فورد له الرد بأن ألمانيا تقبل مبدئياً هذا المشروع .

عندئذ أرسل الخديو « يوسف باشا صديق » لمقابلة « بولو » في رومة حيث كان يهدد لانتخاب شقيق البابا مديراً للبنك الكاثوليكي وإخباره بهذا الرد ، ثم مقابلة البارون « أوبنهايم » في برلين وتعريفه بنتيجة المسعى .

تكلفني بمهمة خاصة بالمشروع : وبعد سفره تقرر أن أسافر إلى برلين لمقابلته عند عودته من رومه إلى برلين ، وإفهامه أن يخبر « أوبنهايم » بعدم نجاحه في مهمته عن مشروع البنك في إيطاليا ، وأن يقابل ناظر الخارجية ويعرض عليه تفاصيل الموضوع دون أن أرافقه أنا في هذه المقابلة .

وقال لي سموه : « إن يوسف صديق سيسلمك رسالة لي » فقلت : وهل لا يكفي طريق البريد العادي لحمل هذه الرسالة ، فأجابني بأنها ليست مما يرسل بالبريد ، وأنه سيخبرني بالمسألة بعد ذلك (ولم أكن حتى الآن عرفت حقيقة المشروع) .
وقد سافرت فوصلت برلين يوم ١٧ فبراير وبقيت أربعة أيام انتظر يوسف باشا .

وفي يوم ٢١ حضر وأخبرني أنه فشل في مهمته بأيطاليا ، لأنه لما قابل بولو لأبلاغه رد نظارة الخارجية وجد المسألة فشلت ، نظراً لسوء التفاهم بين البابا وألمانيا بمساعي فرنسا من جراء مسألة « السكردينال مرسينه » البلجيكي ... فأمر البابا شقيقه الذي كان قد اختير لإدارة البنك بالانسحاب ؛ ولكن ألمانيا اجتهدت بعد هذا في تسوية المسألة ولم يتم شيء بعد ذلك .

ثم ذهبنا لمقابلة « أوبنهايم » فأخبره « يوسف باشا » بفشله في مهمته ، ولم يذكر اسم « بولو » بل قال : إن الوساطة هو أحد المعارف ، فقال البارون : « أليس هو الرجل المسمى بولو الذي قال لي عنه الخديو ؟ فأجابه نعم ! ، ولكنه دهش لأن الخديو كان كلفه ألا يعرف البارون باسمه !

موافقة وزير الخارجية على المشروع : وفي يوم ٢٣ منه تقابل « يوسف باشا » لأول مرة مع موسيو « ياجو » وزير الخارجية وشرح له مشروع فصل فرنسا عن حلفائها ، وعمل صلح انفرادي مع ألمانيا فاهتم الوزير بهذا المشروع وحدد للبasha يوم ٢٥ منه للكلام فيه ؛ ولما رجع من الزيارة علمت منه هذا المشروع الذي كان الخديو كتمه عني ، وأن « ياجو » قبله ، وصرح باستعداد ألمانيا لأن تتفق عليه من عشرة مليونات إلى خمسة عشر مليون مارك على أقساط شهرية في مدة سنة ، وأن يكون الدفع

باسم الخديو على أحد المصارف بسويسرا وهو الذى يتصرف حسبما يراه ، بحيث لا يعلم أحد أن هذه المبالغ آتية من ألمانيا أو النمسا وقد فهم يوسف باشا ، أن ألمانيا كانت قد وجدت ايطاليا يقوم بعمل كهذا ولكنه لم ينتج .

وقد أعد يوسف باشا الخطاب بما تم فى المشروع ، وسلمه لى ، فسافرت به ولما عرف الخديو بحضورى جاء إلى غرقى فأخبرته بما لدى ، وسلمته الرسالة وبعد قراءتها ظهر عليه السرور وعندها أخبرنى بالمشروع وقد أعلمته أن يوسف باشا أفهم أوبنهايم أن المشروع قد فشل ورجوت سموه أن يكتب الأمر عن صاحبته الفرنسية « مدام لوزانج » - التى تعيش معه فى الفندق - وإذا كانت قد علمت فيخبرها بعدم نجاحه

وبعد التدبر قال سموه : « أنا لا أريد أن أكون مسئولا وحدى ؛ وربما يلعب يوسف أو بولو بقصد الانتفاع ، فلا بد أن أطلب وجود واحد موثوق به عند نظارة الخارجية ، ليكون العمل والاتفاق باشترا كه معنى . »

موافقة الامبراطور نهائيا على المشروع : وفى يوم ٢٧ فبراير عاد يوسف باشا وعرض على الخديو نتيجة مهمته ، ثم أخبرنا أنه قابل ناظر الخارجية مرة أخرى وفهم منه أنه قابل الامبراطور فوافق على المشروع بتفاصيله السابقة مضافا إليها أن الدفع يكون بواسطة أحد المصارف فى زویرخ وأن النمسا قد تشترا فى النفقات.

تخوف الخديو من يوسف : وبعد خروج يوسف باشا خلا لى الخديو وأعاد على ذكر مخاوفه من يوسف باشا ، قائلا : « إننى أخشى من تلاعب يوسف ، وأنا أعرفه ولا بد أن أقوم بهذا العمل بنفسى ، وأفهم بولو ألا يتخدد باقواله ، وأن يقطع كل صلة به ، ولكن كيف نمنعه من مقابلته قبل أن التقي به وأحذره ؟ » فأجبت بأتى على استعداد لمساعدة سموه فى منعه بطريقة غير محسوسة ، وما عليه - عند سفره إلى سويسرا للاجتماع ببولو - إلا أن يرسل لى برقية بالحضور إليها فوافقنى على ذلك .

سفرى إلى سويسرا : وبعد هذه الحادثة بيوم واحد سافرت إلى روما ومنها إلى سويسرا تمهيدا للاجتماع ببولو ، فقصدت أولا إلى جنيف ، وقابلت فيها على الشمسى بك والاستاذ فهمى

وفي يوم ٨ مارس قمت من جنيف قاصدا زويرخ بناء على أمر الخديو للاستعلام عن المسائل الآتية : —

أولا : هل يمكن للمقيم في زويرخ التوجه إلى مدينة رورشاخ والعودة منها في نفس اليوم

ثانيا : المدة والمسافة بين الذهاب والاياب

ثالثا : أحسن الفنادق في رورشاخ

رابعا : المواصلات بين رورشاخ وبريجنز (في النمسا) - براونجرا - والاستفهام عن مسافة الطريق بالعربة والسكة الحديدية والبحر وعدد القطارات

وقد قمت بهذه الاستعلامات ، والغرض منها مقابلة بولو بعيدا عن يوسف صديق ، وسافرت من زويرخ إلى رورشاخ . وفي صباح يوم ٩ وردت إلى برقية بالرجوع إلى فينا حيث كان الخديو لا يزال بها ، وعلى أثر ذلك جاءني ضابط « ليشترى » عن وعن سبب حضورى نظرا لهذه البرقية ، وقد أعطيته كل المعلومات ؛ ولم أخبره بوظيفتى ولا رتبتي ؛ ثم سافرت من رورشاخ إلى « بريجنز » ومنها إلى « انسبروك » ووصلت إلى فينا صباح يوم ١١ مارس ، فعرضت على الخديو معلوماًتى .

وقد تقرر أن أعود إلى جنيف ، فرجعت في المساء مع اننى كنت متعبا ، ووصلت صباح يوم ١٢ منه . وهناك وجدت برقية إلى الدكتور همت أحد أطباء السراى واحمد بك صادق الذى رافقنى الى جنيف أن نساfer جميعا إلى زويرخ ؛ وننتظر فى فندق سافوى . وقد سبقانى ، وبقيت بعدهما لبعض مهام عائلية حيث كانت تقيم عائلتى ، ثم لحقت بهما يوم ١٣ وهناك سلمنى أحمد بك صادق برقية من يوسف باشا في « سان جال » فى سويسرا بأن أرسل صادق بك والدكتور همت ونفر الدين أغا الحارس الخاص للخديو إلى رورشاخ غدا حيث يحضر سموه ، وقد سافروا فى اليوم التالى ثم لحقت بهم .

حضور الخديو ومقابلة بولو باشا : حضر الخديو يوم ١٥ منه وفى اليوم التالى

خلاى وتداولنا فيما يجب عمله لمنع يوسف باشا من الاجتماع ببولو : فهل نذهب جميعا إلى زويرخ أو نرسل لبولو بالحضور إلى سان جال ونقابله هناك ؟

وفى يوم ١٧ مارس أرسل الخديو يوسف باشا لمقابلة ناظر خارجية ألمانيا للتفاهم معه على طريقة العمل وصرف المال - فلم يعد هناك داع لمقابلة بولو بعيدا

عن زويرخ - فسافرنا من رورشاخ إليها ونزلنا في فندق سافوى وهناك حضر موسيو بولو ، وكان الخديو أمرنى بانتظاره في الفندق - وأنا لا أعرفه - ولكنى رأيته يسأل قلم الاستعلامات فعرفته ، وأرسلت من يخبر الخديو بقدومه ، فنزل في الحال ؛ ولما رآه بولو عانقه بحرارة - على الطريقة الشرقية - فجال في نفسى أن هذا الرجل مخادع ، وأنه يتظاهر بهذا الأخلاص تظاهرا فقط لغرض في نفسه .

فأخذ الخديو بيده وذهبا إلى الجناح الذى يقيم به مع صاحبه وظل ، بعد ذلك يخلو به ليل نهار ، ولا يخرج إلا قليلا في المساء .

وفى أثناء ذلك أطلعنى الخديو على رسالة من كيو يحملها بولو ، وفيها أنه يرسله لسموه ليكون تحت تصرفه ، وأن يعهد إليه بمباشرة مصالحه في مصر (١) - وكلفت أن أرد على هذه الرسالة فكتبت ردا مختصرا بالشكر له على اهتمامه بشؤون الخديو ومصلحه دون الإشارة بشئ إلى بولو ومشروعه ، خشية أن يقع هذا الخطاب فى أيد أخرى ، ولكن لم يرق فى نظره هذا الاختصار وعدم التصريح بمهمة بولو فلاحظت له . أن هناك خطرا فى التصريح إذا ضبط الخطاب ؛ ومع هذا فقد حررت الرد بطريقة لا يستمسك فيها بشئ . فأخذ منى « المسودة » دون أن يكلفنى « تبليضها » فعلت أنه لم يقتنع بالرد وكتبه هو وصاحبه بطريقة لا أعلمها .

تفكير الخديو فى إبعاد يوسف عن المشروع : وفى يوم ١٨ صرح لى بأن بولو يتضايق كسموه من يوسف صديق باشا ، وأنه كاد يهيم بالتخلي عن العمل لولا الخديو ، وأن من رأيه إبعاده نهائيا . فلاحظت أن هذا العمل خطر وربما كان سبباً فى أن يفشى يوسف الأسرار ويحدث مالا تحمد عقباه ، وأن الأفضل اتخاذ طريق غير محسوسة لإبعاده . وقد كنت اتحدث مع الخديو بالعربية لحضور صاحبه معنا ، ولكن ظهر أنها فهمت لأنها قالت « شوية شوية » تعنى التمهل فى الأمر ، وهذا ما كنت أخشى منه أكثر من خشيتى يوسف .

وفى يوم ١٩ سافر بولو باشا وعدنا نحن جميعاً إلى فينا فوصلنا إليها صباح يوم ٢٠ .

وقد عاد يوسف يوم ٢١ من برلين وأخبرنا بما يأتى :
أورو : كان وزير الخارجية فى مقابلة سابقة معه قد طلب أن يشمل المشروع

(١) وقد انعم عليه الخديو برتبة الباشوية

تشكيل قلم مخبرة في سويسرا لنشر أخبار ألمانيا، والدعاية لها، ومحاولة إدخال ذلك إلى فرنسا وانجلترا؛ ولكن بولو لم يوافق على هذا وقال : إن الأمر لو عرف لأعدم باعتباره جاسوساً ، وبسبب اشتراكه في المشروع ؛ وقد وافق الوزير على هذه الملاحظة أخيراً .

ثانياً : وكان الوزير قد عرض فبكرة شراء أسهم في الفيجارو والطان فلم يوافق بولو أيضاً قائلاً : إنه لأهمية لها ويخشى أن يتعرض لانتقاد ألمانيا من جراء ذلك فيما بعد ؛ وقد ترك له الوزير الحرية في العمل

ثالثاً : يرى بولو ضرورة إنشاء جريدة سياسية « راديكال سوسيال (١) Radical Social » في باريس يتولى كتابتها محررون ينتخبهم هو ويعطيهم مرتبات ويختارون من أعضاء مجلس النواب الفرنسي أو مجلس الشيوخ .

رابعاً : إن خطة بولو ليست شراء الصحف ، بل شراء أصحابها ليكتبوا فيها مقالات بقصد بذر الشقاق بين فرنسا وانجلترا ، ثم التكلم بعد ذلك في الصلح بغاية الاحتراس .

خامساً : طلب بولو أن يكون أول قسط مليونين ونصف مليون مارك ، والثاني كذلك ، وأما بقية الأقساط فتدفع مليوناً في كل شهر فوافق الوزير .

مطامع يوسف باشا وصاحبة الخديو : وفي اليوم التالي تقابل معي يوسف باشا فتحدثنا في الموضوع ، وجاء ذكر رجل اسمه « كافاليني » الإيطالي الذي كان يرافق بولو وقد علم منه بالمشروع وله رأى يقضى بشراء بعض الصحف الإيطالية ، وهو من معارف محمد يكن باشا فقلت : « لا بد أن مسيو كافاليني سيأخذ من بولو نصيباً من المال في مقابلة قيامه بالعمل في إيطاليا » قال : « هذا بما لاشك فيه وطبعاً بولو ، سيأخذ لنفسه مبلغاً ، ولا أدري لماذا نحن أيضاً لا نتفع ؟ فأنى أنا الذي تحدثت مع وزير الخارجية ، وأنهيت المسألة ! فإذا أخذنا نحن أيضاً ثلاثة آلاف جنيه ففى قطرة من بحر ، وأنا كنت عازماً على أن أحادثك في هذا الموضوع لمقاتحة الخديو فيه . » ووعدنى بأنه إن حصل على ما يطلب فإنه يهدى إلى جزءاً منه فلم أجبه بشيء

ولما كنت أعلم أن الخديوعازم على إعطائه مبلغ مائة ألف فرنك — ولابد أن هذا كان بالاتفاق مع بولو — فأنى وجدت من تحصيل الحاصل محادثة الخديو .

وكانت صاحبتة قبل هذا قد قالت لى : « إن يوسف باشا لابد أن يطلب مبلغاً كبيراً ، وحرصتى على طلب مبلغ فأجبته : « بأننى لم أقدم على مثل هذا الأمر من قبل ولم أطلب من الخديو شيئاً لى أو لأحد أقاربى ، فقالت « أقصد من يوسف » فامتنعت أيضاً فقالت « إذن أنت أبله » فضحكت وقلت « فليكن ذلك وهو خير عندى من الطلب » .

وفى صباح ٢٣ مارس جاءنى يوسف باشا وقال لى : « سأطلعك على سر تعدنى بعدم إفشائه » فوعده بذلك . فقال : « إن صاحبة الخديو أخذت تلعب ، وسيفشل المشروع لأنها تطلب هى أيضاً سمسرة مائة ألف جنيه وإلا أفتشت السر ؛ وما أظن أفندينا يرضى على نفسه أن يطلب من بولو مبلغاً لها لأنه عار عليه » قلت : « وأنا أيضاً أستبعد صدور طلب كهذا منه »

الدفعة الأولى وكيف انفقت : وقد أخبرنى كذلك يوسف باشا أن سفير ألمانيا طلب أن يقايله الخديو اليوم لتسلم الصك الأول بالدفعة الأولى ، ثم قال وسأطلب منه غداً صرف المبلغ لى » وقد سافر الخديو إلى زوريخ للقبض ، وفيها قابله بولو لأخذه منه

وحصل يوسف باشا على مائة ألف فرنك ، ذكر لى أنه سدد منها أربعين ألفاً للخاصة وأهدى إلى منها عشرة آلاف ؛ وكان يجول بخاطرى أن الخديو هو الذى أو عز ليوسف بذلك ، لأننى منذ الحرب لم أتسلم منه مرتبى بينما كان يوسف يتسلمه آخر كل شهر

فشل المشروع : وقد علمت يوم ٩ مايو من يوسف صديق أن الدفعة الأولى استولى عليها بولو ، ولم ينفق منها إلا مائة ألف الفرنك التى سلمها له ، وأما الباقي فأعطى منه جزءاً « لكافاليني » واشترى ضيعة له بنصف مليون فى باريس ، واحتفظ بمابقى بعد ذلك !

وأما الدفعة الثانية فأعطى منها مائة وخمسين ألف فرنك لرجل فرنسى فى مقابلة كتابة بضع مقالات فى جرائد فرنسية من جرائد الاريايف ، ومبلغ نصف مليون وضع أمانة فى مصرف لشراء أسهم من جديدة الفيجارو ، وذهبت الاطاع بالباقي

وكان لهذا العمل أثره السيء في صلة الخديو بالألمان، وتشويه سمعته في نظرهم ،
وتصديق ما كان يشيعه عنه الانجليز من المساوىء . وكان له أثره السيء كذلك في
صلة الخديو برجاله المصريين في السويسرة ، فقد كنا نرى أن الواجب رد بقية
النقود إلى ألمانيا خوفا من تشويه سمعة الخديو لدى الألمان . ولكن سموه كان يتألم
منا عندما نفاتحه في هذا الموضوع حتى إنه في مرة من المرات قال لنا في حدة :
« ياناس من قال عني اننى لص حتى أبدد نقود المانيا ؟ »

وفي يوم ١٢ نوفمبر تقابلت مع الشمسى بك وعلمت منه أن الخديو أرسل
تقريراً إلى برلين قال فيه بصدد هذه النقود : إنه موجود عنده مليون فرنك تقريبا
ولكن توجد بعض مبالغ لم يسو حسابها بعد وهو منتظر تسويتها

وبلغنى منه كذلك نقلا عن الدكتور امستر الذى كان مدير مخازن الصحة بمصر
واتصل في مدة الحرب بالخديو أن الألمان لأول مرة قالوا للخديو : « قبل التفكير
في مقابلة الامبراطور يجب رد جميع المبالغ التى أخذتها من المانيا » !

وفي يوم ١٩ منه قابلت سموه في فندق ناسيونال (وكان قد انتقل للسويسرة
كما سيأتى في فصل خاص) ثم حضر فريد بك قادما من برلين فقال : « إنه قابل
وكيل الخارجية الألمانية ففاتحه في أمر النقود ، قائلا : « إنها هى الحائل بين الخديو
وما يرجوه من مقابلة الامبراطور » ، وأن فريد كان يعتقد أن عباسا قد أعد الحساب
وأرسله ولكن وكيل الخارجية نفى له ذلك . فقال الخديو : « لقد أرسلت مسيو
امستر وسوى المسألة مع وزير الخارجية » !

مضى الى برلين ومعهتى بها : سافرت يوم ١٨ فبراير من فينا الى برلين لقضاء
عدة مهام منها ما يختص بمشروع بولو لفصل فرنسا عن انجلترا في الحرب العظمى
وقد ذكرته تحت العنوان الخاص به ، ومنها أمور أخرى أذكرها هنا

المساعى لتسهيل زيارة الخديو للامبراطور : في يوم ١٨ فبراير قابلت موسيو
الكساندر المالى المعروف ؛ وكنت قد تعرفت به في مصر حين أنشأ البنك الالمانى
الشرقى قبل الحرب ، وهو عضو في عدة بنوك وله علاقة طيبة بالخديو ، وأبلغته تحيات
سموه فقبلها بالشكر وقال لى « إن سموه اكتسب في برلين سمعة طيبة ؛ وأنا مستعد
لقضاء ما يلزم سموه من الخدمات » ثم سألتى عما إذا كان في نيته الحضور إلى برلين؟
فأجبت به بأن ذلك ربما يحدث حينما يتقرر أمر مقابلته للامبراطور ، لأنه لا يمكنه

أن يصاحب الحملة قبل أن يشكر جلالته عنايته بمصر والمساعدة الكبيرة التي تبذلها ألمانيا لخروج الانجليز منها

فسألني عما إذا كنت قد حضرت برلين لهذا السبب فأجبت: لا . ولكن يوسف باشا صديق مكلف أن يقابل وزير الخارجية الألمانية في مهمة ؛ وأن يتكلم معه في هذا الغرض . فطلب مقابلته قبل أن يذهب للوزير ، ليخبره بأهمية الأشخاص الذين يتحدث إليهم ، لأن « زيمرمان » وكيل الخارجية ذو نفوذ قد يفوق نفوذ الوزير

وقد كنت مكلفا من قبل الخديو أن ابليغ يوسف صديق باشا أن يتفاهم مع البارون أوبنهايم في تسهيل هذه المقابلة قبل أن يسافر سموه لمصر ، لأن سبب تأخيرها أن سفير ألمانيا لم يجد ضرورة لها بسبب اضطراب أفكار الاتراك نحو سموه ، أما الآن وقد خلعه الانجليز فالفكار قد هدأت ، وتأكد رجال الدولة أنه معهم

وفي يوم ٢٣ فبراير كان يوسف ذاهبا لمقابلة وزير الخارجية فيما يختص بمشروع بولو السابق الذكر ، فاتفقت معه على أن يحادثه كذلك في تسهيل زيارة الخديو للإمبراطور ، ويقنعه بضرورة ذلك لأسباب منها

أول : أنه لا يحسن أن يعرف المصريون أن خديويهم جاء إلى أوروبا ولم يلتق بامبراطور ألمانيا مع أن سموه متحد مع جلالته ؛ والاتراك يؤولون عدم المقابلة تأويلا يضر بالحملة ؛ والانجليز كذلك يروجون اشاعات في صالحهم

ثانيا : أنه لا يليق أن امبراطور ألمانيا لا يقابله مع أن حليفه امبراطور النمسا قد قابله دائما : أن اهتمام جلالته بمسائل مصر يستوجب أن يشكره سموه على هذه العناية ومن جهة أخرى أن الأسباب التي كانت تمنع هذه المقابلة قد زالت بزوال الوحشة التي كانت بين سموه وبين رجال الدولة

وقد تحدث يوسف باشا مع الوزير في ذلك فافتنع ، واتفق معه على أنه عند ما يدعى سموه للعودة الى الأستانة لمصاحبة الحملة يطلب من سفير الدولة أن يخبر الصدارة بأنه سيرجع بعد مقابلة امبراطور ألمانيا . وعندئذ لاستتيع الصدارة أن تمنع في ذلك .

أما عن شخص الخديو فان الوزير قال ليوسف : إنه وإن كان لم يتعهد تحريريا

لسموه برجوعه إلى عرشه ، إلا أنه يصرح بأن ألمانيا تعاضده حتى النهاية للوصول إلى هذا الغرض .

ثم زار وكيل الوزارة فردد له ما يشبه كلام الوزير فيما يختص بالخدو وبعد عودته الى فينا روى لنا أنه في مقابلته الأخيرة مع محمود مختار باشا ، تحدثا في زيارة الخديو للإمبراطور ، فلم يجد منه مانعة ، بل وافق عليها ، وطلب معرفة وقتها ، لاعداد ما يلزم

سلف للبرنسات: وفي مقابلة أخرى مع الكساندر تكلمت معه فيما إذا كان يمكننا عقد سلفة للبرنس ابراهيم حلمي ، وللبرنسيسين فاطمة اسماعيل وحرم البرنس عمر طوسون ولدولة والدة فقال : إنه سيتكلم مع أعضاء مجلس ادارة بنك الدتش أوربان في ذلك ، ويعطيني جواباً ، ولكن هذه السلفة لم تتم ، واستعيض عنها بسلف من الحكومة التركية كما سيأتى .

الخدو ومحمود مختار باشا سفير الدولة في برلين :

كان من الأوامر التي تلقيتها من الخديو أن أبلغ يوسف صديق بالأا يقابل عند حضوره من روما الى برلين محمود مختار باشا^(١) سفير الدولة بها ، وذلك بسبب موقفه العدائى من سموه ؛ وإذا سأله أحد عن ذلك فيجيب : بأن المصريين يودون من صميم أفئدتهم مقابلة سفراء الدولة في أى مكان متى علموا أنهم يحترمون الخديو ، وإلا فيطر حونهم جانباً

ولما قابلت موسيو الكساندر يوم ١٨ فبراير سألتى عما إذا كنت قد زرت سفير الدولة ، فأجبتة بالنفى لأن وقتى لا يساعدننى على ذلك. فسألتى عن علاقاته بالخدو فقلت : « على ما سمعت أنها ليست كما يرام ، من وقت إحالة نظر وقف اسماعيل باشا على سموه^(٢) فقال : « إننى آسف لوجود شقاق في هذا الأوان » ثم عرض على أن أقابله ، فقلت : « أنا رجل أفندينا ، وما دام الباشا يشعر بهذه الاحساسات نحو سموه ، فلا يمكننى أن أقابله ، وهو لا يرحب برؤيتى ، فإن أظهر هو الرغبة في مقابلتى ليكلفنى ابلاغ تحياته واحتراماته للخدو فأننى لا أتأخر » فقال الكساندر : « فهمت ما تعنى ، فدعنى أعمل ما أراه بدون مسؤولية عليك »

(١) صور ج ٢ . ق ٢ . ص ٦

(٢) كان مختار باشا متزوجا بالأميرة نعمت هانم بنت اسماعيل

وفى يوم ٢١ حضر يوسف فأخبرته بالأوامر ومن بينها عدم مقابلته للسفير ، فلم يوافق على هذا الأمر الأخير ، وبعد المناقشة اتفقنا على أن نسترشد بالبارون أوبنهايم ، وموسيو الكساندر فى ذلك .

وفى يوم ٢٢ منه قابلنا الكساندر وعرضنا عليه الفكرة ، فقال إنه يسعى فى إصلاح ذات البين ، وإنه سيقابل السفير ويدعوه للعشاء غداً .

ثم شرح له يوسف أسباب النفرة بينه وبين الخديو بطريقة طيبة ، وذكر أن العلاقات الشخصية بينه هو (يوسف) وبين السفير علاقات مودة واحترام . وفى يوم ٢٣ منه قابلنا موسيو الكساندر فعلمنا منه أنه قابل السفير ، فقال له : إنه يرحب بيوسف باشا . ولكن الكساندر حذره من الاندفاع فى الكلام معه عن الخديو ، وأن يكتب بالاحاديث الشخصية ؛ ففهمت أن إحساس مختار باشا نحو سموه لم يتغير .

وقد توجه يوسف لمقابلة السفير فاستقبله بلطف ، ثم ذكر يوسف له أن هذه أول زيارة رسمية يقوم بها ، لأنه يقدره ويعجب بفضائله ، ويعتقد أن إحساسه نحوه كذلك ، فرد عليه مؤكداً له صدق شعوره .

ثم دار الكلام عن الخديو ، فقال السفير : « إننى لأأسى حسن معاملته لى شخصياً » فقال يوسف : « إذا سلمنا جدلاً بأنه حدث من الخديو فى مدة حكمه الطويلة بعض مساس بالمصالح الخاصة ، فإن الطريق السياسى الذى سلكه فى هذه الظروف الحرجة يكفر عن ماضيه » فقال السفير : « نعم يعترف الجميع بذلك حتى أعداؤه ، ولهذا السبب لا تأخر عن معاضدته » فاكتمنى يوسف بذلك ووعد مختاراً بزيارة أخرى يتبادل معه فيها حديثاً طويلاً .

وفى يوم ٢٥ فبراير وصلت إلى فيينا عائداً من برلين ، وعرضت على الخديو ما حصل فى مسألة محمود مختار فقال : « إنكم لم تفعلوا فيها ، وكان يجب أن يكون موقفكم موقف دفاع ، حتى تروا ما يعمل ، ولا يكون موقف تذلل كما حدث » فأجبتة إن قصدنا هو منعه عن الخوض فى حق سموكم ، وقد وصلنا إلى هذا النتيجة وفى يوم ٢٧ منه عاد يوسف باشا ، وأخبرنا أنه قابله مرتين بعد سفرى لى فيهما منه حفاوة كبيرة ، وكلفه ابلاغ تحياته للخديو .

أحداث الحرب :

خطط هندبورج : فى يوم ٢٢ فبراير قابلت موسيو الكساندر مع يوسف صديق ، تحدثنا عن خطط هندبورج الحربية ، وهى أنه فى مدى شهر ونصف أو شهرين ، يكون قد أتم برنامج ضد روسيا ، وأجبرها على عقد الصلح ، لأن الجيش كله زاحف إلى الأمام ؛ وفى عزمه أن يقطع المدد الذى يحضر من بطرسبورج بالحركات التى قرر اتخاذها مع النمساويين ، وبها يتمكن من كسر الروس فيدخل فرسوفيا أما الحرب مع فرنسا فتستمر فى حالة دفاع من جهة الألمانين ، حتى تنتهى الحرب مع الروس ؛ وبعدها يحول جزء من الجيش إلى فرنسا ويبدأ الهجوم وهو يؤمل أن يصل إلى نتيجة حاسمة فى زمن قليل ، فيعقد الصلح مع الفرنسيين وبعد ذلك تستمر الحرب بين ألمانيا وانجلترا حتى تسحقها

موقعة الدردنيل وسفر الوالدة إلى بروسة : عند ما حدثت موقعة الدردنيل . استولى الفرع على سكان الاستانة فسافرت الوالدة منها إلى بروسة . فكلفنى الخديو عند سفرى للاستانة أن أقابل دولتها ، وأبلغها أسفه لأن المفسدين أشاروا عليها بالسفر ، فأصبح الأتراك يدعون أننا نحن المصريين بعملنا هذا ، ندخل الخوف على سكان الاستانة

وفى يوم ٣١ مارس علمت من جلال الدين باشا أن البرنس عباس حلمي هو الذى اقترح على الوالدة السفر إلى بروسة ، وصور لها الحالة بصورة مزعجة ، فأجرت باخرة ونزلت بها ، ولما كانت الريح جنوبية شديدة فقد عادت إلى الاستانة بعد ساعة ، وأخذت القطار من محطة حيدر باشا إلى مدينة داخل الأناضول ، ومنها سافرت بالعربات إلى بروسة ، فوصلت فى أكثر من يومين

وفى يوم ١١ ابريل زرت الوالدة مع جلال الدين باشا ، فأبلغتها احترامات الخديو ، وقلقه عليها لوجودها فى بروسة مع انتشار الحمى بها ؛ وأنه يأسف لسفرها الذى يشتر أقاويل الأتراك فقالت : « إن الزنابير فى الاستانة كادت تجننى ، وقد كنت خائفة ، أما أنتم فكتمت بعيدين عن الخطر » ثم سافرت على أن تعود دولتها للاستانة قريباً

وفى يوم ١٦ منه زرت أنور باشا فسألته عما إذا كان هناك خوف على الدردنيل فننى ذلك قطعياً . ثم قلت له : « إن مولاي لم يستحسن سفر الوالدة لبروسة ،

وكانت أوامره لجلال الدين باشا ألا تترك الاستانة إلا إذا سافر منها السلطان « فقال : « وهذه هي زوجتي « سلطان افندى » لم تبرح اسلامبول « فأخبرته أنني أقنعته بالعودة قريباً

تنظيم مخبرات مع مصر وتدريب ثورة ضد الانجليز : في يوم ٤ مارس أطلعتني



البارون مكس اونهايم الملحق بسفارة
المانيا بالاستانة في مدة الحرب

الخديو على رسالة وبرقية من البارون مكس اونهايم بأنه سيصل الى فينا بعد غد فيقيم بها يوماً واحداً ، ثم يسافر الى الاستانة . وقال لي الخديو : « إن الأ صوب أن تسافر معه ، وتحصل على ما لديه من المعلومات بصدد مهمته هناك وأن تحضه على السفر الى الشام لاستطلاع الأحوال بها »

وفي يوم ٢٦ منه حضر البارون وأخبرني أنه سيقم بالاستانة عشرة أيام وبعدها سيتوجه الى دمشق ، و يقيم فيها لنشر الدعاية الاسلامية ، وتوزيع منشورات في مصر ، وأخذ أخبارها . وقد سأل عن اسماعيل بك لبيب ، فأخبرته أنه يقيم في

دمشق ، فقال : انني أريد أن أجمع حولي الرجال المخلصين للجناب الخديوي ، فشكرته ثم أخبرني بما عاناه في اختيار رجال للحصول على أخبار مصر وصحفها ، فقلت له : « إن الخديو كان اختار رسمي افندى الضابط لأمر كهذا ، ولكنه حتى الآن لم يأت بفائدة »

وفي يوم ٢٧ منه سافرنا للاستانة ، ومعنا سكرتيه الألماني موسي كندلر وهو يعرف العربية لأنه مكث مع البارون عدة سنوات في مصر ، وعلى العناني افندى سكرتيه العربي ، وهو مصري تخرج في دار العلوم ، وأرسلته الجامعة المصرية الى برلين لامتام دروسه .

الاتاد الاسلامي : ولما خلوت بالبارون قال لي : « إن مهمتي تنحصر في نقطة واحدة ، هي جمع كلمة البلاد الاسلامية حول الخليفة ، على أن تكون كل مملكة

مستقلة استقلالاً داخلياً ، ولكنها ترتبط بهذا المركز ، وأن هذا الوقت هو أنسب الأوقات للقيام بالحركة ، لأن الدول في وقت السلم تقاوم هذه الفكرة ، أما الآن فلا يمكنها عرقلة المساعي »

إنشاء صحيفة عربية للدعاية : ولتنفيذ هذا المشروع فكر في تشكيل هيئة برياسة شيخ الاسلام بالاستانة للدعاية وإنشاء صحيفة عربية لأذاعة هذه الفكرة في الممالك الاسلامية كلها ، على أن تطبع هذه الصحيفة في دمشق .

وسألني عما إذا كنت موافقاً على ان يشتري جريدة المقتبس ويوسع نطاقها ، فقلت : « إن اسمها لا يؤدي إلى الغرض الذي ترمى إليه ، والواجب إنشاء صحيفة باسم جديد مثل « الاتحاد الاسلامي » فوافقني على ذلك

ألمانيا تنفق على تنظيم المخبرات والدعاية : وقال : « إنني أحمل الأموال التي تلزم لذلك »

ثم طلب مني أن أساعده في تحرير بيان باسماء المصريين بالاستانة والشام وأوروبا لانتخاب الأكفاء منهم في التحرير أو الدعاية ، وأن أبين له ميولهم السياسية وثرواتهم . الخ

وأخبرني أنه يريد أن يجعل للصحيفة مخبرين في أهم المدن التركية والعربية ، وأن ينظم هيئات للدعاية في الهند والعجم والأفغان ، فنهته إلى ان هذا العمل ليس يسيراً ثم كاشفني بأنه ينوي إسناد رياسته تحرير الصحيفة إلى الشيخ جاويز ، ولكنني تمكنت من إقناعه بالعدول عن ذلك ، لأن الشيخ لم يعد موالياً للخديو بل يعمل ضده ، وهو في الوقت نفسه — كما علمت — غير محبوب من المصريين ولا السوريين ولا الأتراك ، حتى أن جمال باشا أبعده عن مرافقة الحملة

ثم طلب مني أن أساعده كذلك في انتخاب مندوبين في روما ونابلي وأثينا لجمع المعلومات عن أحوال مصر ، وتشكيل قلبين للمخابرة أحدهما في نابولي والثاني في بيروت ، واستخدام بعضهم في الاتصال بالخلصين للخديو بمصر لاشعال الثورة وقت لزومها ؛ وأنه يعتقد أن بين أصحاب الطرق من يقدر على ذلك . ولهذا طلب مني ما يأتي :

استخدام ارباب الطرق :

١ — كتابة تقرير عن مشايخ الطرق في مصر وأمثالهم في الشام والاستانة والحجاز

٢ — البحث في مصر عن اشخاص أمناء يمكن أن ترسل اليهم الخطابات والنشرات ونسخ الصحيفة المزعم انشاؤها

وفي ١٢ ابريل زرت البارون ، ومعى الدكتور سيد كامل فقدمته له ، وكان قد حرر كشفاً بأسماء المصريين فى الاستانة والشام وأوربا وملاحظاتنا عليه ، وتركته للاستمرار فى العمل مع البارون ؛ وبعد ذلك اتفقنا على عمل برنامج يأخذ كل منا صورة منه . وقد أعددتاه فعلا فى هذا اليوم مقسما إلى عدة فصول ، تتلخص فيما يأتى تحديد مهمة الجمعية السرية فى مصر : تتلخص مهمة الجمعية فى الحصول على أخبار صحيحة عن مصر ، والقيام بثورة عامة فيها تستمر حتى انتصار الحملة التركية ، وإمدادها بالوسائل التى لا تستطيعها فى مصر . أولا بأول عن أخبار هذه الثورة ، وإمدادها بالوسائل التى لا تستطيعها فى مصر . نظام المخابرات مع الجمعية السرية بالاسكندرية :

١ — تكون « المخابرات » بين الوطنيين فى مصر والخارج بواسطة أحد المصريين المقيمين بالاسكندرية ، حيث يكون للجمعية مركز سرى

٢ — يتصل مركز فىنا بمركز الاسكندرية ، وعليه ارسال التعليمات اللازمة ، وكذلك يجب البحث عن مندوبين لارسالهم إلى طرابلس وأتينا ونابولى .

٣ — يؤلف مركز بسفارة المانيا فى الاستانة يتصل به مركز فىنا ويبلغه المعلومات التى ارسلت للاسكندرية ؛ وعلى السفارة الألمانية تزويد السلطات التركية والألمانية بالمعلومات

استعمال شفرة وحبر كياوى :

٤ — يكوى لدى المرا كز الثلاثة بالاسكندرية والاستانة وفينا شفرة « صفر » بحبر خاص للمخابرات ، والمركز الأخير هو الذى يعدها باللغة العربية ؛ والأفضل وضع الشفرة بين أسطر المصحف ؛ ولا يعرف الوسطاء فى نقل الرسائل شيئا عنها المندوبون فى الاسكندرية ونابولى وأتينا وطرابلس : وقد فكرنا فى أن يكون عبد اللطيف المكباتى بك فى مركز الاسكندرية ، لأنه مخلص وله أساليب مرنّة يتخلص بها من المراقبة ، وعند رفضه يختار احمد حلى افندى

واختارنا أن يكون على الشمسى بك معتمدا فى نابولى إذا قبل صديقه المكباتى أن يكون معتمدا فى الاسكندرية : وفى حالة قبول الشمسى يقيم فى نابولى ، ويقابل جميع المسافرين الآتين من مصر لمعرفة أفكارهم عن حالة البلاد .

فاذا رفض المكباتى والشمسى ، يختار اسماعيل لبيب بك فى نابولى ، وهو صديق
لأحمد حلى افندى

ووقع اختيارنا على ابراهيم صادق افندى ، وكان ضابط مدفعية فى البحرية
العثمانية ليكون معتمداً فى أتيننا ؛ وعلى محمد سلام افندى الضابط بالمحروسة على
الحدود الطرابلسية ، ليتسلم ما يرسل من أتيننا ، ويسلمه لمعتمد الاسكندرية ؛ وعلى احمد
أبو على افندى الضابط بالجيش العثمانى ليكون مراسلا للجهات الصحراوية

وأن يترك سفر المراسلين إلى طرابلس لتقدير اسماعيل بك لبيب الذى يتصل
بأنور باشا ليأخذ منه خطابات توصية لشيخ السنوسيين ونورى بك شقيق أنور باشا
توصيل الرسائل : اتفقنا على أن يقوم احمد نور الدين افندى « بالخبرة » مع
المكباتى لاستطلاع رأيه فى القبول أو الرفض ؛ وذلك بأن يكتب لزوجه فى مصر
ثلاث رسائل يقول لها فى كل منها : أن تزور المكباتى بك ، وتنبهه إلى أنه سيأتى له
خطاب من أحد أصدقائه ، وانه لى يقرأه يجب استعمال طريقة معينة (الشفرة)
وهذه الرسائل ترسل من جهات مختلفة مع بعض البحارة المسافرين لمصر ،
وعند وصولهم يلقونها فى صندوق البريد

وبعد أيام يكتب على الشمسى بك بين أسطر المصحف رسالة عادية بالخبر
الكىماوى ، والشفرة التى تستعمل لحل الرسائل ويرسله لأحد الطلبة فى مصر مع كتب
أخرى ؛ ثم تذهب زوجة احمد نور الدين للطالب ، وتتسلم المصحف منه ، وتسلمه للمكباتى
وبعد ذلك يرسل الشمسى رسالة للمكباتى مباشرة بطلب رأيه ، فيحلها بواسطة
الشفرة المرسلة فى المصحف

فاذا لم تنجح الشفرة فى المصحف ، تعاد فى رواية فرنسية تسلم لبحار ايطالى له المام
باللغة الفرنسية ، فيوصلها إلى مصر

وكذلك فكرنا فى طريقة أخرى لتوصيل الرسائل ، بأن توضع الرسالة بين نعل
حذاء ، أو طبقى ثوب يلبسه رجل نأتمنه ليسافر إلى مصر عن طريق ايطاليا بأى
سبب محقول ، ويسلمها للمكباتى . أو بواسطة سيدة ايطالية أو أمريكية تسافر لمصر
بهذه المهمة ، وعلى مركز فينا أن يفاضل بين هذه الطرق الثلاث

أما تبادل الرسائل ، فالمرسل منها لمصر يستحسن استخدام مصرى لأخذه من
نابولى ؛ فاذا لم يمكن يستخدم بحار طليانى . والمرسل من مصر للخارج يكتب فى
بطريق البريد العادى . أما الرسائل المهمة فترسل مع رسول خاص

البريد عن طريق أتيننا : كل التفصيلات السابقة تختص بارسال الخبايا عن طريق نابولى ؛ ويمكن فى المستقبل تنظيم المراسلات عن طريق أتيننا إلى الاسكندرية وعلى مندوب أتيننا أن يبحث فى الوسائل العملية لتنفيذ هذا المشروع باستخدام أهالى كريت من المسلمين لهذه الغاية ؛ ويسافرون بصفتهم أرواما مسيحيين

توصيل نقود ومفرقات : إذا أمكن عمل هذه الأشياء فى طرابلس فعلى مندوبنا هناك أن يتسلمها ويوصلها إلى أقرب نقطة فى الحدود المصرية ، ويسلمها لمن يعينهم مندوب الاسكندرية

وإذا لم يمكن صنعها فى طرابلس ، فعلى مندوبنا فى أتيننا أن يحصل عليها ويرسلها فى المراكب الشراعية المستعملة لاستخراج الاسفنج ، ويعهد بها إلى أشخاص موثوق بهم من أهالى طرابلس أو من مسلمى كريت لا يصلح هذه الأشياء إلى طرابلس . أما خطأ أتيننا ونابولى إلى الاسكندرية فلا يجوز استعمالها لخطورتها ، أما إرسال النقود إلى مصر فركز فيها يتدبره

طرق الدعاية الوطنية فى مصر : تقوم الدعاية على الأمور التى تنفر المصريين وتستثيرهم من عدوان الانجليز عليهم وعلى دولة الاسلام ، وعلى الاسباب فى شرح سياستهم الخربة للبلاد ، وإيقاظ الحمية الاسلامية فى النفوس ؛ ولكن من الخطر إرسال منشورات كهذه بواسطة جمعيتنا السرية فى مصر ، فلو كشفنا رجالها وانكشفوا يقبض عليهم جميعا ، ويعدموا بمقتضى الأوامر العسكرية ، فيحسن أن نلقها بالطيارات مرتين فى الشهر أو ثلاثا

وبعد الاتفاق على أسس المشروع المتقدمة طلب البارون وضع ميزانية له فوضعها الدكتور سيد كامل ، وأطلعنى عليها ؛ وهى تبلغ نحو ٢٥٠٠ جنيه نصفها لمعاونة المندوبين فى البلاد مدة اقامتهم وهى ثمانية شهور ، والنصف احتياطى للنفقات اللازمة تخليف المندوبين . وبعد ذلك اجتمعت فى جلسة مع البارون والدكتور سيد كامل واسماعيل بك لبيب الذى حضر من الشام ، فطلب البارون تخفيضها بخفضهاها إلى مبلغ ١٧٧٨ جنيها

ثم عقدنا جلسة أخرى حضرها نور الدين افندى وسالم افندى مندوبا طرابلس وابراهيم صادق افندى ، مندوب أتيننا ؛ وتوليت تخليفهم اليمين بالصدق فى الخدمة والأمانة فى العمل مع كتمان السر ، ووافق البارون على سفر نور الدين افندى فى الحال .

بينما موسيو كندلى سكرتيره لم يكن ميالا لاستخدامه ، بسبب ظهور حركة منه لم تعجبه ، وذلك أنه أطلعه على صورة زوجته بلا داع ، فاستدل من ذلك على خفته ، وعدم لياقته لمهمة عظيمة كهذه .

وبعد ذلك عدت إلى فينا وتركت الدكتور سيد كامل مع البارون لاتمام العمل

تقرير الدكتور سيد كامل : وفي يوم ١٥ مايو أرسل الدكتور تقريره عن

المشروع ، متضمنا الخطوات التي تلت ذلك ويتلخص فيما يأتي :

أن البارون حادث أنور باشا في المشروع فوافق عليه بالاجمال

وفي يوم ١٠ مايو اجتمع البارون والدكتور ، واسماعيل بك لبيب ، واقترح الأول إدخال تعديلات على المشروع تقضى بعدم استخدام البحارة في توصيل المراسلات إلا في أحوال نادرة ؛ وأن تعطى التعليمات لمدوبينا في أثينا و نابولي ليسكونا مترقين حركة الذهاب والاياب من مصر إليها بالبوآخر لأخذ معلومات عن حالتها ؛ وأن سفر مندوب طرابلس يجب أن يتأخر حتى وصول خطاب القبول من مندوب الاسكندرية

وفي هذه الجلسة تناول البارون الميزانية بالتعديل فرأى أن يحذف منها ألف جنيه مقرر « احتياطاً » لفقات المندوبين ، وأربعمئة جنيه كان مقرراً إرسالها لمدوب الاسكندرية ، بسبب صعوبة الأرسال ، ووجود من يدفعها في مصر من المخلصين للخلافة ، وحذف مبالغ أخرى ، وصلت بعدها الميزانية إلى ٨٧٨ ألفاً فقط ثم حادث البارون سفير ألمانيا في المشروع حتى ينال موافقته ، ولكن السفير قال : إنه غير محقق النتيجة ، فلا يستأيع تحمل مسؤولية نفقاته أمام الحكومة الألمانية قبل عرضه عليها

وعندئذ عرض الدكتور سيد كامل على البارون أن يرفع المشروع إلى الخديو ليتصرف بما يراه ، فأجابه قائلاً : « إننى ما فكرت قط في أن أتخلى عن الاشتراك مع سمو الخديو في عمل نافع لمصر ، وإنما نحن الألمان نحب دائماً أن نشترك مع سموه في العمل ، كما نشترك مع أنور باشا في الشؤون العثمانية » وكلفه أن ينسخ صورة من المشروع ليرفعها هو للخديو عن طريق السفارة الألمانية .

وفي يوم ١٢ مايو تقابل البارون وسفير ألمانيا ، وفهم منه أنه يوافق إجمالاً على

السلف والمرتبات التي تفررت للبرنسات والحاشية : عند حضوري للاستانة يوم ٣١

مارس علمت ، أنه بذلت مساع لدى الداخلية والحربية ، انتهت بتقرير ستمائة جنيه شهرياً للبرنسيس فاطمة اسماعيل ، واربعائة للبرنس ابراهيم حلى ، ونصف مرتب لموظفى القبوكتخدائية ولعارف باشا

فسألت : ولماذا لم يعمم الصرف لجميع الموجودين بمعية الخديو ؟ فكان الجواب إن الصرف قد قرر لمن كان في الاستانة ، فقلت : « إن الأصوب أن يطرح هذا السؤال على المنوط بتسوية المسألة بالنسبة ليوסף باشا ، وكاوتسكى بك والشيخ محمد عثمان وأنا ، فاذا أمكن تعميم الصرف كان ذلك تخفيفاً عن الخديو ؛ وإذا لم يمكن يبلغ الأمر لسموه حتى لا يقول : « إن الذين في الاستانة فكروا في أشخاصهم ونسوا الآخرين »

وفى يوم ١٣ ابريل زرت عارف باشا ، فأخبرنى أنه خاطب طلعت بك فى ترتيب مرتبات لبقية الحاشية ، فطلب أن يكتب جلال باشا للصدارة مذكرة بهذا الطلب ؛ ولكن عارف خشى أن يرفضها الصدر ، فرجا طلعت أن تكتب المذكرة له هو ، فقبل ، لأن مبدأ الصرف سبق تقريره من الصدارة ، فقدم له المذكرة ، ووعد باحالتها على الحربية

وفى يوم ١٦ منه قابلت أنور باشا وأبلغته ما قاله طلعت بك لعارف ، ورجوته فى الموافقة على الصرف حينما تحول المذكرة إليه ؛ ولما كنت على وشك العودة إلى فينا فأرجو أن يتيسر الصرف قبل سفرى . فطلب منى أن أحضر غدا ومعى بيان بالأسماء وبمقدار المرتبات وهو يأمر بصرفها ، وعند ارسال الأوراق من الداخلية تشفع باذن الصرف . وقد تم ذلك وتسلمت مرتبى قبل سفرى .

وقد أظهر أنور باشا استعدادة لصرف ما يلزم للخديو شخصياً أو لنفقات

سراى جبوقلى

وفى يوم ٢٣ مايو (وكنت قد سافرت الى فينا ثم عدت الى الاستانة) قابلت أنور باشا فى منزله ، وأبلغته تحيات الخديو ، وشكره على المساعدات المالية التى قررتها الدولة للصرين ، أما فيما يخص الصرف لسموه فانه سيراجعه إذا لزم ذلك . فقال : « لا يحتاج الجناىب العالى للمراجعة بل عليه أن يأمر بما يريد »

المشروع ، وأن تكون سفارة ألمانيا في الأستانة مركزاً من المراكز ، إلا أنه يرى ضرورة تقسيمة إلى قسمين : السياسى ويبقى على ما هو عليه ، والحربى الخاص بالقتال والمفرقات فيترك لأنور باشا . وعلى ذلك نقصت الميزانية إلى ٣٢٨ جنياً والسبب فى تقسيم المشروع هكذا أن أنور باشا غير مستريح لتدخل الألمان فى شؤون الدولة العسكرية .

اسماعيل ليبب يفكر فى مشروع مستقل : ولما رأى اسماعيل بك ليبب هذه التقلبات التى لحقت بالمشروع ، عزم على الانفصال عن البارون ، وتنفيذ مشروع مستقل ؛ وذلك بأن أنتقى ستة من الشبان المصريين فى كلية الطب والمدرسة الحربية الأعدادية بالأستانة ؛ وبث فيهم الروح الفدائية للقيام بأعمال وطنية فى مصر ، واتفق مع أنور باشا على تعليم أربعة منهم صنع المواد المفرقة ، وعلى أن يذهب الخامس للسويسرة الألمانية والثانى يذهب لمصر ، ويتلقى مراسلات من زميله ، وإذا أمكن دخول هذا الشاب إلى مصر أمكن التأكد من دخول الأربعة للقيام بأعمال تهديدية بالقاء القنابل والمفرقات .

تقرير البارون : وفى يوم ٢٣ مايو وصل إلينا فى فينا تقرير من البارون أوبنهايم ، فاجتمعت اللجنة المؤلفة للنظر فى كل ما يهيم الخديو ببحته ، وبعد تلاوته تتناقشنا فيما إذا كان الخديو هو الذى يتولى الاتفاق على المشروع الأسمى ، أم يترك الاتفاق حسب التعديل الأخير للبارون ، فاقترحت أن نتركه إليه ، ونقول له : « إذا كان العمل والاتفاق عليه سيضر بمشروع جريدته ضرراً مالياً ، فالخديو يقوم بدفع المبلغ كما هو فى الميزانية الأخيرة » إلا أن الخديو رأى أن نقبل المشروع المختزل ، وأن يكون تنفيذه بواسطة الألمان مع استخدام رجالنا ، حتى إذا فشل لا تقع التبعة علينا ، بوأشار بسحب الدكتور سيد كامل من خدمة البارون ، فقلت : « إن الأحسن إبقاؤه ، لئلا يقال إننا نقضنا أيدينا من الألمان » فوافق محمد بك فريد على ذلك ، وقال : « إن وجود الدكتور يفيدنا لأنه رجلنا ويمنع أى ضرر عنا ويخبرنا بكل ما يصنع البارون »

فقال الخديو : « أنا حينما كنت أحضر مجلس النظار وأعارض فى مسألة ، وهم يخالفونى فيها كنت أقول لهم : « الأغلبية فى جانبكم فأنا لا حيلة لى إلا ضم صوتى إليكم ، وأنا الآن أقول لكم ذلك »



الشريف فيصل

فيصل ، فعلمت منه أن العلاقات كانت بين والده والوالى السابق وهيب باشا سيثة ،

الشريف فيصل ومهمته فى الاستانة

فى يوم ١٣ ابريل قابلت عارف باشا فأخبرنى أن الشريف فيصل بك (١) حضر إلى الاستانة من مكة ، يحمل من والده الشريف حسين شكوى من نادى الاتحاديين هناك ، لأنه ضبط جملة خطابات أرسلها النادى إلى المركز هنا يطلب فيها عزل الشريف حسين وتعيين الشريف على المقيم بمصر ، وذلك لأن الأخير استمال اليه أعضاء هذا النادى ومن بين هذه الخطابات خطاب بموء بالشتائم للصدر . والشريف يهدد بالاستقالة إذا لم يبعد هؤلاء المفسدون وفى يوم ٢٣ منه زارنى الشريف



الجنرال وهيب باشا



الشريف حسين

(١) المرحوم الملك فيصل

وكان في معاملته له شديدا ، وربما كان متبعاً لأوامر الاتحاديين في ذلك ، وأنه كانت هناك دسائس ضد والده من الشريف علي بمصر والشريف حيدر بالاستانة اتهم الشريف حسين بموالاة الخديو ثم الانجليز : وأن والده وفق للحصول على بعض مراسلات بين زادي الاتحاديين بمكة ومركزهم بالاستانة ، ورأى فيها أنهم كانوا يهتمونه من قبل بالتشجيع للخديو ، والآن يهتمونه بموالاة الانجليز ؛ وأنه لما وصل إلى الشام أطلع جمال باشا على هذه الأوراق المضبوطة ، فطيب خاطره ؛ وحادثه في مساعدة العرب للدولة بالرجال عند تحرك الحملة على مصر ، وقد أظهر الشريف فيصل شعوراً طيباً نحو الخديو .

عواطف العرب نحو الخديو : ثم قال : « ونحن العرب لو لم نعلم أن الدولة سترجع سموه إلى أريكته ما قبلنا مساعدتها ، ومما يؤسف له أن بعض المصريين يدسون الدسائس ضد خديويهم ، وقد رافقني الدكتور احمد فؤاد من الشام إلى الاستانة ، وعلمت منه أنه ضد سموه ، ولكنه إذا لم يعتدل فانتا لا نبقى له أثراً »
ثقة أنور وطلعت بالشريف حسين : ثم ذكر لي أنه لما حضر إلى الاستانة وأطلع أنور باشا وطاعت بك على الرسائل المضبوطة أظهر له أسنمهما وثقتهما بوالده . فقال لهما : إن كانت ثقة الحكومة العثمانية به لاتزال فعليها أن تقدم الترضية . وقد أكد لهما أن والده مستعد للتخلي عن الأمارة إن لم تكن الثقة به متوافرة ؛ أما إذا توافرت هذه الثقة فانه يرسل الرجال ، وعلى الدولة مساعدته بالذخيرة والسلاح والمال ... ولم يحدد لي مقدار من يستطيع والده تجريدكم للحرب ، ولكنني فهمت أنهم نحو عشرة آلاف . وقال لي عن عرب الشام : « إنهم طيبون ، ومتى شاهدو عرب الحجاز تشتد الحماسة في قلوبهم »

العمل مع فيصل وأوبنهايم للتوفيق بين الشريف والأتراك : وقد اشتغلت بعد ذلك مع البارون أوبنهايم والشريف فيصل مدة أسبوع في عمل اتفاق نهائي بين والده والحكومة العثمانية ، وكنا تارة نجتمع في فندق بيرابلاس ، وتارة عند الشريف فيصل في منزله بأعلى بيوكدره وفي بعض الأحيان كنا نقضي السهرة عند البرنس ابراهيم حلمي ولا نرجع إلا بعد منتصف الليل ؛ وكان الشريف ناصر أخو الشريف حسين يحضر بعض الاجتماعات . وفي هذه الجلسات شرح لنا الشريف فيصل كل ما يختص بالحالة الحاضرة بين والده والأتراك وهي تتلخص فيما يأتي :



الشريف ناصر

١ - إن الحجاز يعتمد في مؤونته على المحصولات الخارجية التي ترد إليه بواسطة السفن الانجليزية ، لأن البلاد العربية تنتج محصولا قليلا وهي في حاجة إليه موضعياً ، فلا تكفي محصولاتها لتأمين الحجاز ؛ علاوة على أن الخط الحديدي الحجازي ينتهي بمكة وهو خط فردي غير مزدوج ، فلا يستطيع القيام بسد حاجات التموين من الداخل ، فاذا انقطعت الواردات من الخارج ، حصلت مجاعة تجر إلى ثورة العرب ، وهذا هو الذي يضطر الشريف إلى التعامل مع السفن الانجليزية .

٢ - كانت العلاقات بين الوالى التركى وهيب باشا والشريف حسين يتخللها الجفاء وسوء الظن ؛ فكانت الحملات التي يجزها الشريف في بلاد العرب والعسير ليخمد بها حركات ضد السلطنة العثمانية ، تقابل بالريبة والحذر .

٣ - فيصل يلفت النظر للدسائس التي يقوم بها الأمير جعفر الأخ الأصغر للأمر على حيدر المشترك في نادى الاتحاد والترقى بالحجاز ؛ والذي يطمع في عودة الامارة إلى أسرته .

٤ - بين الشريف فيصل دقة موقف والده في أثناء الحج بين الأجناس المختلفة والمذاهب المتعددة . يقابل ذلك أن الشريف ومن حوله يتمتعون بدخل عظيم من الحجاج ، وإذا وقع الحجاز تحت الحكم الانجليزى ، فان نفوذه يهبط كثيرا . فهو من هذه الوجهة مرتبط بالخلافة لارتباط جميع المسلمين بها ضد العدو المشترك ، فيجب أن يثق به الاتراك ويعدوا عن أذهانهم فكرة عزله ، وبذلك لا يدفعون به إلى اليأس حتى يستطيع أن يتظاهرا أمام الانجليز بحياده التام فيضمن تموين الحجاز ويمنع عنه المجاعة والثورة . وبهذا يحفظ كيان الوحدة العربية

وقد انتهت هذه المداومات بيننا وبينه ، ثم بينى وبين أنور باشا وطلعت باشا

بالانفاق على ترضية شريف مكة وتأمينه على مركزه . وسلم السلطان لفصيل سيفاً هدية لوالده ، وكتاباً من طلعت باشا يؤكد فيه ثقته به .

وبعد ذلك سافرت من الاستانة إلى جنيف لأُمور عائلية ثم إلى فينا . وقد وصل إلى تقرير من الدكتور كامل جاء فيه عن هذا الموضوع ما ملخصه :

أنه بعد سفرى اجتماع الشريف فيصل بالبارون في بيرا بالاس ، وحضر الدكتور الاجتماع ودار الكلام في تنظيم دعاية يقوم بها الشريف حسين في البلاد الاسلامية لاثارة شعورها وحمتها نحو الدولة ، فأبدى الشريف فيصل أن هذا المشروع يشمل ارسال المندوبين إلى البلاد الاسلامية ، التي ليست في حوزة الدولة وهذا العمل سهل . ولكن إذا أريد أن يتناول اشعال ثورات في السودان المصرى والهند الشمالية والصومال الانجليزى فان وجه المسألة يتغير ، وتجب ملاحظة ما يلزم من النفقات لذلك العمل الكبير . ثم أظهر أن والده قادر على اشعال ثورات في هذه الجهات . ولكنه هو لا يستطيع الآن أن يبين الطريق التي يسلكها لهذه الغاية ، كما أنه يقول هذا الكلام بصفة شخصية ، ولا بد من تصريح والده بالقبول

ثم عاد فعدل عن كلامه مكتفياً بارسال مندوبين للدعاية وإذاعة الأخبار ولكن البارون تشبث بما عرضه فيصل ، وألح عليه في بيان ما يلزم من النفقات . فأجابه بأن المبلغ يتراوح بين ثلاثين وأربعين ألف جنيه .

ثم قال الشريف : « إن أنور باشا دفع اليه خمسة آلاف جنيه لتجهيز قوة منظمة تلحق بالحملة الزاحفة على مصر ؛ وهو يخشى أن يمزج أنور بين هذا العمل الحربى ، والمشروع الذى يعرضه الآن ، والواجب التفرقة بينهما ،

وبعد ذلك ذهب البارون لسفير ألمانيا البارون ونجهايم ، وأطلعه على ما عرضه فيصل ، فأظهر ارتياحه لذلك ، وكلفه بمقابلة أنور باشا ، لأخذ رأيه ، وصرح له بأن الدولة إذا لم تدفع المطلوب فان ألمانيا مستعدة لدفعه

وفى يوم ٨ مايو تقابل الدكتور مع الشريف على انفراد فسأله باعتباره أحد رجال الخديو المخلصين ، عن رأيه في الخطة التي يتبعها مع رجال الدولة هو ووالده . فنصح له بالألا يحدد مبلغاً معيناً خشية عدم كفايته ، وأن يترك ذلك لوالده ؛ وأنه يحسن عدم التعهد باحداث الثورات في هذه البلاد من الآن ، حتى إذا لم يفلح المسعى اكتفى بالدعاية السلمية ؛ فوافق على نصائحه ؛ ثم طلب منه أن يبلغ البارون أنه يطلب لوالده

سلطة تامة في كل ما يتعلق بالشؤون الحكومية في الحجاز تسهلاً لهذا العمل ؛ وأنه في حالة عدم النجاح والتشكك في والده ، فهو يفضل الاكتفاء بالدعاية .
وقد أبلغ البارون هذين الطلبين ، فرفض الحديث في الطلب الأول لأنه يعد تدخلا من الألمان في شؤون الدولة ، ووعد بالكلام مع أنور باشا في الطلب الثاني .
وقد تحادث البارون مع أنور ، فوافق على المشروع مبدئياً دون الدخول في التفاصيل .

المشروع النهائي وانتهاء مهمة فيصل : وفي يوم ٩ مايو قابل الشريف أنور باشا فسلمه رسالة الترضية ، وفي طيها ورقة بالتركية تشمل نقط المشروع المراد تنفيذه . وهي مختصرة تتلخص فيما يلي :

- ١ - تسيير أحد أجنال الشريف مع قوة منظمة للالتحاق بالحملة على مصر
 - ٢ - إذاعة إعلان الجهاد في البلاد الإسلامية الأجنبية
 - ٣ - إرسال مندوبين لهذه البلاد وتوزيع الرسائل والمنشورات
 - ٤ - السعي للفتك بمن يراد قتلهم من الأعداء
 - ٥ - توصيل الأخبار التي تنمى الى الشريف من الخارج إلى تركيا
 - ٦ - الاتفاق مع الوالي على النفقات اللازمة لهذه الأعمال
- وفي يوم ١٠ مايو سافر الشريف من الاستانة
تقرير أوبنهايم : وقد كتب البارون أوبنهايم تقريراً عن هذه المسألة سرد فيه كثيراً من الحقائق التي تقدم ذكرها وما جاء فيه :
- « لقد كادت مهمة فيصل تنتهى بالفشل ، فرأيت من الواجب تلافي الحالة محافظة على التفاف البلاد العربية حول الخلافة ، وكان من الظروف الحظية وجود أحمد شفيق باشا معي في هذا الوقت بالاستانة ؛ وقد كنت أعرفه من أيام وجودي بمصر .
ملحظاً عسكرياً للقنصلية الألمانية ؛ وهو يعرف فيصلاً من أيام حج عباس .
« وشفيق باشا هو الذي دبر اجتماعاتنا في بيرا بالاس بعد ما أخذ فيصل إذا من طلعت في أن يتفاهم معي

« وقد وجدت أقواله التي أدلى بها مطابقة لمعلوماتي الخاصة التي جمعتها من تحرياتي »
« وفي مبدأ الأمر كنت متشككاً في فيصل ثم وثقت به ، وتمكنت من إنهاء المسألة بمساعدة شفيق باشا الذي كان في مركز يسمح له بأقناع الحكومة التركية بحسن نية فيصل ، وفسح المجال له ليتصرف »

« ومن الغريب أن التقارير التي قدمها سير مكهاون وسير ونجت ، عن الميدان الشرقى ، دلت على أنهما كانا يبذلان جهداً عنيفاً لفصل الشريف حسين من الأتراك ولكن لم يحصل شيء من ذلك في خريف سنة ١٩١٥ لأن فيصلاً عاد من الأستانة مطمئناً .

« وكانت النتيجة أن حاصر الانجليز شواطئ الحجاز . ولو انضم الشريف اليهم في هذا الوقت الذى كان الاسطول يهدد الدردنيل لكانت ضربة قاضية على الأتراك ولكن فيصلاً ظهر فى الخريف بفريق من البدو إلى جانب الجيش الرابع الذى يقوده جمال باشا ؛ ولو أنه لم يكن لهذا العدد القليل أهمية عسكرية ، ولكن كانت له دلالة معنوية كبيرة

« واختار فيصل بناء على طلب جمال باشا أن يقيم فى دمشق كأنه كان رهينة فى يده »
خشونة جمال باشا تسبب انضمام العرب للانجليز : وفى أثناء حديث بينهما طلب فيصل أن يراعى جمال باشا عواطف العرب فى الشام لأن اعدام بعض الوطنيين والمعاملة الشديدة التى عوملوا بها أثارت استياءهم فأجابه بحدة : « بأن ما عمله كان ضروريا ولو أن والده الشريف حسين حدث منه ما حدث من الوطنيين فى الشام لللقى جزاءه مثلهم »
فاستاء فيصل لهذا الجواب الخشن وأضمره فى نفسه ، وقرر أن يغادر الشام إلى الحجاز خفية .

وقد فعل وانتهت المسألة بانضمام شريف مكة للانجليز
الانجليز يعرضونه ولاية العراق على عبد المنعم : علمت فى يوم ٧ مايو من (ى . بك) أن الانجليز أوفدوا الى البرنس عبد المنعم ، شقيق قنصل الانجليز فى جنيف ، فعرض عليه قبول ولاية عهد السلطنة المصرية فأجابه الأمير بالفرنسية :

“Pour qui vous me prenez, je ne suis pas un fils qui trahit son père „

وترجمتها « من تحسبنى ؟ لست الولد الذى يخون والده » وبذلك انتهت المسألة

الطريف بين الحريز ورماله والوطنيين وصفه الى السوسنة : فى يوم ١٢ يونيو اجتمعت مع يوسف باشا ومحمد فريد والشمسى والدكتور سيد كامل ولييب بك ، وقد

عاد إلى فينا بأمر عباس ، فلاحظ يوسف باشا أننا نسير بلا نظام في عملنا ، وأنه وضع أسئلة للبحث فيها وتقرير خطة معينة للعمل بعد الجواب عليها

بحث موقف الخديو من جميع الوجوه : وفي يوم ١٣ اجتمعنا للبحث في الأسباب التي حملت المصريين الوطنيين عند إعلان الحرب الحاضرة على انضمامهم لتركيا وحلفائها ، وقررنا أن السبب ، هو الأمل في تخليص مصر من الاحتلال الإنجليزي ، والقيام بالواجب نحو الدولة العلية .

وكان السؤال الثاني : هل كان المصريون الوطنيون يؤملون إعادة استقلال مصر الداخلي حسب فرمانات وكان الجواب بالإيجاب

وبحثنا في السؤال الثالث : وهو ما الضمانات التي أخذت للوصول إلى تحرير مصر من الانجليز مع حفظ امتيازاتها ، والجواب هو ما أعلن في الارادة الشاهانية ويحسن الاستزادة من هذه الضمانات

وفي يوم ١٤ منه بحثنا في الأسباب التي أدت إلى خروج الخديو من الاستانة فاستعرضنا هذه الوقائع واحدة فواحدة ، وبعد عدة جلسات كانت الآراء النهائية : أن ما حدث يدل على تحول في السياسة التركية نحو مصر والخديو . ورأى ثان - وهو رأى - أن هذا لا يدل على تحول بل ما حصل كان مجاملة للصدر الذي يحقد شخصياً على الخديو . ورأى ثالث باحتمال الرأيين السابقين . وعلى العموم فقد قررنا أن يتقرب الخديو من رجال تركيا وأن يعود إلى الاستانة لمناسبة شهر رمضان حسب دعوة السلطان ويقيم عدة مآدب يدعو إليها رجال تركيا

وفي يوم ١٦ اجتمعنا في جلستين واقترح يوسف باشا أن يتبع الخديو خطة تهديدية للحصول على ضمانات لمصر ولشخصه ، وذلك بأن يهدد بتنزله عن عرشه وإعلان ذلك لرجال تركيا وألمانيا والنمسا ، وهم يخشون تصريحاً كهذا يعرقل عمل الحملة ، وإسكتنا لم نوافق عليه ، واعتبرناه سلاحاً ضدنا للصدر يقنع به الألمان بعداء الخديو ، فسحبه الباشا ولم يقيد في المحضر

وبعد ذلك عملنا تقريراً وافياً بواسطة الدكتور سيد كامل ، وعرضناه على الخديو يوم ١٨ منه فوافق عليه ، ماعدا نقطة التقرب من الاتراك فإنه تلقاها واجماً ؛ وعندما سمع قرارنا بعودته إلى الاستانة في رمضان ، جاهر باستيائه من هذا القرار ألم الخديو من بعض القرارات : وفي اليوم التالي بينما كنت داخل عند الخديو -

وقد عرفت أنه متوعك - سمعته يقول بعد التأوه « لما كنت في مصر كان الناس يقولون : إنني سبب الاصطدام مع الانجليز وسبب الارتباك التي تقع ، والآن هاهم أولاء يقولون : اني سبب الشقاق مع الترك فأنا في حيرة » . وقد هممت أن أصرح الخديو في هذه النقطة برأى لولا أنني وجدته متوعكا ، فأشفقت عليه ، وصمت



عبد الله البشري افندي

خلاف الخديو مع رجاله : وفي يوم

٢٦ تقابلت مع « مدام روشبرن » صديقة فريد ، فأخبرتني بأن الخديو صار حبا باستيائه من قرارنا الذي يشير برجوعه إلى الاستانة لمناسبة شهر رمضان ، وقال : « إنه لن يعمل بهذا القرار ، وكذلك سمعت من عبد الله البشري افندي وكان قد وصل إلى فينا يوم ٢٩ منه أن الخديو متألم من قراراتنا ويقول عنا « هم يريدون انتحاري » !

سفر الخديو إلى سويسرة : في يونيو

وردت لي برقية من عائلتي بجنيف لأسافر إليها ، فقلت ليوسف باشا : « إنني سأطلب

أجازة بضعة أيام فقال : « ولكني أنا أيضاً طلبت أجازة ، ورخص لي فيها ، فأجبت به بأنه يجب ألا نترك الخديو وحده . وكانت صاحبتة واقفة فقالت : « الخديو لا يريد أن يرى أحدا منكم » فامتعضت لهذا الكلام وأجبتها بأنها غير صادقة فيما تقول ، وطلبت منها أن تتركنا نؤدي واجبنا نحو أميرنا ، ثم أدت لها ظهري وخرجت غاضبا . وقد سافرت بأجازة بضعة أيام ؛ ولكن جاءتني برقية من جلال الدين باشا بأن أبقى لحين صدور أوامر أخرى ؛ ففعلت حينئذ أن الخديو لا يرغب في وجودي كما صرحت صاحبتة

رأى رجال الخديو في موقفه : وقد اجتمعت هناك بالاستاذ فهمي وأطلعته

على قراراتنا فوافق عليها .

وفي يوم ١٢ يوليو قابلني على بك الشمسي ، وأخبرني أنه كان في «لوسرن» منذ

أربعة أيام ، وأن الجناب الخديوى حضر إليها ، وعلم منه ما يأتى :
أن سفير تركيا فى فىنا تسلم مع سموه فى السفر الى الاستانة لتمضية شهر رمضان
وقال له : إنه بلغه من فريد بك أن جميع المصريين على هذا الرأى ، وأنه سىخاطب
وزير خارجية المانيا فى ذلك ، فظن سموه أن الرأى سىتفق على ارساله الى الاستانة
رغب أم لم يرغب ، وخاف من ذلك . فقال للسفير : إنه الآن يغير الهواء وسيمر
على كارلسباد ، ومر عليها فعلا بالسيارة وحجز له غرفا فيها ثم رجع الى فىنا دون
أن يدخل الفندق ، وتنقل من مكان الى آخر فيها ، حتى جاء ميعاد القطار المسافر
من فىنا الى « انسبروك » فركبه هو وصاحبه وخادمتها ، ويوسف صديق وعبدالله
البشرى ، وجاءوا الى لوسرن بجواز ألبانى حرره له ثريا بك معتمد ألبانيا فى فىنا
بصفة سموه ألبانيا (يعنى أنهم هربوا)

وقد علمت أن هذا هو سبب غضب الخديو على وإرسال البرقية لى بالبقاء
فى جنيف

وأخبرنى الشمسى أيضا أن سموه يقول : « سيقول رجال الحزب الوطنى ومن
معهم (يعنى شفيق) إننى خائن ؛ وهم لا يعلمون شيئا من دخائل السياسة التى
أعرفها ، وأعرف ما ترمى إليه أعمال الأتراك »

وفى يوم ١٣ منه اجتمعت معه وتفاهمنا فيما يجب علينا نحن المصريين بازاء
خروج الخديو بهذه الصفة ، ووجود اشاعة بأن سموه ينوى الاتفاق مع الانجليز
على أن يتنازل عن الخديوية نظير اعطائه مخصصات سنوية قدرها ٢٠ أو ٢٥
ألف جنيه ، وتولية ابنه بعد السلطان حسين . وقد قلت للشمسى بك : « اننى لن
اتقهقر أمام سموه عند مقابلتى له ، وسأسأله عن حقيقة نيته ، وإذا كان يريد التنازل
فانتا تتخذ الخطة مع الأتراك والألمان لتولية البرنس عبد المنعم ، وهم يفضلون ذلك على
رجوع الخديو الى الاستانة » ثم استقر رأينا على طلب فريد للتفاهم معه فى الأمر

وفى يوم ١٥ منه اجتمعنا به وكان رأينا جميعا أن عمل الخديو يؤخرنا
خطوات ، بعد أن كنا تقدمنا خطوة بالرسالة التى بعث بها الى الصدر كما أسلفنا

ثم حضر عندنا يوسف صديق ، فأخبرنا أن الخديو فى الأيام الأخيرة كان يخفى
عنه أسراره ، ويتحدث فقط مع محمد باشا يكن ، وأنه برىء من الاشتراك فى
تدبير أمر الخروج من النمسا ، وصرح لنا بعزمه على ترك خدمته .

وفى يوم ٢٨ يوليو زارنى عبدالله البشرى ، وعلمت منه أنه حضر لمقابلة يوسف صديق وابلاغه رسالة قال عنها : « إنها ثقيلة » فقلت : « إن الأحسن إذا شاء الخديو أن يتخلص من أحد رجاله أن يكون ذلك بالحسنى ، بدلا من الانفصال بضجة » فقال عبد الله أفندى : « الظاهر أن أفندينا رامى طوبتها » وقال لى : « هلا تذهب لمقابلة الخديو ؟ » ففهمت أن عباسا هو الموعد بذلك ، فقلت : « إننى لا أذهب ما دام عندى أمر من جلال الدين بالألا أحضر إلا بطلب »

تهديد تركيا للخديو بسحب الأوسمة وشكوى عباس للسلطان : وفى يوم ٢٠ أغسطس

علمت أن ضيا بك قنصل جنرال الدولة فى جنيف قابل الخديو — ولم أعلم فى هذا اليوم ما دار بينهما — ولكن فى يوم ١٣ سبتمبر لقيت الأستاذ فهمى فأخبرنى أنه قابل الخديو فأظهر له تألمه من رجاله وأنهم خانوه ، فأبلغوا اسراراً قررت بينهم وبينه إلى سفير الدولة بفينا ، وهى الخاصة برجوعه إلى الاستانة فى شهر رمضان . ثم قال له « والآن يحضر قنصل جنرال الدولة فى جنيف ، ويهددنى بأننى إذا لم أرجع فان الدولة تسترد منى الرتب والنياشين . وفى أى شىء تنفعنى هذه الرتب ؟ وهل كان يصح أن يذهب شفيق وفريد ويخبرا سفير الدولة فى فينا بسر من أسرارنا ؟ »

ثم خاطب الأستاذ فهمى قائلا : « والظاهر أنك وافقتهم على فكرهم ولا أعلم ماذا قالوا لك حتى اقتصعت » فرد : بأنه موافق نعم على فكرة الرجوع إلى الاستانة فى رمضان ؛ فقال الخديو « وما هى الجريمة التى ارتكبتها فى مجيئى إلى سويسرا ؟ وهل يخطر على بال أحد أنه بمجرد خروجى من النمسا اعتبر قد عزمت على الاتفاق مع الانجليز كما يشيعون ؟ ! »

وبعد خروج قنصل الدولة حرر الخديو الشكوى الآتية :

شكوى عباس من قنصل تركيا فى جنيف : مولاي يا صاحب الجلالة . أتشرف

بأن أعرض على مسامع جلالتم أن أسبابا شخصية أوجبت على منذ زمن وجيز أن أذهب إلى السويسرة

وبناء على الأوامر التى صدرت من الباب العالى إلى قنصل جنرال الدولة العلية والتى استغرقت لها ، عرفنى بأن وجودى فى السويسرة غير مرغوب فيه ؛ وفى بلاغ آخر أمرنى بالرجوع إلى الاستانة فى الحال ، وطلب منى الاجابة اما بالقبول أو الرفض

بدون شرط ولا قيد . وفى ١٨ أغسطس أخطرت الباب العالى ردأ على ذلك بأنه لم يدر بخلدى الامتناع عن الرجوع إلى الاستانة، وما كان حضورى إلى السويس إلا لأسباب اضطرارية وانى اكرر الاعراب عن اخلاصى لجلالتكم، وولائى منذ تبوأتم عرش مصر سنة ١٨٩٢ للدولة العلية صاحبة السيادة، وأن الحوادث الأخيرة لتدلكم على محبتي لجلالتكم واخلاصى لدولتكم، مما يفرضه على شعورى الدينى، ويوحى به إلى ضميرى

وقد مضت أربعة أيام بعد ارسال الرد المشار اليه ، وإذا بالقنصل يرى من واجبه أن يخطرنى بالرجوع بواسطة محكمة احدى المقاطعات السويسرية فخرى عندى موظف من قبل البوليس المدنى فى يوم ٢٤ أغسطس ، لى يسلمنى شخصيا هذا الاخطار ، ومعه وصل طلب منى التوقيع عليه بما يفيد الاستلام، فلم يسعنى إلا أن أرفض رفضا صريحا ، لاجئنا إلى بابكم العالى محتجا على أعمال هذا القنصل وانى لأسائل نفسى — وما كنت انتظر هذه المعاملة من بعض رجال الحكومة السنية — أى شىء اقترفته حتى استوجب هذه الشدة وهذه الغلظة ؟ إلا أن هناك أراجيف وأكاذيب اشيعت فى الاستانة فوجدت آذانا صاغية وقلوبا واعية ، وهذه الأراجيف وهذه الأكاذيب من بعض ذوى النيات الخبيثة ، والنفوس الدنيئة ، يريدون بها ارضاء حزب يدعى خيانتى للدولة، وأنى منفصل عن الغاية المنشودة ، وانى كنت متصلا ببعض الدول المعادية لها، وما أكذب هذا الافتراء وهذه الأقاويل ؟ لقد حضرت إلى السويس مرة ، دون أن يستوجب حضورى سوء ظن الباب العالى ولو صح هذا الادعاء لكان الأولى به وقت وصول الجيوش الروسية إلى حدود أراضى المجر، والحملة على الدردنيل فى بادى أمرها . مع أنى اليوم أرى أن الجنود الشاهانية تذود ببسالة عن حى الدولة ، بينما جيوش الممالك المتفقة معها تنتصر فى الشرق انتصارات عظيمة متوالية؛ وأن الوقت لم يحن لانفصالى عن الغاية المقدسة المشتركة التى هى محور الرجاء وقبلة النظر ، وانى منذ صارت انجلترا وروسيا يداً واحدة لم أر نجاة للدولة العلية إلا فى تقريبها من ألمانيا؛ وتلك هى نظرتى التى لا يزال الزمن يؤكد لها . وأختم شكواى لجلالتكم بأننى أمل غير الذى حصل وأرجو زوال الوسواس القائمة من شهور عدة بينى وبين الدولة العلية ، رغما عن

بذل مجهودى فى استئصالها ، والسبب فى كل هذا هو سوء ظن الحكومة العثمانية بما لا استحقه ، حتى استبعدت كل الاستبعاد منذ أكثر من عشرة شهور من مهمتى الحقيقية ، التى كان فى إمكانى أن أقوم بها لبلوغ الغاية العامة لبلادى وللدولة صاحبة السيادة ، وفى هذا الوقت العصيب أبدى لجلالتكم أننى أود أن أظل دائماً مخلصاً لجلالتكم صبوراً على تحمل الصعاب . وانى فى انتظار النتيجة النهائية التى أرجو أن تحصل ، فى عظمة ورفاهية دولة جلالتمكم

بينى وبين الخديو : وفى يوم ٢٤ منه وردت لى رسالة من عبد الله البشرى يقول فيها : « ان الخديو أمره أن يكتب فى طلبى مع السرعة فى الحضور » فسافرت إلى لوسرن . وفى صباح ٢٥ منه لقيت الدكتور سيد كامل ، ثم عبد الله البشرى ، وتوجهنا لمقابلة الخديو ، وكان فى الرياضة ، ولما دخل سأل : « كيف أنت يا شفيق ؟ » فأجبت : « بخير » وهممت بتقبيل يده فسحبها منى دلالة على أن فى نفسه شيئاً ، ثم جمعت مع كل المصريين الذين كانوا فى لوسرن ، وكان يقصد أن يعاتبنى بمسمع منهم حتى لا أستطيع الرد عليه بصراحة ، وهم : محمد باشا يكن ، والشيخ محمد عثمان ، وعبد الله البشرى ، والدكتور سيد كامل ، وغيرهم . ثم سألنى عن مقابلتى لسفير الدولة ، ففقت ما نمى إليه من أننى أبلغت السفير شيئاً ، ودلت على كذب هذا الخبر بأن فريد لم يكن معى مطلقاً كما يقولون . وكذلك بعد سفرى إلى الاستانة لم أتحدث إلا مع التحفظ ، فلما سئلت عما إذا كنتم سموكم ستزورون الاستانة فى رمضان أجبت : بآنى لا أعلم — وقد يقع ذلك إن شاء الله — وتلك هى رغبتنا جميعاً (وكررت هذه الجملة) ثم خاطبت سموه بحدة قائلاً : « يا أفندينا كل الذين يعملون معك لا يعرفون نياتك وخطاك السياسية ، وكل منهم يخمن تخميناً فيما يريد : وأنا أيضاً لم أفهم سياستك ولا أعرف الوجهة التى تقودنا إليها : وأنا بصراحة المعهودة لا أستطيع أن أكنم عنكم ما أعقده صواباً ، ولست كموّلاء الذين حولك فهم لا يجسرون على مصارحتك بآرائهم ، ولقد تحالفنا مع الاتراك ، والآن إذا تركناهم فالى من نذهب بعد عدائنا للانجليز ؟ » فقال : « أما سياستى فهى الانتظار هنا حتى نعرف نتيجة الحالة »

وبعد ذلك قال سموه : « وهناك مسألة أخرى غير مسألة السفير التركى ، وذلك أنك لم تدافع عنى عندما هاجمنى محي الدين بك جلال بخصوص فكرة المستشفى بالاستانة » فرددت عليه بأننى لم أقصر فى الدفاع عن سموه ، وتأدية الواجب الذى يحتّمه على ضميرى

ثم تركته على أن أعود في الساعة الثالثة والنصف بناء على طلبه . وبعد خروجنا قال الدكتور سيد كامل : «لنجهت في ارجاع الخديو إلى فينا » . ولما اجتمعنا به حسب طلبه كانت المناقشة هادئة ، وحاولت اقناعه بخطر الإقامة في سويسرة إذ يفسر الاتراك ذلك بأنه عدااء لهم ، ويدخلون هذا في روع الألمان ويزينون لهم ترك الخديو ، والحملة في طريقها إلى مصر ؛ ووافق الدكتور على ما قلت . فرد سموه بأنه لا يأتمن الاتراك ؛ ويعتقد أنهم لن يرجعوه إلى أريكته ، وكذلك هو لا يثق بالألمان لأنهم يحابون تركيا؛ وقد كذبوا عليه كثيرا في وعدهم له بمقابلة الامبراطور . فقلت : « يامولاي أن الألمان لا يريدون اغضاب الاتراك وإنه نظراً لسوء التفاهم بيننا وبين رجال الدولة تحاشوا مقابلة سموكم للامبراطور ؛ فاذا حسنا العلاقات مع تركيا تحسنت أيضا مع ألمانيا »

ثم خرجت والخديو غير مقتنع إلا برأيه بالبقاء في سويسرا
سوء ظن الخديو برجاله : وقد ظلت الحالة تتخرج بين الخديو والرجال الذين يعملون معه ، ويزداد سوء ظنه بهم يوما بعد يوم ، ويزيد ذلك في بعدهم وتفرقهم من حوله . ومن ذلك أنه في يوم ١٠ ديسمبر وكنت بحضرته قال عن فريد : «إنه كان مخلصا ووطنيا ولكن لما اختلط في أوروبا بالطلبة فقد مزايا الرجولة ، وأصبح يعتقد أن خلاص مصر اما يكون بانشاء جريدة يكتب فيها كلام ، في حين أن السلام يذهب في الهواء والواجب هو الجهاد والتضحية ! »

وكان هذا بمناسبة عرض فريد لفكرة انشاء جريدة في سويسرة تدافع عن حقوق مصر ورفض الخديو ذلك في الوقت الذي اشترى فيه لصاحبه بعض الجواهر وأعطاهها مبالغ كثيرة من النقود الألمانية

ترويه انذار لعباس : ونظراً لهذه الأحوال دعوت كلا من محمد فريد بك وعلى الشمسي بك واسماعيل ليب بك والاستاذ محمد فهمي إلى منزلي ، وتذاكرنا في هذه الحالة ثم قررنا كتابة الانذار التالي لعباس :

« مولانا الخديو المعظم

« قامت الحرب الأوربية من نحو عام ، وكان سموكم موجودا بالاستانة العلية ولما أردتم العودة الى مصر مقر الأريكة الخديوية منعكم الانكليز من ذلك ، عندها فكرتم في الاتفاق مع تركيا ، وقد تم ذلك بينكم وبين سعادة ناظر الحرية أنور باشا

وحضور ممثل دولة ألمانيا الفخيمة البارون وانجهايم ، وقد رأى الوطنيون أيضاً ضرورة اتفاق جميع طبقات الأمة المصرية على اختلاف احزابها ، والتفافها حول سموكم لانتهاز هذه الفرصة السانحة لتخليص مصر ، لذلك اجتمعنا بالاستانة وقررنا السير معاً للوصول إلى هذه الغاية الشريفة ، فلما شعر الإنكليز بأن سموكم يعمل بالاتفاق مع رجال تركيا والوطنيين المصريين طلب سفيرها بالاستانة منكم السفر إلى إيطاليا للإقامة بها ، حتى تضع الحرب أوزارها ، فرفضتم الانصياع لأوامر الدولة المحتلة وفضلتم تحمل كل ما ينجم عن ذلك من النتائج السياسية وغيرها ، وقد وقع هذا العمل موقع الاستحسان لدى المصريين والعالم الإسلامي أجمع ، وفي أول شهر نوفمبر خاضت الدولة العلية غبار هذه الحرب الضروس ، وفي ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٤ سافرت إلى ويانة حسماً للنزاع القائم بين جنابكم العالی ودولة الصدر الأعظم لأسباب أغلبها عائلية قديمة ، وفي ١٨ منه أعلنت انكسار الحماية على مصر ، وقررت عزل سموكم وتعيين حسين كامل سلطاناً عليها .

وقد اجتمع الوطنيون في مدينة لوسرن من أعمال سويسرة تحت رئاسة جنابكم العالی ، فقرر مبدئياً تعيين لجنة مركزية تعمل بالاشتراك معكم في جميع الأعمال السياسية ، وفي اجتماع آخر في ويانة تأيد هذا القرار ، ولكن نلاحظ مع الأسف إهمال تنفيذه . وفي شهر يونيه سنة ١٩١٥ اجتمع ممثلو الوطنيون بأوروبا مع بعض رجال حاشيتكم لبحث الحالة السياسية ، وتقرير الخطة الواجب اتباعها لتحقيق آمالنا الوطنية ، وبعد عدة جلسات تقرر بالاجماع ضرورة عودة سموكم إلى دار الخلافة حتى تكونوا بجانب جلالة الخليفة المعظم في شهر رمضان على الأقل لينزل سوء التفاهم وتحسن علاقتكم الشخصية مع بعض رجال الحكومة العثمانية ، فرفضتم أولاً ، وبعد إلحاح شديد أفهمتمونا بأنكم ستروون في هذا الأمر . بعد ذلك سافر كل منا إلى وجهته ، وسافرت سموكم إلى كارلسباد بعد أن زرت جناب ناظر خارجية النمسا وسفيرى الدولة العلية وألمانيا ، وعرفتموهم بأن ذهابكم إلى كارلسباد هو للاستشفاء ، ثم تعودون إلى ويانة .

أقمتم ثلاثة أيام في كارلسباد ، ثم عدتم خفية إلى ويانة بعد أن خابرتكم سعادة يوسف باشا صديق لا تتظاركم ؛ ثم سافرت ليلاً إلى السويسرة بدون أن يعلم أحد من حلفائكم بتغيير وجهتكم ، واستصحبتم معكم كل عفشكم ، وأتيتم إلى لوسرن بقصد الإقامة بها وعدم العودة كما ظهر لنا من أقوالكم أخيراً

ولما علمت الدولة العلية بمجيئكم إلى السويسرة بهذه الصورة غير المرضية داخلها الشك في أن قصدكم من وجودكم في بلد محايدة التمكن من مخابرة الأعداء للانضمام معهم ضدها وضد حلفائها، فكلفت قنصلها في جنيف بأن يبلغكم رغبتها في أن تعودوا للاستانة منعاً للشبه، فوعدتم بأرسال الجواب على ذلك إلى الاستانة؛ وفعلاً كلفتم صهركم جلال الدين باشا الذي كان إذ ذاك بالاستانة بأن يقابل سعادة ناظر الداخلية طلعت بك، ويخبره بعزم سموكم على العودة في شهر سبتمبر، وبعد أسبوع تقريباً عاد إليكم القنصل، ومعه خطاب آخر يلح عليكم بالعودة في أقرب وقت، فرفضتم استلام الجواب المذكور، وأرسلتم جواباً إلى دولة الصدر، وآخر إلى سعادة ناظر الداخلية طلعت بك مظهراً استياءكم من هذه المعاملة، وقبل أن يصل إلى سموكم الرد على ذلك أرسلتم خطاباً آخر إلى جلالة السلطان مكررين الشكوى ومعانين عزمكم على البقاء بسويسرة حتى نهاية الحالة الحاضرة، التي تتمنون أن يكون ختامها في مصلحة الدولة أثناء مجيء أحدنا اسماعيل لبيب بك من الاستانة قابل في ويانة يوسف صديق باشا، وسأله عن أسباب ذهابكم إلى السويسرة، وصدور أمركم بقطع مرتبه؛ فقال: "تركت الجناح العالي لأنه سائر في طريق سياسى مضر به وبالبلاد، ولأنه تمتنع عن أن يرد إلى الحكومة الألمانية مبلغ مليون وستمائة ألف فرنك الباقي لديه من مبلغ خمسة ملايين فرنك، كان أخذها ليصرفها في فرنسا وإيطاليا لمشترى الجرائد وبعض النواب ورجال السياسة، ولأنه يتخاير الآن مع فرنسا وانكثرا لتحفظ له أملاكه في مصر والواسطة في ذلك باغوص نوبار باشا وأغاطون بك الأرمنيين، وأنه كتب جواباً إلى بولو باشا الفرنسي يفوضه تفويضاً تاماً في مخابرة الأعداء فيما يختص بمصالحه الشخصية، والمسألة المصرية؛ وأن هذا الجواب محفوظة صورته الفتوغرافية في نظارة خارجية فرنسا. ولما أخبرنا اسماعيل بك بأقوال يوسف صديق باشا رأينا أن يسافر ليقابل جنابكم العالي، ويتحقق منكم صحة ما ينسبه إليكم الباشا المذكور سافر إلى لوسرن ووجدهنا شفيق باشا، فقابلنا سموكم معاً، ورضنا عليكم العودة إلى النمسا أو ألمانيا، فاظهرتم عدم الرغبة في ذلك مطلقاً؛ وكانت نتيجة المقليلة أن اعترف سموكم بقبض المبلغ وصرف أغلبه فيما كلفتم به؛ وإنكم ستدفعون الباقي بعد عمل الحساب. أما عن مخابرة الأعداء فنفيتموها، واعترفتم فقط بتكليفكم أغاطون بك بالذهاب إلى مصر للملاحظة أشغالكم الزراعية، وإفادتكم عنها. بعد ذلك سافر إلى لوسرن

فريد بك وعلى الشمسى بك، وقابلا سموكم أيضاً، فكان جوابكم لهما كجوابكم لزميليهما
ثم أطلعتموهما على صورة الجواب الذى أرسله جنابكم العالى إلى جلالة السلطان
وسبق ذكره

« يلاحظ الموقعون على هذا بكل أسف، أن سمو الخديو لم يحسن عملاً فى قبوله
التوسط لدى رجال الصحافة والسياسة فى فرنسا وإيطاليا، ووضع نفسه موضعاً لا يتفق
مع كرامة سموه وشرف الأمة التى يمثلها جنابه العالى، كما أنهم يلاحظون أيضاً أن سموه
محاط بأشخاص من رعايا الدول المعادية، وله بواسطتهم علاقات مع تلك الحكومات
لا نعرف حقيقتها، ونعرف من هؤلاء الوسطاء المسيو بولو (باشا) الفرنساوى
والمسيو كافاليني الطليانى، ومدام روشبرن الفرنساوية التى تحمل جوازين أحدهما
فرنساوى والآخر أرجنتينى

« وقد استدعاها سموه إلى ويانه ثم أرسلها إلى فرنسا بأمرية كما تدعى، وهى معرفة
أفكار الفرنسيين والانجليز نحوه، وهل يوجد استعداد لديهم للدخول فى المحاربة
معه، وقد قالت إلى أحدنا الشمسى بك، إنها قابلت سكرتير سفارة انكلترا بباريس، فظهر
لها أن الحكومة الانكليزية لا تود مطلقاً الدخول فى مخاضات مع سموه لأنها
تعتبره كمية مهمة، لأنه مجرد عن كل نفوذ حقيقى؛ وإذا كان معه الآن الوطنيون
الذين كانوا بالأمر ضدّه، فما كان ذلك إلا لأنه سائر فى طريقهم، فاذا أراد
الاتفاق معنا انفضوا من حوله. أما رجال السياسة فى فرنسا فقالوا إنهم مستعدون
للتوسط بينه وبين الحكومة الانكليزية، لضمانه أملاكه بعد أن يتنازل عن حقوقه
فى الخديوية، وأن يعلن الأسباب التى حملته على ترك ألمانيا، وتركيا بشرط أن تكون
تلك الأسباب مشبهة، وتدل على خيانتهم له؛ وقالت لغيره أيضاً: «إن سموكم طلبتم منها
الذهاب إلى الاستانة، وعمل المساعى اللازمة بواسطة من تعرفه هى من الضباط الأتراك
للتوصل للذهاب إلى جناق قلعة لزيارة معاقل الدردنيل، وتقديم تقرير عنها لسموكم»
« وبهذه المناسبة نذكر أن من ضمن ما قاله يوسف باشا إلى أحدنا اسماعيل بك

الليب إنكم قلتم له بأن لديكم معلومات ورسوماً مهمة جداً عن جهات الاناضول
تريدون تقديمها إلى إيطاليا إذا دخلت الحرب ضد تركيا

« ورغما من أن اسماعيل بك حذر سموكم من هذه المرأة لما يحيط بها من الشكوك
فانها فى ثانى يوم حضرت إلى لوسرن، وتشرفت بمقابلتكم مرات عدة، وتدعى الآن
أنكم استدعونها قريباً لتقيم بجواركم

لذلك يرى الموقعون على هذا أنه من الواجب عليهم نحو سموكم، ونحو مصر العزيزة أن يلتمسوا من جنابكم العالی ، أولا - رد ما يكون باقيا لديكم من نقود ألمانيا فورا . ثانيا - قطع كل علاقة مع هؤلاء الأشخاص بولواخوان ومن على شاكلتهم . ثالثا - العودة إلى الاستانة أو على الأقل إلى إحدى بلاد ألمانيا أو النمسا . رابعا - تنفيذ ما تقرر في اجتماع لوسرن في شهر ابريل الماضي ، وتأييد في اجتماع ويانه في شهر يونيه ، من وجود لجنة مركزية تشمل الوطنيين بجانب سموكم لتشارك معكم في كل الأعمال السياسية الخاصة بمصر

هذه هي طلباتنا يا مولانا ، نقدمها بكل احترام إلى سموكم ، راجين قبولها لأن فيها دون غيرها تحقيق آمالنا ، وحفظ شرف خديونا وكرامة أمتنا ، وإننا نعد سموكم بأننا نعمل معكم إذ ذاك بكل إخلاص وصدق كما كنا للآن ، وإلا فواجبنا الوطني يحتم علينا أن نسلک طريقا آخر ، يكون فيه تحقيق آمالنا ، وسلامة وطننا العزيز

المخلصون لسموكم

محمد فريد — على الشمسي — اسماعيل لبیب
محمد فريسي — احمد شفيق



على الشمسي بك



محمد فريد بك



الاستاذ محمد فهمى



اسماعيل ليب بك

وتقرر بيننا أن أرفع أنا هذا الأنداز للجناب الخديوى ، ولكن لما علمنا أن الخديو — رغم مبارضة صاحبه لوزائج الفرنسية — قد سوى حساب باقى النقود الألمانية مع موسيو پادل — الذى انتدبه وزارة الخارجية الألمانية لهذا الغرض — عدلنا عن تقديم الأنداز وانتزعنا امضاءاتنا منه

مؤوده مختلفة :

محـب باشا فى نظر الألمان : فى يوم ١٩ فبراير قابلت موسيو الكساندر فسألنى عن رأى فى محـب باشا ، وعما إذا كان مخلصاً للخديو ؟ فقلت : « الظاهر أنه مخلص ، وأخبرته بما ورد فى كتاب رشدى باشا بقبول النظارة السلطانية فى مصر ، وخروج محـب منها ، وأنه يفهم من هذا الكتاب عدم مشاركته للنظار فى تصرفهم . فقال الكساندر : « إن محباً أرسل الى الأستاذة شم إلى إيطاليا من قبل الانجليز للتجسس على المصريين الذين أبعدوا من مصر ؛ وسأنقل كل ذلك شفهاً للخديو ؛ ولو حضر محـب باشا لبرلين ؛ وطلب منى أن أعطى معلوماتى بخصوصه ؛ فلا أقول إلا بمنعه من الإقامة وطرده منها

وفى يوم ٢١ منه سأل البارون اوبنهايم يوسف صديق عن محـب ، فأجابه

بأنه يظن أنه مخلص للخديو، ولو أن المصريين لا يرون ذلك، لاعتقادهم بأنه صنيعة الانجليز

وقد سألت البارون كذلك فأجبت بما أجبته به الكساندر، وتبين لي أن سبب هذه الأسئلة أن البارون قابله، وهو معجب بأفكاره ويريد التأكد من إخلاصه حفلة وداع لهندي كبير وخطبتي فيها: في يوم ٢٢ أبريل دعاني محمد بركة الله افندي الهندي، وكنت قد تعرفت اليه من قبل عند البارون أو بنهايم، لتناول الشاي في فندق شاهين باشا بالاستانة. وكانت هذه الحفلة قد أقيمت لوداعه قبل رجوعه إلى الهند للقيام بأعمال اسلامية. وقد حضرها نحو ثلاثين مدعواً من بينهم الدكتور نظمي، وهو عضو مسلم في جمعية الاتحاد، وأسعد باشا الحكيم، والشيخ الرئيس العجمي، ومن المصريين الدكتور سيد كامل، والدكتور احمد فؤاد، وحلي مسلم وحضر كذلك البارون.

وبعد تناول الشاي ألقى بركة الله خطاباً بالعربية، شكر فيه الحاضرين على تلبية الدعوة ثم ودعهم بأسلوب لطيف.

وقام بعده أحد الحاضرين فتمنى له سلامة الوصول، ودعا للمسلمين، والخليفة السلطان محمد رشاد

ثم أعقبه البارون فقال بالعربية: «إنه هو وإخوانه الألمان مسرورون باتحاد العناصر الاسلامية لتقوى بالاتحاد، وألمانيا تساعدهم لأن ذلك في صالحها وصالحهم» وبعد ذلك دعاني بركة الله لأقول شيئاً فقلت: «ماذا أقول بعد ما سمعناه من الخطباء إلا الأعراب عن الغبطة والسرور بهذا الاجتماع، وإلا أن نتمنى لبركة الله افندي السلامة في السفر والأقامة، والنجاح في مهمته، ثم طلبت اليه أن يهدي تحياتنا لأخواننا الهنود ويقول لهم: «إن الفرصة سانحة للمسلمين ليهبوا من رقادهم، ويتحدوا قلباً وقلماً، فيد الله مع الجماعة، وينبغي أن نلتف جميعاً بحرم الخلافة لتكون لنا وجهة واحدة»

وقد انقضت الحفلة ولم يخاطب فيها أحد من الأتراك

الاتحاد العربي: في يوم ١١ مايو كنت مسافراً من فينا إلى جنيف لأمر عائلية. وقد لقيت ابن نس محمد علي وشكري بك سكرتيره. ولما انفردنا قصص على البرنس أموراً هامة عن بلاد العرب، فقال: إنه في العام الماضي شكلت لجنة سميت بالمؤتمر تحت

رياسة سموه وفيها من الأعضاء : طالب بك من البصرة ، ومندوبون عن الشام ومكة والادريسي وغيرهم . وكان الغرض من المؤتمر السعى إلى توثيق الاتفاق بين أمراء الجزيرة وإنشاء إدارة داخلية خاصة لكل منطقة يحكمها أمير عربي ، وأن تنتخب الدولة حكما وقضاة يعرفون العربية . وأن تدرس اللغة العربية في جميع المدارس بتلك البلاد .

ولكن لما كانت الضغائن بين أمراء العرب شديدة ، فكروا في انتخاب الخديو للرياسة . ونظراً لما يعلمونه من تردده قر قرارهم على انتخاب البرنس محمد علي . ولما نشبت الحرب توقفت أعمال المؤتمر وقر القرار على توصية العرب بأن لا يتمردوا على الدولة ، بل عليهم مساعدتها حتى تنهى الحرب ، وبعد ذلك ينظر المؤتمر فيما يجب عمله



الاستاذ عبد العزيز النعالي

وقد عرفت فيما بعد من الوطني الكبير الأستاذ عبد العزيز النعالي أنه تألفت لجنة عربية في باريس لعقد مؤتمر عربي ؛ وفي يوم ١٨ يونيو سنة ١٩١٣ افتتح المؤتمر جلسته الأولى في قاعة الجمعية الجغرافية برياسة السيد عبد الحميد الزهراوي ، وشهده ثلاثة وعشرون مندوباً عن مختلف البلاد العربية . ثم عقدت ثلاث جلسات أخرى وانفض المؤتمر على القرارات الآتية :

١ — إن الإصلاحات الحقيقية واجبة وضرورية للمملكة العثمانية فيجب أن تنفذ بوجه السرعة .

٢ — من المسلم به أن يكون مضموناً للعرب التمتع بحقوقهم السياسية ، وذلك بأن يشتركوا في الإدارة المركزية للمملكة اشتراكاً فعلياً .

٣ — يجب أن تنشأ في كل ولاية عربية إدارة مركزية تنظر في حاجاتها وعاداتها

٤ — كانت ولاية بيروت قدمت مطالبها بلائحة خاصة قبلت يوم ٣١ يناير سنة

١٩١٣ باجماع الآراء، وهي قائمة على مبدئين أساسيين وهي توسيع سلطة المجالس العمومية، وتعيين مستشارين أجانب؛ فالمؤتمر يطلب تنفيذ هذين الطلبين وتطبيقهما
٥ — اللغة العربية يجب أن تكون معتبرة في مجلس النواب العثماني، ويجب أن يقرر هذا المجلس كون اللغة العربية رسمية في الولايات العربية

٦ — تكون الخدمة العسكرية محلية في الولايات العربية، إلا في الظروف والأحيان التي تدعو إلى الاستثناء الأقصى
٧ — يتمنى المؤتمر على الحكومة السنية العثمانية أن تكفل لمصرفية لبنان وسائل ماليتها

٨ — يقرر المؤتمر ويظهر ميله لمغالب الأرمن العثمانيين القائمة على أساس اللامركزية، ويرسل لهم تحياته بواسطة مندوبيهم، ويحيي العراق
٩ — يجرى تبليغ هذه القرارات للحكومة العثمانية
١٠ — وتبلغ هذه القرارات أيضاً للحكومات الأوروبية. ويشكر المؤتمر الحكومة الفرنسية شكراً جزيلاً لترحابها الكريم بضيوفها
وقرر المؤتمر كذلك قرارات داخلية أخرى هي :

١ — إذا لم تنفذ القرارات التي أقرها هذا المؤتمر، فالأعضاء المنتخبون في لجان الإصلاح العربية يتمتعون من قبول أى منصب كان في الحكومة العثمانية إلا بموافقة خاصة من الجمعيات التي ينتمون إليها.
٢ — تكون هذه القرارات برنامجاً سياسياً للعرب العثمانيين، ولا يمكن مساعدة أى مرشح في الانتخابات التشريعية إلا إذا تعهد من قبل بتأييد هذا البرنامج وطلب تنفيذه.

٣ — المؤتمر يشكر مهاجري العرب على وطنيتهم في مؤازرتهم له.
وقد حمل القرارات الأولى إلى وزير خارجية فرنسا وفد عن المؤتمر برئاسة رئيسه فاستقبله الوزير بالترحاب، وألقى تصريحاً أوضح منه للأعضاء أنه يريد اتخاذ عمل المؤتمر ومساعدته سبباً للتدخل في شؤون تركيا، فبادر أحد أعضائه بالرد على ذلك مؤكداً أن البلاد العربية لا تريد إلا تأييد فرنسا لها في مطالبها الإصلاحية، مع إخلاصها للدولة، وتمسكها بالجنسية العثمانية
وقد أرسلت جمعية الاتحاد والترقي مندوباً تركيا وهو مدحت بك شكرى للاتصال بالمؤتمر في باريس. وقد تم الاتفاق بينه وبين أعضائه على ما يأتي

- ١ — يكون التعليم بالدورتين الابتدائية والثانوية في جميع البلاد العربية باللغة العربية ، ويكون بالتركية في الأقسام العالية .
 - ٢ — يكون جميع رؤساء المصالح والموظفين ، ما عدا الولاة ، عارفين باللغة العربية . ويكون تعيين القضاة ، ورؤساء القضاء الذين ينصبون بأرادة سنية في العاصمة . أما من عداهم من الموظفين فيعينون من الولاية .
 - ٣ — تترك إدارة الأوقاف الموقوفة للجهات الخيرية المحلية لمجالس الجماعات المختلفة
 - ٤ — تترك الأمور النافعة (الأشغال العامة) للإدارة المحلية .
 - ٥ — يخدم المجندون في المناطق العسكرية القريبة من بلادهم ؛ ويختار الجنود الذين تدعو الحاجة إلى إرسالهم إلى اليمن وعسير بنسبة عادلة من جميع أبناء السلطنة العثمانية .
 - ٦ — مقررات المجالس العمومية تكون نافذة فيما هو من اختصاصها القانوني .
 - ٧ — يكون مبدئياً في الوزارة ثلاثة من أبناء العرب ، ويعين منهم عدد من المستشارين والمعاونين في الوزارة ، ويكون منهم اثنان أو ثلاثة في كل مجلس من مجالس شورى الدولة ، وبحكمة التمييز ، والمشیخة الإسلامية ، وبقية المصالح الأخرى ، ويكون منهم أربعة أو خمسة على الأقل في الدوائر المختلفة من كل وزارة .
 - ٨ — يعين خمسة ولاية على الأقل من العرب ، وعشرة متصرفين ، وينصف الذين لم يرقوا منهم . ويعاملون معاملة زملائهم من موظفي الملكية والحقانية والشرعية الترك .
 - ٩ — يعين عدد من العرب في مجلس الشيوخ بنسبة اثنين من كل ولاية .
 - ١٠ — يستخدم مفتشون اختصاصيون من الأجانب في كل ولاية بنسبة الحاجة وتحدد وظائفهم واختصاصهم بنظام خاص
 - ١١ — تكون المعاملات الرسمية في البلاد العربية باللغة العربية على أن ينفذ ذلك تدريجياً .
- وقد حمل المندوب العثماني هذه القرارات إلى الاستانة ومعه أحد أعضاء المؤتمر بعد ذلك أعلنت الحكومة العثمانية عزمها على تنفيذ الإصلاحات ، فاستصدرت بذلك إرادة سلطانية في ٣ اغسطس سنة ١٩١٣
- وقد ارتاح العرب لذلك وعدوه خطوة طيبة في سبيل تحقيق مقاصدهم ولكن هذه الإصلاحات وقف تنفيذها نظراً لأعلان الحرب ، وماحدث بعد ذلك من الجفاء بين العرب والدولة

وقد أطلعت حضرة صاحب السعادة عزيز على المصرى باشا على هذا الموضوع؛ فقال: « عقد هذا المؤتمر وأنا في بنى غازى ، وكنت قد استقلت من الجيش العثمانى اثر انعقاد الصلح مع ايطاليا ، لأدوم على الدفاع عن بنى غازى ، وذلك بناء على رجاء

رؤساء العشائر، غير أنى أتذكر أن نسخ- من قراراته وردت إلى مصحوبة بكتاب يحثنى على طلب تنمية هذا من الدولة العثمانية وبقية الدول ولما كان هذا الكتاب قد وصلنى مع أخبار اندحار الجيوش العثمانية فى البلقان ، ووصول البلقانيين إلى ضالجة ، فأنى أجبت بأنه لا يمكننى تنفيذ هذه القرارات أو التفكير فيها ، فى وقت انزمت فيه الجيوش العثمانية هزيمة ترجع أسبابها فى اعتقادى للاختلافات الحزبية البرلمانية التى شتتت آراء الجيش مع قوته .



عزيز على المصرى باشا

وأرى أن واجب العرب فى الوقت الذى هزم فيه الجيش العثمانى أن يهبوا كرجل واحد

لدرء هذا الخطر ، فيكسبوا بذلك ما يطلبونه ، مع ارتياح اخوانهم العثمانيين وتقديرهم أما الاستفادة من هذه اللحظة الخطيرة أمام العدو المشترك فهى سياسة لا تتفق مع الشهامة الشرقية ، ، الأخلاق السكرية الموروثة فى العرب

على أن أكثر هذه القرارات لم يكن مخالفا للرأى ، وما نفرت منها إلا لظروفها من جهة ولانعقاد المؤتمر فى باريس ، مع ما هو معلوم من ميول فرنسا للاستعمار فى سوريا ، ولأن المؤتمر قدم قراراته لوزير خارجية فرنسا ، وهذا ما عدته خيانة للجامعة الشرقية وبسبب موقفى هذا أصبح المرحوم الزهراوى ضدى ، ولهذا أيضاً قررت انشاء « جمعية العهد » لمنع تلاعب بعض السوريين واللبنانيين مع الدول الاجنبية ، ولذلك كان عمادها الضباط . وكان أول موادها ما يأتى :

١ - الاتراك من ستانة سنة يقفون فى الخافر الامامية تجاه الغرب ، فعلى العرب أن يكونوا احتياطيا لامداد هذه المخافر ... الخ

وقد كنت أمليها على اليوزباشى طه الهاشمى (الفريق طه باشا الهاشمى) فلما فرغت من المواد قال لى : « ولماذا تجعلها سرية ؟ ولو أعلنها لفرح لها الاتراك لأن هذه الجمعية هى أضمن تشكيل للمحافظة على كيان الدولة » . .

المصريون يختلفون مع عباس بسبب محاولة إنشاء جريدة — عبد الجبار
الحمري — كيف عشت في السيرة بعد انقطاع مرتبي من تركيا — التحقيق
مع احمد بك صادق وقضية الأوقاف ضري — هياك الحمري — مخبرات الحمري
مع الانجليز ومناوراته ورسالة ملك البلجيكي — توريد النقود الاطانية والنجز على
مبلغ يوسف صديق — بين الحمري ورجاله والوطنيين في السيرة — العلاقات
بين الحمري وحلفائه — القبض على يكن باشا وضبط أوراق الحمري — مؤونه مختلفة

المصريون يختلفون مع عباس بسبب محاولة إنشاء جريدة :

محاولة إنشاء الجريدة : كان رجال الحزب الوطنى الموجودون بأوربا وفي
مقدمتهم محمد بك فريد ، وكذلك الطلبة المصريون في سويسرة ، فكروا في إنشاء
جريدة تكون لسان حال للمصريين في أوربا ، وتدافع عن حقوق مصر ومصالحها ،
وعقدوا اجتماعاً في ١١ ديسمبر سنة ١٩١٥ لهذا الغرض ، وقرروا أن يطلبوا من
الخدو مساعدهم على إنشاء هذه الجريدة ، وسبق أن ذكرت في مذكرات العام
الفائت ، أن الخديو أخذ على فريد اعتقاده أن خلاص مصر ، وحفظ حقوقها يكون
بواسطة إنشاء جريدة

وفي يوم ٧ يناير سنة ١٩١٦ حضر عندى يحيى الدرديرى افندى ومدكور
افندى الطالبان ، ليدتفهما منى عما إذا كان قد ورد لى بجنيف أوامر بشأن
طلب إنشاء الجريدة ، فأخبرتهما بأنى ذاهب إلى لوزان لمقابلة الخديو وأجيبهما
بعد رجوعى

وفي ٨ يناير أبلغنى الدكتور سيد كامل ، أن سموه لا يقبل أن ينفق ملياً
واحداً ، لأن طلب المساعدة كان في صورة تهديد ؛ وقد حدث في الجلسة التى
عقدت لهذا الغرض أن حسين شيرين بك وضع جنابه ويوسف صديق باشا في كفة

واحدة حيث قال : « ان الخديو يساعد بمبلغ ، ويوسف صديق يساعد بمبلغ آخر ، كما أنه قيل في هذا الاجتماع : « إن النقود متوافرة ، ولكنها تصرف في غير الطريق الشرعى » تليحاً إلى ما سمعه الطلبة من أن الخديو اشترى لصاحبه مدام لوزانج عقداً من اللؤلؤ بمائة وخمسين ألف فرنك . وأن الخديو يقول : « ان هؤلاء الشبان (بما فيهم فريد والشمسى) أما إنهم معضدون من الألمان ، أو ، لا ، ففي الحالة الأولى يستغنون عن نقودى ويأخذون من الألمان ؛ وفي الحالة الثانية كان يجب أن يطلبوا منى في أدب وخضوع ، لافى صورة تهديد كما حصل »

وكذلك من الأسباب التى يقولها الخديو عن رفضه المساعدة : أنه إذا نجحت فائدة من الجريدة يكون سموه أسيراً للحزب الوطنى ، فيفعلون معه كما فعل الاتحاديون مع السلطان عبد الحميد فى تركيا ؛ وهذا علاوة على أنه لا يريد أن يعمل مع الطلبة بل مع الرجال الذين اعتاد العمل معهم

وفى يوم ١٣ يناير قابلت الشمسى بك ، فأنبأته برفض الخديو للمساعدة وبالأسباب التى بنى عليها الرفض ، فقال : « إن كلام أفندينا إنما هو لمجرد التخاص ؛ وحتى لو كان الالتماس على حسب ما يطلب لوجد حجة أخرى لعدم الدفع » فقلت : « ان إحساسى غير ذلك ، واننا لو طلبنا بخضوع واحترام لأجاب الطلب » وتقرر أن نجتمع عنده فى الغد للبحث فى الموضوع بحضوره هو والاستاذ فهمى ؛ ولكنى لما توجهت وجدت هناك الدرديرى أفندى ، فاستأثرت لذلك وعجبت . وقد قال لى الشمسى عند دخولى : « إننى كنت أتكلم مع درديرى أفندى فى المسألة » فتحدثت عن الأسباب التى أوجبت رفض الخديو ، فبنى لى ذكر اسم يوسف صديق واستدل على ذلك بأنه لا يعلم عن المشروع شيئاً حتى يقال انه مستعد للمساعدة ، وكذلك نفى التعريض بالخديو فى مسألة شراء العقد لصاحبه ، وقال : « ربما قيل هذا خارج الجلسة »

ولما أخبرتهم بأن الخديو لا يريد العمل إلا مع الرجال الذين عملوا معه ، لامع الطلبة مع اعتبارهم أعوانه وأولاده ؛ حدثت مشادة بينى وبين الدرديرى ، لأنه أراد أن يفسر كلامى بأن الخديو يحتقر الطلبة ، وهذا مالم أرد ، فاستأثرت لهذا وهممت بالخروج ، لولا أن هدأنى فهمى والشمسى

وعندئذ تناقشنا فى أن يذهب الشمسى بك لمقابلة الخديو ، نائباً عن الجمعية ليظيب

خاطره وينفى ما علق به من ناحية الطلبة ، وفرض ذلك ، واستحسن انتظار رجوع فريد بك من الأستانة - وكان قد سافر اليها - ليذهب بنفسه

وهنا قام يحيى الدرديرى وقال : « إذن سأجمع الطلبة وأخبرهم برفض الخديو للمساعدة » فقال الشمسى : « ما رأيك يا باشا ؟ » قلت : « إذا جمعت الجمعية فيشرح لها الاسباب التى ذكرتها ويقول لها : « إن الخديو يقول عن الطلبة انهم أولاده وأعوانه ، ولكنه مستاء من إهانتهم إياه »

وقد خرج الدرديرى غاضبا ، وخرج وراء الشمسى ؛ ثم عاد فأخبرنى أنه أقنعهُ أن لا يقدم على شيء قبل أن يطلعه عليه . وهنا عتبت على الشمسى ابقاءه فى موعد حددته وعينت أشخاصه ، فاعتذر بأنه حضر بنفسه ؛ وكنت اعتقد غير ذلك ، وأفهم أن الشمسى أحضره ليسمع منى ما أقوله

وقد خرجت أنا وفهمى فأقنعته بأن يحول دون تشويش الدرديرى ، وإثارته سخط الطلبة فى هذا الوقت العصيب

توسطى بين رجال الحزب الوطنى والخديو : وفى ١٧ يناير استدعيت الدكتور سيد كامل إلى جنيف ، واطلعتة على كل ما حدث ، وقلت : « إن الأفضل هو انشاء هذه الجريدة » . فقال : « ان كل سعى يا باشا منك أو منى لدى الخديو لا يجدى ، فيجب حضور فريد أو الشمسى للاعتذار أولا ، والعرض بطريقة محترمة ربما يقبل الخديو » . ثم قال : « وأنا أعمل فى مسألة أخرى وهى انشاء صندوق تعاون لطلبة لوزان بأن يضع كل منهم فرنكا واحدا فى الشهر ، والخديو يدفع مساعدة لهذا الصندوق ومتى وصلنا إلى هذه النقطة ، نلتمس مثل هذا الطلبة جنيف ؛ ومن ثم يمكن انشاء الجريدة دون أن يحتمل الخديو تبعثها ؛ فاذا نجحنا فى ذلك كان خيرا »

وفى يوم ١٨ منه قابلت الشمسى فأخبرنى أنه أقنع الدرديرى بعدم إثارة الطلبة ، وأن ينتظر حتى يعرض التماسا من جديد فى صورة محترمة ، ويزيل ما علق بنفس الخديو .

وقد قال لى الشمسى : « إن طالبا اسمه طاهر قدم من برلين الى جنيف لاستمالة الطلبة المصريين الى فكرة تأليف حزب برياسة الشيخ جاويز فى صالح سعيد حلم وأن رفض الخديو مساعدة الطلبة على اصدار الجريدة ربما مكن لطاهر فى نفوس الطلاب » واتفقنا ع أخبار لى الدكتور سيد كامل لمخاطبة الخديو فى ذلك وكتبت له

وفي يوم ١٩ منه وصل إلى خطاب منه هذا نصه : « وصلني جوابكم بخصوص مقابلة أختينا على الشمسي بك لسعادتكم ، ورجائه بأن تتوسطوا في التماس أن يتفضل الجنب العالي فيجيب بالقبول على ملتسمهم ، فاعتذرتهم بعدم امكانكم السفر ، وقلتم له : « إن غاية ما يمكنكم عمله هو أن تكتبوا لي ، وأنا أعرض على الاعتبار هذا الالتماس بالصفة التي أراها »

« ولو أنني على الدوام أتمنى أن أكون قادرا على أى سعى يعود بالنفع على إخواننا المصريين ، إلا أنني آسف غاية الأسف لأننى في هذه المناسبة لا أستطيع أن أقوم بالسعى الذى تشيرون اليه بأى حال من الأحوال ، لأن الظروف التى سبقت طلب هذا السعى من سعادتكم مباشرة ، لا تساعدنى مطلقا على عرض أى شىء بخصوص هذا الملتسم ، من تلقاء نفسى ، بل ولا عرض أية رسالة شفوية في هذا الموضوع ، لذلك أرجو سعادتكم أن تعفوني من هذا العرض ، وفي الوقت نفسه أرجو أن تعتقدوا بأننى أعرض على الاعتبار كتابة يريد أن يعرضها على بك الشمسي مباشرة بما يرغب ، إن شاء أن يفعل ذلك »

فارسلت الخطاب مع الشيخ عبد الحميد ندا ليطلع الأستاذ فهمى ، وعلى بك الشمسي عليه

وقد اطلع عليه الأخير أولا فتغيظ ، وقال : « ان هذا إهانة لى » ثم رجع وقال : « ولكن عدم عرض التماس الطلبة بواسطة الدكتور سيد كامل يعد إهانة لهم وحدهم . وعليه سأنبئ الطلبة أن أفندينا يرفض ملتسمهم ، ويكون شفيق باشا هو المسئول عن النتيجة » . ولما قال له الشيخ عبد الحميد : « إن الباشا مستعد لمحدثك أنت والأستاذ فهمى » أجاب : وما دخل فهمى في هذه المسألة ؟ أما أنا فلا أذهب عند الباشا ، وإن كان يريد مقابلتي فيحضر عندى

ولما اطلع الأستاذ فهمى على الرسالة قال : « ان ما فيها لا يشتم منه رائحة الإهانة » واستغرب غضب الشمسي . وقد ظل هذا لا يزورنى عدة أيام ؛ وأخيرا حضر عندى ، واتفقنا على أن نجمع كلمتنا لأزالة ما بنفس الخديو ، وإعادة الطلب ، وأرسلت بذلك رسالة الى الدكتور نجاءنى الرد التالى منه :

« أحيط سعادتكم علماً أن رسالتكم وصلتني ، ولا أخفى عن سعادتكم أنني

دهشت لقبول فهمي أن ينضم إلى علي الشمسي ، ويشترك معه في مسعى لم يشترك في الاجتماعات الموجبة له ، وخصوصاً في اجتماع ١١ ديسمبر الماضي ، على أن فهمي رجل مستقل ، وله حرية واسعة ، يقدر استقلاله في اختيار الطرق التي يجب أن يسلكها ، ولكن دهشتي كانت أعظم لما رأيت أن سعادتك أيضاً قبلتم الانضمام مع الأول والثاني لعرض الملتمس المعلوم على أعتاب الجنب العالي . ووجه دهشتي راجع إلى ثلاثة أسباب : الأول — أنكم كنتم خارجين عنهم بالأمس ، وأنتم اليوم تقبلون أن تكونوا معهم في نفس النقطة التي اعتبروكم فيها من الخوارج . الثاني — أنكم كنتم الواسطة في سماع مطالب فريد بك ومن معه عقب هذا الاجتماع ، وكنتم الواسطة في تبليغهم نطق الجنب العالي في هذا الموضوع ، ولم يطرأ ما يدعو إلى تغيير صفة هذه الواسطة بقبولكم الانضمام اليوم إلى من كنتم واسطة لهم بالأمس . الثالث — هو أن رفض الجنب العالي كان مبنياً على سببين تعللوهما ، وأظن أنه ما دام في نفس سموه أثر للاستياء من العرض الأول فلا يسع سعادتك أن تنضموا إلى من كانوا سبب هذا الاستياء : ولو أن رغبتكم من هذا الانضمام ظاهرة ، وهي حجبكم أن يكون المصريون جميعاً بدأ واحدة . أنا أحب أيضاً أن يكون المصريون متحدين ، ولكن المسألة ليست مسألة اتحاد المصريين أو افتراقهم ، إنما هي أن الجنب العالي استاء شديد الاستياء من الطريقة التي طلب بها من سموه دفع نقود إلى محمد بك فريد ومن معه ، فانه لم يلاحظ في هذا الطلب : أولاً — الاحترام الواجب لمقام سموه ، حتى أنهم جعلوا يوسف صديق في مقام الجنب العالي من جهة طلب الاعانة منهما على السواء . ثانياً — إن الطلب جاء في صيغة تهديد مبنى على واقعة ظهر كذبها وهتانها . فقبل تجديد السعي للحصول على المال يجب ألا ننسى استياء الجنب العالي ، يجب ألا ننسى ضرورة إزالة ما في نفس سموه من أثر هذا الاستياء ، وإزالة هذا الأثر لا يمكن في اعتباري الشخصى أن تكون ، مادام علي الشمسي ينكر أنه لم تحصل أية إشارة في اجتماع ١١ ديسمبر تفيد مساواة يوسف صديق بالجنب العالي ، ولا يمدن خصوصاً أن تكون ما دام فريد بك الذي أشاع بين الطلبة هذه الواقعة المكذوبة لم يقل كلمة من الواجب أن يقولها في هذا الخصوص . أنتم سمعتم أن علي الشمسي قال : « إن فريداً أخطأ في إشاعة هذه الواقعة المكذوبة » وسمعتم منه قوله : « إن الدرديري يأسف لما حصل منه » ، ولعلمكم تسمعون منه اقتناعه بأن مساواة يوسف صديق والجنب العالي حصلت فعلاً في الجلسة بشهادة الشيخ عبد الحميد امام

على الشمسى وخلافه ، إنما هل يكفى أنكم تسمعون ذلك ؟ ألا تكون أول خطوة واجبة - إن كان الشعور بوقوع هذه الأغلاط حقيقياً - أن يكتب مثلاً على الشمسى إلى الجنب العالى كتابة صريحة تفيد الاعتذار عن هذه الأغلاط بصفة صريحة والتماس أن يكون سموه راضياً ؟ أظن أن حصول الرضا من الجنب العالى هو الأساس قبل عرض أى شىء على سموه ؛ وأظن أن طلب هذا الرضا لا يمكن أن يكون من قبل سعادتك ، ولا من قبل فهمى . ولا من قبلى ؛ إنما يكون فقط من قبل فريد وعلى الشمسى اللذين كانا سبب اجتماع ١١ ديسمبر . ومع هذا أعرفكم أن هذا هو رأي الشخصى ، بدليل أنى استلمت رسالتكم ورددت عليها فى الحال »

وقد أرسلت إليه بالرد يوم ٢٢ يناير وقلت فيه : « إن الذى قلته فى كتاباتك معقول ، فصحيح أن الالتماس كان خالياً من صيغة الاحترام ، وكان يشتم منه رائحة التهديد ، وصحيح أن أفندينا له الحق فى الاستياء ، وصحيح يجب علينا أولاً إزالة هذا الاستياء من نفس سموه ، إنما لكونى أمرت بتبليغ الرد على هذا الالتماس فعلى الشمسى رجانى أن أكون واسطة خير فى تبليغ ولى النعم أن مسألة يوسف صديق لم تحصل ، وأنه لم يحصل فى جلسة الاجتماع القول بأن النقود موجودة ؛ ولكن لا تصرف فى وجهها الشرعى . أما مسألة العقد فالذى قال بها هو فريد ؛ وقد رجانى الشمسى أيضاً أن أسعى فى إزالة هذا الاستياء ، والوصول الى تنفيذ المشروع حتى لا يفلت الطلبة من يدنا ؛ فإذا كنت أفضيت اليك بهذا الالتماس لتبليغه فذاك لأنى كنت أنتظر أن يأتينى الرد منك بالصفة التى جاءت فى جوابك الأول ، وعلى أثر وصوله أطلعت الشمسى بك عليه ؛ وقد تميز منه غيظاً واعتبره رفضاً ، وقال : « إنه سيلبغه للطلبة وأنى مسئول عن النتائج » وعلى رأى المثل العامى « ماناب المخلص إلا تقطيع هدمه »

« ليس لك الحق فى دهشتك منى ومن فهمى ، لأننا نحبذ المشروع ، فأنت تعلم رأيى فيه ، ولا بد أنك علمت أيضاً من فهمى فى لوازن رغبته فى هذا العمل ؛ إنما لا نريد أن نشترك فى التماس الطلبة لأن فهمى قال عند وجوده فى الجلسة التى جمعتنى بعلى الشمسى والدرديرى : « إنه لا يضم صوته إلى صوت على بك فى عمل التماس جديد ، لأنه لم يشهد الاجتماع ولم يكن بين المندوبين » إنما الذى نرغب فيه أن يساعد أفندينا فى إنشاء الصحيفة بأية صفة كانت ، إما بأن تتولاه جمعية مصر بلوزان ، أو الدكتور

سيد كامل ومحمد يكن (وكان قد حضر من الاستانة والتحق بالخدوي في السويسرة)
أو أجنبي بمساعدة المصريين ، حتى لا يقال : « إن أفندينا لم يعمل عملاً في صالح مصر »
هذا هو رأي . وليكن في علمك أنني أعتبر المخاطبة انتهت . فلا أقابل الشمسى ، ولا
أقول له شيئاً في هذا الصدد

وفي يوم ٢٣ منه زارنى الأستاذ فهمى فقرأت عليه رسالة الدكتور سيد كامل
فقال : « إن الذى أفهمه من ذلك أنهم (يعنى الخديو) لا يرغبون فى الانفاق على جريدة
ولهذا لاجدوى من تكرار الطلب بعد الآن » فأخبرته بملخص إجابتى على هذه
الرسالة ؛ ومنها يتضح أننى قطعت الكلام فى هذا الموضوع .

عيد الجولوس المديوى : فى يوم ٨ يناير سافرت إلى لوزان لحضور الاحتفال
الذى عزمت الجمعية المصرية بها على إقامته لمناسبة عيد الجولوس الخديوى ؛ ولقيت
فى القطار الأستاذ فهمى ، والدكتور زاهر ، والشيخ عبدالحمد ندا ، وتوجهنا إلى فندق
لوزان بالاس فاستقبلنا هناك منصور أفندى القاضى رئيس الجمعية

وكان المدعوون نحو الثلاثين من مصريين وأتراك وعجم ، وبعض رؤساء جمعيات
الطلبة الأجانب فى لوزان ، وكان من بينهم أربع سيدات أفرنجيات ؛ وحضر كذلك
جلال الدين باشا ، ونشأت باشا ، وثريا بك ، والأخيران من الألبان المنتسبين للخديو ،
ومكاتب ألماني اسمه موسيو فروم

وقد جلسنا على موائد صغيرة أربعة أربعة ، وتناولنا الشاي ، وبعد ذلك عزفت
الموسيقى بالسلام الخديوى فاستقبلناه وقوفاً ؛ ثم عزفت بأدوار شرقية أخرى تخللها
خطاب رئيس الجمعية باللغة الفرنسية ، وخلاصته : عدم الاعتراف بالانقلاب الذى
حدث فى مصر ، وأن السلطان حسين كامل يعتبر غاصباً لمركزه ، وأن الأمة المصرية
تنتظر بفروغ صبر طرد الأنجليز من مصر على يد الجيش العثماني ، ورجوع الخديو
عباس حلى الثانى إلى عرش مصر المستقلة تحت سيادة الدولة .

كيف عشت فى السويسرة بعد انقطاع مرتبى من تركيا : سبق أن ذكرت
فى سنة ١٩١٥ ، ما تم فى تقرير الدولة مرتبات لرجال الحاشية المقيمين مع الخديو
بعد انقطاع مرتباتهم من مصر

وفي يوم ١٠ يناير سنة ١٩١٦ وردت لى رسالة من توفيق بك فهمى الياور

بالاستانة ينبئني فيها أن الأتراك قرروا قطع نصف مرتبي . وأنه بذل المساعي كتابية وكلاماً لصرفه لي كاملاً فلم يفلح ؛ وطلب مني أن أخاطب طلعت باشا في هذه المسألة ، لأنه الرجل الوحيد الذي تجدى مخاطبته في الموضوع

وقد صدر قرار عام يوم ٢٤ يناير بعودة جميع المصريين المقيمين في أوروبا إلى الاستانة وإلا قطعت المرتبات التي تدفع لهم من خزانة الدولة ، وكان الغرض من ذلك إجبارهم على العودة ، والانفضاض من حول عباس ؛ وبذلك يضطر هو إلى العودة ؛ وكنت إذ ذاك لا أستطيع الرجوع لأن وجودي في بلد محاييد ضروري كي تتسنى لي مراسلة المحامي عني في قضية الأوقاف ضدى (وسيأتى ذكرها تحت عنوان خاص)

وفي يوم ٢٨ يناير سافرت إلى برن وقابلت سفير الدولة بها ، وهو



فؤاد سليم بك

فؤاد بك سليم المصرى ، الذى عين حديثاً ؛ وكان من تلاميذى في المدرسة العلية ، وأطلعته على المسألة ، ورجوته أن يطلب لي مهلة شهر أو شهرين حتى تنتهى القضية ؛ فرد قائلاً : « ولماذا يا باشا تكلف نفسك الحضور إلى هنا ، وكان يمكنك مخاطبتي تليفونياً أو بالبريد ؟ » فقلت : « اننى جئت لأزورك أولاً ثم أعرض عليك هذا الموضوع . فشكرنى ووعد بارسال برقية بطلي وودعنى حتى السلم ؛ وقال : انه إما يعاملنى المعاملة الجدير بسفراء

الدولة أن يعاملوا بها رجال الخديو . مما دلنى على أنه غير منضو إلى لواء الصدر في مناوأة عباس

وفي يوم ٣٠ منه سافر عدلى مظهر بك قنصل جنرال الدولة في فارس سابقاً إلى الاستانة ، فسلمته خطاباً إلى طلعت باشا أتمس منه صرف مرتبي كاملاً مثل زملائى ، لأننى أعتبر نفسى مديراً للأوقاف الخديوية

وفي يوم ٢٧ فبراير وردت لي رسالة من عديلي بأنه خاطب مستشار الخارجية بشأن إعطائي مهلة شهرين، فوعده أن يخاطب الناظر لعرض المسألة على مجلس النظار .

وفي يوم ٢٨ أبلغني أن المجلس لم يوافق على طلبي، وأن الرفض بلغ إلى فؤاد بك سليم ، وأن الأصوب هو التعجيل بالعودة إلى الاستانة فرددت عليه يوم ٣ مارس قائلاً : « إن السفير في برن لم يخبرني بمسألة رفض طلبي ، وأن قرار العودة ربما كان لا يشملي وإلا لأبلغني ذلك »
هذا وقد



ابراهيم أدهم بك

اتفق معي ابراهيم
أدهم بك أحد
الياوران في
جبوقلي أن يدفع
لي مبلغ ثلاثين
جنيهاً شهرياً؛ وأن
تستردها عائلته في
مصر من مالي بها.
وكذلك توفيق
بك فهمي

وفي يوم ٦
مارس قابلت
الدكتور سيد
كامل في لوزان ،
فسمعت منه أن
الخدوي يأخذ على

مقابلتي لسفير الدولة في برن مع أنني أكبر منه مقاماً ، ثم قال : « وأنا أعتقد أن الخدوي لا يتأخر عن مساعدتك مالياً إذا قطعت الدولة مرتبك » فقلت : « إن القليل يكفيني مع عائلتي وأنا أفقع بألف فرنك في الشهر مع مبلغ الستين جنيهاً

الذى استبدله من ابراهيم بك أدهم وتوفيق بك فهمى ، وأنا لا أطلب من سموه شيئاً إلا إذا تأكدت من قطع مرتبى »

وفى يوم ١٤ مارس حضر نور الدين افندى من الاستانة وعلمت منه أن المرتبات ستدفع لمدة شهر آخر ، وأنهم يقولون فى الاستانة : « ما بالنا ندفع لرجال الخديو ، مع أننا لانعلم هل سموه يحب أو عدو لنا ؟ »

وذكر لى أن سبب قطع نصف مرتبى ، أن عارف باشا قدم بياناً بأسماء حاشية الخديو ، وأمام اسمى كلمة (متقاعد) وأنه من أجل ذلك يصعب إعادة صرفه كاملاً وفى يوم ١٢ ابريل وردت إلى برقية من توفيق بك فى الاستانة بأن الأتراك قطعوا مرتبى لأننى لم أرجع ؛ فاستأث لذلك القرار بعد ما علموا عذرى فى البقاء بالسويسرة . . .

وقد أرسلت إلى الخديو هذه البرقية ، وقلت له : « إننى ألتجئ إلى سموكم بعد انقطاع مرتبى » . فقرر لى مبلغ ألف فرنك فى الشهر .

وفى يوم ٣ يوليو وردت إلى رسالة من يكن باشا يقول فيها : « حسب ماصدر به النطق الكريم مرسل لأخوتكم طى هذا مبلغ وقدره خمسمائة فرنك » فأخذت المبلغ وأنا فى دهشة لاقتطاع نصف المرتب الذى قرره لى الخديو ، وأخذت أتساءل عن السر فى هذه المعاملة .

وفى يوم ٦ منه قابلت الدكتور سيد كامل ، فأطلعتة على هذه الرسالة ، فتأثر جداً وقال : « يخيّل لى أن أقول للخديو : أنا لست فى حاجة إلى مساعدتك إياى وأتركه » فهونت عليه الأمر ونصحت له بالصبر

وقد استطعت أن أعيش مع حرمى وأولادى بمبلغ خمسمائة الفرنك وستين الجنيه المستبدلة مضافاً إلى ذلك مبلغ خمسين جنيهاً سمحت السلطة بترتيبها لحرمى من إيرادها فى مصر

التحقيق مع احمد بك صادق وقضية الارواق ضرى : فى يوم ٢٨ فبراير من العام الماضى (ونحن بالنمسا) علمنا أن احمد بك صادق حضر إلى إيطاليا من مصر بعد أن قبض عليه ، وأطلق سراحه ؛ وقد رغب الخديو أن أسافر للأحاطة بما لديه من المعلومات ، فسافرت إلى روما ، وقابلته ، وذكر لى أنه حبس نحو ثلاثة أشهر

قاسى فيها العذاب ؛ خصوصاً أيام حبسه بسجن الاستئناف فى غرفة صغيرة فيها فتحة بالسقف للأضاءة ، وأرضها أسفلت ، وقد استحضرت سريراً بالأجرة وكوز ماء للشرب وغسل يديه ووجهه .

وكان سبب حبسه زيارة شيخ العرب حمد أبو سلطان له فى منزله ، وكان الخديو كلف صادق بأن يرسله للاستابة ؛ وحقق معه أولاً هارفى باشا ثم فليبيدس ؛ وكانا يطلبان منه أن يعرفهما بمعلوماته عن الخديو ، فلم يخبرهما بشئ .

ولما أرادت السلطة العسكرية إخلاء سبيله ، طلبت النيابة إبقاءه محبوساً على ذمة التحقيق فى الأوقاف .

وكان طلاماس بك ومعه انجليزى آخر من المالية قد فتشا حسابات الأوقاف ، وقدم ابراهيم يوسف افندى رئيس الحسابات بها كشفين : أحدهما بالمبالغ التى صرفها أحمد بك صادق لنفسه لتوصيلها إلى محل لزومها ، والثانى بالمبالغ التى صرفها أنا (شفيق) بالأمر ، وابتدأ التحقيق معه فى الكشف الأول ، وكان يلوح له أن الغرض هو الوصول إلى معرفة ما إذا كانت هذه المبالغ قد صرفها لنفسه ، أو غيره ومن هم ، وفى أى شئ ؟

فلما أبرز المستندات على أن البعض تسلمه أشخاص ، والآخر تسلمه الخديو لصرفه بمعرفته ، فى إحسانات أو على المهاجرين بدون إعطاء إيصالات من سموه ، سئل عن هذا الأهمال ، فأجاب بأن العادة من وقت إنشاء الأوقاف الخديوية جرت بهذا ؛ ووجد المحققون فعلاً أنه فى إحدى سنوات إدارة خيرى باشا صرف لنفسه ٤ ألف جنيه . . .

وقد كان فى إحدى جلسات التحقيق ابراهيم بك نصار المحسوب على السلطان حسين ، فحضر أحمد بك قائلاً : « حط كله عليه » يعنى الخديو . وقبل أن يبرز أحمد بك المستندات ، قال للمحققين : « إن أوجه صرف هذه المبالغ معلومة لرئيس الحسابات لأنه كان يأخذ مذكرة عن كل مبلغ بناء على إشارة شفيق باشا » ، ولكن ابراهيم افندى يوسف أنكر حالفاً بالطلاق ، غير أنه من حسن حظ أحمد بك أن رئيس النيابة المحقق وهو « محمد زكى الابراشى » (باشا) فى أثناء تفتيش منزله عشر بين أوراقه على مذكرة بهذه المبالغ ؛ وبعضها بخط ابراهيم افندى المذكور ؛ فثبت للمحققين أن رئيس الحسابات لم يقل الحقيقة

ويقول احمد بك : «أن طلا ماس في جانبى (شفيق) وأنه يعرف أنى مدقق» . وقد كنت أود لو عرفت ما حواه كشف المبالغ المدعى بها على لأجيب عنه . وأنا فى أوروبا ، فإن المبلغ كله هو ١٨ ألف جنيهه . وقد دل أحمد بك على أوجه صرف أغلبه ، والبعض الآخر دفعته بالأمر من الفوائد التى كانت الاوقاف تتقاضاها من بنك دى روما ، والبنك الشرقى الألمانى ، فى مملوك البنك الأهلى واللانلند بنك عن ديون المرحوم الشفيق على يوسف بضمانتى

وفى يوم ٢٢ يناير سنة ١٩١٦ وردت الى جريدة الأهرام الصادرة فى يوم ٦ منه ، فقرأت فيها أن الاوقاف السلطانية (الاوقاف الخاصة الخديوية سابقاً) رفعت دعوى مدنية أمام المحكمة المختلطة على الدائرة الخاصة لسمو الخديو السابق فى شخص الحارس القضائى عليها وهو موسيو جانيه مدير البنك العقارى المصرى ، وضد أحمد شفيق باشا مدير تلك المصلحة السابق ، طالبة الحكم عليهما متضامنين بأن يدفعوا مبلغ ٨١.٠٦ جنيهات و ٩٦١ ملياً قيمة ما سحبا من خزانة تلك المصلحة مدة إدارتهما لها . من ذلك مبلغ ٧٥٨١ جنيهها و ٩٦١ ملياً سحبت بمقتضى اذن صرف موقع عليها من شفيق باشا لغاية ٣٠ أغسطس سنة ١٩١٤ يوم سفره الى الأستانة ومن ذلك مبلغ ٦٥٠ جنيهها سحبا بالبasha من بنك دى روما فى ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٣ وهو قيمة فوائد أموال الاوقاف الخصوصية المودعة فى ذلك البنك .

وفى يوم ٢٧ منه قرأت فى الأهرام أن خيرى باشا وحسين محرم باشا كانا متهمين جنائياً : الأول عن مبالغ صرفت من الاوقاف الخديوية . والثانى عن مبالغ من دائرة سيف الدين التى يديرها . وقد حكم ببراءة الاثنين

وفى يوم ١١ ابريل وردت لى رسالة من المحامى عنى محمد بك يوسف ، بأن المنظور أن تحكم المحكمة فى صالحى ، وأن هناك فرقا واضحا بين قضيتى المدنية ، وقضيتى خيرى وحسين محرم وهما جنحتان .

وسيرى القارىء فيما بعد نتيجة هذه القضية

مبار الحريو : كان الخديوي يتخوف كثيرا من مصادرة الانجليز لأملاكه بمصر ، وكان هذا من أهم الأسباب التى دعت الى الخروج من النمسا إلى سويسرة . ليكون فى بلد محايد . وبعد ما أقام فى جنيف انتقل إلى لوكارنو ، وامتنع عن مقابلة رجال الحزب الوطنى ، وعن مساعدتهم فى إنشاء جريدة كما سبق

وفي يوم ١٢ فبراير نشر الشيخ «على الغاياتي» في صحيفة «لاتريبون» حديثاً عزاه إلى أحد رجال الحاشية، خلاصته: أن الخديو ترك الاشتغال بالشئون السياسية واعتكف في لوكارنو بعيداً من رسل أنور باشا، والامبراطور غليوم، ورجال الحزب الوطني

وفي يوم ١٦ منه اجتمعت في منزل لبيب معه هو والشمسي وفهمي، وتحادثنا فيما كتبه الغاياتي واتفقنا على أنه ضار بالخديو، وبنا نحن المشتغلين معه؛ وقررنا إرسال خطاب إلى سموه، نلتمس فيه تكذيب هذا الحديث المزعوم وكنت أعتقد أن هذه الكتابة موعز بها من الخديو نفسه، وقد صرحت بذلك للدكتور سيد كامل بيني وبينه، لأنني كنت قد عرفت أن الخديو يسعى في الاتفاق مع الانجليز (كما سيأتي في فصل خاص)

وفي يوم ١٧ حادثني الدكتور تليفونيا؛ وأخبرني أنه عرض رسالتنا على الخديو فتكدر، لأن الاخوان بمجرد أن يسمعوا أو يقرأوا شيئاً يعتقدون صحته، ويظنون أنه مارق؛ مع أن سموه بعيد عن مراكز القيل والقال؛ ووجه اللوم إلى الدكتور لأنه عارض من قبل في استمالة الغاياتي قائلاً: «أنه كم مهمل وأنه جاسوس» وها نحن نراه يشتغل ويتحرك. فلماذا لا يطلبه الاخوان، ويسألونه عن الشخص الذي حركه ويكذبونه ويؤنبونه، وهم رجال لهم قيمة وهو ماتعلون؟ وإن سموه يقول: «طبعاً إن شفيقاً لم يحدثه وجلال الدين ويكن وسيد كامل والشيخ محمد عثمان والبشرى لم يقابلوه، وهؤلاء هم الحاشية؛ فكيف ينسب الغاياتي لأحدهم هذا الحديث؟» وسموه بأسف لأن الاخوان لا يشتغلون ولا يعملون شيئاً، حتى لاستمالة الغاياتي فقلت له «إن الاخوان لا يريدون أن يعملوا شيئاً قبل أن يعرضوا الأمر على الجنب العالي؛ ولهذا طلبوا مني الكتابة إلى سموه» وما دام يقول بأن أحداً من حاشيته لم يتحدث مع الغاياتي فيمكننا أن نكذب الخبر». قال: «افدينا لم يأمرني أن أقول لك يا باشا أن تكذب الخبر، إنما قال لي ما سمعته مني» فوعدته بأن أبلغ الاخوان بما عرفته منه (إنما فهمت من خوى كلامه إن سموه لا يريد أن أكذب مقال الغاياتي، وإلا لأمر صراحة بأن أرسل التكذيب مني)

وفي يوم ١٩ منه قابلت الاخوان الثلاثة، وأخبرتهم بما سمعته من الدكتور سيد كامل، فرأوا أن التكذيب واجب، إما من الخديو أو أحد رجال الحاشية،

ولم يوافقوا على فكرة استحضار الغياقي لتأنيبه ، ولا لاستمالته ، لعدم ثقتهم بأخلاقه ، وعدم اعترافهم بأهميته

وظهر من حديثهم أنهم يعتقدون أنه مأجور من الخديو نفسه ليكتب ما كتب ، بقصد التقرب للانجليز ؛ وأخيراً انفقوا على أن أكتب إلى الدكتور سيد كامل بأنهم إنما طلبوا التكذيب لأن الغياقي يعزو هذا الحديث إلى أحد رجال الحاشية ، وأن التكذيب لا يكون إلا من أحدهم

وفي المساء حضر عندي عبد الله البشري ليعرف ما تم بيني وبينهم ؛ فأخبرته به وسلمته الرسالة التي كتبناها ، فلم يرد لنا رد بالتكذيب

وفي يوم ٦ مارس دعانا الخديو إلى مقابلته في لوزان ، وكأنه أراد بذلك أن ينفي ما علق بأذهاننا ، من أنه قرر الابتعاد عن رجال الحزب الوطني ، ويقنعنا بكذب ما ادعاه الغياقي !

مخابرات الخديو مع الانجليز ومذاكرته ووساطة ملك البلجيك

سفير ألمانيا على علم بالمخابرات : زرت سفير ألمانيا في يوم ٢٤ يناير فوجدت عنده معلومات فحواها أن الخديو يسعى للمخابرة مع الانجليز ولم : أكن أعلم شيئاً عن ذلك . ولكن في يوم ٣٠ منه ، قابلت أغاطون بك الأرمني وهو أحد كبار المزارعين بمصر ومن المتصلين بالخديو ؛ ودار الحديث بيننا عن الشؤون الحاضرة فعلبت منه أن سموه كان قد كلف باغوص نوبار باشا أن يسعى لايجاد التفاهم بين سموه وبين الانجليز ، وأن باغوص لم يقيم بذلك نظراً لوجود علاقة بينه وبين السلطان حسين ، ويخشى أن يتهم بأنه يدس له الدسائس ، وأن الخديو مستاء منه من أجل ذلك

وأبدى أغاطون بك رأيه لي ، بأن الأصوب هو اطلاع السلطان حسين على الأمر قبل قيام باغوص بأى عمل ، وعظمته لا يكره سعياً من هذا النوع ، وأن الواجب هو أن يقيم الخديو كما هو الآن في بلد محايد ، ويتمتع عن الاختلاط برجال الحزب الوطني حتى تنتهى الحرب . وبعد ذلك يفتح الانجليز فيما يريد . أما الآن فهم مشغولون بالحرب عن كل شيء آخر

ولما سمعت هذا الكلام تأملت في نفسي لما فعلت بمساعي الخديو ، وفهمت

لماذا خرج للسويسرة ، ولماذا أتى أن يعاون الطلبة ؛ وابتعد عن فريد والشمسي وسواهما ، وأقام في لوكارنو بعيداً عنهم ؛ ولم يكذب ما كتبه الغياي من أنه يقيم على الحياء بعيداً عن رسل الألمان ورسـل أنور باشا

وكذلك لم أستبعد أن يكون حبيب لطف الله الذى قابل الخديو فى جنيف ، قد عاد إلى مصر لأجل هذا الغرض ، كما سمعت ذلك من قنصل ألمانيا

وقد قابلت على الشمسي يوم ٣١ منه ، فأخبرته بما فهمته من حديث أغا طون بك فسأل : وما غرض الخديو من ذلك ؟ فأجبتة : أنه نصح له باتباع هذه الطريقة . فقال : « لا بأس فهذا ربما كان أفضل فى مثل هذه الظروف المضطربة »

عباس يحدثنى عن مساعيه الخفية : وفى يوم ٣٤ أبريل خلوت بالخديو ففتيح لى قلبه ، وحدثنى عن مساعيه الخفية فقال : « نحن يا شفيق اشتغلنا من شهر يناير الماضى



حبيب بك لطف الله

فانه لما حضر حبيب بك لطف الله عرض على من قبل المؤتمر العربى فى بلاد سوريا وغيرها أن أكون رئيساً لها ، واستأخضر منها بعض الرجال منهم الضابط والتاجر والعين ؛ وقصدوا سفير انكلترا فى برن ، فلما سمع أنهم يطلبون الخديو رئيساً انزعج ، وعلم أن نفوذى بين العرب قوى على الرغم من خلعى ، فتقرر ذهاب هذا الوفد إلى مصر لمفاوضة رجال الانكليز فيها ؟ فسافر ، ولكن يظهر أنه لم يرق فى نظر هؤلاء عمل شئ الآن ، واكتفوا بأخذ معلومات الوفد عن حالة سوريا الحقيقية وقد تمكن حبيب لطف الله من الخروج

والسفر (لأن انجليز مصر فضلوا أن يتكلم فى مشروع الوفد مع حكومة لوندرة) ولكونه يعرف ملك اسبانيا فما هو ذا الآن معه فى نزهة ؛ وقد أرسل إلى بواسطة نظارة الخارجية الاسبانية خطاباً على يد السفير فى برن ، فكتبت أطلب منه الحضور إلى هنا ، فوعده ولم يف فعلت أنه يصعب عليه ذلك « وقد أظهرت لسموه استحسانى

لما قاله، فاستمر قائلاً : « ولما راجعنا سفير إنجلترا في برن للوصول إلى حل مرض يناسب مركزي، طلب أن أنزل كتابة عن عرش مصر بين يديه، كأنه يريد أن يضع السكين على رقبتى من الآن؛ فرفضت، لا لأننى أطمع فى رجوعى إلى عرشى ولو كان النصر حليف الألمان والأتراك، لأننى لا آمن لهم. أما إذا كان النصر حليف الانجليز فلا أقبل الحماية، لأننى حكمت ثلاثاً وعشرين سنة بدونها فلا أطأطأ رأسى لها؛ ولكنى أحفظ هذا العرش لابنى، فانه لم يتقيد إلى الآن بأى (régime) نظام، فاذا تمسكنت من ذلك، وعرض عليه العرش فهو وشأنه فى قبوله أو رفضه

وساطة ملك البلجيك لحفظ حقوقه المادية : « وقد فكرت فى وساطة محب للمتخالفين، وهو ملك البلجيك على يد سفير بلجيكا سابقاً فى الاسطانة؛ وكنت قابلته؛ فأرسلت إلى الملك أقول: « انتى أردت أن أسوى حسابى مع إنجلترا، ولكنهم يريدون وضع السكين على عنقى » وطلبت منه أن يساعدنى لدى الانجليز، ولما برح سفير بلجيكا إلى الهافر لم يجد ناظر الخارجية، ثم قابله فى باريس، ولكنه خشى أن يكون فى الخطاب شئ يسوء الانجليز، فلم يرد أن يقدمه قبل التحقق مما فيه؛ فأرسلت له مذكرة تفصيلية عنه، حتى يعلم الا شئ فيه يستوجب الملاحظة؛ وهأنذا أنتظر أن يأتى الرد »

وقد فهمت أن اهتمام الانجليز بمسألة عرش سوريا، وتركهم حبيب بك لطف الله يسافر حراً، ويتحدث فى هذا الموضوع الخطير، كان مناورة منهم ليطمعوا الخديو فى عرش سوريه، حتى ينالوا غرضاً آخر كانوا يبحثون وراءه، وهو حمله على التنازل عن عرش مصر.

وقد قلت لسموه : « إنه يحسن ألا يفكر فى أمر التنازل لأنه السلاح الوحيد الذى يملكه الآن فاذا أخذه الانجليز منه لم يعودوا يهتمون به وكذلك يخسر عطف الألمان وحلفائهم، ولا يعود لمسأله أهمية عندهم حين يصبح فرداً من الافراد » فوافق على ذلك وقال : « لقد أخبرتهم أنى لا أتنازل إلا إذا ضمنت مركزاً سياسياً (يعنى عرش البلاد العربية) وإننى هددتهم باستخدام السلاح الدينى » فقلت « لقد وضعت البرغوث فى آذانهم !

شروط الانجليز : وفى يوم ١٠ مايو أرسل موسيو بارودى مراقب البعثة

المصرية في سويسرة بأن جهة غير رسمية طلبت منه العمل للتوفيق بين مصلحة الخديو ومصلحة إنجلترا ، فأرسلنى سموه لمحدثه .

ولما قابلته أبدى لى أن الوقت مناسب الآن للمخابرات قبل انكسار الألمان ، لأنهم إذا انكسروا فى «إيفردون» كما هو المنتظر ، فإن الحلفاء لا يهتمون بعدها بالخديو ولما سألته : ما الذى يحدث الآن لو أن سموه لم يتقرب للحلفاء ؟ فأجبنى بأنه من المنتظر فى هذه الحالة مصادرة أملاك الخديو وأمواله ، بخلاف ما إذا اتفق معهم فإنه يأمن عليها ، وتخصص له مرتبات سنوية ؛ وإذا أصاب أملاكه فى تركية والضلمان ضرر فإن إنجلترا تعوضه عنها .

فسألته : هل يعتقد بنجاح هذا المسعى ؟ فأجاب بالاجاب .
فسألته عن الجهة التى كلفته بالمخابرة ، فراوغ وأخيراً قال : « إنه يعمل بصفة شخصية خدمة للخديو ، لأنه مذ كان موظفاً فى مصر كان يعطف عليه »
فأخبرته أن مساعى من هذا النوع فشلت ، لأن السفير الانجليزى فى برن طلب من الخديو أن يتنازل عن عرشه كتابه .

فأجبنى : إن هذا السفير لا يعرف الذوق والمجاملات السياسية فلا عجب إذا فشلت المساعى .

فسألته عن كيفية فتح المخابرات ؟

فقال : « أن يرسل السفير للجناب الخديوى يقول له . « إنه علم أن سموه حضر الى بلد محايد ليتخابر مع حكومة إنجلترا ، وأنه يقبل الاعتراف بالانقلاب ، ويسلطة السلطان حسين » فيرد الخديو بأنه قابل لما جاء فى الكتابة المذكورة . وطبعاً تبقى هذه المخابرة الكتابية سرية لا يطلع عليها أحد »

فاعترضت على تبادل المخابرات كتابة من الآن ، وسألته : لماذا لا يكون ذلك بعد الحرب ؟ قال : « أخشى أن يفوت وقتها أما الآن فالفرصة مناسبة »

وقد رويت ليكن حديثى مع بارودى فاستعاده ثانية ، وسألنى عن رأى فيما إذا كان مكلفاً من قبل السفارة بهذه المخابرة ، فقلت : « لا أظن ، وإنما يريد أن يتوسط ليحز جائرة من الانكليز ، ويكبر فى عيونهم فينال تقدماً ، وإنهم ليقبلون كل شيء يعمل بأية واسطة مادام فى صالحهم ؛ والذى يقوله بارودى هو ولا شك فى صالحهم لأنه عند الصلح يجرى ذكر مصر ، فيبرز الانكليز اعتراف الخديو بالانقلاب » قال :

« أما التنازل فانهم لا يرغبون أن يكون صريحاً في الكتابة التي يعطيها أفندينا ، لأن الأتراك لا يعترفون بتنازله لأية دولة إلا للدولة العلية صاحبة الشأن » فأمنت على قوله ، ولفت نظره لمسألة هامة ، وهي أن لا يحصل كلام بين الخديو وبارودي مباشرة بل يكون بالواسطة ، حتى يتسنى لسموه إذا اقتضى الأمر ذلك ، أن لا يعترف بما حصل ويبعد عنه الواسطة ، وقلت له : « إنني لأرى الوقت مناسباً لطرق الموضوع لأننا غير عارفين بما سيأتي به الغد ، وأن الخديو ببقائه على الحياد كما هو الآن يمسك العصا من طرفيها ؛ وأن ما يقوله بارودي من إعطاء مخصصات لسموه ، وتعيين البرنس عبد المنعم ولياً للعهد يمكن أن يناله بعد الصلح . أما إذا امتدت الحرب لمصر ، وأتيح للأتراك والألمانين الدخول في أرضها لما بعد القتال — ولو بقي الانكليز في جهات أخرى منها — فأنني أرى أن يرجع الخديو حينئذ لعرشه حتى يعلم العالم الاسلامي أن الخلافة تمكنت من قهر أعدائها ؛ وارجعت الخديو لعرشه بعد أن خلعه الانكليز وإنما في هذه الحالة أظن أن الأتراك يكيّدون له فيجبر على أن يتنازل لابنه »

الأتراك يحاولون استمالة عباس الهم : وفي يوم ١٥ نوفمبر كنت عند الخديو مع عبد الحميد شديد ، فقال : « إن فؤاد بك سليم زارني يوم السبت الماضي ، ويزعم أن الانجليز هم المدبرون لما أصاب يكن باشا (وسياتي تحت عنوان خاص) وغرضهم هو الايقاع بي . وأن أنضايق من حالي ، وأجيبهم إلى ما يطلبون وهو التنازل عن الخديوية ويعلمون أنهم لو حصلوا على ذلك تعزز مركزهم في مصر لأنه ضعيف الآن . وقد رددت لفؤاد بك سليم زيارته أول أمس ، ولما كنا منفردين قال لي : « إن الانجليز يريدون أن يحصلوا من الجناح العالي على هذا التنازل ؛ ويعدونكم أن يضمّنوا لكم أملاكم ويعطوكم مخصصات سنوية ، وإذا لم تدعّوا لنصيححتهم جردوكم من أملاككم . وهبهم فعلموا ذلك فالدولة العلية تعامل الرعايا الانكليز عندها بنفس هذه المعاملة ، فتجردهم من أملاكهم وتعوض سموكم منها ، وأرى أن أفندينا يصلح سياسته مع الألمان ، فيسهل بعد ذلك كل أمر » . قال سموه : « فأجبتة شاكرآ له حسن مساعييه لدى الحكومة السويسرية حتى وصل هو وزميلاه سفيرا ألمانيا والنمسا إلى الاعتراف بمركزي الرسمي ، وقلت له : « انني تأكدت من هذه المساعي بقاء المودة التي كنا عليها في الصغر » وقد قال لي : انه لما ندب لسفارة سويسرا ، ولقي خليل بك ناظر خارجية الدولة العلية كلفه هذا أنه إذا قابلني يعلنني أن مقامي محفوظ ، وأن سياسة الدولة لم

تتغير من ناحيتي ، وأنه يستوى عندها أن أقيم في سويسرا ، أو أرجع إلى الاستانة ، وإذا عدت إليها فاني لا أجد غير الحفاوة اللائقة بي . ولم يدخل الخديو في مناقشة مع فؤاد سليم فيما قاله ؛ ولكنه فهم أهمية المتحادثين في كلارن وفي برن وقال لنا : « ان السفير يقول لي تليحاً أن أترك المساعي التي أبذلها عند الانكليز لضمانة ملاكي والحصول على مرتبات سنوية ؛ ولعله هو وسفير ألمانيا وسفير النمسا عالمون بهذه المساعي ، ويخافون أن تتوج بالنجاح ، وأن أتنازل للانجليز عن الأريكة ، فيقوى مركزهم ؛ ويضعف مركز الدولة العلية ولهذا يعدوني بالتعويض والمخصصات » قلت : « وأنا أميل إلى هذا الحل وأقترح أن يكون التعويض من جفالك الدولة الحرة وهي شأنها في أملاك الانجليز » وقد أظهر عباس رغبته في أن تكون المخصصات ٤ ألف جنيه مثل المرتب الذي أعطى لاسماعيل باشا عند تنازله عن أريكة مصر . قلت : « وربما يعطى لأفندينا جفلك آخر في مقابلة هذه المخصصات » قال « وبما انك ياشفيق تعرف فؤاد سليم ، فاني مشخصك إليه لأخذ التفصيلات عن اقتراحه ، ولمعرفة ما إذا كان مذ تكلم به مأذوناً من حكومته ، وباتفاق بينها وبين ألمانيا والنمسا ، أو غير ذلك . وبعد المناقشة في : هل الأصوب أن تكون زيارتي رسمية أو شخصية ، اتفق الرأي على أن تكون رسمية ؛ وأن أسافر غداً إلى برن لهذه الغاية .

وفي المساء جاءني منه أمر بقيامي في قطار الساعة العاشرة صباحاً ، وأنه سيلاقيني في هذا القطار ؛ وقد أخبرني عند تلاقينا أنه قابل أمس مساء ملحمة باشا ، فعلم منه أن البلجيكي الذي عهد إليه سموه أن يعمل المساعي لدى ملك البلجيك ليتوسط لدى الحكومة الانجليزية ، أنبأه أنه سيسافر غداً إلى باريس لهذه الغاية ؛ وأنه قابل رامبولد سفير إنجلترا في برن ، وسمعه : « يقول إن العمل المختص بالخديو سائر سير أحسن ، ولكن يخشى أن يعرقله سموه بأفعاله » قال الخديو : « وحيث أن الأمر كذلك ، فلا يلزم ياشفيق أن تتعمق في التورط مع الأتراك ، بل تجيب فؤاد سليم عن كل ما تسمعه منه انك ستعرضه على » (ومن ذلك علمت أن الخديو يأمل أن يسوى مسألته مع الانجليز رأساً وأنه يفضل ذلك) قال سموه : « واني ذاهب إلى برن لمقابلة البلجيكي والتكلم معه قبل سفره ، وهذا في أثناء وجودك مع فؤاد سليم »

العمل لتحسين العلاقات بين عباس وحلفائه : وقد توجهت للسفارة ، فقابلني فؤاد بك بحفاوة ، ومكثنا نتحدث مدة ثلاث ساعات ونصف ساعة ، بدأتها بأن أعلمته أنني منتدب من قبل الخديو لمقابلته على أثر دعوتي إلى كلاران ، ووقوفي من سموه على ما دار بينهما من الحديث ؛ وان سموه شاكر للمساعي التي بذلها عند الحكومة السويسرية ، ويقول : « انها تدل على استمرار المودة بينهما من أيام المدرسة » فقاطعتي فؤاد بك قائلاً : « ان ما فعلته هو الواجب » . قلت : « وسموه متشكر للدولة لأنها تفكر في مستقبله بحيث إنها — لا سمح الله — إن لم تنتصر في هذه الحرب ، واستمرت انكسرتا في مصر ، وصارت أملاكه لعدم إذعانه لرغائبها ، ولم تقرر له مخصصات سنوية فان الدولة تعوضه عما يفقده بأملك رعايا الانكليز في الدولة ، وترتب له مخصصات تكفيه ؛ فقاطعتي قائلاً : « أما التعويض فقد ذكرته لأنني لما كنت في الاستانة ، وشاع الخبر أن الانكليز قد صادروا أملاك الخديو والوالدة والصدر الأعظم ، تأيمنت أن الحكومة كانت عازمة على مصادرة أملاك الانكليز . وعلى هذا عرضت من تلقاء نفسي على الخديو ما تفعله الدولة إذا صادرت انكسرتا أملاكه . أما المرتب السنوي فهذا أيضاً من البديهي ، لأن الدولة لا تترك سموه بعد أن حالفها . وهذا هو رأيي الخصوصي . أما ان كان هناك فتور بين سموه وبين بعض رجال الدولة فهو لا شيء إذا قيس بما كان بين اسماعيل باشا والدولة ، وسموه عند ما يرجع إلى الاستانة يتبوا المكان اللائق به فضلاً عن أنه لا يجد مكاناً يستريح فيه إذا لم تسمح المقادير برجوعه إلى مصر مثل الاستانة التي فيها قصره وأملاكه .

« يود الانكليز أن يرغموه على النزول عن عرشه ، ويمنونه في مقابلة ذلك بألا يمسوا أملاكه ، وأن يرتبوا له مخصصات سنوية ؛ ولكن هذا شيء طفيف بالقياس إلى عرش مصر ؛ ثم إن سموه لا يليق به أن يمد يده إلى أعدائه ، ويتناول منهم مرتباً » قلت : « لا يبعد أن الدولة في مؤتمر الصلح تطلب عدم مس أملاكه وتقدير المرتب » قال : « هذا جائز » قلت : « نعم ان الانكليز يحاولون من مدة طويلة الوصول إلى تنازله ؛ وربما تكون يا فؤاد بك على غير علم بهذه المساعي ؛ فقد ابتدأت ونحن في فينا على يد البرنس جميل طوسون ، إذ وسط يوسف صديق باشا في أن يعرض — إذا نزل الخديو عن العرش — ان انكسرتا تحترم أملاكه ، وتخصص له من المرتبات بقدر ما كان لجده اسماعيل باشا ، وأن ولاية العهد تكون لأكبر أنجاله واشترط

البرنس أن يأخذ في مقابلة وساطته مليوناً من الفرنكات . فقال فؤاد : ممن ؟ فقلت : من الخديو . قال : « وربما يأخذ من الطرف الثانى شيئاً أيضاً » . قلت : « وإننى لسمعت من يوسف ذلك أجبتة إنها مسألة خطيرة ويلزم إخبار حسين حلمى باشا بها » . هذه هى المرة الأولى وقد رفض الخديو أن يدخل من الباب الذى فتح له . أما المرة الثانية فقد كانت فى عهد سفير انجلترا السابق فى برن ؛ وقد طلب من سموه أن يتنازل كتابة فرفض ، وقلت لسموه : « إن ما يطلبه السفير هو سلاحك والانكليز الذين يخشونك به يريدون نزعك منك ؛ فلو تنازلت عنه أغفلوا شأنك ، ولم يسمعوا كلامك ، وهذه عادتهم فانهم يخضعون لمن هم محتاجون إليه ، ويفضون النظر عنم لا حاجة لهم عنده » وهكذا حبطت مساعى السفير . والمرة الثالثة كانت على يدى وذكرت له ما عرضه مسيو پارودى ، واقتراحه أن يكتب الخديو ورقة يعترف فيها بالانقلاب الذى تم فى مصر ؛ وقد رفض سموه الكلام فى هذا الموضوع . فمن ذلك يتضح أن الانكليز يسعون كثيراً للاتفاق مع الخديو ؛ وسموه لما كان فى الاستانة وعرض عليه سفير انكلترا فيها السفر إلى إيطاليا ، ورفض الطلب كان يعلم بالمضار التى ستتاله أدياً ومادياً ، فلم يبال بذلك لأن مبدأه من وقت توليته إلى قيام الحرب هو السير مع الخلافة ، ولهذا تضافر معها بغير دافع من أى انسان إلا دافع الغيرة الدينية ، ودون مطلب إلا رجوع الحال فى مصر إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال .

قال فؤاد : « وأنا أيضاً مبدئى أن أرى الدولة العلية قوية ، وأن تكون مصر مستقلة فى داخليتها كما كانت دائماً ؛ وتكون عسكريتها قوية فتساعد الدولة عند الاحتياج فنكون أشبه شىء بالعلاقة بين المجر ودولة النمسا . وهذا رأى رجال الدولة حتى أن طلعت باشا قال لى : « اننا لانس الادارة المصرية لأنها خير من إدارتنا » ولكن لا أخفى عنك أن بعض الأتراك يرغبون فى الرجوع بمصر الى مرتبة الولاية التابعة ؛ ولكن ليس هذا رأى رجال الحكومة . وأنا أرى أن أفندينا يجتهد فى تحسين العلاقات بهم . نعم أن فيهم من هو قليل التجارب ؛ ولكن أفندينا يستطيع بما أوتى من الحكمة والقدرة أن يجذبهم اليه » قلت : « وما هى الطريقة ؟ » قال : « ببعض رسائل ودية عند سنوح الفرصة ، أو أن يعهد إلى أن أبلغهم مودته » قلت : « أن الفرصة سانحة الآن فيما أنه حضر لزيارتك ، ولشكرك وشكر الحكومة على

مساعدتها في حادثة يكن ، حينما تكتب الى ناظر الخارجية تطلب منه بصفة خصوصية أن يكلفك بتحياته ، وإذا كلفت بشيء فاطلب من سموه الحضور عنده لا بلاغه الرسالة حتى تكون سابقة ، ورويداً رويداً تتحسن العلائق بينكما ؛ وبالتالي مع الحكومة ورجالها ، وأنا أعاهدك على أنني أساعدك في هذا ؛ ولا أخفي عنك أنني اجتمعت في حملي على الرجوع الى بلاد المحالفين له ، وإنما الخديو مستاء ، ولا رغبة له في الرجوع الى الأستانة ، لأنهم ألقوا في روعه أن حياته تظل مهددة هناك ، حتى إننا كنا سعيينا في أقماعه بامضاء شهر رمضان فيها عندما كنا في فيينا فلم ننجح للأسف ، وأظن أن صاحبته الفرنسية هي التي تؤثر في فكره ، وتمنعه أن يذهب الى بلاد المحالفين ، وتجهد في إبعاد المصريين عنه ؛ وحكيت له ما قالته لي لوزانج في فيينا : من أن سموه لا يريد أن يرى أحداً منا ، وعرضت عليه أن يحسن علاقته بالألمان . قال : « نعم لأن مسألة يكن تعد أحرجتهم في سويسرا » (١) قلت : « هذا صحيح ولا بد أنهم تكذبوا من ذلك ، فأرجو أن تدلني على الطريقة الموصلة الى إزالة هذا الكدر ، كما أنني دلتك على طريقة الوصول الى تحسين العلاقات برجال الدولة » قال : « إننا اذا أفلحنا في هذا سهل علينا أن نفلح في تحسين العلاقات بألمانيا ، أما النمسا فان كل مانقره أنا وسفير ألمانيا يوافق عليه سفيرها هنا ، وعلاقتي بسفير ألمانيا على غاية المودة ، فانبداً أولاً بالطريقة الموصلة الى إصلاح الأمور بين الخديو ورجال الدولة ، وإنني سأسير في هذا الطريق » ثم طلب مني أخيراً أن أكون الواسطة بينه وبين الخديو في المخاطبات ولا أدعها لأحد آخر ؛ وانتقد الدكتور سميد كامل لأنه يتكلم بلهجة يشتمز منها الأتراك ؛ ثم ودعته وخرجت فقابلت الخديو في دكان شديد بك (١) وعرضت عليه خلاصة ماسمعه من السفير ، فلم يعجبه القول بأن الدولة تطلب تخصيص مرتب له في المؤتمر ، وقال : « حينئذ هي لا تريد تخصيص مرتب لي » ؟ ولما كان هذا القول اقتراحاً مني لفؤاد بك ، فقد حاولت أن أفهمه أن السفير يقول : إن أخذ مرتب من الانجليز عار على سموه لأنهم أعداؤه ، ولا يليق أن يطلب منهم شيئاً » وقد فهم أن مسألة المرتب وضمان أملاك الخديو كانت من بنات أفكار فؤاد بك ، وليس بايعاز من حكومته ، ثم قال لشديد الذي كان حاضراً معنا : « هناك فرق كبير وبون شاسع

(١) سيأتي ذكرها في فصل خاص

(٢) في هذا الوقت كان شديد بك قد افتتح محل تجارة في برن

بين وعد تركي ووعد انجليزى (يعنى أنه لا يثق بالوعد الأول) فواقفه شديد على ذلك ، ثم قال : « ولـكننا نسير مع فؤاد سليم فنحسن علاقاتنا بالأتراك ونعمل عملنا من الجهة الأخرى ، وعند ما نصل مع هذه الجهة إلى نتيجة نقول لسليم بك : « نحن لا نريد أن نعمل أمرا من وراء ظهرك ، فها هي ذى شروط الاتفاق مع الانجليز ! » . وذهبا بعد ذلك الى المحطة حيث كان فى انتظارنا الدكتور سيد كامل ، فسافرنا ولم تنبأ الفرصة مع وجود الدكتور لسؤال الخديو عن نتيجة مقابلته للبليجيكى ، خصوصا وقد حصل الاتفاق بين سموه وبينى وبين شديد بك بالأنا نطلع أحدا على أحاديثنا فى مسألة الضمان والمرتب مع الأتراك .

وفى يوم ٢٩ نوفمبر كنت عند الخديو بحضور عارف والدكتور سيد كامل والبرنس ابراهيم حلمى وعبد الحميد شديد والبشرى ، وتناقشنا فى الموقف الحاضر . فقلت : « ان الواجب على أفندينا أن يتخذ خطة واضحة يبين فيها رغائبه واحدة فواحدة ، فنسعى فى تنفيذها ، وأنا مستعد للعمل فيها » . فقال شديد : « وجودنا على الحياد لا يفيد ، بل يضر ؛ ويلزم أننا نلجأ إلى أحد الجانبين » . وقال البشرى : « ان أفندينا له مصالح فى مصر وفى الدولة العالمية ، فلننظر إلى أهميتها ، ونضحى بالجهة التى تقل فيها منافعنا ؛ ولو نظرنا إلى أملاك أفندينا نجد أن له فى مصر ما يساوى ملايين الجنيهات ، وما هو فى الدولة لا يعد شيئا إذا قيس به (يعنى أنه يرجح فكرة الانضمام لجهة الانجليز) . فقلت : « إن الانجليز لا يرغبون الآن فى موالاته سموه » وجوابه يقول : « إنهم حينما تأتى سيرته يقولون : « نعم إنه يميل إلينا الآن لاحتياجه » فيبعدون عنه ، ثم إذا كانت انجلترا هى الغالبة فهى لن تسمح له بالرجوع الى مصر ، وهو لا يود أن يعيش فى بلاد مسيحية ، ويفضل طبعاً الإقامة فى الآستانة : فكيف يكون حاله لو انضم الى الانجليز الآن ؟ إنه لا يستطيع العودة إليها . »

وقد تناقش سيد وشديد فيما إذا كانت انجلترا تسمح لسموه أن يبيع أملاكه فى مصر ويأخذ منها . فكان من رأى الثانى أنها لا تسمح خشية أن يستعمل النقود ضدهم فى مصر .

وبعد المناقشة كان رأى الأغلبية يميل الى ترجيح جانب تركيا ، ماعدا عبد الحميد شديد وعبد الله البشرى .

نص المخبرات بين عباس وملك البليجيك : وقد اطلعت فيما بعد على الرسائل

التي تبودلت بين ملك الباجيك والخذيو . بخصوص توسط جلالته لدى الانجائين ،
أثبتها هنا لأهميتها :

— ١ —

« مولاي :

أسمح لنفسى إذ أذكر تلك العلاقات الودية التي تشرفت بقيامها بيني وبين جلالتهكم
أثناء زيارتكم لمصر أتم و جلالة الملكة ، بأن ألقا إلى عطف تدخلكم السامى
كى تعينونى جلالتهكم على إيجاد حل لمشكلتى

واقدر حسبت يا مولاي — بحق ولا ريب — أن المحن الشديدة التي تجتازون
مضمارها ببطولة فائقة أتم ومملكتهكم الجديرة بشجاعتكم ووطنيتكم بكل إعجاب ،
حسبت أن تلك المحن تزيد جلالتهكم ، بما جاتكم عليه من طيبة ، عطفاً على كل بؤس
ومصاب . فلما أن لقيت صديقي القديم « الكونت دودريك » وكان بالسويس
وزير جلالتهكم الممتاز الذي كنت عرفته في الآستانة ، رأيت أن أرجو منه أن يعرض
على جلالتهكم رغبتى في الوصول بفضل عطفكم وتدخلكم إلى تسوية مع إنجلترا ،
ترضيبنى وترضى حكومة صاحب الجلالة البريطانية معاً

وسأظل يا مولاي مديناً لجلالتهكم بالعرفان كله لتكرمكم باعانتى على إيجاد ذلك
الحل الذى سيعرضه على جلالتهكم « الكونت دودريك » إذا تفضلتم جلالتهكم
فأذنتم له بالعرض واستقبلتموه . ولجلالتهكم ، إذا رأت هذا رأى ، أن تسمح له
بأن يقوم عند الضرورة لدى حكومة صاحب الجلالة البريطانية بالمساعى المطلوبة
وإنى لأتمنى من الأعماق أن أرى فى أقرب ما يستطيع ، جهود جلالتهكم التي
تفوق كل جهد بشرى ، مكللة بالنجاح .

وأرجو ، إذ أعذر مختصاً عن إفلاق جلالتهكم فى هذه الظروف المؤلمة ، أن
تفضل جلالتهكم بقبول عبارات احترامى وإخلاصى

عباس حلمى

لوزان فى ١٢ مارس سنة ١٩١٦

— ٢ —

« مولاي :

لما تسلمت كتابكم وكتاب « الكونت دودريك » بادرت بالعمل على السعى
لدى الحكومة البريطانية .

وقد وصل إلى الرد الآن . ومنه علمت أن الحكومة الانجليزية مستعدة - بناء على تعليمات سر ادوارد جراى - لأن تقترح على سموكم تسوية إذا شئتم وإني لأذكر بالسرور ذلك الزحاح الجميل الذى لقيتموني به فى مصر منذ خمس سنين ، وأحفظ من أجله خالص العرفان .
وأرجو من سموكم أن تثقوا دائماً فى أصدق عواطفى نحوكم .

السير

« لابان » فى ٢ يونيه سنة ١٩١٦

— ٣ —

« مولاي :

سلمنى الكونت دود زيك الرد الرقيق الذى بعثتم به جلالتم إلى فى الثانى من شهر يونيه .

وإنى لأشكر لجلالتكم ما تفضلتم به نحو طلبى من حسن القبول وإنى كما أخبرت « الكونت دود زيك » لا أزال فى الحالة التى أملت على طلبى ، ولذلك فانى أنتظر اقترحات التسوية التى سيبلغها إياى سر ادوارد جراى ولعلى أستطيع المفاوضة بشأن هذه التسوية مع مندوب من قبل الحكومة البريطانية يكون واقعاً على مجرى الشؤون المصرية ، إذ يساعد هذا كثيراً على الحل المرغوب

فأرجو من جلالتم التفضل باقتراح هذا رأى ، وأشكر لجلالتكم هذا التفضل من كل قلبى

وإنى لأبتهل بالدعاء لجلالتكم بالهناء وتحقيق كل الآمال وأرجو أن تتفضلوا بامولاي بقبول عبارات أخلص الاحترام

عباس حلمى

لوازن فى ٧ يونيه سنة ١٩١٦

تسليم النقود الألمانية والحجز على مبلغ يوسف صريخ : سبق أن ذكرت أن وزارة الخارجية الألمانية أرسلت موسيو پادل (الذى كان بمصر قبل الحرب وله اتصال بعباس وبى) لتسوية حساب النقود الألمانية مع الخديو فى السويس

وقد رد عباس ما كان باقياً من هذه المبالغ وأخذ مخالصة من الألمان بها، رغم معارضة صاحبه مدام لوزانج في رد هذه المبالغ

عباس يوسف صديق : وقد علم القارىء من مذكرات العام الماضى أن يوسف صديق قد أخذ مبلغ مائة ألف فرنك لنفسه من هذه النقود .

وقد أودع منها فى بنك زوريخ مبلغ خمسة وسبعين ألف فرنك ، فحجز عباس عليها ، ورفع قضيته بمبالغ كانت للخاصة الخديوية عند يوسف ، مما أوغر صدره ، فألف رسالة كلها مطاعن فى سموه ؛ وقصد الى النمسا ليطبعها هناك ، ولكن حكومتها علمت بالأمر فمنعت طبعها

وفى يوم ١٨ فبراير لقيت على الشمسى فأخبرنى أن يوسف حضر من فينا ليشاور محاميه فى الدعوى المقامة ضده ، وأنه سأل : لماذا لا يسلم للخديو فى هذا المبلغ مع أنه من نقود الألمان ؟ فأجاب بأنه يريد أن يجبر عباساً على رد أموالهم التى أخذها ، قال الشمسى : فقلت له : « ولكنى أعرف أنه حاسبهم ودفع الباقى عنده لهم » فأجاب بأن المدفوع ليس هو الكل ، بل ستمائة ألف فرنك فقط ، فأكدت له أن المدفوع أكثر من ذلك ، فقال يوسف : « حينئذ أنا أطلب منه أن يترك لى مبلغ عشرين ألف فرنك باقى مرتبى ، لأنه كان يعطينى نصفه فقط ، ونفقات أنفقتها فى مهام لم آخذ منه بدلها » . فقال الشمسى : « الأصوب أن تذهب لمقابلة سفير ألمانيا فى برن ، وتعطيه تحويلاً بالمبلغ وتنتهى المسألة ، وربما صفح عنك الخديو » فقال : « وأنا بعدها ماذا أصنع ؟ وقد قطع الأتراك مرتبى ، لأننى رفضت العودة إلى الآستانة إذ رأيت أننى إذا أجبت طلبهم وعدت فرما قطعوا المرتب بعد شهرين أو ثلاثة وحظروا على الخروج » .

ثم ذكر للشمسى : أن بوليس الخديو أنشط من البوليس السرى فى سويسرة ، فانه ما كاد يطأ أرضها حتى علم من محاميه الثانى أن محاميه الأول الذى اشتراه الخديو ، حادثه تليفونياً وسأله عن سبب حضور يوسف ، ولم يكن قد عرف بعد بحضوره . وكذلك لم يكده يستقر بالفندق حتى حادثه نشأت باشا الالبانى تليفونياً ، وسأله عن مهمته فى السويسرة ؟ فرد عليه بأنه حضر من أجل القضية المقامة ضده من الخديو ، فقال له : « إن المسألة لا تحتاج لقضية ، ويمكن إنهاؤها فى دقائق »

وفي يوم ٦ مارس كنت في لوزان عند الخديو بحضور لبيب وفهمى والشمسى، فأخبرنا أن يوسف أراد التقرب منه ، ووعد بتقديم الرسالة التى ألفها ضد سموه مع كتابه يقول فيها : « انه كتب تلك الرسالة فى فورة غضب ، وأن أعداء الخديو انتهزوا هذه الفرصة فحرضوه على التشهير به » أما المبلغ المحجوز فقال عباس : « انى قدمت للمحكمة مخالصة من الألمان ، ففقد يوسف حجته ، واقتنع بأنه لا مفر من الاستيلاء على المبلغ ، فسلم سلاحه »

وفي يوم ٢ ابريل علمت من اسماعيل لبيب أن الخديو تنازل ليوسف عن عشرين ألف فرنك ؛ وانتهت بذلك القضية ؛ وانقطعت العلاقات بين عباس ويوسف صديق

بين عباس ورماله والوطنيين :

بينى وبين سموه : ذكرت فيما مر وقوع جفوة بينى وبين الخديو من وقت أن صارحته برأى فى جلسة الجمعية التى ألفت للنظر فى كل ما يهمه ، وتكلمت بشدة فى وجوب توضيح سياسته حتى نعرف اتجاهه ؛ وأنتى أقت فى جنيف وأبلغت من قبله أن أبقى حتى ترد ل أوامر أخرى

وفي يوم ٢٦ فبراير سنة ١٩١٦ زارنى الدكتور سيد كامل ؛ وأبلغنى أن الخديو قال له يوماً : « إن شقيقاً أوحشنا ، ومضت علينا مدة لم نره فيها ، وإن شاء الله سنراه حينما نذهب إلى لوزان » (وكان يقيم فى قصر كلاران مع صاحبه) فأجبت به بأن سموه كان قد قال للشيوخ عبد الحميد ، إنه سيأمر باستحضارى ولكن هذا لم يقع للآن .

وفي اليوم التالى علمت من هكسيوس أن الخديو حضر للوزان واجتمع به ، ثم عاد ، فعجبت فى نفسى من أنه لم يرسل إلى كما أرسل لهكسيوس

وفي يوم ٤ مارس زارنى عبدالله البشرى ، وأخبرنى أن عباساً حضر إلى لوزان وسيسافر غداً (أى ليس لديه وقت لمقابلتى !) وأنه أرسل ليأخذ ما لدى من الأخبار ، فأعلمته بما عندى

وفي يوم ٦ مارس ورد لى أمر تليفونى بالحضور إلى لوزان لمقابلة سموه مع لبيب وفهمى والشمسى فلما دخلت عليه رحب بى كثيراً ، فقلت : « يا أفندينا أنت

أوحشتني كثيراً» وهممت بتقبيل يده فأبى؛ وكان لطيفاً جداً معنا في هذه المقابلة، وجلس يسامرنا حتى منتصف الليل، وتوالت رسل صاحبه إليه لتناول العشاء حتى ملت، فأكلت بمفردها

وفي يوم ٦ مايو كنّا مجتمعين بسموه؛ واستطرد الحديث إلى المصريين الذين يطلبون إعانات، فتهيج وقال: «كل ساعة «فلوس فلوس» ما بقي على إلا أن أحضر ما عندي من النقود، وأقسمه مثل التركة بنشنا ونستريح» فتألمت من ذلك ورددت بشدة قائلاً: «ولماذا كنت تنفق على الشيخ محمد عثمان ٢٥٠٠ فرنك؟ أنا ما كنت راضياً عن ذلك فقال: «أسأل هؤلاء الجالسين الذين التمسوا منى هذه الاعانة» ثم سكت.

وقد علم القارئ في فصل سابق أن سموه رتب لى ألف فرنك حينما قطع مرتبى من الاستانة؛ ثم عاد فاقتطع نصفه دون سبب ظاهر، فكتبت إلى يكن باشا أسأل عن سبب هذه المعاملة، فلم أتلّق جواباً. ثم قضيت نحو شهرين في مدن الحمامات وعدت ولم يستدعنى سموه

وفي يوم ٣ سبتمبر أخبرنى الدكتور سيد كامل أن الخديو قال في ذات يوم: «ان شفيقا غضبان لأننى أعطيه فقط خمسمائة فرنك مع أن سفير النمسا في برن لا يأخذ أكثر من ذلك!»

وفي ٩ منه وردت لى رسالة من الشيخ عبد الحميد يقول فيها: «إن الجناح العالى أمره أن يكتب إلى بأن سموه راض عني، وأنه لم يستدعنى بعد «لعدم وجود أعمال الآن!». ويطلب منى أن اكتب رسالة بالشكر لسموه على سؤاله عني، وسروره بعودتى من الحمامات؛ وقد كتبت هذه الرسالة

وفي يوم ٧ أكتوبر قابلنى شديد بك وسلمنى اشتراك السفر وقد أرسله الخديو إلى للذهاب فى الغد إلى كلاران، مهتئاً بالعيد.

ولما دخلت عليه وقف وخطأ نحوى باشا وأخذ يبدى قائلاً «كل عام وانت بخير يا شفيق باشا» فأجبهته: «إن شاء الله نعيد على سموكم فى العيد المقبل بمصر» وكان مع سموه البرنس عبد المنعم ونجل محمود مختار باشا، والبرنس محمد على (وكان قد خرج من إيطاليا إلى السويسرة وأقام فى جهة منتهرو)

وفي يوم ٢٠ أكتوبر وردت لى رسالة من الشيخ عبد الحميد يقول فيها: «إن

الخديو بلغه ذهابك الى طبيب العيون ، وأنه أشار بعملية ، وهو يتنى لك الشفاء ، فأرسلت شما كراً

وفي يوم ١٧ نوفمبر قابلت الدكتور سيد كامل وكان الخديو قد بعثنى لمحادثة فؤاد بك سليم فى مهمة تختص بحفظ حقوقه فى السويسرة كخديو مصر ونجحت فى مهمتى . فقال لى الدكتور : « إن الخديو يقول : « هناك فرق كبير بين شفيق ويكن فان الثانى إذا ذهب فى مهمة لا يتكلم إلا فى عرباته وخيوله التى بيعت فى مصر » ثم قال : « وإننى أهنئك يا باشما بما استعدت من ثقة أفندينا بك » فضحككت فى نفسى وقلت : « إن هى إلا مدة قصيرة ، ثم لا يلبث أن يسمع منى فكرة حرة حتى يعاوده الغضب »

الشيخ محمد عثمان والخديو : فى يوم ٦ مايو دعيت إلى الخديو فى نوزان بحضور يكن وسيد كامل والبشرى ، فتحدث معنا فى أن الشيخ محمد عثمان المعاون بالخاصة طلب العودة إلى مصر ، وقال : إنه يعرف موسيو بارودى وهو مستعد لأن يسهل له العودة ، ثم أظهر سموه ألمه لأن هذا الرجل خرج على طاعته قبل ذلك ، وذهب إلى فينا ، وكتب رسالة حشاها بالظعن فيه ، ثم عاد منها فدفعت له مبلغ ألفين وخمسمائة فرنك إعانة له ؛ وبعد ذلك يطلب أن يتركه ويعود إلى مصر . قلت : « إننى متأكد أن سموكم إذا رخصتم له فى العودة لم يوفق لذلك ، ويصبح وليس له معين » فوافق على قولى ؛ ثم أمر الدكتور سيد كامل بأن يستحضره ، ويقول له : « إن الخديو يريخص لك فى السفر وسندسوى حساب الفندق الذى تقيم به ، وليس لك بعده شىء فى ذمتنا »

قلت : « ولكن تبق مسألة ... » فقاطعتنى قائلاً : « ونعطيه أجرة السفر ؟ » قلت : نعم ووافق يكن والدكتور على قولى . فاحتد الخديو وقال : « أنا لا أعرف لكم مذهبا فلماذا تطلبون منى إعطاءه نقودا مع علمكم أنه غير مخلص ؟ » . ثم قال : « لقد كان الشيخ احمد الزناتى رجلا مخلصا حقيقة ، ولكنه لم يكن نشيطا مثل الشيخ عثمان وأنا كنت أستخدام الاثنين مع على بما فى كل منهما من المحاسن والعيوب . وأنكم لتعترفون بعدم إخلاصه ، فلماذا ياناس تطلبون منى نقودا ؟ » فسكتنا لما أيتاه من انفعاله

وفى اليوم التالى قابلته وقلت له : « إننى لم أرد أن أرد عليه أمس نظرا لانفعاله ولكننى أود إبعاد الشيخ بطريقة حسنة . وذلك باعطائه مرتتب شهر قائلين له :

« إن أفندينا لا يمانع مطلقاً في سفرك، وها هو ذا مبلغ كذا لتنفق منه في السفر »
فيعلم الناس أنه غير مطرود، وعندئذ يلاقى صعوبات في عودته إلى مصر، قال
عموه: « نعم يقولون إننا متنفقون على تسفيره » فأكملت حديثي قائلاً: « أما لو
طردناه بالطريقة التي كان يراها الخديو، فانه يلقي صدرا رحبا من أعدائنا » فقال:
« ياشيخ حينما يأتي له الأمر بالسفر يعطيه بارودي نفقاته » فأصررت على رأيي
وقد حضر الشيخ في اليوم نفسه فكلّمه يكن بحضوري وحضور الدكتور
سيد كامل بما تم الاتفاق عليه، فدهش، وقال: « إنه بقي له من حسابه القديم
خمسمائة فرنك ». فأرجأه يكن إلى غد للنظر في حسابه. فقال: « أي حساب؟ كل
هذه إحسانات من أفندينا بارك الله فيه. ولكن ماذا أصنع حتى يأتي لي الأذن
بالسفر؟ أنا استأذنت في اتخاذ الاجراءات، ولكن لم أصنع شيئاً لآن » فرد
عليه يكن بأنه ذكر أنه تسكلم فعلاً مع بارودي.
وقد بات ليلته متكديراً ولم يستطع تناول العشاء.

وفي يوم ١٣ يونيو أخبرني الدكتور أن الشيخ أرسل يسترحم الخديو ويطلب
معونته وهو خالي اليد في بلد أجنبي، ووقع رسالته « المخلص الحقيقي »! (١)
عباس ورجال الحزب الوطني: ذكرت فيما مضى أن هناك نفوراً بين رجال
الحزب الوطني في أوربا وبين الخديو من جراء رفضه للمساعدة على إنشاء الجريدة
وكذلك لما بدر من اللوم على شرائه العقد لصاحبه.

وفي يوم ١٩ أبريل قابلت الخديو في فندق لوزان بالاس بحضور الدكتور
سيد كامل، فأنبأته أنني علمت بأن محمد بك فريد الموجود في فينا أرسل برقية يقول
فيها: « إنه عائد قريباً للسويسرة » فتسكلم وهو مستاء من فريد، وذكر أن الشمسي
وليبياً طلبا منه أن يضمّهما في سلفه، وأنه بعد أن وسخه المصريون لا يريد أن يتدخل
في مسائلهم، ثم قال: « ها هو ذا دو مرتينو بك الأجنبي الذي كان يعلم كثيراً من
أسرارى، ولا يعرفها أحد سواه لم يبع بشيء منها حتى الآن؛ ولكن المصريين تكلموا
في حق كثير. إنما لم أسمع شيئاً عن ليب، مثل ما سمعت عن فريد والشمسي.
وإذا عاد فريد وكان محتاجاً لمعونة مالية مثل زميله فاني سأرفض معونته؛ ولو
ساعدت ليباً دونهما فربما أبى أن يقبل مساعدتي وحده »

وقد أراد الدكتور أن يدافع عن فريد فقال : « إنه أخطأ حقيقة في أخذ كلام « حسين شيرين » قضية مسلمة عن مشترى افندينا بجوهرات لمدام لوزانج ، وإخبار الطلبة بذلك لكنه من المخلصين لسموكم » . فقال : « لا ، الغلطة الكبرى هي ذهابه للسفيرين الألماني والترى في فينا وقت وجودنا هناك ، وما قاله لها بشأن عودتي إلى الاستانة » . فقال الدكتور : « ولكن سموكم صفحتكم عن الشمس ، ويستحب الصفح عن فريد في هذه الظروف الحرجة » فقال عباس : « أنا لست أريد أن أعرض عن مقابلة فريد إذا حضر ، ولكني أعرف أنه غير مخلص كما تقول ، وهل نسينا ما كان يدور من الكلام في بيوكدره تحت الشجرة بين فريد وباقي رجال الحزب الوطني من تهديدى قبل وقوع الاعتداء على ؟ ألم يقل لك لبيب إنه كان يعلم بما سيحصل لى في الاستانة باتفاق مع السلطة المحلية ؟ » قال سيد : « إن لبيباً كان يسمع من مظهر أنه يريد أن ينتقم من سموكم ، ولكنه ما كان يصدق ، بل كان يقول انه هذر أطفال ، وكان يعلم بعداء الحزب الوطنى لكم قبل الحرب ؛ لكنه انضوى بعد ذلك إلى سموكم » . فقال عباس : « على كل حال أنا لا يمكننى أن أساعد الشمسى وفريدا »

مدام لوزانج تعرف نقطة ضعف عباس فتستغلها : وفي يوم ٢٣ ابريل كنت أحداثت الدكتور ، فأبدى لى تأله بما سمعه من الخديو في الجلسة الماضية بشأن رجال الحزب الوطنى ؛ وقال : « إن صاحبتة هي التى تزين له ذلك ، وقد عرفت مواضع الضعف فيه » واستشهد بما رآه ذات يوم من الخديو وقد جلس يفرز الرسائل الواردة ويفصل منها الجزء الأبيض الخالى من الكتابة فيحفظ به ، فما كان منها إلا أن أخذت رسالة سها عنها وصنعت بها كذلك ! وهى الآن تستغل حرصه فتقول له : « ما الذى نفعلك به المصريون فتنتفى عليهم ؟ » وتحسن له إبعاد رجاله واحدا واحدا اقتصادا للنفقات . وقد سمعها الدكتور مرة تقول مثل هذا الكلام ، فأخذها عليه في غيبة الخديو . وأفهمها أن رجل الطبقة الوسطى هو الذى يفكر فى مسائل صغيرة كهذه ، ولا يصح أن يفكر الخديو فى مثل هذا وهو ملك ، وقد دعاهم للحضور عنده فى ضيافته .

ولما نقل هذا الكلام للخديو حنق على الدكتور سيد كامل

وفى يوم ١٣ يونيو قابلته فى لوزان ، فعلبت منه أن الخديو غاضب عليه ، لأنه أمره باستدعاء اسماعيل لبيب من « ليزافان » حيث يقيم مع فريد والشمسى ، فوجد أنه إذا استدعاه بمفرده يكدر الآخرين ، وخصوصاً بعد أن تقابل الثلاثة وإياه ،

وعلم منهم أن فريداً مستاء لاهمال الخديو له ، بعد أن قبل الاشتغال معه في مسائل خطيرة ، ومنها المخاطرة مع الانجليز ، الأمر الذى كان يعتبره فريد وإخوانه خيانة وطنية . ولهذا مر فريد والشمسى بلوزان ولم يقابلا سموه ؛ واحتج فريد بأن قدمه تؤلمه ، وهو يلبس « شيشباً » !

أما عباس فقد أراد باستدعاء لبيب وحده إغاظتهما نظراً لذلك ، فاستحسن الدكتور أن يدارى الأمور ، ويؤجل حضور لبيب على حدة فلم يفلح . وأخيراً أبلغ فريد تليفونياً تحيات الخديو ، وأن الأحسن تأجيل المقابلة حتى تشفى قدمه ، وأن يحضر لبيب وحده . وبذلك لم يشعر فريد بشيء . ولكن الخديو غضب على سيد كامل غضباً شديداً لما علم بذلك .

وفى يوم ٦ يوليو قابلته ، فأخبرنى أن فريداً وليبياً والشمسى قابلوا الخديو ، وتفاهم معهم على السير فى مخبرة الانجليز ، ولكنهم طلبوا قبل موافقتهم على ذلك أن يعطى كلا منهم مرتب سنة مقدماً بواقع أربعائة فرنك فى الشهر ، لأن الأتراك إذا علموا باشتراكهم قطعوا المرتب الذى يعطونه لفريد وليب .

أما عباس فأراد أن يعطيهم شهراً شهراً ، واعتبر أن شرطهم معناه عدم النقة به ، فلم يقبلوا .

وأبلغنى الدكتور أنهم قالوا : « هانحن أولاء نرى أماننا كيف يعامل شقيقاً وسيد كامل وهما من رجاله المخلصين ! »

العلاقات بين الخديو وهلفاءه :

فتور العلاقات بين عباس والنمسا : فى يوم ٦ مارس أخبرنى الخديو أنه كتب الى حكومة النمسا بأن والدته مريضة بالاستانة ؛ وأنه يريد إرسال أحد أبنائه لرؤيتها ولكنه يخشى أن يحجزه الأتراك فى الأستانة ، ولذلك يطلب المعونة احتياطاً لهذا . فجاء الرد منها بأنها مستعدة لمساعدته فيما يمكن ، بدليل أنها منعت يوسف صديق من طبع كتابه ضده (الذى سبق ذكره) وكذلك منعت محبا من مبارحة البلاد النمساوية بعد مجيئه اليها ، لما علمت أنه غير مخلص لسموه . ولكن مسألة المخاطرة مع الحكومة العثمانية فى عدم حجز ابنه يعد تدخلا فى الشؤون الداخلية لتركيا .

ومن ذلك علم الخديو بتغير النمساويين من ناحيته ؛ فأرسل دعوة الى السكونت دى تورن قنصل النمسا فى جنيف ، فلبى الدعوة يوم ١٨ مارس ، ورحب به سموه

كثيراً ، وذكره الأيام التي قضوها معاً في التريانون ، وأنه لا زال يحفظ مودته القديمة ، وهذه الصفة يتحدث معه . ثم أخذ يشرح سياسته مع الانجليز ، وكيف دافع عن مصالح مصر ، وقامى المتاعب الجمة ، وكيف حالف الأتراك والألمان ، ثم شكاه سوء معاملة الأتراك إياه مما أجبره على مبارحة الإستانة . وكيف بعد هذا أهمله الألمان ولم يسمح امبراطورهم بمقابلته ؛ ثم شكاه من حكومة النمسا نفسها لأنها قد خصصت لمراقبته حينما كان بويانه اثنين من رجال البوليس السرى يتعقبانه ، حتى اضطر أن يشكو لظارة الخارجية ؛ وعندئذ اعتذر له رئيس البوليس . وقال سموه في النهاية : « إنه ينتظر انتهاء الحرب ، فيتنازل عن عرشه ، ويطلب من الانجليز تخصيص مرتب له ، ويستريح من هذا العناء »

سحابة تنقشع وفي يوم ٢٣ منه بلغنى من الكونت نقلاً عن موسيو أرفاى النمسوى - وكان في خدمة عباس - أن الخديو تشاور معه في أن يذهب لبودابست ليرى القناطر التي أقامها النمسيون على نهر الطونة بعد فتح الصرب ، وأن صاحبه عارضت في ذلك ، فقال لها : إنها تنتظر في السويسرة حتى يعود سموه وقد استغربت في نفسى أن يكون ذلك عزم الخديو حقيقة ، وفهمت أنها ربما كانت مناورة منه ، لاداعة هذه الرغبة عنه في بلاد النمسا وألمانيا ، حتى يعلموا أنه لم يتحول عن صداقتهم

عودة اهتمام الألمان به وقد علمت ألمانيا فعلاً بذلك العزم ، فأرسل مسيو ياجو ناظر الخارجية بواسطة سكرتيره يطلب مسيو أرفاى للحضور إلى برلين ، وفي رسالة استدعائه ما يشير إلى أن السياسة الألمانية نحو الخديو أصبحت طيبة ، فلم يستحسن سموه استدعاء أرفاى مباشرة بغير إذنه ، وأجاب مستدعياً السكرتير إلى زورنخ لمقابلاته ، على أن تكون نفقاته من جانب سموه

وفي يوم ١٣ ابريل علمت من الكونت بأن مسيو ياجو أرسل برقية للخديو فحواها أن الامبراطور مستعد لمقابلته ؛ ويدعوه الناظر إلى برلين ، ولكن سموه يتمنع ؛ وربما أدى هذا إلى قطع الجبل بينه وبين محالفيه ، وقال لى كذلك : إن أرفاى أبلغه أن الخديو يسوف وثيرث في السفر إلى المجر ، بعد أن كان يريد أن يسافر سريعاً وعند ذلك تأكدت أنها كانت مناورات فقط كما فهمت ذلك من قبل

وفي يوم ١٨ ابريل زارنى على الشمسى ويوسف صديق ، فعلمت من الأول أن

ألمانيا له علاقة معه (وربما كان ياقوبى وهو جاسوس لألمانيا فى السويسرة) أخبره بأن المسيو فيزندوق الذى يشتغل بالمسائل الشرقية فى نظارة الخارجية ببرلين حضر إلى مو نتروه عند والده ، ويحب أن يجتمع بالشمسى ويدعوه إلى الشاى ، فذهب الشمسى أول أمس وقابله ومعه الألمانى (ياقوبى) وتحادثوا فى مسائل مصر والحديو ، فقال فيزندوق : «إن الحملة العثمانية ستزحف على مصر فى الخريف القادم ، لأن ألمانيا لا تتمكن من قهر إنجلترا إلا فى مصر ، وأن تأخيرها فى هذه السنة كان لضيق الوقت عن تجهيزها والاستعداد لها كما يجب ، وأن ألمانيا لا تحب أن تفشل مرة ثانية صوتا لشرفها العسكرى وسمعتها الحربية ، وهى لا تترك الاتراك يفعلون ما يريدون فى مصر ، وتريد أن تحافظ على عهودها بأن ترجع الحالة إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال . أما الحديو فنحن نعلم أنه حائق علينا كما أنه حائق على الاتراك ، ولا باعث لتدمره لأننا لم نمسسه بضرب ، وإذا لم نساعده عند الاتراك فليس معنى هذا أننا تركناه بل إننا لا نريد أن نغضبهم ، لتدخلنا فى مسألة يعتبرونها داخلية »

فأجابه الشمسى : بأن سفير ألمانيا هو الذى تدخل بين الحديو والصدر ، وبدلا من أن تقول يا مسيو فيزندوق : إن الواجب على الحديو أن يصلح هو بنفسه سياسته ، معه ، يجب أن تعرف أن الشقاق الحاصل بينهما سببه كرسى الخديوية ، وسعيد حلم يريد أن يختلسه من الحديو الشرعى ، وليس من صالح ألمانيا ذلك ، بل من صالحها أن ترضى الحديو ، لأنه إذا استرسل فى كدره ، فربما انقلب وأدار دفته نحو الأنكليز . وقد كنا فى وقت ما سمعنا أقوالا عنه كثيرة ، وشككنا فى سياسته ، ولكننا استقصينا فلم نجد قد مال إلى جهة الأنكليز كما أشيع عنه ، فإذا حصل هذا الميل كان سببه انه لا يلقى معاملة حسنة منكم ومن الاتراك ، بخلاف معاملة المتحالفين لمن عاهدوهم ، وها هو ذا ملك الجبل الأسود كاد أن يعقد الصلح مع النمسا ، أى يخون الحلفاء ومع هذا رحبت فرنسا به وأكرمته ، وأثنى عليه ناظر خارجية روسيا ثناء مستطابا . والحديو محبوب من الأمة المصرية ، ولودھت الحملة وعلمت الأمة بانفصال سموه من الاتراك والألمان قامت فى طريقها صعوبات كثيرة ، بخلاف ما إذا كانت الأمة تعلم أنه لم يزل حليفا لهم . وعلى هذا نرى من مصلحتكم أن توفقوا أنتم معشر الألمان بين الصدر وبين سموه ، وتزيلوا الشقاق . فاقنع فيزندوق بذلك ووعد أن يسعى فى هذا الطريق ، فقال الشمسى له : « إنه من المحتمل إذا تحسنت العلاقات بين الصدر والحديو أن سموه يمضى شهر رمضان فى الأستانة

« ومن حسن السياسة بين المتحالفين أن يزيلوا كل خلاف يقع بين رجالهم » قال الشمسى : « وقد أردت أن أحتاط حتى لا أقطع على خط الرجعة ، فقلت له : هذا يامسيو فيزندوق وفق فكرى الخصوصى ، واننى لست مأهورا من سموه بشىء ما » قال : « نعم نحن نتكلم بيننا بصفة خصوصية ، ولا نحب أن يعلم عباس ولا سعيد حلیم بسعيننا ، وعند الشروع فى التسكلم لا يخطر على فكر أحدهما أنها مسألة محضرة مدبرة بل إنه عمل فى صالح الطرفين ، إنما يلزم أن يكون هذا السعى بالتأنى كما يقول الأتراك : « ياواش ياواش » . فأجابه الشمسى : « نعم . ولكن نريد أن ينتهى قبل دخول رمضان ، حتى تتيسر للخديو تمضية هذا الشهر فى الأستانة ، وإذا رفض فنكتفى بدخوله النمسا ، ولو أن هناك مانعا وهو حسين حلمى باشا السفير ، الذى قال : « انه إذا قابل الخديو فلا يصافحه » وكان سموه قد وعده بعدم الخروج من النمسا ، فوقفه حرج إذا عاد . قال فيزندونق : « إنما يجب ألا يدخل مع حاشيته المريسة » أعنى يوسف ومجبا » فأجابه الشمسى بأن الأول خرج من خدمة سموه ، والثانى محجوز فى فينا قال : « إننا نحن الألمان كننا أردنا أن نبعدهما ، ولكن حسين حلمى هو الذى تولاهما بكفالتة . ثم سأل الشمسى عن اشاعة سمعها ، وهى أن يوسف يريد الذهاب إلى إيطاليا فقال الشمسى : « إذا سافر يوسف حقيقة إلى إيطاليا يكون هذا سببا وجيها لتخلص الألمان من حسين حلمى » . ثم تحدثا عن يكن باشا فأظهر فيزندونق أن الألمان لا يرغبون فيه إذا رجع الخديو إلى الأستانة أو الى فينا . قال الشمسى : « أما أنت يا باشا فان الألمان يقولون : إنك حقيقة الرجل الصادق المخلص ، وبأسفون لعدم وجودك على الدوام إلى جانب الخديو » وقال فيزندونق : أما صاحبة الخديو فقد اتضح لنا أنها لاتدخل فى السياسة ، ولهذا يرجح أن مصاحبته إياه إلى فينا لاتصادف صعوبة ، ولو أن وجود فرنسية فى النمسا أو فى ألمانيا غير مباح »

البريد الخديوى والصدر وسفير النمسا : وفى يوم ١٩ ابريل استدعانى محمد يكن إلى لوزان لمقابلة الخديو فى فندق بالاس ، وهناك قابلت الدكتور سيد كامل ، فأسر إلى أن نظارة الخارجية التركية منعت السفارة فى صوفيا أن تؤشر على جواز سفر نور الدين « حامل البريد الخديوى » وأنه ينتظر الآن فى عاصمة بلغاريا ؛ وأن الخديو يريد إرسال برقية إلى ناظر الخارجية التركية يستفهم فيها عن سبب هذه الاجراءات ، ضد رجل من رجاله يحمل رسائله الخاصة

وقد حضر نسختين : إحداهما فيها سؤال عما إذا كان هذا المنع شخصياً لنور الدين ، أو أنه شامل لكل شخص من قبل الخديو . والثانية فيها استفهام فقط عن الأسباب ، فاستحسننا الأخيرة ، لأن الأولى قد يجاب عليها جواباً يؤذى الخديو ويكشف النيات المستورة

ولما قابلت سموه وكان الدكتور حاضراً - عرض عليه الصورتين - فقراهما، وقال له : « أنا لم أقل لك أن تكتب هكذا ، وينبغي أن تكتب البرقية ببساطة » ثم أخذ يملئ عليه وهو يكتب ، ولكنه توقف عند ما أراد الخديو أن يملئ عليه جملة شديدة وابتدأ يناقشه . أما أنا فتظاهرت بأنى لا أعرف شيئاً عن الموضوع ، وصمت يكن مثلى ، فبدأ الغيظ على وجه الخديو ، وفهم أننا نحن الثلاثة متفقون على معارضته فقال : « أنا لا أفهم لماذا لا تريدون أن أرسل برقية شديدة لرجال الدولة أمام عمل كهذا ، فالمصريون كانوا دائماً يدفعوننى إلى اعتراض كل إهانة من الانكليز ولكنهم يطلبون منى الآن ألا أفتح فى مع الأتراك . والآن لا فرق بين خديو وموظف ، فكل يعمل حسب رأيه ، والسيد كامل يناقشنى ولا ينفذ أوامرى . إننى سأعمل وحدى » ثم تركنا وقام منفعلا .

وفي يوم ٢١ منه قابلت سموه ، فشكالى من الدكتور ، وأنه يريد أنه ينفذ رأيه وأنه يعارض أفكاره . ثم كرر انتقاده لسكوتى أنا ويكن ، فاعتذرت بأننى لم أكن أعلم شيئاً عن الموضوع ، لأن سموه لم يطلعنى عليه . وفى اليوم التالى كان هادئاً فكلفنى أن أكتب الرسالة مع يكن باشا ، فحضرنا عدة صور ليختار إحداها ، وقد أخبرنى أنه لقي فى برن مسيو توشيف (صاحبه وسفير البلغار فى فينا وفى السويسرة) فأبلغه سلام الملك ، وكلفه أن يستعلم من سموه عما يطلبه منه من المساعدات ، فأجابه شاكرآ ، وقال سموه : « اننى فوجئت بالحرب وأنا مريض ومصاب بثلاثة جروح وبعيد عن بلدى وعن أهلى وجيشى ، فما كنت مستعداً لعمل الاحتياطات مثلاً حصل من ملك البلغار ، ولهذا خسرت كثيراً ، والأتراك يطمعون فى ، والالمان تركونى ، فأنا لا أطلب من جلالة الملك إلا أن يدافع عنى كلما عرضت سيرتى أمامه ، وطعن أعدائى فى » وتكلم سموه بعدها فى مسألة منع الأتراك لنور الدين اقدى من دخول الاستانة ، فأشار السفير بارسال البرقية ورجا أن تخلو مما يثير النزاع ووعد سموه أنه بمجرد رجوعه إلى فينا يفضى إلى سفير ألمانيا باستياء سموه ، ويطلب

منه أن ينصح الأتراك بالكف عن سياسة الخنز، فقلت: «نعم النصيحة» ثم أخرج سموه من جيبه الصور التي كنت حضرتها مع يكن، واتفقنا على إرسال إحداها بعد تعديل طفيف، وهي تتضمن الاستفهام عن أسباب منع نور الدين من نقل بريد الخديو، وطلب إصدار الأوامر بالكف عن منعه.

وفي يوم ٢٣ منه قابلت في الصباح الدكتور أمستر مع الخديو، فأظهر سموه استيائه مما قاله ماكيو (الذي كان سفيراً للنمسا في روما والآن بنظارة الخارجية) لأمست لما طلب منه توصيل بريد الخديو بواسطة حامل بريد الخارجية النمساوية، فإنه أجابه معتذراً بأن بريده يعتبر خاصاً، فقال الخديو: «ماكيو هذا الذي ساعدني وأنا جالس على عرشي مساعدة ما كان واحد من نظاري ليقوم بها، لما أرادت امرأتى الثانية بعد انفصالها أن تشتغل بالتمثيل^(١) وتمكن هو وقصص جنرال النمسا مسيو زميتيني أن يحولا دون ذلك بمساعيها لدى الحكومة، وها هو ذا يقول الآن: «إن البريد الذي باسمي خاص، ولا بد من استئذان سفير الدولة في نقله» مع اننى قابلت امبراطور النمسا مراراً بدون وساطة. هذا ولا شك تغيير في سياسة خارجية النمسا، فكأنها تعتبرني فرداً ليست له صفة، وهذا الرفض نضيفه إلى ما قالته النمسا لما طلبت منها أن تضمن لى رجوع ابني الذي كنت أريد إشخاصه إلى الاستانة، وقد رفض غليوم كذلك مقابلتي، وها أنت ذا يا دكتور أمستر حينما أرسلتك في شهر سبتمبر الماضي إلى برلين قابلك ناظر الخارجية أربع مرات في ظرف ثمانية أيام، واهتم برسالي التي حملتك إياها، إنما اعتذر بأن هناك سببين لعدم مقابلة الامبراطور لى: الأول — خشية غضب الأتراك. والثاني — أن جلالتة في مدة الحرب لم يقابل أمراء. ولقد عرفت بضعف مركزى في فينا من احتسكاكى بسفير ألمانيا، فانه كان دائماً يقول لى: «اصطبر!» ولما ضيقت عليه الخناق، وأردت أن أنفذ إلى الحقيقة، قال لى بأنه يرى شخصياً أن أفضل الطرق لتمكين مركزى هو الذهاب إلى الاستانة، والاتفاق مع رجال حكومة الدولة، ثم قابلت سفير الدولة بعد ذلك فأخبرني بأنه فريداً زاره وقال له: انه طلب منى الرجوع إلى دار السفارة، وانه أى (السفير) شخصياً ينصح لى بذلك، فعلبت ان الاتفاق قائم بين السفيرين لارغامى

(١) يعنى بها الكونتيس توريك

على السفر إلى الأستانة ، ولو أنهما يدعيان أن ما يقوله كل منهما هو رأيه الشخصي . عند ذلك جئت إلى هنا ، وحصلت من الأتراك الوخزة الأولى ، فأرسلتك يا أمستر إلى برلين ، وسويت المسألة . فاليوم حصلت الوخزة الثانية بمنع نور الدين أفندي من العودة إلى الأستانة ، وقد أرسلت برقية لناظر الخارجية التركية أستفهم منه عن السبب — وقرأ عليه صورة البرقية — فإذا جاء الرد بما يسوء ، ففي نيتي أن أسافر إلى برن ، وأجمع سفيري ألمانيا والنمسا ، وأعلن لهما انفصالي عن المتحالفين معي لسوء المعاملة ؛ وأكون حراً في أعمالى مع أى جهة ومع أية دولة ، وأنا حتى الآن لم أخاطب الإنجليز إلا في أعمال خاصة . فقلت : « يا أفندينا الأتراك لا يرسلون رداً جارحاً يسوءك لأن هذا ليس من مصلحتهم »

وفي يوم ٥ مايو طلبت تليفونيا لمقابلة الحديو . ولما لقيته قال لى : « إننى أرسلت أطلبك لمسألة هامة ، وهى أن جلال الدين باشا أخبرنا أن سفير الدولة كلمه تليفونيا من برن بأنه تسلم برقية من الأستانة ، فخواها اننى إذا طلبت شيئاً فلا أخاطب فيه الصدارة ، وهذا رداً على البرقية التى أرسلتها إلى خليل بك بشأن نور الدين فأنا أفكر فى أن نطلب من جلال الدين تدوين هذه الإشارة التليفونية كما وقعت ثم نكتب إلى الصدر بما معناه : إننا لما منع نور الدين بأمر من الخارجية كتبنا إلى الناظر الذى أصدر أمر المنع (لأنه من حقوقنا أن نخاطب حتى الولاية) فى ذلك منعاً لافلاق خاطر الصدر فى مسألة تافهة . أما الآن وقد وردت لنا الإشارة المذكورة فنحن بكل ارتياح نكتب إلى الصدر ، فقلت : « هذا حسن يا أفندينا ، خصوصاً وأن سموكم كنتم تبجشون عن وسيلة للخبرة الرسمية مع الصدارة ، كما كان الحال قبل الانقلاب ، فالأتراك الآن قد أوجدوا لنا الوسيلة » قال : « ونرسل برقية نطلب فيها أن يرخص لأحد موظفينا فى الأستانة بالحضور إلينا لتسلم الخطاب إلى الصدارة » قلت : « إذن ربما قالوا : إنه يكفى توصيل المظروف إلى سفارة الدولة فى برن » قال : « صحيح ! وخصوصاً أن الرجل الوحيد الذى اعتمد عليه هناك هو ابراهيم بك أدهم ، ولكن هل يمكنه أن يتكلم مع الصدر ؟ لأننى أريد من يحمل هذا الخطاب أن يتكلم فى مسألة سيد كامل (الذى يدعون عليه أنه خطب بين المصريين لما كان فى الأستانة ضد الدولة) وفى مسألة البشرى (ويقال إن الأتراك حكموا عليه لسفره من الضلحان إلى مصر ، وتركه تعليمات لموظفى التفتيش مقتضاها أنهم

إذا نزل الأعداء في الأناضول فلا يقاومونهم ، وإذا طلبت الحكومة التركية هناك إخلاء الجبهة لا يصغون لها) ويستصدر قراراً بأنهما بريئان مما نسب اليهما بحيث يتيسر استخدامهما في حمل البريد بدلاً من نور الدين ، فقلت : « إن إبراهيم أدهم لا يصلح » قال : « وكنت فكرت في إرسال جلال الدين ، ولكن بعد أن سمعت من أولادى ما يقولونه لهم (يعنى جلال الدين وحرمة) لا يمكن أن أعتد عليه ، فإنه بلغنى أنهما يقولان لعبد المنعم : كيف أنك ولى العهد ووالدك لا يشتري لك سيارة ؟ هأتى ذا ستبلغ رشدك فقطلب حقوقك وهكذا من الكلام المثير . . . فغرضهما أن يثيرا أولادى على ، ومن ثم لا أعتد على جلال الدين » وقد فهمت أن الخديو يفكر في إرسالى ، فقلت : « إن أرسلت تركيا أو مصرياً لا يفيد ، وقد تصادفه عراقيل ، أو يسمع كلاماً من الصدر جارحاً فى حقكم ويمكن منع خروجه ، فأنا أرى أن خير وسيلة هى استخدام أجنبي . أين مسيو رامبير مثلاً » قال : « الأتراك أخرجه فلا يقبل أن يذهب الآن الى الأستانة » قلت : « ترسل الدكتور امستر باعتباره سكرتيراً المانيا لسموكم ، فالصدر لا يحسر على أن يفوه كلمة أمامه بجر حكم ، وبذلك تحفظ كرامتكم من جهة ، ومن جهة أخرى يستطيع أن يتكلم بكل ما تريدونه دون مبالاة ، ولا يتأتى منع خروجه من الأستانة » فقال : « النهاية أنت وكن سيد كامل تجتمعون بجلال الدين ، وتكتبون الرد أما الشخص فبعدها نفكر فيه »

وفى اليوم التالى أخبرنى أنه زار ملحمه باشا ، وسأله رأيه فى مسألة الإشارة التليفونية التى وردت من برن ، فأشار عليه أن يرسل خطاباً إلى الصدر لا يذكرفيه هذه الإشارة . وإنما يستنسر عن سبب منع نور الدين ، ويسأله تسهيل رجوعه إلى الأستانة ، ويومئ إلى برقيته السابقة إلى نظارة الخارجية قائلاً : « إنه قصد بها مراجعة الصدر إذا اقتضى الحال » قال سموه : « ولكنى لم أوافق على السكوت عن إشارة برن » ولهذا تقرر أن نكتب إلى الصدر نعلمه بأرسال برقية الخارجية لمجرد الاستفسار أولاً ، ثم الالتجاء الى الصدارة .

وفى يوم ٨ مايو كتبنا الرد ، وهو يتلخص فى أن نور الدين افندى الذى يحمل بريد الخديو أبرق بأنه محجوز فى صوفيا ، مخاطب سموه ناظر الخارجية الذى أصدر أمر المنع ، يطلب الترخيص له فى السفر ، وأنه علم من السفارة فى برن أن نخامة

الصدر يود أن تكون المخاطبة معه رأساً ، ولما أبداه نخامته من الصداقة لعائلة سمو الخديو ، رجى سموه ألا يصادف الموظفون الخديويون ما يعوقهم ، حتى يتسنى له الاتصال بعائلته على الدوام ؛ وأن الدكتور امستر السكر تير الخاص هو الذى سيسلم هذه الرسالة

وقد سمح بعد ذلك لنور الدين بالسفر ، وقال الصدر لامستر : « أن الخديو يمكنه أن يرسل بريده بواسطة سفارات الدولة ، وأنه سيرسل أوامر بذلك »
وحتى يوم ٢٠ نوفمبر لم تكن هذه الأوامر قد وردت ، فكلفى الخديو أن أقابل فؤاد بك سليم مستفسرا ، فعلمت أنه لم تصل إليه أوامر بهذا الخصوص ؛ ولكنه مستعد لقبول البريد وتوصيله بمعرفته ، وأنه يعمل دائما للوفاق بين الجميع

وفاة امبراطور النمسا : وفى يوم ٢٢ نوفمبر توفى امبراطور النمسا فرانسو جوزيف فقرر الخديو أن يذهب مع جلال الدين وموسيو ارفاى لتعزية سفير النمسا فى برن . وكنا نريد أن ينهز سموه هذه الفرصة فيسافر إلى فيينا للتعزية ؛ وبذلك يستأنف العلاقات الأولى ، ولكنه أبى

وفى يوم ١٥ ديسمبر أخبرنى ارفاى أن موسيو جلنك مر سددس قفصل جنرال النمسا سابقا فى نيس ، وأحد معارف الخديو يريد أن يحادثنى ، فتوجهت إلى فندق ناسيونال بخنيف الذى ينزل به

المساعى للتقريب بين الخديو وحلفائه : وقد علمت منه أولا أنه رفع تقريراً إلى الامبراطور غليوم لاستمالة جلالته إلى الخديو ، وتقريراً آخر إلى مسيو بوريان ناظر خارجية النمسا بواسطة واحد من معارفه فى الخارجية ، قبل أن يتوسط فى توصيل ما يكتبه ويرسله إليه . وبعد أن أطلع الخديو على التقريرين أرسلهما ، فلم يأت الرد له عن الأول ولا الثانى . إنما جاء له فى المدة الأخيرة أحد رجال البوليس السرى النمساوى فى مهمة لا يعرف بها أحد ، حتى سفارة النمسا فى برن وقال له : « إنه مأمور بأن يبلغه وصول تقريره لمسيو بوريان وردا عليه يقول : « ان سياسة الخديو غير واضحة وأنها تسير بين ماء من والحكومة النمساوية من أجل هذا غير واثقة من سموه » ثم ترك هذا الرجل مسيو مر سددس دون أن يعلم باسمه . قال مر سددس : « وقد صرحت للخديو عند زيارتى سموه منذ أسبوع فى الهوتيل ناسيونال أنه ما دام على سياسته هذه العوجاء ، فلا تكون العاقبة خيرا له ؛ ومن الواجب أن يتبع خطة واحدة ، ويعان أنه لم يزل فى جانب حلفائه إذا أراد أن تسمع

له كلمة عندهم » قال : « ولعل كلامي هذا أغضبته ، ويحتمل أنه لا يريد رؤيتي بعد الآن » فأجبت به بأن الخديو يسمع الحقائق ، ولو كانت مرة ، وقصصت عليه ما دار بيني وبينه من المشادات التي كنت أظن بعدها أنه لا يريدني مرة أخرى ، ولكنه طلبني وعهد إلي بأعمال ، وحسبما أرى أنه يستسلم للغضب ساعة ثم يعود إلى السكينة ، ويقدر الكلام حق قدره بعد أن يهدأ باله

قال مرسدس : « إن حفلة تتويج امبراطور النمسا ستكون في آخر ديسمبر فهل يرسل من ينوب عنه إليها ؟ » قلت : « هذه فرصة سانحة الآن ، فإذا أراد اصلاح أمره مع حلفائه ، فما عليه إلا أن يذهب بنفسه لحضور هذه الحفلة » ثم أخبرت مرسدس بأن الحالة النفسية في باريس ولوندره وبطروجراد ورومة رديئة ، فإن الأهلالي تحس بالضعف أمام ألمانيا وحلفائها ، وقد ظهر الآن من يجهر في مجالسهم النيابية بتحييد الصالح ، وإنني اطلعت الخديو على بعض كتابات في جورنال دو جنيف تدل على هذا الضعف ، وأن سموه وافتمى على ذلك ، ولهذا قلت له : « إن الفرصة سانحة الآن لاصلاح سياستنا مع رجال الدولة والألمان »

وعرفت مرسدس أيضاً بأنني حسنت هذه الفكرة لجلال الدين باشا وشديد بك وسيد كامل ، وهم المحيطون بالخديو ، وأنتى مستعد لأداء أية خدمة في هذا الشأن . وأظن أن أنور باشا يساعدن على أن يطمئن سموه على أملاكه بتعويضه عنها إذا صادرها الانجليز ، وباعطائه مخصصات شهرية له وللحاشية

النمسا تعترف بخديوية عباس : وفي يوم ٣١ ديسمبر زارني ارفاى في منزلى وأخبرني أن سفير النمسا في برن وردت له رسالة من نظارة الخارجية النمساوية بأن يكتب إلى الخديو ، وينبئه بأن الكونت زيميتنى معتمدها السابق في مصر قد عين سفيراً لها في صوفيا ، وبهذا تعترف النمسا بخديوية عباس حتى الآن ، إذ أنها تعتبر الكونت معينا لديه ، حتى يوم ترقيته إلى منصب سفير صوفيا . فسر الخديو بذلك وعده علامة على تحسن موقفه في النمسا

القبض على بلوى باشا وضبط أوراق الخديو : في يوم ٢٤ أكتوبر قصدت زيارة محمد باشا ليكن بناء على ميعاد سابق ، ولكنى وجدت بالمنزل حركة غير عادية ، وتبينت أن البوليس السرى السويسرى فاجأهم ، وضبط الأوراق التي عثر بها لديهم وقد رجتنى السيدة حرمة أن أبادر ببلاغ الخديو لتليفونيا ، فأبلغت الخبر ، وعلمت أنه نما إلى سموه قبل ذلك ، من أمينه هانم اسماعيل القاطنة بنفس المنزل في طبقة أخرى



محمد يكن باشا

وقد فرغت لهذا التفتيش ، واعتقدت
أن الخديو هو المقصود به ، وأن ذلك من
دسائس انجلترا لسموه ومعاساتها
وفي الصباح زرت مدام يكن باشا
فعلبت أن زوجها مقبوض عليه ، وأنها
أرسلت له فراشا وطعاما؛ وكانت في نهاية
النأثر ؛ فعرضت عليها أن أبقى معها لتأدية
ما تريده من الخدمات فقبلت شاكرة
ثم طلبت أن تزور المحامى الذى تولى
حضور التحقيق مع زوجها ، ومنه عرفنا
أن الأوراق المضبوطة تدل على أن يكن باشا
استخدم وسائل شتى للحصول على معلومات
لصالح مصر والخديو، ولكن هذه المعلومات

تعدت الحدود السويسرية، وهذا يخالف قانون سويسره الصادر فى أغسطس سنة ١٩١٤
فالعامل الذى قام به الباشا ليس ماسا بالشرف ، ولكنه مخالف للقانون ، ولذلك
سيطلب من قاضى التحقيق أن يفرج عنه بكفالة .

وفى يوم ٢٦ صاحبت السيدة إلى مقر القاضى فقابلها على انفراد، ولما خرجت
أخبرتني أنه قابلها بمنتهى اللطف ، وكرر لها ما سمعته من المحامى ، وأذن لها برؤية
زوجها ؛ وأنها علمت من تلميحاته أن سفير انجلترا فى برن ضدقريتها ، فأخذت رأيته فى
مقابلة السفير، فلم يشر عليها بشئ ، ولكن يكن أشار عليها باستشارة الخديو

وقد تمكنت من رؤيته من بعيد عند فتح الباب لقريته ، فخيمته وحياني
وفى اليوم التالى قابلت الخديو ، فعلمت منه أنه عقد اجتماعاً حضره محامى يكن
ومحام آخر اسمه « جينان » وجلال الدين وعبد الحميد شديد ، والدكتور سيد كامل
وتقرر إرسال مذكرة الى رئيس حكومة سويسرة ، بأن الخديو منذ قدومه وهو
يلاقى حفاوة كبيرة به ، ولكن الحادث الأخير كدر خاطره ، و، وهو يطلب
إرجاع الأوراق المضبوطة لأنها أوراقه الخصوصية .

وقال الخديو : « ان جينان علم بأن اسمك (شفيق) عند النائب العمومى لمناسبة

مسألة تتعلق بكونتس انجليزية كانت معك في البنسيون. « فقلت : «لعلها (لودرس)» قال : «نعم ، وربما كانت جاسوسة قبض عليها وأنتك ستدعى للشهادة ، وعلى كل حال إذا كانت لديك أوراق من البارون اوبنهايم أو من غيره ، فخير أن تحفظها في مكان مجهول ، فأجبت : إن أوراق الخصوصية مودعة في صندوق في بنك فدرال والأصوب مع ذلك أن أودعها عند الكونت دوتورن ، فوافق . وأودعها عنده . وبعد ذلك أحيى سموه على يكن لنهاونه في رد هذه الأوراق اليه ، فرأيت أنه ليس من اللائق الطعن في رجل سجين الآن من أجل أوراق الخديو . فقال : « ان أعداءه كانوا يريدون الايقاع بيكن ، ولكن ما كان يخطر لهم على بال ، أنهم سيحصلون على أوراق مهمة بهذه الخطورة » وعلمت أن الأوراق المضبوطة خاصة بمسألة المشروع الألماني بفصل فرنسا عن إنجلترا .

وفي يوم ٢٨ توجهت ، بناء على طلب الخديو ، لمقابلة مسيو بارودى لمعرفة رأيه ومعلوماته عن الحادث

فسألت عما إذا كنت أعلم ما حمل ليكن باشا ، فأجبت بالاجاب ، فقال : « إن في هذا إهانة له وللخديو ، وسموه الآن قد أضاع نفسه بين الانكليز والفرنسيين والألمان والأتراك ، فليس له صديق من الدول » . فسألته عن سبب حبس يكن ، فقال : « انه أوفد لفرنسا بعض السويسريين لأخذ أخبار منها وتوصيلها إلى الألمانين ، وقد ضبط اثنان منهم » . قلت : « الحمد لله ، أنا بعيد عن كل ذلك ، حتى أن الخديو الذى كان ينقذنى ألف فرنك شهرياً قطع نصفها » فسألنى « هل قطع المرتب بتاتاً ؟ » قلت : « انه لا يزال يعطينى خمسمائة فرنك من وقت لآخر » . قال : « انه اتضح من أوراق قضية سموه مع يوسف أنه أعطاك من نقود الألمان عشرة آلاف فرنك ، وعند ما أنسلم نسخة من هذه الأوراق أطالعك على ذلك ، وهذا كل ما قيل عنك يا شفيق » فعرفت من ذلك أن اسمى لا تعلق به تهمة .

قال بارودى : « والحكومة السويسرية لا تنظر للخديو بالعين التى كانت تنظر له بها ، لأن سلوكه غير حميد ، وأنا أعرف من مخبر سرى أنه حينما يأتى لجنيف يذهب إلى بيت في حارة نوشاتل ، ليليق بملك أن يذهب إليه في مثل هذا الوقت ؟ ثم إنه يشتري لصاحبه قرطاً من اللؤلؤ الأسود بخمسمائة ألف فرنك

وفي يوم ٢٩ سألني الدكتور سيد كامل بالتليفون من قصر كلاران عما فعلته فقلت له كلما حصل ، ونقلت له ماسمعه من بارودي إلامسألة العشرة الآلاف فرنك وعلمت منه أن المذكرة عملت ، ووقع عليها الخديو ، وقدمت إلى رئيس الحكومة بالسويسرة بواسطة جلال الدين باشا

السويسرة تعترف بخديوية عباس : وفي يوم ٣٠ منه حضر عندي الكونت

دوتورن وطلب مني أن أخبر الخديو تليفونيا في قصر كلاران
أولاً : أن أرفأى كان قد سأل سفير النمسا عما حصل من المساعي في مسألة يكن باشا ، فجاء الرد الآن بأن سفير الدولة ذهب إلى نظارة الخارجية السويسرية واجتهد في رد أوراق الخديو لمن يعينه سموه من أتباعه ، وطالب بحفظ امتيازاته كخديو مصر ، وأن السفيرين الألماني والنمساوي أيدا زميلهما

ثانياً : جاءت برقية بأن يكن باشا نقل إلى برن
وفي يوم ٣ نوفمبر علمت أن أرفأى فتش كذلك ، وقبض عليه جملة ساعات ، ثم أطلق سراحه ؛ وكذلك فتش مقر الدكتور سيد كامل وعبد الله البشري .
وفي ٦ أخبرني الدكتور تليفونيا أن يكن باشا أفرج عنه اليوم ، فأرسلت له بطاقة بالتهنئة .

وقد زرته في يوم ٩ فعلمت أن الأوراق سلمت إليه ، ولكن افتقد بعضها فوجده ناقصاً وهو من الأوراق المهمة ، وبينما هو يفرز الأوراق جاءه طلب بالتليفون من كلاران ، وكلف الحضور بعد ثلاث ساعات ، ومعه الأوراق التي تخص الخديو بعد استخلاص أوراقه الخاصة ، وكانت تملأ حقيقتين فقال لي : انظر هل معقول أن أفرز كل هذه الأوراق في ثلاث ساعات ؟ ، ثم أخذها جميعها وذهب .

وفي يوم ١٠ نوفمبر توجه الخديو إلى برن فزاره فيها مسيو دينان Dunan وكيل إدارة الأشغال الخارجية السويسرية ، وأعلمه بأن حكومته تعترف به ، وليس لها الحق في مس أوراقه ، واعتذر مما حصل من ضبط هذه الأوراق عند يكن

وفي يوم ١٥ نوفمبر أوفد جلال الدين باشا إلى برن ، فزار سفير ألمانيا والنمسا حاملاً إليهما شكر الخديو على تعضيدهما مساعي سفير الدولة لدى الحكومة السويسرية . فسأل السفير الألماني الباشا عما إذا كان بين الأوراق المضبوطة عند يكن باشا أوراق مهمة ؟ وأنه يخشى أن يكون قد اطلع عليها الأعداء ، واستغرب لأن

أوراق الخديو لم يكن عليها ، ولا على غلافاتها علامة تدل على انها له ، ولو كانت عليها علامة لمنعت البوليس في حال ضبط الأوراق أن يطلع عليها .

وزار الباشا مسيو دينان ، وقال له إنه قد مضت عشرة أيام ، ولم ترد الأوراق . كما كان قد وعد ، فأجاب بأن الأوامر صدرت إلى النائب العمومي ، وانتهى الأمر من الخارجية ، وطلب منه أن يتوجه إلى النائب العمومي ؛ فلما قابله أجاب بأن زميله الذي عنده المسألة غائب في زوريخ ، وأن رد الأوراق يتم في آخر الأسبوع القادم ونفى دينان أن يكون الأيعاز بهذه المسألة صادراً من سفارة أجنبية ، وسأل عما إذا كان يمكن لم يزل مقيماً في لوزان ؟ وقد جرى البحث في معنى سؤاله أمام يكن صباح ١٦ . وكان من رأى الخديو أن سؤال دينان له معنى يدل على أن وجود الباشا غير مرضى عنه ، ليس في لوزان فقط بل في السويسرة

وفي يوم ٢٠ قابلت الخديو ، فعلت منه أن محامى يكن قابل النائب العمومي الذى بيده قضيته ، فعلم منه أنه هو الذى أخرجه من الحبس مؤقتاً بدون أمر ادارى وأن القضية لم تحفظ للآن . فقال سموه : إنه على ذلك يشته في هذا النائب لأنه لا معنى لأن مجلس الاتحاد السويسرى يأمر بالحفظ وهو يراوغ في المسألة ؛ فأجبت بأن الدول المتحالفة كانت تنتظر من ألمانيا والنمسا والدولة عدم التدخل في الأمر لأنها غاضبة من الخديو الذى تركها ، وكانت تنتظر أن السويسرة تمد يدها للساس به . ولكن لما فشلت عند انتصار هذه الدول الثلاث لسموه ، وكان هذا الفشل مزرباً بها لأن السويسرة اعترفت بشخصية الخديو وامتيازاته ، أرادت أن تضغط على الحكومة عسى أن يصدر الحكم على يكن ، فتدارى فشلها . قال سموه : « كل ذلك جائز »

وفي يوم ٢١ منه سافر الخديو إلى برن لمقابلة سفير الدولة ، وأرسل الدكتور سيد كامل إلى سان جال لمقابلة محام شهير اسمه (فورر) ليطلع على ما سمعناه من محامى يكن ، ويعهد اليه في مباشرة القضية عند مجلس الاتحاد السويسرى لحفظها ورد الأوراق .

وقد زرت في هذا اليوم فؤاد بك سليم ، فسألنى عن رد الأوراق المضبوطة فأخبرته بما سمعناه من المحامى نقلا عن النائب العمومي ، فوعد أن يتكلم مع الخارجية السويسرية .

وسالته تليفونيا بعد ذلك عن نتيجة المحادثة ، فأخبرني أن الخارجية أحواله على النائب العمومي ، وذكري أنه يظن أنهم ينوون اختلاق قضية أخرى ضد يكن . ومن المحتمل أن الانجليز ضبطوا رسائل واردة من الاستانة أو من النمسا أو من المانيا ، لأنهم يأخذون من البوستة السويسرية الفرنسية بعض المظاريف التي ترد لمن يشتبهون فيهم ، ويرسلونها الى المراقب في إنجلترا فيطلع عليها ؛ ثم يردها للبوستة السويسرية وعلى الظرف بالانجليزية خاتم المراقب ؛ وأنه رأى « مطروفا » من هذا القبيل للحكومة السويسرية في برن ، وربما ضبطت خطابات اعتمد عليها الانجليز في دفع الحكومة السويسرية الى اقامة الدعوى ثانية ضد يكن

وفي المساء علمنا من يكن أن النائب العمومي قال : « إن المجلس لم يصدر له أمراً بحفظ القضية لا كتابة ولا شفويا ، وأن القضية لم تحفظ للآن ، والقاضي منكب على درسها ومطالعها ، وأنه سيقدم قراره له في آخر هذا الأسبوع » فاستغرب الخديو ما سمع

وفي يوم ٢٢ منه قابلت يكن بمنزله ، وعلمت منه أن الأسئلة التي طرحها عليه عليه القاضي كانت تدور حول المسائل المالية ، سواء كانت مختصة باتفاق الخديو مع المانيا على مشروع بولو ، أو بأحواله الشخصية ، حتى إنه سئل عن المبلغ الباقي لسموه في البنك بناء على ايصال وجد بين الأوراق المضبوطة ، فأجاب إنها ليست فقط ثمانمائة ألف فرنك أو مليوناً بل إنها كانت أكثر من ذلك ، ركان منها عملة ذهبية نقلت في صناديق بالسكة الحديدية السويسرية إلى جهات متعددة ، ولما سئل : وكيف وصلت للخديو هذه المبالغ ؟ أجاب : إن على القاضي أن يوجه هذا السؤال لسموه . فتغيط القاضي وضرب بيده على المنضدة .

قال : « واني كنت في بعض الأحيان أجيب القاضي على مسائل من تلقاء نفسي آخذاً على عاتقي المسؤولية ، دون الخديو . وبعد كل هذا يعفني سموه ، ولا أسمع منه كلمة تطيف ، فضلاً عن أنه يقول لزوجتي : « ولماذا خرجتم من إيطاليا ؟ » فأجابته لو أردنا لكنا ظللنا في بلادنا . ثم إنه وزوجته قد كسر قلبها لان الخديو يقول : « إن السبب فيما حصل امرأة فرنسية ساقطة اسمها لويز يجوندي صديقة يكن » وقال سيد كامل لنا : إنه سمع هذا الكلام من سموه . فهل يليق أن يحكي ذلك لامرأتى ؟ ، أما زوجة يكن فقد قالت : « إنها مستاءة جداً بما سمعته ليس عن غيره منها ، لأنها

لا تصدق الاشاعة ، إنما لكون الخديو يصدقها ؛ وأنها قالت مرة لزوجها لما رأت
سوء العاقبة من انغماسه كثيراً في مسائل سموه : إن عليه أن يختار أحد أمرين : إما هي
وإما الخديو ، فأجابها بأنه يختار جانب الخديو .

وكان يكن متتهيجاً لما سمعه من المحامي من تأخير حفظ القضية ، وعدم صدور
أوامر للنائب العمومي بهذا الصدد ؛ وقد خاطبت شديداً تليفونيا ورجوته أن يتصل
بخليل بك الملاحق العسكري في سفارة الدولة ، ويخبره بما سمعه يكن من المحامي ، حتى
إذا وصل سمو الخديو الى السفارة مع جلال الدين يعلمه به ، حتى يتسكلم سموه
مع السفير .

وتسكلمت مع يكن وزوجته في ضرورة تحرير ثبت بحاشية الخديو ، وعمل
المساعي لدى الحكومة السويسرية لكي تعترف بعدم مسهم بضر ، وقلت : « كيف
أخدم الخديو ، وعقلي مشغول بما يمكن أن يصيبني من جراء ذلك ؟ »

معرفة سارق الأوراق : وفي يوم ٢٥ منه كنت مع الخديو بحضور سيد كامل
والبشرى فقال : « إن موسيو جينان المحامي عثر على جاسوس فرنسي اسمه هوتيه
وكان قد علم أنه حصل على بعض أوراق الخديو بواسطة مدام ريفيه خادمة
يكن ، فهدده موسيو جينان بالقبض عليه ومحاكمته وسجنه اذا لم يسبح له بالحقيقة ، فقص
عليه جلية الأمر ، وقال : « إنه تعرف الى خادمة يكن بواسطة خادمة عائلة يهودية كانت
في لوزان بالاس هوتيل اسمها سيسجلهان (ومن أصدقاء يكن وزوجته) فذهب
الجاسوس مرتين الى الفندق ، وصعد من سلم الخدم ، وقابل مدام ريفيه ، وأغراها
بسرقه الأوراق ، وفي مرة ثانية أخذ منها خمسة خطابات واحداً من المراكز
أدا التلياني ، والثاني من كافاليني وشيئاً باللغة العربية » ولما وقف المحامي على هذه
المعلومات قصد ليلا الى منزل يكن ، وقابل مدام ريفيه ، وهددها مواجها ايها هذه
المعلومات ، فأشفقت من إقامة الدعوى وسجنها ، واعترفت بكل ما قاله الجاسوس . ولما
قال لها المحامي : « وكيف تفعلين ذلك مع انك مغمورة باحسانات سادتك ؟ » أجابت :
بأنها تحب يكن باشا ومام يكن ، ولا تريد لهما سوءاً ؛ ولكنها فعلت ما فعلته انتقاماً
من الخديو » ثم أخرج سمو الخديو من جيبه ورقة بخط الخادمة وإمضائها بكل ما
اعترفت به . وفي صباح اليوم التالي أبلغت الخادمة تليفونيا من القنصلية الفرنسية
بأن زوجها قد جرح في الحرب ؛ وحضر الى ليون في حالة سيئة ، ويطلب أن تسافر

في الحال لرؤيته . وبناء على أمر عباس لم يظهر يكن ولا زوجته. أنهما على علم بمقابلة المحامي واعترافها له ، بل أعطاهما يكن أجرة السفر ، واستأذنت ، وأخذت جميع مالها وسافرت . قال الخديو : « هذا دليل على أن قنصلية فرنسا كانت على علم تام بهذه المسألة ، فأرادت أن تتقو وقوع الضرر للخادمة ، فبيأت لها هذه الحجة لخراجها من السويسرة » ثم قال : « واني كلما وقع نظري على يكن بعد اعتراف خادمته كنت أحس أن مراجلي تغلي ، وأهم بأن أضربه ، لأنني أحس الضرر العظيم الذي حاق بي وسيحقق من جراء هذه المسألة ، فان المخبرات التي كانت دائرة مع الانجليز قد انقطعت تماما ، وملحمه يقول : « إنه لا يمكن أن نبتدىء فيها مرة أخرى إلا بعد جملة أشهر حتى تهدأ الأفكار ، وتنسى المسألة » وفكر سموه أن يستدعى يكن ، ويبين له هذه الأمور جميعا ، ويعلمه بمقدار الضرر الذي ألحقه به ، ويقول له : « إنه لا يريد أن يرى وجهه مرة أخرى » . فلم أوافق أنا والبشرى على ذلك ، وقلنا : « يكفي ألا تعتمد عليه في شيء » فقال : « يا قوم عندكم عادة وهي « ما علمشي » مع أن ملحمه كان يقول لي مرارا : « ابتعد عن يكن ، وابتعد حاشيتك عنك لأنها تضرك »

فقال البشرى : « وما هي الحاشية المقصودة ؟ » فتجاهل الخديو هذا السؤال .

تهديد عباس ليكن : وفي المساء حضر يكن الى كلاران وخلا بعباس ، ويظهر من كلام سموه لنا بعد خروجه أنه قال له : « يا يكن باشا إذا كنت تعلم بأسراري فأنا أيضاً مطلع على أسرارك » ، يعني أنه هددته . وبعد ذلك تكلمنا فيما يلزم اجراؤه من الاحتياط حتى لا يقع الباشا في يد القضاء مرة ثانية ، إذ أن القضية لم تحفظ ، وأن التحقيقات قائمة على قدم وساق ، ويمكن إدانته ، فتقرر أن يسافر إلى النمسا ، وأن يعطيني جواز السفر لأؤشر عليه من قنصلية الدولة . وقد ظهر على وجه الباشا الخوف من العاقبة وقال : « انه يفضل أن يهرب الى النمسا ، ولو تعرضت أملاكه لما تعرض له في مصر ، على أن يستجن مرة ثانية » . وقد أفهمه الخديو أن الضرر الذي عاد ويعود على سموه من سرقة أوراقه لا يقدر ، وشاهدت على محيا يكن أنه يعترف بهذا ، وأنه آسف لما جرى ؛ ولو أنه لم يسيح بشيء . وقال : « إنني في البعد أو في القرب خادم أفندينا المخلص »

عباس يحصل على اعتراف منه : وفي أول ديسمبر كلف الخديو الدكتور سيد

كامل أن يحصل من يكن على اعتراف بأنه هو الذى رغب فى السفر الى النمسا وأنه عالم بمقدار الضرر الذى أصاب الخديو بسببه .

وكان يريد أن أحصل أنا على هذا الاعتراف ، فلاحظت لسموه ، أننى إذا طلبت ذلك فإن يكن ربما يظن أننى أريد أن أحل فى مركزه ، فيتأثر ويمتنع .
واتفق الرأى على أن أمهد فقط للدكتور سيد كامل بأن أقابل يكن ، وأحدثه برضاء الخديو عنه فى القرب والبعد ، وأسفه لما حصل فيطمئن ، وقد تم ذلك وأخذ الدكتور الاعتراف المطلوب .

بحث فى امتيازات رجال الحاشية بسويسرا : وفى يوم ٣ ديسمبر زرت فؤاد بك سليم ، وتحادثنا فى مسألة يكن ، فسألنى عما إذا كانت أوراق الخديو ردت ، فقلت : « لم ترد » قال : « عجبا ! ان حكومة السويسرة لا يعرف الانسان لها رأساً من قدم » ثم قال : « بلغنى أن البحث جار فيما إذا كانت امتيازات الخديو تغطى يكن باشا وإلى أى درجة . ولكن كان الواجب أولاً أن يردوا الأوراق الى سموه ؛ ثم ينظروا فى مسألة يكن » . فانهزت هذه الفرصة وقلت : « ان مسألة سريان الامتيازات على حاشية الخديو مهمة جداً ، فأنا مثلاً أحضر للسفارة مرسلاً من قبل الخديو ، ولا بد أن الانجليز عالمون بحركاتى وسكناتى . فمن أين أعلم أنهم لا يكيّدون لى كيداً كما حصل ليكن ؟ نعم إننى لا أخشى ما يفعلونه ، ولكن يكون من وراء ذلك ضجة غير مستحسنة » قال : « هذا صحيح ، وأنا فى بادئ المسألة قلت لجلال الدين باشا : إن الواجب أن يرسل الخديو ثبثاً برجال حاشيته ، حتى لا يلحقهم ضرر ولا يمسوا بسوء ، وما عليه إلا إعلان هذا الثبث للحكومة المحلية ، ويرسل إلى نسخة منه . وأنا أبعث بها إلى مجلس الاتحاد » .

استرداد بعض الأوراق المضبوطة : وفى يوم ٩ منه قابلنى فى محطة لوزان الدكتور سيد كامل ، فعرفنى بأن الخديو تسلم ١٤ ورقة تخصه من الأوراق المضبوطة منها إيصال بالمبالغ التى ردها سموه لألمانيا ، وإيصال بخمسين ألف فرنك بأمره يوسف باشا سديق . وهذه الأوراق هى التى اتضح من خواها أنها تتعلق بشخص الخديو أو التى عليها علامته . أما الأوراق الباقية فلم تزل فى يد رجال السلطة القضائية وربما توصلنا إلى سحب الأوراق الباقية ، وسيجتمعون يوم الأربعاء الآتى لهذا الغرض ، وبناء على الأمر طلبت منى أن أخبر فؤاد بك سليم بذلك وأبلغه أن الطلب لدى الإدارة .

وفي يوم ١٢ منه قابلني الدكتور سيد كامل ، وأخبرني أن المحامي فورر يرى أنه يلزم فصل مسألة يكن عن مسألة عباس ، ويكفي أخذ الأوراق الصادرة والواردة باسم سموه ، أو عليها علامته ؛ وقال أن نيسي محامي يكن اعترض على تسليم الأوراق الأربع عشرة للخديو رأساً ، وأنه يقول : « أن القضية قضية افندينا ويكن معاً » وإذا اقتضى الحال فإن هذا المحامي لا يعترف بامتيازات الخديو ، فإذا لم ينجح يكن من المحاكمة فإنه يكون مضطراً إلى زج الخديو فيها (وهذا التهديد مقصود به أن يتحرك سموه ويلج على مجلس الاتحاد بوساطة سفراء الدولة العلية والنمسا وألمانيا لإصدار الأذن بحفظ القضية) ولم يستطع الخديو أن يحصل بعد ذلك إلا على الأوراق التي تسلمها

شئونه مختلفة

رأى الخديو في غورست وكتشنر : في يوم ٦ مارس كنت عند الخديو مع لبيب وفهمي والشمسي ، ودار الكلام عن مصر وإدارتها السالفة ، فقال سموه : « إن مدة كتشنر لم تكن مفيدة للمصريين ، ومسألة الخمسة الأفدنة فشلت ، لأن السير أرنست كاسل ، والآنكليز أصحاب الأموال في البنك الزراعي وقفوا ضد كتشنر فيها ، فاضطر أن يطلب من محمد باشا سعيد إعطاء امتياز للبنك المذكور وهو غبن فاحش ومسألة توزيع الأقطان في بيله وغيرها فشلت أيضاً ، لأن الفلاحين تركوا الأراضي المذكورة ؛ وأما غورست فهو الذي عمل حقيقة لمنفعة مصر ، ولو أن الحزب الوطني ومنه هذا « اسماعيل بك لبيب » كان يدعى بأنتى سلمت البلد للإنجليز ، فغورست أعطى مصر مجالس المديريات ، ولكن نحن المصريين لم نعرف أن نستفيد منها كثيراً لأن المديرين استبدوا ، ولو أنه في الغربية كانت توجد معارضة من بعض الأعضاء ، ومع ذلك فإن مجالس المديريات قد أفادت البلاد ، ورقت التعليم وكان غورست بألحاحنا يريد أن يتدرج بمصر شيئاً فشيئاً إلى المجالس النيابية رغم معارضة الانجليز الذين كانوا يقولون عنه : إنه ضعيف الإرادة

« ولكن الامر الذي كسر قلبه هو إخفاقه في مسألة امتداد أجل الامتياز لشركة القنال ، فإنه لما جاء مصر علم أن المستشار المالي تصرف في الاحتياطي الخاص بصندوق الدين تصرفاً سيئاً ، واشترى من أسهم الترنسفال وغيرها ، فأفاد الانجليز وأصاب مصر بخسارة تربى على مليون جنيه ، بينما هي في حاجة إلى المال للشروعات

الجديدة ؛ وقد طلب الانجليز منه أن يعقد قرصاً لتنفيذها ، فأبى ذلك ، قائلاً : « كيف يدير كرومر هذه البلاد خمساً وعشرين سنة بدون قرض ، وأنا أبتدىء عهدي بالاقتراض ؟ »

« ولهذا فكر في الحصول على المال اللازم من مد أجل الامتياز ، فلما لم ينجح تأثر وقت همته »

الخديو وملك أسبانيا : في يوم ٢٣ إبريل كنت مع الخديو ، فأخبرني أنه لعدم اطمئنانه الى الألمان والأتراك فكر في أن يضع عائلته في الاستانة في كفالة سفارة أسبانيا بها ، فطلب من شقيقه البرنس محمد علي أن يكتب الى ملك أسبانيا بذلك ، نظرا للعلاقة الودية بينهما ، وقد أرسل البرنس رسالة بهذا الخصوص الى الملك عن طريق سفيره في برن .

وفي يوم ٣١ مايو أخبرني أنه يريد أن يرسل جوابا الى ملك أسبانيا ليشكره أولا — على الرد التغراني اللطيف الذي ورد الى سموه عند ما هتأ جلالته بعيده في ١٧ مايو — وثانيا — لأن جلالته أجاب الطلب الذي خاطبه فيه البرنس محمد علي باشا بناء على اقتراح الخديو ، فابرق الى سفيره في الاستانة برعاية عائلة سموه (الوالدة والحرم والبرنيسيات) وقد ذهب السفير الى بيك وأعلم الوالدة بأنه « تحت أوامرها فيما تطلبه » وهي أرسلت على يديه شكرها للملك ، وكتبت للخديو بارتياحها الى المساعي التي حصلت ، وكلفتها أن يشكر الملك من قبلها ، وأنها تطلب من جلالته أن يساعدنا في مثل تلك الأوقات الصعبة . قال الخديو : « ولما كان سفير اسبانيا في السويسرة سيحضر لمقابلتي بعد يومين ، وربما حمل الى أيضا شيئا من قبل جلالته ، فاذا علمنا بشيء آخر ضممناه الى الخطاب » وأمرني سموه أن أضع المسودة بذلك .

وفي أول يونيو حررت الرسالة المطلوبة ومما جاء بها :

« إنني لا يمكنني أن أعبر عن مقدار شكري لجلالتكم ، نظرا للعطف الذي تبدونه نحوي في هذه الظروف الحرجة ، وإنني متأثر من الاحساسات الشريفة التي ظهرت في ردكم على برقيتي بتهنئتيكم ، وأنا شاكر كذلك للأوامر التي أرسلتموها الى سفيركم بالاستانة لرعاية عائلتي بها .

« وإن والدتي التي أبلغها سفيركم في الاستانة أوامركم الطيبة تشترك معي في إبلاغ جلالتم تشكراتها »

وقد وافق سموه على هذه الرسالة وأرسلها .

غرق كتشنر : في يوم ٩ يونيو قرأت في الصحف أن اللورد كتشنر غرق هو وأركان حربه ، وكانوا على بارجة حربية ذاهبة إلى روسيا ، فصادفه توريد ألماني وأغرقه .

ولما علمت بالخبر الذي اهتزت له إنجلترا ، واهتز له الحلفاء ، بادرت بارسال برقية إلى عباس ، وأنا أعلم أنه سيرحب بالخبر .

محادثة البرنس محمد على مع مكسويل عند اعلان الحرب : في يوم أول نوفمبر



الجنرال سير جون مكسويل

سافرت إلى مونتروه وزرت البرنس محمد على باشا ، فوجدت عنده عبد الله البشري ، ودار الحديث على مصر وسياسة الانجليز بها ، فقال البرنس : « إن التاريخ الذي يكتبه المقطم عن الحرب يزعم أن السلطة الانجليزية طلبت مني الابتعاد عن مصر ، وهذا كذب ، فانه لما رجعت ونجت باشا ومكسويل وسسل وجراهام الى مصر عقب اعلان الحرب خف الثاني لزيارتي ، وسألني عن فكري ، فقلت : « إن المصريين لا يمكنهم الدخول في هذه الحرب ، وعليكم أن تأخذوا أنتم الحيلة للمحافظة على مصر ، لأن ذلك في صالحكم ، ولأن

مصر لم تدخل الحرب مع الدولة العلية لما ثار البلقان عليها ، ومن رأي أنكم تطلبون رجوع الحديو من الاستانة ويبقى في سرايه تحت مراقبتكم » فقال مكسويل : « ولكن لو حضر الحديو فانه لايسكت ، بل يلعب بذيله مهما نبالغ في الاحتياط ، وهو عدو لنا » فقال البرنس : « أنا أرى أن الفرصة سانحة للانجليز لاعلان استقلال مصر وبهذه الوسيلة يمكنكم أن تجهزوا جيشا من المصريين للدفاع عن استقلال بلادهم

وتفقوا معنا على أن تتركوا مصر بعد مدة تحدونها، فإن صنعتكم ذلك تكتبوا ثقة المصريين ، وغيرهم في البلاد العربية » — وقد ظهر لى أن كلامى لم يعجبه — وأخبرته أيضاً أننى مع اعترافى بأن اللورد سسل رجل لطيف ، ومن أسرة شريفة ولكنه ليس أهلاً لمنصب مستشار مالى ، فإنه فى الظروف الصعبة التى نحن فيها ما كان يجب عليه أن يجبر الفلاح المسكين على دفع الأموال ، بل كان يعطيه ميعدا كافيا للدفع بحيث لا يجبره على بيع أوانيه وماشيته وكل ما يملكه . وقد قام الجنرال من عندى غير راض عن محادثته معى ، فإن إجاباته ما كانت تشف عن ارتياح ، بل عن تغيط بخلاف ما وجدته عندما تحدثت مع ونجت باشا فى نفس الموضوع ، فقد كانت أجوبته بكل احترام وأدب ، وقد أجاب عن رجوع الخديو بأنه كان فى الصالح ، إلا أن الحكومة الإنجليزية قد ترى أسبابا لمنع رجوعه الآن »

وقال البرنس : « إن رأيه الذى أبداه عن استقلال مصر قد استحسنة ووافق عليه ما كلريث المستشار القضائى وماكدونالد وكيل الاشغال — أما سسل وجراهام وشتهم فكانوا ضده »

أوراق الخديو فى رودس : كان الخديو قد أمر باستحضار بعض أوراقه من مصر على الباخرة طاشيوز ، فقبض على الباخرة فى رودس ووضعت تحت الرقابة وفى يوم ١٠ نوفمبر كلفنى أن أحضر خطاباً ليرسله الى ملك إيطاليا ، فكتبته وعرضته عليه (مضمونه أن سموه بلغه أنهم يسعون لضبط أوراقه الموجودة فى رودس داخل باخرة له ، وتحت ملاحظة حكومة إيطاليا المحلية فى هذه الجزيرة ، وأن سموه مع عليه بمشاغل الملك ونفاسة أوقاته يحسر على أن يلمس من جلالته أن يصدر أوامره القاطعة بعدم مس هذه الاشياء ، وهذا رجاء حفيد اسماعيل) وفى يوم ٢٥ وردت برقية من ملك إيطاليا بعنوان « صاحب السمو الخديو عباس باشا » قال فيها : « إنه تسلم خطاب سموه وفى الحال أرسل أوامره بما يطلبه » ، ففرح الخديو وفرحنا نحن أيضاً ، وقررنا أن نكتب هذه المسألة حتى لا تصل إلى أذان الإنكليز ، لانهم طبعاً لا يرغبون فى اعتراف ملك إيطاليا بخديوية عباس ، فضلاً عن استيائهم من عدم إجابة السلطة الإيطالية فى رودس طلبهم من وضع يدهم على الأوراق ؛ وقد أخذ سموه البرقية وركب السيارة وذهب بها إلى ملحمة وأراها له ثم رجع فكتب الرد بالشكر الجزيل على عناية الملك .

كتبخانة عمارة قوله : في يوم ٢٥ نوفمبر طلب منى الخديو أن أحضر رسالة إلى ملك البلغار بأن كتبخانة عمارة قوله معرضة لئيران العدو ، ونلتمس من جلالتهم أن يأمر بوضعها في مكان أمين حتى نهاية الحرب .

العلماء والانقلاب : مما سمعته من البرنس محمد علي باشا في زيارتي له : انه في أوائل الحرب كانت قد حصلت حركة بين العلماء ظهر منها أنها ضد الاحتلال ، وفي جانب الخديو ، فأوفده رئيس النظار حسين باشا رشدي إلى شيخهم الشيخ سليم البشري (١) لتسكين هواجسهم ، قائلًا لهم : « ان هذه الحركة لا تفيد لان المصريين لا يملكون سلاحا ، ولا ذخائر للمدافعة عن أنفسهم وعن بلادهم ؛ والاصوب أن يكون الهدوء رائدهم » وقد حصل ذلك .

(١) صور ج ٢ ق ١ ص ٢٨٠

فصل المخاضات مع الانجليز ومحاولتي التوفيق بين الحزبين والأتراك — الاحتفال
ببلاغ عبير المنعم من الرشد — البرنس عبير المنعم وولاية العهد — سفرى
الى الأستانة — عودة الحزبين الى الأستانة — كيف تلقى الحزبين خبر وفاة السلطان
مصطفى ونولية السلطان فؤاد — بينى وبين عباس — بين الحزبين ودولى عمره

فصل المخاضات مع الانجليز ومحاولتي التوفيق بين الحزبين والأتراك :
انتدبني للتفاهم مع الأتراك : في يوم ٢ يناير اجتمعت بعبد الحميد شديد ، وتحادثنا
في الحالة الحاضرة ، فقلت له : « إن الوقت مناسب للسعى عند الأتراك والألمان ،
وتحسين سياستنا معهم ، وإلا فأنتنا نخرج « من المولد بلا حمص » على رأى المشل
العامى ، وأن الخديو أمامه الباب المفتوح من ناحية أنور باشا المعروف بصداقته
له ؛ فلما ذا لا يلج هذا الباب ؟ »

فقال شديد : « إننى أميل جداً لاتخاذ خطة معينة ، والانضمام إلى إحدى
الهيئتين : إما الأتراك وإما الأنكلين ، فذلك أولى من وقوفنا الآن موقف المتحير »
ثم سألنى عما إذا كنت أقبل السفر إلى الأستانة للتفاهم مع الأتراك ؟ فقلت له : « كان
الأولى بذلك جلال الدين باشا » فأجابنى بأنه رفض خشية حجزه فى الأستانة ،
قلت : « وهل هذا السؤال من عندك ، أم أن الخديو هو الموعز به ؟ » فضحك وقال :
« هو يرغب ، ولكنه يخاف عليك من الانجليز » فقلت له : « إننى على استعداد لما
يأمر به ، لأننى أريد خيره ، وهو ولى نعمتى ، ومن قبله والده ، وإن كنت أتوقع الضرر
من جانب الانجليز فى أموال بمصر ، إلا أننى مستعد للتضحية ، فأنا « محروق » أول
مرة ، وقيامى بهذه المهمة لن يزيد هذا الاحتراق ، وأن لسموه أصدقاء مثل ملك
بلغاريا ومثل الدوق دومكلمبورج ، وغيرهما من الألمان والنسويين . فلما ذا
لا ينتفع بصداقتهم ؟ » قال شديد : « على أن أعرض للخديو هذا الموضوع » ثم أبدي
لى رأياً فخواه : أننا نطلب أولاً من الأتراك تنفيذ مشروع الحملة على مصر ، فأذا لم

يجيئوننا إلى ذلك طلبنا منهم ضمانات مالية إذا صادر الانجليز أملاك الخديو في مصر وافترقنا على ذلك .

سعى الخديو لدى الانجليز ومناوراته : وبعد يومين اثنين من هذا الحديث قابلت موسيو بارودى ، فسألنى عما يعمل الخديو الآن ، فأخبرته أننى لأعلم شيئاً ، فقص على : أن سموه قد فاتح الانجليز للاتفاق معهم ، وتسوية موقفه على يد معتمد البلجيك فى فيينا سابقاً فعينوا « اللورد أكتون » المقيم مع معتمد انجلترا فى برن للتفاهم وإياه ، وقد اتفقا على أن ينزل عن حقه فى الخديوية فى مقابلة تخصيص مبلغ ٢٥ ألف جنيه سنوياً له ، ورفع الحجز عن أملاكه فى مصر ، وضمان أملاكه فى تركيا ، ومساعدته فى مسألة وقف والدته ليكون له نصيب فيه .

وبعد هذا ذهب الخديو ، وقابل فؤاد بك سليم سفير الدولة ، وأخبره بما يعرضه عليه الانجليز ، وطلب منه معرفة رأى الدولة ، وهن تضمن له مثلاً يضمن له الآخرون ،

ثم قال لى : « والخديو كما هى عادته لم يحفظ سر أعماله هذه ، بل أذاعها ، فانتشر الخبر فى جنيف ولوزان وغيرهما ، وأخذ يوسف صديق وأمثاله يذيعونه ، فغضب الانجليز لذلك ، وعزموا على إهمال الموضوع ؛ ويسرنى يا باشا أنك لا تعلم بما حصل وإلا لو أنك تدخلت لذلك انتقاد » فأخبرته أن الخديو يعمل برأيه ، ولا يطلعنا إلا على الظواهر . قال : « ومن الأسف أن أعماله هذه ستؤدى به إلى الخسارة ، لأن الانجليز فى استطاعتهم أن يوعزوا إلى البنك العقارى فى مصر بعرض أملاكه للبيع سداداً لديونه ، فتباع بأبخس الأثمان ، دون أن يعمل الانجليز شيئاً ظاهراً يؤخذ عليهم »

ولما أخبرنى بارودى بذلك ، وكنت أعلم أنه متصل بالانجليز ليقوم باطلاعهم على كل ما يعلمه من أخبار الخديو والمصريين ، تذكرت أن عباساً قال لى فى العام الماضى : « أنا سأعمل مع الانجليز ، وإذا انتهيت إلى شىء أعرضه على الأتراك وأطلب منهم بيان ما يعملون هم لصالحى ، وقدرت فى نفسى خطورة هذه الخطوة ، وأنها لعب بالنار ؛ وقد تصل بنا إلى سوء التفاهم مع الفريقين .

مقابلي لفؤاد بك سليم : وفي يوم ١٤ يناير اجتمعت بفؤاد بك سليم سفير الدولة في برن ، وتحدثنا في عدة شئون تتناول الحرب ، وأعمال الانجليز الحربية في شبه جزيرة سيناء ، وما كان يقال عن المخابرات الدائرة عن الصلح . . الخ . ثم تدرجنا في الحديث إلى الخديو فسألته عما إذا كان هناك تحسن في علاقات سموه برجال الدولة ؟ فأجابني بأنه لم يتلق شيئاً من الاستانة بخصوصه ، ثم قال لي : « إنه حصلت مسألة ولو أنها بسيطة إلا أنها غير لطيفة ، ذلك أنني طلبت بناء على رغبة الخديو خادماً من الاستانة ، ومعه بعض الأمتعة الخديوية ، فرخص له في السفر إلى فينا فقط ، ولا يزال محجوراً هناك »

وفهمت أنه يريد أن يبرهن بذلك على سوء العلاقات ، فقلت له : « وما ذا نعمل للوصول إلى غرضنا من حسن التفاهم ؟ فأجابني : بالسعي لدى الألمان . ولكن لاحظت أن الأتراك لا يرغبون في ذلك . قال : « كان على الخديو أن يتمتع بفرصة وجوده في فينا ، ويقابل امبراطور ألمانيا مباشرة » فأخبرته بفشل الخديو في محاولة هذا عدة مرات ، فأجابني بأنه لو شهد حفلة جنازة الامبراطور النمساوي النجح ، وتحسنت علاقته بالامبراطور . فأجبت أنه الخديو احتج بعدم وجود كسوة رسمية لديه لأنها في الاستانة

ثم أبدى انتقاده لرجال الحزب الوطني ، وخطتهم التي وسعت هوة الاختلاف بما كانوا يشيعونه عن مطامع الأتراك في مصر .

مقابلة شديد بك : وفي اليوم التالي قابلت عبد الحميد بك شديد ، فأخبرته بكل ما دار بيني وبين بارودي والسفير ، فاستغرب تصرفات الخديو ، ولا سيما عرضه على سفير الدولة مخبراته مع الانجليز ، واستبعد ذلك . وأخيراً انتهينا إلى إرسال برقية إلى الخديو في زوريخ (وكان قد انتقل إليها) نطلب مقابله لمسألة هامة . وقد جاءنا الرد بالتوجه إلى « تريتيه » وكان شديد أخبرني أنه أبلغ سموه استعدادي لكل عمل ، فاستحسن ذلك ولم يبد رأياً ، وقال لي شديد : « إنه ربما فاتحك في هذه المسألة »

مقابلة الخديو : وفي يوم ١٧ ذهبت للمقابلة ، فعرضت على سموه ما قاله لي بارودي : فقال : « هاهم أولاء منذ شهرين يشيعون أن الاتفاق بيني وبين الانجليز

قد تم ؛ ولكن الواقع غير ذلك « ثم أبدى استغرابه لمسألة وقف والدته ، فقال : « انه لا يعلم شيئاً عن هذا الوقت الذى قيل إنه عمل منذ شهر » وأبدى دهشته من قول سفير الدولة : انه لم ترد اليه مخبرات بخصوص الخديو فى الاستانة فقلت : « ربما علموا بمخبرة الانجليز فامتنعوا عن الحديث معنا » . وأخيرا ودعت سموه دون الاتفاق على قرار معين .

مقابلة البرنس محمد على وانتقاده شقيقه : ومرت بعد ذلك بالبرنس محمد على باشا ، فدار الحديث بيننا فى الشؤون الحاضرة ، فانتقد الخديو قائلاً : « كل الناس تعلم بمخبرته مع الانجليز مع انه يفهم أن أحداً لا يعرف سره ، وأنه لا يوجد من هو أصدق منه ، فيريد أن يلعب بالانجليز وبالأتراك وهذا مستحيل . وواسطته هو ملحمة باشا المعروف بميله للفرنسيين والانجليز » . وقال : « إن فؤاد بك سليم كلف شديد بك أن ينصح للخديو بترك سويسرا الفرنسية ، ولكن هاهو ذا لا يزال فيها » ! ثم أخبرنى أن النمسيين مستاءون كذلك لعدم حضور الخديو جنازة امبراطورهم حتى إن سموه لقي الأمير « مترنيخ » وكان زميلاً له فى التريزيانوم ، فأراد أن يعتذر له بأنه لم تكن معه كسوة رسمية ، فرد عليه الأمير قائلاً : « لاتحادثنى كما تحدث رجال السياسة ، فأنا أعلم أنه لو كانت عندك كسوة ما ذهبت ! » وعندئذ صمت الخديو .

مقابلتى مع قنصل النمسا : وفى يوم ١٩ منه اجتمعت بالكونت دى تورن وأفهمته أننى أخشى أن يكون الخديو فى مخبرات مع الانجليز ليتفقوا بايهم ، مع أنه يعهد الى من وقت لآخر فى مساع عند سفير الدولة لتحسين العلاقات . فاذا سمع السفير بذلك فانه يعتبرنى غشاشاً أو غيباً وكلاهما لا أرضاه لنفسى ، واننى أفضل الاستقالة على ذلك ، لولا أن انفصالى قد يجعله يرمى بنفسه فى أحضان الانجليز . وقد فكر الكونت ثم قال : « هذا صحيح ولذا فلا يحسن انفصالك الآن »

مقابلتى مع پارودى مرة أخرى : وفى يوم ٢٠ منه اجتمعت بموسيو پارودى فأخبرته أننى سأقابل الخديو قريباً ، فهل أطلعه على ما علمته منه ، فقال لى : « إننى قابلت أمس « فردريك » خادم الخديو ، وكلفته أن يعرض على أعتابه تهنئتى له بالمخبرة الحاصلة بينه وبين الانجليز ! » وأبدى لى أسفه على اذاعة رجال الحاشية الخبر مما عطل سير المخبرات . وقال : « ولماذا لاتكون أنت ياشفيق باشا واسطة

هذه المحادثات الهامة بدل تويني بك (١) وملحمة؟ نحن نعلم أن هؤلاء السوريين غير مخلصين» ثم حادثته في مسألة وقف الوالدة فقال: «إنه لم يتأكد منه بعد»، وأخذ يبألغ لي في منزلته الشخصية عند الانجليز!

من الذى أذاع سر المحادثات؟ وفي يوم ٢٤ قابلت الخديو فأبلغته ما دار بيني وبين پارودى، فنفى لي أن رجال الحاشية هم الذين أذاعوا سر المحادثات لأن أحداً منهم لا يعرف ذلك، وأن أعداء المتصلين بالانجليز مثل يوسف صديق ومحب باشا ربما كانوا هم الذين أذاعوا ذلك. وبعد خروجي من عنده جلست مع شديد، فتحدثنا في هذه المناورات التي يقوم بها دون فائدة، وثلة استقراره على حالة، ثم فكّرنا في مسألة إقامته بعد الحرب، وهل ستكون في الاستانة أم غيرها، وكذلك في مسألة ولي العهد، وهل يشمله التنازل الذي يقرره الخديو؟

وقد قابلت پارودى يوم ٢٩ منه فسألته عن هاتين المسألتين، فلم أجد لديه معلومات عنهما؛ وأخبرته بأن إذاعة سر المحادثات لم تكن من ناحية الخديو، فاقترح بذلك مناورات الخديو بين الأتراك والانجليز: وفي هذا اليوم قابلت الخديو وعلمت أنه سيعادر «تربيته» بعد أيام قلائل، وكلفني أن أخبر فؤاد بك سليم بهذا وألا أترك الاتصال به، وقد أفهمني أنه يقصد بذلك إثارة الاهتمام عند الانجليز بموضوعه، لأنهم إذا علموا بقطع صلاتنا مع رجال تركيا فانهم لا يهتمون بنا! وقد قمت بهذه المهمة يوم ٥ فبراير

استقالة البرنس سعيد حليم من الصدارة: وبينما كنت عند السفير جاءته برقية من الاستانة تنبئه بسقوط نظارة سعيد حليم، وتشكيل النظارة الجديدة برئاسة طلعت باشا، مع الداخلية والمالية، التي كان بها عباس حليم، شقيق الصدر السابق، فخرجت بعدها وأخبرت شديد بك بالتغيير الذي حصل، فسر به كثيراً؛ وقد أبلغنا الخديو تليفونياً في فندق «أسبلا ناد» في «لوكارنو» فأظهر فرط سروره وكلفني أن أقابل فؤاد بك سليم مرة أخرى؛ وأشكره من لدن جنابه على إخباري قالنباً؛ وأفهمه أنه سيرسل برقية بالتهنئة بمجرد إعلان رسمياً من قبل الدولة كالمعتاد ببل الحرب.

(١) أحد كبار السوريين وكان له اتصال ومعرفة سابقة بالخديو

وقد قابلت فؤاد بك ، وأبلغته ما كلفت ؛ فقال لى : « إن نظارة الخارجية أبلغتني الخبر ولم ترد على ذلك »

وفي يوم ٧ منه اجتمعت بالخديو وشديد بك ، ودار الكلام حول التغيير الذى حدث فى النظارة ، فقال : « إن البرنس سعيد سيقوى مركزه عند الانجليز بهذه الاستقالة ، وربما رشحوه لعرش مصر » فكان رأينا غير رأيه فى هذه النقطة . ودارت المناقشة فى إرسال تهنئة من سموه ، فكان رأى فيها انتهاز الفرصة للتفاهم ، وعدم انتظار الإعلان رسمياً من جانب تركيا . ولكن تقرر أخيراً - على غير رغبة منى - أن أذهب إلى فؤاد بك ، وأن أطلب منه إرسال برقية « شفرة » للخارجية العثمانية بأن الخديو بعث يستفهم من القبول كتخداية ، عما إذا كانت أعلنت بالتغيير رسمياً كالمعتاد ؛ وأن غرضه هو القيام بالواجب فى تهنئة الصدر الجديد وربما أوفد سموه مندوباً لهذا الغرض

ولما قابلت السفير لم يستحسن إرسال برقية ؛ وأشار بأرسال التهنة مباشرة ، وبدون تأخير ، لأنه مضت ثلاثة أيام الآن من وقت حضور البرقية ؛ ثم إذا ورد إلى الخديو أن القبول كتخداية أعلنت يرسل برقية أخرى ، أو يرسل مندوباً خاصاً « مثلك باباشا » قلت : « ولكن إذا أوفدنى الخديو فيجب ألا يشيع ذلك عند الانجليز حتى لا يمتقموا منى فى أملاكى بمصر » فقال : « إذا تم ذلك فأنا أطلب من قنصل الدولة تحرير جواز السفر بنفسه ، ولا يخبر أحداً بسفرى »

ولما رجعت إلى الخديو حاولت إقناعه بعدم التشبث بالرسميات ، وانتهاز الفرصة السانحة ، وأخيراً تقرر أن نطلب من فؤاد بك أن يكتب فى تقريره الذى يرسله إلى الآستانة أنه اخبرنى بالتغيير ، وكلفنى إبلاغ الخديو ، فيكون ذلك شبه إعلان رسمى . وقد حصل ذلك وأبدى لى الخديو تخوفه من انتقام الانجليز منى إذا سافرت ، فأظهرت له استعدادى لذلك ، ولكن قلت : « يجب أن نحتاط » ، وأن نتق شر بارودى ، فأدعى أننى ذاهب إلى بادن للاستحمام ،

إرسال التهنة ؛ وبعد ذلك حررت صورتين للتهنة ، إحداهما مطولة والاخرى رسمية قصيرة ، فاستحسن سموه الثانية وأرسلناها يوم ٢٧ فبراير . وقد وردت برقية الرد فى يوم ١٧ منه فى لهجة لطيفة باسمه ، باعتباره « خديوياً لمصر » .

جس النبض لدى رجال تركيا : عندئذ فكر الخديو فى الشروع فى مخبرات مع

الصدر الجديد لتحديد مركزه ، وقد أراد أن يحس النبض للتأكد من نجاح المخبرات قبل البدء فيها . وكان قد سبق أن طلب من الاستانة حضور خادم فجز في النمسا وبقى بها ؛ فعزم على أن يكون طلب الترخيص لهذا الخادم أول ما يحس به النبض ؛ وأمرني في يوم ١٧ أن أحرر خطابا لطلعت باشا بذلك في صيغة غير صريحة ، لأن الطلب تافه ، وقال لي : « اذا وجدنا أن لدى الصدر فية طيبة من ناحيتنا ، فاننا نرسلك يا شفيق للاستانة »

وفي يوم ٢٨ مارس كنت مع الخديو أنا وشديد بك والدكتور سيد كامل ، فعلمت أن رد الصدر قد وصل إليه منذ أيام ، وأنه رد طيب ، وفيه وعد بالتسهيلات اللازمة لكل تابعي الخديو في ذهابهم لسويسرا وإياهم منها ، وكذلك أبدى اهتماما بمخبرانه ، ووعد بالرد عليها ، بقدر ما يمكن من السرعة

وقد أظهر لنا الخديو سروره من هذا الرد ، وتقرر ايفاد مندوب الى الاستانة للمخبرة مع الصدر في المسائل المتعلقة ، وطلب منا أن نفكر في وضع نقط لهذه المخبرة ، وفي الخطة التي يتبعها المندوب .

تحضير مذكرة للخبرات : وفي يوم ٢٩ منه اجتمعنا ووضعنا المذكرة الآتية :
أولا . انضمام الخديو للدولة ، كان مبني على (١) تعلقه بالخلافة والغيرة الاسلامية (٢) الولاء للمتبع بصفته تابعا سياسيا . (٣) الأمل في أن تكون لمصر حالة سياسية أسعد مما كانت عليه

ثانيا : أسباب خروج سموه من الاستانة : (١) معاكسات سعيد حليم (٢) استرجاع الحملة (٣) شعور سموه بعدم استشارته في شيء يخص بها

ثالثا : أسباب خروجه من فينا : (١) تعيين بوليس سرى لمراقبة سموه كأنه عدو للاحالف . (٢) انقطاع أمله في تحسن الحالة بينه وبين الاستانة بسبب ما تقدم (٣) عدم قبول امبراطور المانيا مقابلاته (٤) طعن سفير المانيا بفيينا في الشرقيين ما عدا الأتراك (٥) الحاحه على سموه بالرجوع الى الاستانة للسعى في تحسين العلاقات .

رابعا : أسباب عدم تحسين العلاقات في سويسرا : — (١) استمرار معاكسات الصدر (٢) عدم الترخيص لرجال الخديو بالدخول في الاستانة والخروج منها (٣) قطع مراتب رجال حاشيته لأنهم لم يرجعوا الى بلاد الدولة ، بينما المصريون المنتهون للصدر يستمرون في قبض مراتبهم .

خامسا : أمل الانكليز في التقرب من سموه لما علموه من سوء التفاهم بينه وبين

رجال الدولة ، والألمان واجتهادهم في فصله عنهم فلم ينجحوا ، بدليل أنه لم يصدر من سموه أى فعل أو قول علنى أو غير علنى يدل على اتفاقه مع الانكليز ، ولو كانت المسألة متعلقة بالحالة الخصوصية لسموه فقط لانهت منذ زمن

سادسا : تغيير النظارة العثمانية أحيا الأمل في تحسين العلاقات مع الدولة وجواب الصدر خير مشجع لهذا التقارب .

هذا عن الماضى

أما المستقبل فأولا : تخنيق الأمل باسعاد الحالة في مصر متوقف على قيام حملة أو احتمال نجاح مساع سياسية ، وعلى هذا يجب الخديو أن يعرف : (١) اذا كانت هناك نية لتجريد حملة ، واذا كانت الدولة مهتمة باتخاذ وسائلها ، وما هو الموعد الذى الذى تقوم فيه ؟ (٢) ان كانت هناك نية فهو مستعد للرجوع الى الاستانة عند الزحف (٣) طلب تعصيده مادياً وأديباً للحفاظ على مظاهر الخديوية الى حين عقد الصلح ، فهل الدولة مستعدة لتقديم اعتماد مالى يصرف فيما يتعلق بالأمور العامة ، أو بالاتفاق على الحاشية ، أو لاعانة المصريين المحتاجين فى الخارج (٤) ان لم تكن هناك نية فى ارسال حملة فالخديو يتساءل اذا كان تعصيد الدولة وحلفائها فى مؤتمر الصلح يضمن الوصول الى نتيجة حسنة لمصر ولشخصه ، ويتساءل فى هذه الحالة عن الضمانات الحالية الممكنة لتحقيق هذا الأمل فى مؤتمر الصلح (٥) فان لم توجد هذه الضمانات من الآن فهلا يكون من المصلحة أن تجيز الدولة لسموه اجازة غير رسمية الاتفاق مع الانجليز على تسوية مركزه المالى بالنسبة لحالته الشخصية فى المستقبل ؟

ثانيا : سموه يتساءل عما اذا كانت الدولة تحب أن تنتفع بأى خدمة يقوم بها لمصلحتها فى الخارج ، فانه يكون سعيداً عند استطاعته القيام بهذه الخدمة فى الحال أو المستقبل ، لأن الأسباب التى امتوجبت انضمامه الى الحكومة العثمانية ما زالت قائمة ، ويضاف اليها نيته عند عدم النجاح فى المسألة المصرية ان يعيش فى بيئة اسلامية ؛ ويصرح من الآن بأنه لا يتفق مع الانكليز على أى ترتيب سياسى فيما يتعلق بمسألة مصر يكون من شأنه الاضرار بمصلحة الدولة .

فلما اطلع الخديو على ذلك طلب إلغاء الفقرة الأخيرة ، ثم قال : « إنه لا لزوم للكلام فى الماضى ، بل تكون المذكرة عن المستقبل فقط . أما اذا جاء السؤال من رجال الدولة عن أسباب خروجه من الاستانة ومن فينا وعدم رجوعه ، فعندها يمكن الاجابة بالتفصيلات الموضحة »

وقد سألته عما إذا كان المندوب يومئذ الى كلام فؤاد سليم في أمر التعويض الذي يرجى أن يحصل الخديو عليه من الدولة ، في حالة إضرار الانكليز بسموه في أملاكه وتخصيص مرتب سنوى له ؛ فأجاب : نعم إذا كانت المخبرة تقضى بهذا الايماء . ثم أملى على آراءه ، لوضعها في قالب مقبول ، وإضافة ما نراه لازماً . وهى

(١) الجنب الخديوى لم يغير خطته ، وما كان ينتظر ما حصل له (٢) بعزل الصدر سعيد حليم يأمل في تحسين الحالة ، وإزالة سوء التفاهم ، خصوصاً وأنه يتذكر ما قاله له طلعت باشا ، في زيارته لسموه ، مع خليل بك قبل مغادرته الآستانة ، وتأكيده أنه لا ينطوى على شعور غير شعور المودة من نحوه ، ووعد غفامته هو وأنور الذى كان معه ، بما جعل الخديو يتحقق الآن من نجاح مسأله ، ولهذا أوفدنى (شفيق) للسلام والشكر .

ثم أشار بأن يضاف على أسباب خروجه من فينا ، معاكسة حسين حلى باشا السفير لسموه بواسطة «حاشيته» (محب ويوسف صديق) وقال : «إذا حصل السؤال عن طلباتى فيكون الجواب : (١) إعطائى الحقوق الممنوحة لى . . . يعنى البريد ، والتلغراف الشفرة .

وهنا بدر اعتراض منى ومن الدكتور سيد كامل ، لأن الحرب لا تسمح باستعمال الشفرة ، ولكنه غضب من هذه الملاحظة (٢) «معاملة رجال القبو كتخداية ، كما كانوا يعاملون سابقاً ، لأن القبو كتخداية لم تعلن عند تغيير النظارة الأخيرة» قال سموه : «ثم إن المندوب يسأل الصدر عن رأيه فى المسألة المصرية ، ونتيجتها ؛ وإن لم يكن هناك نية فى إرسال حملة فهل تنوى الدولة عمل شيء آخر ؟ وإذا كان هذا لا يعلم فى أى وقت فهل يبقى سموه بدون مساعدة مالية ؟

وإن سئل المندوب عن رجوع سموه يجب بأنه إذا تحقق حسن نية رجال الدولة نحوه ، فانه يرجع الى الآستانة للإقامة فى بيته فى شهر سبتمبر»

ثم قال : «ومن سبتمبر نؤجل الميعاد الى اكتوبر ، ثم نساغر إلى بلغاريا ، ونمكث لغاية نوفمبر ، ومن يعلم ماذا يحصل لغاية هذا التاريخ ؟»

وقد اجتمعت بالدكتور ، ووضعنا المذكورة على حسب الفكرة التى أملها علينا الخديو ، وقدمناها له ؛ وبعد أن قرأها قال بابقائها لا إعادة النظر فيها وتعديل ما يراه وأمر بسفرى إلى برن لمقابلة فؤاد بك سليم

السفر الى برن : وفى ٣٠ مارس سافرت إلى برن وقابلت فؤاد سليم ، وأبلغته سلام الخديو وشكره على حسن مسعاه ، وأن سموه ربما أوفد مندوباً إلى طلعت فأجابني فؤاد بك « ولكن سموه عزم من مدة على هذا ولم ينفذه » قلت : « لأنه كان ينتظر الرد على جواب أرسله الى الصدر » وقد وصل

مذكرة جديدة: وفى يوم ٩ ابريل قابلت عباساً ، وتفاهمنا مرة أخرى على مهمة المندوب . فقرر الرأى على أن أترك المذكرة التى كنا قد أعدناها سابقاً ، ونكتفى بما أتى : أولاً : بعد التحية يبدأ المندوب بأن يقول لطلعت باشا . « إنه لما رآه الخديو من حسن قبولكم لكتاب سموه ، وأمركم باجابه ما فيه من الطلبات أوفدنى لفخامتكم للاعراب عن شكره وامتنانه ، وأمرنى أن أقدم لكم خطاباً أحمله ،

ثانياً : عندما تأتى مناسبة فى أثناء الحديث يلح المندوب الى زيارة طلعت و خليل بك قبل ترك سموه الأستانة ، ويذكر تأكيدات نخامته لسموه ، من أنه لا يوجد شىء عند رجال الحكومة العثمانية ضده ، وخطاب الصدر دليل قاطع على تأييد هذا الكلام ، لذلك يتفأل الخديو خيراً من وجود طلعت باشا فى كرسى الصدارة . ثالثاً : إن سأل نخامته عن اشاعة شاعت باتفاق بين سموه والانجليز يرد المندوب بأنه : حقيقة أراد الانجليز انتهاز فرصة الفتور الذى كان ملحوظاً بين سموه ورجال الدولة لاستئلاته اليهم ؛ ولكن لما تغيرت النظارة تبدلت الحال بعناية نخامة الصدر ، ويقول المندوب : « ولو أننى لم أكن على الدوام ملازماً الجنب الخديوى إلا أننى أعلم جيداً أنه لم يتفق مع الانكليز على شىء ، وإلا فإنه كان يعلننى قبل سفرى » (أى أنه لاينفى ذلك بصفة رسمية)

رابعاً : واذا سأل طلعت عما اذا كان الخديو يريد أن يتفاهم معهم ، يقول المندوب : « إنه إن تكلم فلا يكون موضوع الكلام إلا فى المسائل الشخصية لا السياسية ، فهى التى تهتم معيشته فى المستقبل ، لأن ثروته كلها فى مصر وهى محجوزة ويتمنى ألا يحصل له على الأقل ضرر فى المسائل المالية ،

خامساً : وان سئل عن آراء سموه يكن الجواب : أن سموه يريد أن يعرف موقع المسألة المصرية فى الحركة العسكرية والسياسية . فان كان الرد أن المسألة منظورة والحكومة عازمة على عمل شىء فيظهر المندوب الاستحسان ، واذا كان الرد بأنها غير منظورة فيجيب بالاسف

سادساً : وإن سئل عن طلبات سموه يجيب بأن لا مطلب له إلا أن تعامله الحكومة بالحقوق المخولة لمقام الخديوية ، معاملة ودية ، لا معاملة عدائية ، لأن الاعداء يعاملون الملوك الذين عزلوا معاملة لا ثقة بهم ، وهم يعيشون بينهم بالعز والاكرام . مع أن سموه طلب من الحكومة نقل موظف في المحروسة (الدكتور صبحي) إلى خدمة الدولة المحتاجة إلى أطباء ، وعمله في المحروسة لا يستدعي وجوده فيها . فبعد قبوله ارجعته الحكومة إلى المحروسة خلافا لرغبة الخديو ؛ ويرجو المندوب من الصدر إجراء ما يلزم لحفظ مقام الخديوية . فان قال الصدر : « ها نحن أولاء نعامله الآن كما يجب » ، فالمندوب يستفهم في هذه الحالة عما إذا كان في نية الحكومة معاملته مادياً فان دخل الصدر في الموضوع المادى فعندها يقول المندوب : « إنه يرجو أن يعامل رجاله في المرتبات كما يعامل المصريون الذين أظهروا عداوة له » (أى المنتمين للصدر السابق) وفي حالة القبول من الصدر يقول المندوب : « ان سموه مستعد لأن يشترك مع الحكومة في وضع قاعدة لمساعدة المصريين على وجه العموم »

سابعاً : إذ قال الصدر برجع الخديو الى الاسنانة ، يجيب المندوب أنه مستعد للرجوع ؛ وإما يفكر في صوالحه في مصر وفي إيطاليا (حيث توجد أوراقه في باخرة طاشيوز برودس) فهل توجد طريقة لتأمين هذه المصالح لو رجع إلى الاسنانة ؟ فان قال بوجود طريقة ، يستعلم عنها المندوب ويطلب أن يعرضها على الخديو . وقد سألت سموه عن المبلغ الذي يطلب تقريره من الدولة ، فأجابني بأن خمسة وعشرين ألف فرنك سويسرى شهرياً تكفي

الاحتفال ببلوغ عبد المنعم سن الرشد : في يوم ١٧ فبراير كنت عند الخديو في لوزان ، فعرض على رأيه في تحرير خطاب للبرنس عبد المنعم ولى عهده ، يهنئه فيه ببلوغ سن الرشد يوم ٢٠ منه ، ويسلم اليه في الاحتفال بهذه الذكرى ، وطلب منى تحريره مع الدكتور سيد كامل وقد أعدنا مشروع هذا الخطاب ، وبعد تحويل وتبديل منا ومن الخديو صار كما يأتي :

« في مثل هذا اليوم من ثمانى عشرة سنة خلت ، احتفلت مصر بمولدك ، فبالأمس أتممت حياة القاصر ، واليوم بدأت حياة البالغ الراشد ، وأنت اليوم

وغدا - كما كنت بالأمس - محل رعايتي وشفقتي الأبوية، فهنئاً لك بما أنعم الله علينا من بلوغ هذا اليوم، وبارك الله لك في عمرك، ووفقك في جميع أعمالك .

«وقد كنت أود أن تحتفل بك اليوم بلادنا المصرية العزيزة، كما احتفلت يوم عيد ميلادك، ولكن الحوادث الحاضرة التي مازالت منذ عامين ونصف عام، تحدث الانقلابات المنوعة في كيان الممالك المتعددة، ومراكز الملوك والأمراء قد أصابتنا بشيء من انقلاباتها - أرجو أن يكون وقتياً - وعلى أى حال فأمل ألا يمتد أثره إلى المساس بحقك الثابت المشروع، الذى لا أدخر وسعاً فى تأييده والله المسئول أن يوفقنا إلى ما فيه الخير والفلاح ،

وفى يوم ١٩ أرسلنا الدعوة لحضور الاحتفال ؛ وقد ردد عدد من سيحضرونه بستة عشر وهم :

الخديو وولده وشقيقه ، وشكرى بك سكرتيره ، والبرنس ابراهيم حلى ، ومحمد طاهر بك نجل البرنيسيس أمينة هانم اسماعيل ، وجلال الدين باشا ، وتوينى بك ، ومحمد باشا يكن ، وعبد الحميد بك شديد ، والدكتور سيد كامل ، وعبد الله البشرى ، ونور الدين افندى ، ومنصور القاضى ، وصاحب المذكرات

وقد عرضت على سموه أخذ صورة تذكارية للحفلة وصورة أخرى لأفراد العائلة فوافق على ذلك

وطلب منى أن أفهم البرنس بأنه سيهدى إليه قطعة من الجواهر التى ورثها من عائلته لتكون تذكراً لبلوغه سن الرشد ، وبما أن مجوهراته فى زوربخ فإنه عند رجوعه إليها سيختار هذه القطعة ويرسلها لدولته ، وأن سموه يأسف لعدم وجود السجلات الخاصة بأمواله حتى يراجعها .

وقد نقلت ذلك للبرنس فقال : « هذه أمور نصفها بعد الحرب ، ولا حاجة بى اليوم للنقود . أما أنا فأفكر فى مسألة أخرى ؛ وهى أنتى أطلب من معتمد إنجلترا أن يتوسط فى استحضار نقود لى من أموال الخاصة ، وأقول له صراحة : «إننى أريد أن أقرض أبى ما يحتاجه منها الآن بحيث يرد لى بعد انتهاء الحرب العظمى »

فأبدت له تشككى فى نجاح هذه الفكرة ، لأنى أعتقد أن الانجليز سيرفضونها وقد أرسلنى الخديو لدعوة شقيقه الذى قرأت عليه صورة خطاب الخديو لولى عهده ، فأعجبه

وفي يوم ٢٠ فبراير كانت الحفلة، فدخلنا في الساعة الواحدة الى المائدة، وجلس الخديو، وأمامه شقيقه، وعلى يمينه ولى العهد، وعلى يساره البرنس ابراهيم حلمي، وعلى يمين البرنس محمد علي جلس البرنس عبدالقادر، وعلى يساره محمد بك طاهر، ثم باقي المدعوين، وكان مرسوماً على قائمة الأطعمة العلم العثماني وبعد تناول الطعام أمرني الخديو أن أتلو الخطاب الموجه منه لولى عهده فتلوته بلهجة مؤثرة، فسالت دموع البرنس عبدالمنعم، ونهض فقبل يد والده مظهرأ حنانة عليه. ثم سلمت الخطاب للخديو فسلمه لابنه الذي تناوله شاكرأ وقد وقف البرنس محمد علي، وأراد أن يقول شيئاً، ولكن التأثير أخذ منه كل مأخذ، فقال: «إن المصيبة التي أصابت الأسرة هي غضب من الله، فيلزم علينا أن نطلب منه المغفرة» وكرر هذا القول بألفاظ متقطعة بين البكاء والدموع. وكنت معزماً أن أهنيء البرنس بالأصالة عن نفسى وبالنيابة عن الحاشية، ولكن لما رأيت هذا الجو امتنعت، ووقف البشرى وطلب قراءة الفاتحة ليوقفنا الله للخير.

وبذلك انتهت الحفلة، وكان لها أثر جميل في تقريب هوة الخلاف بين الخديو وولى عهده.

وبعد تناول القهوة ذهبنا إلى حديقة الفندق، وجاء المصور فالتقط صورة لنا مجتمعين، ثم صورة أخرى لأفراد الأسرة الخديوية. وقد جلس الخديو مع نجليه وبنتيه وجلال الدين باشا في معزل عنا جلسة عائلية، وكنا نشاهد سموه بين حين وآخر يقبل أبناءه واحداً بعد الآخر في تأثر شديد.

وفي يوم ٢١ منه اجتمعت بالخديو والبرنس عبدالمنعم، فقالت لسموه: «إن دولة البرنس أبدى لى الرغبة في عمل رد على خطاب الجناب العالي» فقال: «لابأس وهأنت ذا موجود يا شفيق فانظر مايريد كتابته واعمل بإشارته»

وفي اليوم التالي استدعاني وكلفني بكتابة الرد على أن يحتوى على عبارة فخاها: أنه بعد بلوغه سن الرشد سيبقى كما كان قبل ذلك خاضعاً لوالده. ثم سألتني عن أية النقط التي تههم والد، فأجبت به بأنه ربما تكون النقطة الخاصة بتوثيق رابطة المحبة بين أفراد الأسرة الخديوية. فقال: «حينئذ نضمها للنقطة الأولى». وعاد فسألني عما إذا كان يرسل العنوان باسم «سمو الخديو المعظم» - لأن والده لا يزال



صورة الاحتفال ببلوغ سمو البرنس محمد عبد المنعم سن الرشد

الجالسون : يرى في الوسط سمو الخديو عباس حلمي الثاني وعن يمينه سمو البرنس محمد عبد المنعم الخفيل به وسادة محمد طاهر بك وعن يساره سمو البرنس محمد علي والبرنس محمد إبراهيم حلمي والبرنس محمد عبد القادر الوافقون : من اليمين . الأستاذ منصور القاضي والدكتور سيد كامل واحد شكرى يكن بك ونور الدين أفندى وعبد الحميد شديد بك وتوفى بك وجلال الدين باشا ومحمد يكن باشا واحد شفيق باشا وعبد الله أفندى اللبى

في نظره إلا أن خديويًا، ولا جناح عليه إذا اعترف له بهذه الصفة» قلت : « حقيقة إنه هو الخديو، لأنه لا جد الآن في مصر خديو آخر ، بل الموجود لقبه « سلطان » ولكن لا بأس أن نصدر الخطاب باسم « مولاي ووالدي العزيز » - حفظه الله .

وفي يوم ٢٥ منه قابلنا الخديو وعرضنا عليه مشروع الرد ، فلاحظ أن به جملة تخرج مركز البرنس ، وهي وعده بأنه سيجري على الخطة التي جرى عليها أجداده واقترح حذفها .

وهذا نص الرد في صيغته الأخيرة

« مولاي ووالدي العزيز - حفظه الله -

« تناولت بيد التعظيم والاحترام كتاب سموكم الذي اقتضت إرادتكم أن تشرفوني به ، لمناسبة إتمامي السنة الثامنة عشرة من عمري ، ودخولي في أول يوم من أيام حياتي البالغة الراشدة . ومن تلاوته أخذ مني التأثير كل مأخذ لما أشار إليه من الحوادث الماضية والحاضرة . وإنني تلقاء ما تفضلتم به من التبريكات وعالي الاحساسات لا يسعني إلا انتهاز الفرصة ، وأن ألتبس قبول تشكراتي الصادرة من قلب أساسه الحب والولاء ، لما شتمتموني وما زلت تغمروني به من الرعاية والشفقة الأبوية ، والسهر على توفير أسباب تعليمي . مد الله في حياة سموكم ، ووفقني إلى ما فيه بقاء رضاكم ، وعساني أسعد بأبواب ما يكتنه ضميري من الاعتراف بالجميل على ما تبدلونه من الوسع في صالحني ؛ وآمل استمرار هذه المساعدة الثمينة ، لأنني اليوم كما كنت في الأُمس ولدكم الخاضع المحتاج لمعونتكم ، ولا أنكم مصدر وجودي ومرجع الفضل فيما ينالني من خير . والله أسأل أن يجعل لنا من الأيام القادمة خير حال . أما العمل بالصدق والأخلاص للوطن العزيز ، وتوثيق رابطة المحبة بين أفراد أسرتنا العلوية فهو المبدأ القويم الذي يجب علينا جميعاً اتباعه ،

البرنس عبد المنعم وولاي : العهر : في يوم ١٧ فبراير كنت بلوزان ودار الحديث مع الخديو عن نجله البرنس محمد عبد المنعم ، فأخبرني أنه قابل المعتمد الانجليزى ، وطلب منه أن يعلم حكومته بأنه يلتبس منها ألا تهضم حقوقه الشرعية ، وأن تأذن له ، بإتمام دروسه في إنجلترا ، فأجابه المعتمد بأن إنجلترا لا تظلم أحداً ، وما على الخديو إلا أن يتنازل لك ولعائلتك ، ووعدته بأن يتخبر مع حكومته في طلبه .

ثم قال عباس : « ومن رأي أني أنه بعد بلوغه سن الرشد يذهب إلى المعتمد ويطلب بحقه الشرعى فى ولاية العهد . »

وفى يوم ٢٠ فبراير كان البرنس قد بلغ رشده . وفى هذا اليوم اجتمعت بالخدियो وولى عهده ، فقال سموه : « إننا نريد أن نفكر فى كتابة خطاب لملك الانجليز من البرنس يقول فيه : « إنه ترك مصر وسافر الى الآستانة ، ثم باغته الحرب فذهب الى السويسة للتعلم ؛ وأنه نظراً لاعلان جلالته يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ أنه يبقى أسرة محمد على على رأس الحكومة المصرية ، فالبرنس الذى هو فى الصميم من الأسرة يأتى اليوم ، وقد بلغ رشده ، ليطالب بحقه الشرعى فى ولاية العهد ، وفى يوم ٢٢ منه استدعانى البرنس تليفونياً ، وعرض لى رأيه فى الرسالة ، وتركنى لكتابتها ، وبعد إتمامها عرضتها عليه فرأى تخفيف بعض التعبيرات فيها ، فوافقته على ملاحظته ، وأجريت التعديلات التى طلبها .

وفى يوم ٢٥ قابلنا الخديو وعرضنا عليه مشروع الرسالة بحضور ملحمة باشا ، فلاحظ أنه ذكر فى الرسالة ما يفيد أن التغيير الذى حدث فى مصر ، وإبقاء عائلة محمد على ، هو من افضال ملك الانجليز ، بينما هذا حق ثابت للأسرة بمعاهدة دولية ، وأن الغرض الذى يرمى اليه الخطاب غير واضح ، فأجاب الخديو : بأنه هو الذى أشار بالنقطة الأولى ، أما الثانية فوافق عليها . وقد أخذ ملحمة يحضر « مسودة » سريعة ، ولكن الخديو ونجله وجدا فيها خضوعاً زائداً لملك انجلترا ، وتقرر أن يعمل مشروع وسط بين المشروعين ، ووكل إلى ذلك ، فأتممته وعرضته على الخديو يوم ٢٦ منه فوافق عليه ، وكذلك أطلعت عليه البرنس محمد على فنال استحسانه .

وفى يوم ١٩ مارس قابلت البرنس عبد المنعم ، وسلمته مشروع الرسالة ، فأخذ يحمره بخطه ، وها هى ذى ترجمته فى صورته الأخيرة :

« حيث أنى بلغت سن الرشد فى ٢٠ فبراير الماضى ، رأيت أن أول واجب على أن أقدم جليل احترامى لجلالتكم . وبعد ذلك ألتبس من عطفكم التوسط فى مسألة تخصنى شخصياً .

« على إثر التعدى على حياة والدى فى الاستانة يوم ٢٥ يوليو سنة ١٩١٤ اضطررت أن أذهب إليه ، ثم عدت إلى السويسة فى شهر ديسمبر من السنة نفسها لأتمم دراستى .

« وبقيت مشغولا بالدراسة منتظرا يوم بلوغى الرشد لآلتجىء إلى عدل جلالتم
ملتسماً الاعتراف بالحق الذى يحوله لى انتسابى لأ كبر ولد مباشر لعائلة محمد على
معتزفا بأبنى سأحافظ على هذا اللقب بالسلوك الحسن .

« وإنى على يقين من أن جلالتم وحكومتم العادلة ، ستنتظران بعطف
وتدافعان عن شخص ذهب ضحية بريئة للحوادث .

وانتظارا لرد مطمئن أتشرف بأن أكون ... الخ »

وفي يوم ٢٧ منه قابلت البرنس ، فسألته عما إذا كان قد سلم الخطاب الموجه للملك
إلى السفير ، فأجبنى بالايجاب ، وأن المقابلة كانت لطيفة ، ولم يزد شيئا على ذلك .
ولكنى لقيت الخديو فى اليوم التالى ، فأخبرنى أن مندوبا من قبل معتمد
الانجليز قابل البرنس ليخبره برده عليه بخصوص المساعى الأولى التى بذلها
للاحتفاظ بحقه ، وهذا الرد يتلخص فى أنه قد سقط حقه فى الوراثة بخلع والده
وأن انجلترا عينت خلفا له هو السلطان حسين حافظة لنفسها الحق فى انتخاب
الخلف ، وقد سعى بعض البرنسات للحصول على مركز ولاية العهد ، كما سعى
السلطان حسين ليحفظ به لابنه البرنس كمال الدين ، ولكن كل المساعى حبطت
لأن انجلترا لاتنوى الآن أن تنظر فى المسألة ، وعند ما يحين الوقت تنتخب خلفا
للسلطان ، وربما كان للبرنس عبد المنعم نصيب فيه .

وأن سموه بعد ذلك أمر نجله بأن يتوجه للسفير ويقول له : « إنه كان يفضل أخذ
الاجابة منه رأسا بدون واسطة ، وأن يسلمه بعد ذلك الخطاب الذى أعده لملك
انجلترا ويرجوه فى إرساله . »

ولما سلمه للمعتمد أطلععه عليه بصفة غير رسمية ، فنصحته بتغييرات فيما يختص
بالمطالبة بحقوقه . وكذلك أشار عليه بحذف ما يختص بمسألة الوراثة .

وقد فهمنا من ذلك أن انجلترا تكره مطالبتها بحق ما ، وترى أن يكون فى
الالتماس ، ما يشعر أنها صاحبة الحق فى إعطائه أو منعه .

وعلى هذا أمر عباس أن نضع صورة أخرى مخففة ، فوضعناها ، ولكن بقى
فيها تلميح لمسألة الوراثة .

وفى يوم ٨ إبريل علمت من عبد الله شديد بك أن السفير الانجليزى لاحظ
على الرسالة الجديدة عند اطلاعه عليها ، أن الاشارة لمسألة الوراثة باقية ، مع أن
الحكومة الانجليزية قد أجابت عنها فى الرد الشفوى .

وقد اجتمعنا في اليوم التالي : الخديو وولى العهد وشديد وأنا ، فأبدى البرنس تدمره من مقابلة السفير له في المرة الثانية ، لأنه لما قدم الرسالة أراد الخروج فطلب منه البقاء حتى يطلع عليها ؛ وبعد قراءتها ردها له بدون استئذان ، قائلا : « هذه الرسالة لا تخرج في معناها عن الأولى فلا يمكن أن أقبلها » . وكان دولته عازما على عدم العودة له ، ولكننا تمكنا من اقناعه بالاستمرار في خطته ، وكان من رأيه أن يكتب خطابا لبالفور ، ويرسل معه صورة الخطابين ، ويعرفه أن السفير هو السبب في التأخير ، وكذلك فكر الخديو في توسط كريمة الدوق أوف كونوت في إيصال الخطاب رأساً إلى الملك . ولكن بعد المناقشة تقرر أن تكتب مرة ثالثة بحيث لا يكون فيها تلميح لمسألة الوراثة ، ولا طلب الذهاب إلى إنجلترا للدراسة .

وبعد عمل المشروع الثالث للرسالة قرر الخديو أن يعرضه شديد بك على ملحمة باشا ، وأن يسافر البرنس إلى برن بعد ذلك لتسليمها ؛ ولكن هذه المخبرات لم تسفر عن نتيجة .

سفرى الى الامانة المتفاهم مع الازراك :

الاستعداد للسفر : أخذت في الاستعداد للسفر واستخراج الجواز ، وبعد أن أشرت عليه من قنصلية النمسا توجهت في يوم ١٧ ابريل الى فؤاد بك سليم ليوصى لى بحرية المرور من بلغاريا والنمسا . مع الترخيص باعفاؤى من الكورنتينة فى حدود النمسا وفى يوم ١٩ عقدنا جلسة (الخديو وشديد بك ونور الدين وأنا) وتلقيت تعليماته النهائية ، ورسالة منه الى الصدر بايفادى اليه ، لاحظته علماً بمسائل هامة ، ورسالة أخرى الى الوالدة للسؤال عن صحتها ، ورسالة باسم ابراهيم بك أدهم فيها بعض أوامر تختص بأشغال جبوقلى ، ووضعت جميعاً في ظرف كبير ختم عليه بالجمع الأحمر (التاج الخديوى) . وكذلك أخذت رسالة لموسيو بوركار سفير السويسرة فى فينا وآخر لموسيو أمستر ، وورقة فيها تعليمات لى مدة وجودى فى فينا بمقابلة الدكتور كاوتسكى ، وزيارة بوركار والدكتور أمستر . ووضعت جميع الأوراق التى أحملها بما فيها الظرف الأول فى ظرف أكبر

وفى المساء ورد لى جواز السفر مع إذن بحرية المرور من النمسا والبلغار ، وخبر

من فؤاد بك سليم بأنه أرسل الى الآستانة برقية بسفري لتعطى التنبيهات على الحدود العثمانية بمرورى

عقبات : وفي ٢٠ منه سافرت من زرونج الى فينا ومعى نور الدين افندى . وفي الطريق قابلت الكونت دى تورن بمحطة سان جال ، فأخبرته بسفري الى الآستانة ، وفي بوكس «حدود السويسرة النمسية» رجع نور الدين افندى ، واستأنفت سيرى الى «فلدكرش» وبالرغم من التوصيات التى أحملها فان إحدى حقائبي قشت وأخذ الضابط الظرف الكبير الذى به الأوراق ، ثم سألنى عما به ، فأخبرته بأنها رسائل من الخديو الى الصدر فقال لى : «ولكن ليس على الظرف ما يفيد أنه رسمى ، ولهذا فسنحفظه ونرسله بمعرفتنا الى سفارة النمسا فى الآستانة فتسلمه منها هناك» ولم أتمكن من اقتاعه بترك الظرف لى

وفى المساء وصل القطار الى «انسبروك» فنزلت فى فندق التيرول لتمضية الليل وفى الصباح قام القطار الى فينا ، فوصل فى المساء : وكان بانتظارى الدكتور أمستر وزوجته ، فذهبنا الى فندق امبريال ، فلم نجد به أما كن خالية فاضطررنا للبيت فى فندق آخر

وفى صباح ٢٢ أرسلت برقية باسم نور الدين فيها إشارة إلى حجز الظرف دون التصريح بذلك خوفا من أن يمنعها المراقب وقد توجهت الى قنصلية الدولة ، وأشر القنصل على جواز السفر ، وأعطانى توصية بالاذن لى بالسفر لأقدمها للبوليس ، وعلمت منه أنه تلقى تعليمات من الآستانة بالتسهيلات لكل أتباع الخديو

وفى يوم ٢٣ منه وردت لى برقية من شديد بك يأمرنى فيها الخديو ببذل المساعى لدى ناظر خارجية النمسا لاسترداد الظرف الذى حجز فى حدود السويسرة . فذهبت فى اليوم التالى مع الدكتور أمستر إلى مدير أحد الأقاليم فى نظارة الخارجية المختص بمثل هذه المسألة ، ورجوانه أن يعرض على ناظر الخارجية الموضوع فأجابنا بأنه سيبحث عن الظرف ، وإذا وصل إليه فان الصدر سيزور فينا قريبا فيسلم إليه ، فقلت له : « انه مكتوب له فى رسالة أثنى أنا الذى سأسلمه له ، فلا يليق أن يسلمه شخص آخر » . وأخيرا تبين لى أنه غير راغب فى انهاء المسألة ، فبادرت فى اليوم التالى بكتابة رسالة إلى ناظر الخارجية نفسه ، وسلمتها لهذا المدير لتوصيلها

إليه ، فورد الرد لى فى يوم ٢٦ منه بأن الناظر أمر بالبحث عن الظرف وتسليمه لى ولكن مضى يومان ولم يأت خبر عن المسألة ، وعلمت أن الصدر سيعرض قريباً ، فذهبت لنظارة الخارجية ، وألححت فى مقابلة الناظر ، وعندئذ وعدنى المدير السابق الذكر بسرعة البحث . وفى المساء ورد لى فعلاً إخطار بأن أذهب غدا صباحاً لتسلم الأوراق ، ولما تسلمتها وجدت أن المراقبة فتحت الظرف الكبير واطلعت على ما يحويه ، ولكنها لم تفتح الظرف الداخلى الذى يحوى رسائل الصدر والوالدة وإبراهيم بك أدهم ولا الخطاب الخاص بسفير السويس . وقد أرسلت رسالة شكر الى ناظر الخارجية على اهتمامه ، وبرقية للخديو بالحصول على الأوراق

حضور الصدر الى فينا ومقابلته : وفى يوم ٣٠ إبريل حضر الصدر الى فينا وقد قابلته فى أول مايو بفندق امبريال ، فسلمته الرسالة الخاصة به ، وحادثته بما كلفت وبعد قراءة الرسالة ، قال لى : « انه يشكر الجنب العالى لما يديه من الاحساسات الطيبة نحوه » ثم فاجأنى قائلاً : « لماذا لا يحضر الخديو الى الأستانة ثم يرجع للسويسرة ؟ » فأجبتة : « إن أوقاتكم هنا ثمينة فان استحسنتم نرجىء الكلام فى هذا الموضوع الى أن تصلوا للأستانة » فقال : « وهل ستسافر أنت إليها ؟ » فأجبت بالايجاب . فقال : « هذا حسن » واستأذنت وخرجت .

استئناف السفر : وفى ٢ مايو سافرت الى الأستانة فى القطار الذى سافر به الصدر ، وكنت قد كتبت تقريراً للخديو بكل ما عملته حتى اليوم ، فسلمته عند قيام القطار الى امستر لتوصيله

وفى يوم ٣ وصل القطار الى بلغراد ثم الى صوفيا ، وبينما كنت جالساً وحدى على نهاية العربى إذا بيد تلمس كتفى من الخلف ، فالتفت فاذا به الصدر ينادىنى : « ياشفيق باشا » فوقفت وقلت : « أمان افندم » ولكنه استمر فى سيره ونزل فى صوفيا

العقبات فى حدود الدولة : وقد وصل القطار فى يوم ٤ منه الى « اوزون كوبرى » فركب البوليس العثمانى ورجال الجمرک للتفتيش على جوازات السفر والمتاع ، ولما جاء عندى المفتش الخاص بالجوازات سألتنى بعد الاطلاع على جواز سفرى : هل أنت مصرى ؟ فأجبتة نعم ، فسألتنى عما إذا كان لدى ترخيص خاص بالدخول ، قلت : « إن السفارة العثمانية فى برن أرسلت برقية بطلب انفاذ الأوامر الى

الحدود بمرورى ، فقال : « إن الأوامر لم تصل إليه » . وتركنى على أن يستعلم ، وإذا لم يجد أوامر فلا بد من نزولى بالخطوة التالية .

وعند وصول القطار إليها جاء اثنان من الجندرمة ، وطلبا منى النزول ، فنزلت وقادنى أحدهما إلى غرفة فى فندق بها سرير لنوم أحد رجال الجرك ، وبعد أن تركت متاعى بها قصدت دائرة البرق ، وبعثت برقية للصدر فى صوفيا ، وأخرى لأنور باشا فى الآستانة . وانتظرت حتى المساء فلم يأت الرد من كليهما

وفى يوم ٥ عزمت على السفر إلى صوفيا لمقابلة الصدر اذا كان هناك ، فوصلتها فى صباح اليوم التالى ، وقابلت فتحتى بك سفير الدولة بها ، فعلمت منه أن الصدر أرسل الأوامر بمرورى ، ومع هذا فقد أشر هو بالأذن لى ، فشكرته ، وقلت له « اننى سأستريح هنا ثلاثة أيام ولا سيما وعندى أمر بمقابلة ملك البلغار لشكره على إعطاء الأوامر بحفظ المكتبة التى فى العمارة الخيرية فى قوله بمكان بعيد عن هدف السفن الحربية ، وبمقابلة رئيس الحكومة البلغارية لمسألة تختص بهذا الشأن أيضا » عدم الثقة بالخدوي فى بلغاريا : وقا . حاولت فى يوم ٧ مايو إلى ١٠ منه أن أقابل الملك أو رئيس الحكومة فوجدت إعراضا عن مقابلتى ، فهمت منه أن الثقة بالخدوي هنا أصبحت مزعزعة بالاضافة لما حدث لى فى الحدود

الوصول للآستانة : ولما لم أتمكن من المقابلة سافرت يوم ١١ منه ، فوصلت « أوزون كوبرى » مرة ثانية ، وسألت بها عن ورود أوامر فأخبرت بوصولها وقابلت المفتش المختص فسمح لى بالمرور

ووصل القطار إلى الآستانة فى الساعة الرابعة ، فوجدت الشيخ عبدالعزيز جاویش فسلم على ، وسألنى عن حالة الخديو ، فأجبت به بأنها طيبة

مقابلة الوالدة : وقد ذهبت تواء إلى بيك ، ولما رآنى الأغوات رحبوا بى كثيرا واستفهموا عن صحة الخديو ، ثم أرسلت السلام للوالدة ولخديجة خانم افندى أخت الخديو ، ولفتحية خانم وشوكت خانم كريمته ، وكانت البرنيسيات الثلاث عند دولة الوالدة نظرا لاعتلال صحتها

حيلة : وقد فكرت لمناسبة مرض الوالدة ، أن أكتب للخديو مجسما المرض لعل ذلك يعجل بسفر سموه إلى الآستانة ، فيتحقق طلب الصدر بمجيئه ، وتحسن العلاقات كما نود ، ونفذت هذه الفكرة فى اليوم التالى

وقابلت أدهم بك لا بلاغه الأوامر المختصة به . وكذلك قابلت والدة في نفس اليوم والبرنيسيات الثلاث ، وكنت في حالة تأثر شديد عند رؤيتهن بعد غياب عامين فسالت الدموع من عيني ، لولا أن نهتني والدة ، إلى أن هذا التأثير يسىء الى صحتها وهي مريضة

مقابلة البرنس ابراهيم حلمي : وفي يوم ١٥ منه قابلت البرنس ابراهيم حلمي فأخبرته بما دار بين الخديو والصدر من المخابرات ، وإرسالي بمهمة لازالة سوء التفاهم وبمقابلتي طلعت باشا في فينا ، وطلبه زيارة الخديو للاستانة ثم العودة إلى السويس ، وهنا أخذ يذكر لي الفرق بين الحالة الآن ، والحالة أيام سعيد حلمي ، وكيف كان هذا ينتهز كل فرصة للطعن في الخديو ، والاشاعة بأنه باع نفسه للانجليز فكاهة : وذكر لي كذلك أن نفوذ الصدر السابق قد تلاشى ، وانفض أنصاره من حوله . ثم قص على كيف أخذت أولاً نظارة الخارجية من سعيد حلمي ، ثم كيف أخذت منه الصدارة . فأما الأولى فقد جاء ناظر العدلية يوما ، وسأله في حديث عادي إن كان خليل بك رئيس مجلس النواب يمكنه إدارة نظارة الخارجية ، فأجاب ولم لا .. ؟ وعند اجتماع مجلس النظار أخبر أن نظارة الخارجية أعطيت لخليل بك حسب موافقته ، وذكر له النظار محادثة ناظر العدلية معه بشأن تولى خليل بك قال سعيد حلمي : « ولكني ما كنت أعلم أن في النية أخذ هذه النظارة مني ! » وأخيراً لم يسعه إلا التوقيع على الكريتيو ، ولكنه تأثر كثيراً من هذه الحادثة . وقبل أن يعتزل الصدارة أحس بقرب خروجه منها فأرسل شقيقه إلى السلطان ليقول له : « إن المملكة لا يمكن أن يديرها أولاد رعا » بالتلميح إلى أنور وطلعت ؛ ولابد أنهما علما بذلك فحنقا عليه كما اشتد حنقهما بمناسبة رسالة انتقد فيها مبادئ الاتحاديين الخاصة بالمرأة .

قال البرنس : « وعلمت من مظهر بك (وكان له اتصال بالصدر) أن الذي توجه لسعيد حلمي ، وطلب منه استقالته هو جاويد بك (ناظر المالية الحال) فان عدلي كان في منزل سعيد حلمي في وقت هذه الزيارة ، وأن خادم سموه حضر وقال : « إن سيده بعد خروج جاويد من عنده كان متهيئاً »

عند أنور باشا : وفي يوم ١٦ مايو قصدت منزل أنور باشا في « قورى چشمه » وقابلته ، وأبلغته سلام الخديو الذى أوفدني بمهمة لدى الصدر ، وأفهمته بما دار بين

سموه وطلعت باشا من المخبرات البرقية والرسائل ، وأنه لما وجد حسن قبول من الصدر أوفدني لأزالة سوء التفاهم بين الطرفين . وما كان يحصل ذلك لو كان سعيد حلیم على كرسي الصدارة ، فقال أنور : « إنني أشكر الخديو على سلامه ، وأرى أنه فعل حسناً . نعم إن الأشاعات هنا كثيرة عن اتفاقه مع الإنكليز ؛ فلأؤا آذان السلطان تنفيراً لجلالته منه ؛ حتى لقد أرادوا أن يصلوا إلى الانتقام من سموه انتقاماً شديداً ، والله الحمد لم يفلحوا في قصدهم ، فزيارة جنابه العالی تزيل الشبهة التي ألقوها به .

« والخديو لم يتغير مركزه عندنا ، وله أن يستمر على الإقامة في سويسرا إنما إذا زارنا فإنه يقوى مركزه . وعندما تحصل المناقشة في مؤتمر الصلح يكون من واجبنا تعضيده ؛ ويكون قد اكتسب الحق في ذلك ؛ وفضلاً عن أننا لا نتأخر في القيام بالواجب أيضاً بالنسبة للنفقات التي تلزمه شخصياً أو تلزم رجاله وسرايه . فإذا أمر بعشرة آلاف جنيه شهرياً أو خمسة عشر ألفاً فأننا ننفذ أمره .

فقلت : « حينئذ لا تنوى الحكومة إرسال حملة على مصر » قال : « إذا أمكننا عمل صلح انفرادي مع روسيا ، فوقتها نأخذ من جهة القوقاز جنوداً ، وتقوم الحملة ؛ وإلا فأننا اتفقنا مع الألمان ألا يعقد الصلح مع الإنجليز إلا إذ استرددنا حقوقنا التي سلبوها ، ومن ضمنها حقوقنا على مصر »

قلت : « إن الخديو لو أعطيت له الدنيا وما فيها ما كان يتصور أنه يضع قدمه في الاستانة ما دام سعيد حلیم في الصدارة . أما الآن فان ضميره مرتاح بعد التغيير الأخير . إنما سموه يخشى من انتقام الإنجليز منه في أملاكه بمصر إذا غادر سويسرا وجاء إلى الاستانة ، والخديو ضحى بتاجه في محبة الخلافة والتعلق بها ؛ ولكنه يريد أن يحافظ على أملاكه لمعيشته في المستقبل ، فمن يضمن له ألا يقع الضرر المحذور ؟ »

فبعد تأمل قال : « الخديو له الحق أن يفكر في ذلك ، إنما أقدر أن أقول لك : « إن الحكومة السننية تضمن له تعويض كل ضرر يتأتى له »

فشكرته على إحساناته .

ثم قال : « إن الحكومة مستعدة لذلك ، وإذا لم تكن نحن في مناصبنا فالحكومة باقية على كل حال ،

وهنا ودأعته على أن أرجع إليه لتلقى وأمره قبل سفرى إلى سويسرا .

عند طلعت باشا ثم خرجت من عنده، وقابلت طلعت باشا في الصدارة فقال :
« إن من مقتضى جواب الجناب الخديوى أنك ستبلغنى أموراً هامة فما هى ؟ فقلت :
« إن سيدى تلقى خبر القاء أمور الصدارة لعهدت خفامتكم بكل سرور ، فانه يعلم بحميتكم
ووطنيتكم ، وإنه لا هم لكم إلا خدمة البلاد ، والسعى وراء سياسة التوفيق » . فقال :
هذا هو واجبنا »

قلت : « لهذا أوفدنى مولاي لازالة سوء التفاهم الحاصل بينه وبين رجال الدولة »
فأجاب « ان الاشاعات هنا كثيرة من أن سموه عقد اتفاقاً بينه وبين الانجليز
بالنسبة لشخصه ولابنه ، وأنهم ضمنوا له أملاكه في مصر ، وتعيين أربعين ألف جنيه
سنوياً لتفقاته ، وملاًوا آذان السلطان بهذه الاشاعات ، فأرى لتكذيبها أنه يحسن
بحيئه لتمضية شهر الصيام في الاستانة ، ثم يرجع إلى سويسرا » فأجبت « بأنتى
لا أخفى عليه أن الانجليز لما علموا بخروج الخديو من الاستانة غاضباً بما كان
يراه من سياسة الصدر السابق انتهزوا فرصة إقامته في بسويسرا للتقرب منه
وحاولوا فعلاً أن يستميلوه اليهم ، وقالوا : انهم يضمنون له أملاكه في مصر وفى
الاستانة ، ويرفعون الحراسة عنها ، ويقررون له مخصصات سنوية . ولكن الخديو
لم يعقد اتفاقاً بل كان يسمع ذلك من اذن فيخرج من الأخرى ، لأنه كان يريد
بذلك اكتساب الوقت ، ويقول : « إن دوام الحال من المحال » وبالفعل حصل التغيير
الآخر في النظارة

« فهو الآن مستريح البال بوجودكم على هذا الكرسي

» وأن الجناب العالى نولم تكن تنغيصات البرنس سعيد لما خرج من الاستانة ، فانه
يود أن يكون فى سرايه محفوفاً بعائلته وحاشيته ، ولكنه ما كان يأمن على حياته » ،
قال : « نعم ان التنغيصات كانت بين عضوين من عائلة واحدة ، ولكن رجال الحكومة
لم يكن لهم دخل فى ذلك » .

قلت : « صحيح ، والخديو يتذكر زيارتك الأخيرة له مع خليل بك ، وقولكم له :
« ان رجال الحكومة لا يضررون نحوه شيئاً » وطلبكم منه زيارة الصدر السابق ، وكان
يظن أن هذه الزيارة تصلح الأمور ، إلا أن سعيد حليم لم يقابله مقابلة مرضية ، ولهذا
ترك الاستانة

« أما الآن فانه آمن بوجود خفامتكم فى الصدارة وإنما يخشى لو حضر للاستانة

من انتقام الانجليز منه في أملاكه بمصر » فقال: « وهل انتقموا من سعيد حليم؟ » قلت: « لا إنما مركز الاثنين ليس واحداً، وبما أن الخديو مدين للبنك العقارى فما على الانجليز إلا أن يطلبوا من البنك توقيع الحجز على أملاك سموه وطرحها في المزاد، فنباع بالغبن وتؤخذ في مقابلة الدين المطلوب منه، مع أنها تساوى كثيراً ويكون هذا العمل شرعياً » فقال: « أنا لا أظن أن الانجليز يفعلون ذلك، ولو فعلوا حقيقة لفعلنا نحن أيضاً في أملاكهم عندنا مثل هذا ونعوض الخديو عن كل ما يخسره، فضلاً عن أننا نسهل لسموه معيشته بتقديم المال الذى يلزمه، وقد أعلم أنه يخشى على حياته فانا أعطى له « كلمة شرف » أن حياته لن تمس بضرر، وائتى أصحابه برجالى، وأضمن له حرية السفر من الاستانة وقت ما يريد للرجوع الى سويسرا » قلت: « هذا طيب، والذى يطلبه سموه أن تعامله الحكومة معاملة محب لا معاملة عدو، كما يليق بمركزه، وهو مستعد للقيام بأية خدمة تطلبها منه الحكومة ».

فقال: « لاشك أننا لا نتأخر في الاعتراف لسموه بكل حقوقه، فنجتفل به كما يجب للخديو » فدعوت لفخامته بالنجاح في مشروعاته والتوفيق فى أعماله وطلبت منه أن يأذن لى بالمقابلة قبل سفرى فأجاب طلبى، وقت من عنده منشرح الصدر.

مقابلة ناظر العدلية : وفى



خليل بك ناظر العدلية

١٧ منه قابلت خليل بك ناظر العدلية الجديد « الحقانية » وبلغته سلام الخديو فابدى شكره ثم أوجزت له بيان مهمتى فقال: إنه قرأ جواب الجناب العالى إلى الصدر. وكررلى مسألة الاشاعات فأكدت له أن سموه لم يعقد عقداً مع الانجليز على الرغم من المسامحة التى تقدموا بها، ولما علم بما قاله لى الصدر عن حضور الخديو إلى الاستانة قال: أن لاخوف على

سموه من التغييصات السابقة . فان المنخص صار بعيداً عن الحكومة ، وإن الوكلاء الحاليين محبوبون لسموه .

أذئاب الصدر : وقابلت صفا بك صاحب جريدة العدل ، وهو مصرى ومحِب للخديو ، فعرفني أن أذئاب الصدر السابق انزوا ولم يبق منهم صاحب نفوذ إلا الشيخ عبد العزيز جاويش والدكتور احمد فؤاد ، وأن احمد بك صادق والشيخ محمد عثمان يجتمعان ويترددان على الأخير .

وعرفني بأن احمد فؤاد وشى به لما كتبه في جريدته العدل نقلا عن الجرائد التركية من أن الخديو عمل عملية في لسانه فأخرج قطعة من رصاص أصابته ، وبقيت تحت لحم اللسان ، وقال العدل : « وهى الاصابة التى حصلت للخديو من المؤامرة التى دبرت لاغتياله » فادعى فؤاد أن كلمة المؤامرة يؤخذ منها أن مظهر الذى اعتدى على حياة سموه له شركاء (والدكتور احمد فؤاد كان من ضمن المشتبه فيهم وشريكا لمظهر) مع أن الحكومة قالت : « إنها حادثة فردية » فكأن العدل بكتابته يكذب قول الحكومة ، وعلى ذلك مثل صفا بك أمام المجلس الحربى ، وصدر الأمر باغلاق جريدته ولكن لم يحكم عليه لأنه أتى بشواهد تفيد أن كلمة مؤامرة تحتل معنى جماعة ومعنى فرد ، واستدل على ذلك بالعنوان والبلاغ الذى صدر بخصوص الاعتداء الذى حصل في مصر ضد السلطان حسين ، وكتبت الجرائد أنها مؤامرة مع أن الفاعل كان واحداً .

والحكومة قطعت عن العدل المرتب الشهرى مدة ، ولكن بعد الجهد تمكن من إعادته .

مقابلة أخرى لأنور باشا : وفي يوم ٢٣ مايو قابلت أنور باشا في منزله ، وعرضت عليه خلاصة تحريرية لمحادثتي معه ومع الصدر ، فقال : « إن خلاصة الصدر ينقصها شيء ، فان طلعت باشا قال لك : « إنه يحترم حقوق الخديوية » فقلت : « نعم لقد نسيت أن أدونها في الخلاصة »

قلت له : « وهل تسمح لي بأن أدون الخلاصتين في صورة برقية مختصرة ، اورسلهما بامضائى الى الخديو بشفرة الحرية الى الملحق العسكرى بسفارة برن لتوصيلها بمعرفة ؟ » قال : نعم . قلت : « وهل اذا حضر الخديو الى الاستانة تنوى الحكومة أن توعد الى المصريين بتقديم احتراماتهم له ؟ فان وجود حزبين واحد لسموه وواحد

للبرنس سعيد شىء غير حسن! قال: « نوعز لهم بذلك ، فضلا عن أن سعيد حلیم ليس له الآن أى شأن ، وعلاوة على هذا سنكل الأمر في ترتيب المعاشات للمصريين الى الجناب الخديوى بدلا من اجراء التحقيق عنها بواسطة نظارة الداخلية » . قلت: « هذا حسن » . وأخيرا طلبت منه بموجب مذكرة ارسال برقية الى الملحق العسكرى في فينا لاجراء ما يلزم لدى السلطة العسكرية النمساوية لسفرى الى سويسرة بغير حجز في كورنتينه ، وأن يرسل أمرا الى المحطة بحفظ سرير لى يوم سفرى فكتب مذكرة بصدد هاتين المسألتين لاعطائها الى مرافقه ، فشكرته وخرجت .

الحصول على ورقة رسمية : زرت بعدها الصدر وأطلعته على خلاصة محادثتى معه فقط ، فأخذ القلم وأصلح وأضاف عليها وسلمها الى ، فأخذتها وأنا في غاية السرور لأنها صارت ورقة رسمية فيها كل الضمانات ، ولو أن فخامته لم يوقع عليها بامضائه . وطلبت منه بمذكرة ، أن يأمر بتسهيل مبادلة بريد الخديو بين برن وفينا فوعد بأعطاء الأوامر .

واستفهمت منه عما اذا كان سيعطينى ردالجواب الذى أرسله له الخديو بواسطتى فأمر بأن احضر عنده يوم الاثنين المقبل ، أى قبل سفرى بيوم لآخذه . وبعد رجوعى وردت اشارة تليفونية من أنور باشا بأن تكون الخلاصة التى ترسل للخديو خاصة بمحادثتى مع الصدر فقط ، وقد أعددت صورة هذه البرقية وتوجهت الى منزله يوم ٢٤ منه ولما لم أجده تركتها لمرافقه .

خطاب طلعت للخديو : وفي يوم ٢٨ منه قابلت الصدر ، فأخذت منه الرد على خطاب الخديو ، وفيه يقول: « إنه قابلنى ودار الكلام بيننا على المسائل المهمة ، وإننى سأعرض على سموه كل ما حصل من الحديث ، وإن فخامته رفع الى السلطان هذه الشئون فتلقاها بارتياح وسرور » وبعد أن قرأه سلمه لى ، وقد استأذنته في وضعه مع خطاب من دولة الوالدة في ظرف واحد وختمه من المراقبة ، لتلايفتح فأجاب هذا الطلب .

السفر من الاستانة : وفي يوم ٢٩ منه سافرت من الاستانة فوصلت الى فينا يوم ٣١ منه ونزلت في فندق أمبريال .

عقبات : وقد وجدت في طريقى من العقبات مثلبا لقيته في المرة الأولى من جراء تأخير الأوامر ، فسلمت الأوراق التى أحملها إلى سفارة الدولة في فينا لتوصيلها

الى الجناب العالى فى زوريخ ، وقد وعد السفير باتخاذ الاجراءات اللازمة لسرعة سفرى بدون كورنتينه

مفاجأة بمقابلة الخديو : ولم أتمكن من متابعة السير إلا يوم ٨ يونيو فسافرت مساء إلى « انسبروك » وبعدها الى « فلدكرش » على حدود النمسا ومنها إلى « بوكس » . وفيها انتظرت حضور القطار الذى سأركبه إلى زوريخ ، فلما حضر توجهت الى المركبة ؛ واذا بنور الدين افندى يتلقانى ، ولما دخلت معه إلى « الديوان الخاص بى » وجدت الخديو واقفا فقال لى : « الحمد لله على السلامة » فقبلت يده وجلست معه وكان يدعو على وجهه السرور . فقال : « إننى لم أكن أعتقد أنك تصل إلى الاستانة ، حتى إنه لما وصلت برقيتك كنت بين مصدق ومكذب »

قلت لسموه : « إننى بمعونة الله تعالى نجحت فى مهمتى نجاحا عظيما ، وحصلت على ضمانات وافية ، فى ورقة شبه رسمية لأن الصدر اطلع عليها وأضاف بخطه بعض ملاحظات فى خلاصة حديثى معه » .

وعند ماسمع الخديو ذلك - وكنا جالسين - وقف نصف وقفة وفتح ذراعيه وضمهما على ذراعى فى ابتهاج وسرور ، دليلا على امتنانه واعترافه بحسن صنعى .
العودة إلى زوريخ : وبعد ذلك واصلنا السفر إلى زوريخ فبلغناها يوم ١٠

يونيو . وهناك استعلمت من سفارة الدولة فى برن عن وصول الأوراق ، فاذا بالسفير متغيب ، وفى اليوم التالى تسلمتها من السفارة ، وكان الخديو ينتظرنى ، فاطلع على خطاب الصدر ، وعلى الخلاصتين وتعديلات طلعت باشا ، فاطمأن . وقد أمر نور الدين افندى بترجمتها إلى اللغة الفرنسية .

السعى لموافقة النمسا وألمانيا على المخبرات : وفى يوم ١٢ استحضرنَا الدكتور سيد كامل ، وأمره سموه بتنظيم المعلومات المبعثرة فى الأوراق ، ووضع كل منها تحت عنوان خاص . ثم فكرنا فيما يجب عمله بعد ذلك ، فاقترحت أن نسعى لموافقة النمسا وألمانيا على نتيجة هذه المخبرات لتأكيدها ؛ وبعد المناقشة اتفقنا على استحضار الدكتور امستر ، وتكليفه بإيصال صمورة من هذه المخبرات للنمسا وألمانيا ، وكذلك تحضير الترتيبات لدهما فيما يختص بمرور الخديو عند سفره للاستانة .

وقد قابلت سفير الدولة وسفير النمسا لتسهيل حضور الدكتور امستر ، ولكن بعد البحث علمنا أن حضوره يتعذر ، وعلمت أن الخديو سيرسل رجلا ألمانيا يثق به للقيام بهذا العمل ، ولم يصرح سموه باسم هذا الرجل .

تردد الخديو : وكان المنتظر بعد عودتي من الاستانة ناجحاً في مهمتي أن ينتهز الخديو هذه الفرصة ويبادر بالسفر اليها ، ولكن سموه ظل يتردد ويماطل وأراد أن يأمر جلال الدين مرة أخرى بالسفر فرفض ، فاستدعى عارف باشا من الاستانة .

وفي يوم ١١ يوليو جمعنا أنا والبرنس ابراهيم حلي ، واجتمعنا مرتين ، وانضم الينا في الثانية عبد الحميد شديد ، وتكلمنا في موضوع مهمتي في الاستانة ، فكان من رأى البرنس أن يتخذ الخديو خطة الانحياز إلى الأتراك ومحالفيهم أو الانكليز وحلفائهم ، وإذا اختار الجهة الأولى فينبغي الإسراع في تنفيذها ، وقد رجح هذه الجهة . عندئذ أخرج سموه من محفظته صورة رسالة وردت له من الانكليز ، وفيها الشروط النهائية ، وقال : « إن بلفور رئيس الوزارة الانجليزية أرسل برقية يقول بضرورة اعتراف الخديو بسلطنة عمه البرنس حسين وإلا فلا ، وآخر موعد لقبول الشروط كما هي أو رفضها هو يوم السبت القادم ، ثم قرأ الشروط وفيها أن الخديو ينزل عن حقوقه في عرش مصر ، وألا يطالب بشيء لولى عهده ، وأن الحكومة الانجليزية هي التي تنظر في مصلحته ، وأن يعترف بالحالة الحاضرة في مصر وبسلطنة عمه حسين ، وبألا يعود إلى البلاد . وفي مقابلة ذلك تخصص الحكومة المصرية له ألفي جنيه شهرياً مدة حياته ، وترفع الحراسة عن أملاكه ، وتصرف له ما يزيد من إيراداتها (بعد وفاء قسط البنك) ولا تمنع في قبض ما قد يخصه في إيراداتها ما يمكن أن تتركه والدته أو أى إنسان آخر ، وأن يقف أملاكه لصالح أولاده .

وكان عباس يرى أنها شروط مجحمة بقدره ، خصوصاً اعترافه بسلطنة عمه التي سلبها منه فضلاً عن أنه ينوى محاسبته على أخذه فضيات وخيولاً وعربات ليست للخديوية بل ورثها من والده . ولهذا فهو يفكر في إرسال مذكرة إلى الانكليز مؤداها أنه لا يقبل الخط من كرامته (بالاعتراف بسلطنة عمه) قال : « وإنه يرجح طرف الأتراك لو تساوت الشروط حيث لا يكون هناك حطة في قدره فضلاً عن إقامته في بيئة إسلامية ، وإيما من جهة أخرى يرى أن المبلغ الذي سيخصص له من مصر محقق ، بينما الذي ستخصصه الدولة لا يمكن الاعتماد عليه ، حيث يقف أحد أعضاء مجلس النواب . ويقول بكثرة المبلغ : أو تأتي نظارة غير الحالية وترفض استمرار التخصيصات التي تقرر بواسطة هيئة سابقة — ومن جهة أخرى فإنه يخشى

من تطاول بعض المأمورين عليه ، أو أنهم ينغصونه في معيشته . فكان رأينا جميعاً أن نطلب من ألمانيا ضماناً الشروط التي تعرضها الدولة؛ فقال الخديو: « إنه فكر في أن يطلب من المحامي فورر أن يتكلم مع مسيو هوفمان الذي كان مديراً للأموال الخارجية في سويسرا ، لتحصل بواسطته المخاطبة مع سفير ألمانيا على هذه الضمانة وإن لم يقبل هوفمان فإنه يطلب حضور موسيو رشتيوفن (وكان عضواً بصندوق الدين والآل عضو في البرلمان وصاحب نفوذ) ويكلفه بهذه المأمورية ، وانه سبق أن تقابل معه في سويسرا ، وطلب منه التوسط ، فلما رجع الى برلين وتخابر مع ناظر الخارجية أرسل يقول: إن ألمانيا تكتفي بأرسال ولي عهده وادخاله في مدرسة حرية ، ويعامل كعامل الأمراء يأخذ نيشاناً ، وأشار بأنه يكفي أهلها ميل الخديو ، عند ذلك حصلت مناقشة فيما إذا كان البرنس عبد المنعم يقبل السفر ، وكنت على علم باتجاه أفكار دولته من محادثات معي فقلت : لا ، لأنه يرجح جانب الانجليز وشديد قال أيضاً بذلك ، ولكن بتحفظ ، فقال عارف باشا : « نضعه في القطار غضباً عنه ونرسله » فضحكنا !

قال سموه: « اذا سافرت وحدي دون أولادى فان الأتراك يقولون: إننى تركت ولي العهد باتفاق بيننا على أن يسعى لدى الانجليز » فأجبتاه بأنه عند وصوله للاستانة يعد رجال الدولة بضم نجله اليهم .

قال : وان الانجليز وقتها يرخصون ليوسف باشا صديق في دخول بلاد فرنسا ويتفقون معه على أن يقدم تقريراً في حقى يدعى فيه بأننى قمت بأعمال عدائية ضد الانجليز ، وبذلك يحكمون على بحرمانى من أملاكى . قلت : « اذا حصل ذلك فان الدولة تعوض سموكم من أملاك الانجليز فى بلادها »

وقال : « إننى أفضل أن تكون أملاكى فى تركيا لأننى أكون حراً فى استثمارها وتأتى برىح أكثر . أما أملاكى فى مصر فأننى لا أراها بعد الآن والذى سيديرها يرسلنى خطابات فقط ويقول : لقد بعنا المحصر بكذا ، وعملنا كيت وكيت بدون أن يكون لى أقل سلطان على أعماله وآرائه

» ثم إنه يمكننى أن « أنشئ وقفاً » باختيارى أعطى من ريعه لمن أشاء ولأية جهة أريدها ، وليس محتماً على أن أعطى إirاده لأولادى ، لأنهم حينما يعلمون بذلك لا يسألون عنى ، ولا يبعد أن يسعوا فى الحجز على كائناتى مسرف

ثم أخذ يشكو من معاملة الأتراك ، فقال : « إننى أرسلت برقية الى الصدر لمناسبة شهر رمضان بتهنئة السلطان بواسطته وبتهنئته أيضاً ، ولم يرد الرد للآن ، فقال البرنس ابراهيم : « إن مترجم الصدارة وهو أسعد بك من رجال سعيد حليم ، ولا يبعد أنه لم يعرضه ، على الصدر » فقال سموه : « هذا محتمل ، وسأرسل بتهنئة العيد »

وفى المساء اجتمعت بعباس وشديد ، فدارت المناقشة مرة ثالثة فى الموضوع ، وشرح الأخير نظريته وهى : ماذا يكون الحال اذا حصل اتفاق مع الأتراك وصدق عليه من الألمان ، ثم سقطت الحكومتان . فهل نضمن أنه فى حالة عدم قيام الدولة بدفع الخصصات أن تقوم ألمانيا بدفعها ؟ واعتراضات أخرى ترجح كفة شروط الانجليز لأنها أكثر ضماًناً . فقلت : « أما من جهة المال فان شروط الانجليز أضمن ، وما على أفندينا إلا قبولها خصصاً وأن ميعاد التوقيع عليها قريب جداً ، مع أن المساعى التى سنجرىها عند الألمان والأتراك تقتضى وقتاً طويلاً ؛ ولكن ماذا يفعل الخديو بعد الحرب ؟ فالأتراك لا يرضون باقامته فى بلادهم » قال شديد : « وربما حكموا عليه بتهمة انضمامه للأعداء » ثم قال : « إنما بعد سنتين أو ثلاث يجوز أن الحكومة التى تكون فى الأستانة وقتها ترخص فى الإقامة » قلت : « اذا كان أفندينا يرتاح لما يطلبه الانجليز وهو أدرى منا بصالحه فما عليه إلا القبول » فأجاب سموه بأنه لا يرى الاتفاق معهم من الجهة المالية فى صالحه ، لأن أبنى جنبيه لا تكفيه ولا تكفى نفقات أولاده التى يقدرها بمائة وخمسين جنيهاً شهرياً لكل منهم ، ولو أضاف إليها ألفين أخرى من ريع أملاكه .

وأن شرط وقف الأتبان لذريته يغل يديه ، ولا يمكنه من عمل خيرات مثل إنشاء مساجد فى الجهات الخالية منها أو تعمير المنذر ، وهذا الشرط يشجع الأولاد على أن يطلبوا موته فى القريب العاجل . فضلاً عن أن الاتفاق لا يذكر شيئاً بشأن ما يملكه فى شركتى الأزبكية والبيان فون ، فإذا يحصل لها ياترى بعد الاتفاق ؟ ثم شرط استيلائى على ريع ما قد تتركه الوالدة أو غيرها يشير للغط حول سمعى ، فيزعم الناس أننى أنا الذى طلبت ذلك وهو دليل على رغبة فى موت دولتها .

وأخيراً قال : « لولا ما أتوقعه من التغيصات عند وجودى فى بلاد الدولة وما أراه من وجود أناس ضدنا لقبلت فى الحال شروط طلعت باشا »

وقال عارف : « إنه يظن بأن ذلك آخر كلام من رجال الدولة مع سموه ، ومع ذلك يمكن أن نطلب منهم توفير الراحة لأفندينا في كل شيء » فاتفق الرأي على أن جنابه يحضر مذكرة ليأخذها الباشا ، ويتوجه بها لطلعت ، ويعرضها عليه ويقول له : « إن الأوامر التي كانت أعطيت لشفيق هي الكلام إجمالاً ، وبما أننا وجدنا حسن قبول فنريد أن نتفاهم على التفاصيل » ومن جهة أخرى نبحت مع ألمانيا حتى نصل إلى ما نريد .

وكان الدكتور سيد كامل الذي لم يحضر اجتماعاتنا يعتقد بأن الخديو لن يذهب إلى الاستانة ، ويعتقد أن كل مايفعله هو مناورات تاجر يريد أن يريح من أية جهة تعطيه أكثر من غيرها ، حتى إن طلب سموه الحصول على ردود برقية من الاستانة على بعض المسائل مثل مسألة نور الدين هي سياسة دقيقة ، الغرض منها أن يفهم الانكليز أن الأتراك يهتمون به ، وبذلك يضمن اهتمام الانجليز به .

وفي ١٢ اجتمعنا عباس والبرنس ابراهيم وعارف وشديد وأنا ، وقال سموه : « إن هذا الاجتماع يمكن أن نسميه عائلياً لأن البرنس من العائلة وأنتم من المخلصين لي » وقد تناقشنا في الموضوع فأخذ رأي البرنس فيما إذا كانت شروط الانجليز مما يمكن قبوله . فقال : لا . وسألني بعدها عن رأيي فتوقفت برهة وقلت : « إنها من الجهة الأدبية غير موافقة »

قال لأني بقبول هذه الشروط أكون عملت عملاً يناقض الخطة التي اتبعتها مدة الاثنتين والعشرين سنة التي حكمتها .

قلت : « أما من الجهة المادية » ، فقاطعتي سموه قائلاً : « وهي أيضاً رديئة » فتكلم شديد شارحاً ما جاء في الشروط ، وقال : « إن المصريين حينما يقرأونها يقولون إن الخديو أجبر على قبولها نظراً لما حصل له من الضيق » فرددت عليه بأنهم سيعلمون أن الدولة عرضت عليه كلها يلزمه . وأخيراً تقرر كتابة مذكرة ، فأخذ عارف باشا القلم ووضع رؤوس المسائل .

وقد سافر الخديو بعد الظهر لمقابلة المحامي فورر في سن جال للتكلم معه في انتداب الموسيو هوفمان ليتولى المخبرات مع ألمانيا .

وفي ١٣ اجتمعنا في فندق دولدر (فوق زورنيخ) الخديو والبرنس وأنا ، وعند المناقشة ابتدنا سموه قائلاً : « كيف يثق الإنسان بكلام الأتراك وهم كل يوم

يخلفون لنا الصعوبات ، فيمكن أراد التأشير على جواز للسفر إلى الاستانة ، فقال
قنصل الدولة في زوريخ : « إنه توجد أوامر من مقتضاها عدم التأشير لرجال الحاشية
إلا بعد الاستئذان » وكذلك حصل مع الشيخ عبد الحميد ، فكيف نتحمل كل هذه
الآهانات ؟ إن الأحسن حينئذ أن نتحمل إهانة الأنجليز مرة واحدة ، ثم نستريح
ولكننا مع الأتراك سنظل دائماً على ذلك الحال »

فأجابه البرنس بأنها أصول تقرر لاتباعها مع جميع المصريين بقرار وزارى
فهى عامة .

وقد تكلمت أنا أمام سموه بالتليفون مع فؤاد بك سليم فقال : « إن الأوامر صدرت
منذ سنة ونصف تقريباً بالألا يؤشر على جوازات سفر المصريين إلا إذا جاءت
الموافقة من الاستانة ، فالذى قاله قنصل جنرال زوريخ من أنها خاصة بحاشية أفندينا
غير صحيح »

ولما سمعت من الخديو انتقاده المرظنت أنه غير فكره من حيث الاتفاق مع
الأتراك فقلت له : « إن أفندينا يفعل ما يريد ، وإذا كان متخوفاً من الأتراك فليتفق
مع الأنجليز . » وكنت اعتقدت أنه تعرض لبعض المؤثرات من أمس لليوم ،
فاحتج بمسألة يكن للتخلص من مشروع الاتفاق مع الأتراك حتى قال فى أثناء
الكلام : « هاهو عملنا أمس ذهب بدون فائدة » قلت : « وهل الذى غير فكر أفندينا هو
جواز سفر يكن ؟ » فأجاب إنها مسألة مهمة

إلا أنه فى النهاية أمرنى بأن أطلب من عارف صورة المشروع ، وقرأناه وأضاف
عليه أيضاً نقطة تتعلق بحريته فى انتقاء مستخدميه ، وأمر عارف بترجمته للفرنسية ؛ وبعد
أن خرج البرنس أمرنى وشديد بك بأن نبقى معه للتفكير فى الرد الذى ينوئ عمله
فى صدد الاتفاق مع الأنجليز ، فسألت زميل عما يقصده ؟ فقال : يعنى رفض الاتفاق ،
وبعد الظهر اجتمعت به وبشديد ، وتكلمنا فى الموضوع وكان يبدو على وجهه القلق
وبما قاله : إنه يفضل كثيراً الاتفاق مع الأتراك إلا أنه لا يأمن لوعودهم . وأخيراً
قرر الاجتماع لآخر مرة فى المساء عند البرنس إبراهيم لاتخاذ قرار حاسم .

وفد سأله شديد عما قاله فورر فى مسألة توسط هوفمان . فقال : « إنه سيتكلم مع
الآخر ولكن فى حذر ، ولا يمكن أن يأتى الجواب إلا بعد ٨ أيام ، لأن هوفمان لدغ
من الألمان مرة فلا يريد أن يلدغ مرتين ، لهذا يحتاج فورر أن يسوسه رويداً

رويدا ، ثم اجتمعنا في المساء ، وتكلمنا في الموضوع ، وكان سموه متردداً وكرسؤاله لماذا لم يرد طلعت على برقيتي ؟ لماذا لم يرد على خطابي الذي أرسلته لأبراهيم بك أدهم وفيه تعليمات بأرسال برقية بشأن المحروسة ؟ فلا برقية وردت لي ولا أعلم إن كان خطابي وصل أو لم يصل . ولماذا لم يحضر حامد العشي المحجوز بفينا - مع أن عارف باشا طلب له الأذن من طلعت قبل سفره من الاستانة ، فأجاب بأن يقدم حامد الطلب كالمعتاد ؟ فأجبناه بأن الخطاب ربما لم يصل ، أو أنه وصل ولكن البرقية التي يحتمل أن يكون أرسلها أدهم بك لم ترخصها السلطة . أما حامد فلا ن الإجراءات تستلزم مدة طويلة ، ومسألة رد الصدر على تهنة رمضان فلعل أسعد بك قال لفخامته بعدم وجود سوابق ، قال سموه : فكيف أثق بالأتراك مادامت الصعوبات قائمة هنا وهناك ؟ ومن يضمن لنا أنهم لم يشعروا بالموجدة لأننا تأخرنا عن السفر للآن ؟ فقال الرئيس : إن برقية أفندينا له كانت قبل سفر دولته ولما قابله عارف باشا لم يظهر الصدر غضباً ، بل قال إذا حضر الخديو فيكون ذلك من صالحه وكلفه تقديم احتراماته . قال سموه : إذا كانوا متأثرين فربما يتأخرون عن قبول طلباتنا . قلت : لا أظن لأنها في مجموعها لا تخرج عما يفكرون فيه بل فيها أشياء تثبت أن أفندينا مخلص لهم ، وإذا كان فيها نقطة واحدة تحتل القبول أو الرد فهي تصديق ألمانيا ، والشروط كلها في صالحنا . قال سموه : إنك تقول حينئذ بقبولها قلت : أنا أقول ما أراه ، ولكن أرجو أفندينا ألا يتأثر بكلامي - والذي أعلمه أن سموكم لا تتأثرون بكلام إنسان فأن في ذلك مسئولية - فقال : لا لاتخف ، وأخيراً قال : « ولكن مارأيكم في الشيء المستعجل ، وهو الرد الذي لا بد أن أعطيه غدا على شروط الإنجليز ؟ فإن المشهور عنى أنني أماطل ، وأنتى أنتجى بسبب شيء طفيف . وهل أرفض الشروط ؟ ، فقلنا بأننا لانرفضها صراحة . وأخيراً اتفق الرأي على أن يترجه شديد بك إلى السفارة الإنجليزية في برن ، وينبهم أن الخديو درس الشروط فوجدها صعبة عليه خصوصاً الاعتراف بسلطنة عمه ، وأنتم تقولون ألا تعديل فيها . فإذا كان لا يمدنكم عمل شيء ، فسموه بدلا من كتابة جواب كما قال - سابقاً - يوفدمندوباً إلى إنجلترا لإتمام المساعي هناك تخفيفاً لوطأة الشروط . وفي هذا الوقت يسافر عارف باشا في أقرب فرصة إلى الاستانة ، ويعرض الشروط التي ستفق عليها مع الأتراك ، وفي ظرف أسبوعين يتمكن من إرسال برقية نهم منها هل الحكومة قبلتها

أولاً . وفي حالة القبول نرفض شروط الإنجليز .

وفي هذا الاجتماع علمت أن الإنجليز عرضوا شروطاً في أول مرة فبدلها الخديو ، فقبلوا بعض التعديل ، ومن التعديلات أن يستمر مرتب ألني الجنيه طول حياته لا لانتهاه الدين ، وأنهم سينظرون في إعطاء مخصصات لأولاده (ولكن لم تدرج في الشروط) وأضافوا اعتراف سموه بسلطنة عمه ، وبأعطائه الباقي من ربيع ما يمكن أن يؤول إليه بالآرث أو غيره ، وحبس الوقف على أولاده ، مع أنه كان يجب أن يخصص شيئاً للخيرات .

وفي ١٤ يوليو قابلت البرنس ابراهيم حلمي وعارف باشا فأظهر دولته ارتياحه لما سمعه مني ليلة أمس في أثناء المناقشة ، وقال لعارف : « جزى الله شفيق خيراً » ثم قال : « يظهر لي أن هناك أناساً منهم شديد بك يشتغلون لصالح الإنجليز » قلت : وطبعاً منهم لوزانج . قال إنني قرأت الاتفاق الذي كان وضعه سموه والاتفاق الذي أرسله الآن الإنجليز والفرق بينهما كبير ، وأن الاتفاقين في مجموعهما مضران ، وأن الخلافة والعالم الإسلامي والأوروبي يلومونه على ما يصنع من هذا القليل ويلومه الإنجليز في الباطن ، وأنا إذا وقع سموه هذا الاتفاق فاني أقول له : « إن شاء الله يكون خيراً والسلام عليكم ، وأدعه لشأنه »

فأخبرت دولته بمناقشتي العديدة مع سموه خشية لوم اللائمين على في مصر أن يحسبوا أنني لم أقم بواجباتي نحوه ، وأنا أ كبر الخاشية وأخبرته أيضاً بأنه أخفى عني مخبراته مع الإنكليز ولم يعلمني بورود الشروط منذ ثلاثة أسابيع إلا في حضوره أخيراً .

وقد جاء النبأ بالتليفون من شديد أن اللورد ا كتون لما علم باعتراض الخديو على شرط الاعتراف بسلطنة عمه ، وأنه إذا لم يقبل اللورد المخابرة مع انكلترا في هذه النقطة فان سموه يرسل مندوباً من قبله إلى انكلترا .

أجاب بأنه سيرق إلى انكلترا في هذا المعنى ، ولكن ليعلم سموه أن لاشأن للورد الآن بالمسألة ، ولا داعي إلى إرسال تلفونات له ولا طلب مقابلاته بعد الآن .

قال عارف : « إن الخديو أخبره بأن جلال الدين باشا كله تليفونياً قائلاً : إنه تحقق من وجود مندوبين في سويسرا من المتحاربين للاتفاق على عمل الصلح . والمظنون أن الصلح يتم بعد ثلاثة أشهر فقال : إذا حصل ذلك فأنا لم أزل خديويًا . وسأل

الباشا مدام نوزانج عن رأيها فقالت: إنها لا ترفض الإقامة في الآستانة ، إلا أنها تخشى على حياة أفندينا !

مذكرة للصدر يحملها عارف باشا : وقد قرأ عارف باشا علينا المذكرة التي ستقدم للصدر بمعرفته ، وبعد تعديل وإضافة أقرها عباس ، وهي بتبديء بمقدمة يقول فيها : إنه تلقى نتيجة مخبرات شفيق باشا بالرضى والشكران والافتخار ، وأنه كان كلف جلال الدين باشا أن يسافر إلى الآستانة لتقديم هذه المذكرة التي هي عبارة عن مقترحات تخافته مع بعض إضافات وتمنيات ، ولكن لما رفض جلال الدين باشا السفر اضطر سموه أن يكلف عارف باشا هذه المهمة ، وهذا هو العذر في تأخير الأجابة على المقترحات المذكورة . ومضمونها :

أولاً : أن الحكومة العثمانية تعطي سموه المخصصات التي كان يتناولها من مصر طول مدة الحرب (يعني مائة ألف جنيهه مصرى سنوياً) وفي مؤتمر الصلح إذا كانت مصر - لاسمح الله - لا ترجع إلى حالتها الأصلية ، فالدولة تطلب من إنجلترا أن تخصص لسموه أربعين ألف جنيهه مصرى من الخزانة المصرية ، وفي حالة عدم النجاح تتعهد الدولة بدفع ألفي جنيهه مصرى شهرياً لسموه مادام حياً

ثانياً : الضمانات على حرية إقامته وخروجه إلى البلاد المتحالفة مع الدولة أو الدول المتحايدة والتأمين على حياته وإعطائه الاعتبار الرسمية للخدوية فقد تلقاها سموه بالامتنان .

ثالثاً : أنه عند سفره إلى الآستانة ، إذا رفض البرنس عبد المنعم اتباع الخطة التي يتخذها والده فان سموه يطلب من الدولة ، في أثناء الصلح . أن يكون ولي العهد هو البرنس عبد القادر

رابعاً : لما كان الاتفاق الذي حصل في أوائل الحرب مع الخديو حصل باتحاد مع الدولة ودولة ألمانيا فيطلب سموه تصديق الثانية على هذه الشروط .

ثم يلي ذلك طلبات ثانوية منها دفع ديونه لغاية سفره من سويسرا (للمحامين والأطباء وغيرهم) وأن يرسل إلى سموه جواب من الحربية بأن الحراسة لا يصح استعجالها فلا تأخذها الحربية كما كانت عازمة على ذلك ، وألا يفتاح سموه في مسألة زواج بنتيه لابنى السلطان . لأنه بلغه أن هناك محاولات من هذا النوع تبذل لدى حرمه في الآستانة .

وقد سافر الباشا يوم ١٨ يوليو حاملاً هذه المقترحات .

رد صريح من طلعت تعززه رسالة من أنور : وبعد هذا التاريخ لم يعد لدينا أعمال هامة فذهبت أنا لأخذ حمامات والترييض مع العائلة إلى أن كان يوم ٢٢ أغسطس فحادثني عبد الله شديد تليفونياً وأخبرني بحضور عارف باشا وطلب منى الحضور إلى جنيف يوم ٢٣ منه . ولما اجتمعنا قال الخديو : « إن طلعت باشا يتبع معنا خطة صريحة لا تخوض فيها بعكس ما عرف عن الأتراك من الماطلات ، فقد أرسل لى جواباً يقول فيه : إنه يقبل كيت وكيت ويرفض نقطاً معينة وهى الخاصة بضمأن ألمانيا فلا يقبل التدخل في الشؤون الداخلية للدولة . وكذلك نقطة تخصيص مبلغ من المال شهرى في حالة عدم نجاح الدولة في استرجاع مصر ، فأن هذا الكلام يثير الانتقادات ضد الصدارة الحالية فما دامت غير واثقة من نجاحها فلماذا تبقى في مقاعدها . ومع أنى أحمد له هذه الصراحة إلا أننى أستدل من رده على أنه ليس بالرجل الذى يعرف الحل المناسب للمعضلات فأن نابليون قال بحذف كلمة مستحيل من قاموس » ثم قال سموه : أنا معترف بصعوبة مركز الصدر في قبول النقطتين ، ولكن النقطة المالية يمكنه أن يجد لها حلاً (وكان شديد اقترح أن يضمن البنك العثمانى الألفى جنيه شهرياً فوجده سموه حلاً موافقاً) .

ثم قال : « حينئذ ماذا استفدنا من الاتفاق مع الترك على هذه الصورة ؟ خصوصاً وأنهم لم يجيبونى على أى طلب من طلباتى حتى مسألة المحروسة ؟ أما الاتفاق مع الأنكليز فإنه يضمن لى معيشة المستقبل ؛ فماذا ينفع أن الأتراك يعطوننى مخصصاتى مدة الحرب وبعدها لا يضمنون لى شيئاً ؟ فهل فى مدة الحرب سأقصد من المخصصات مبلغاً يكفينى لمعيشتى طول حياتى ؟ »

قلت : « حقيقة : كنت أتصور أن الأتراك يرفضون إجابة طلب أفندينا بتخصيص ألفى جنيه من خزانة الدولة بعد الحرب ، ولكن يظهر أن هناك صعوبات وعارف باشا كررها لنا وهى (أولاً) أن الاتفاق على أمر مجهول العاقبة فى المستقبل لا قيمة له (ثانياً) أن كل اتفاق مالى يلزم عرضه على مجلس النواب ولا يمكن طلعت أن يقول للمجلس : « فيما إذا لم تتمكن الدولة من إرجاع مصر لحالتها الأصلية » فان أعضاء مجلس النواب يثرون على الحكومة ويقولون لها ولماذا دخلت الحرب ؟ . فما علينا إذن إلا أن نطلب من ألمانيا أن تكون هى الضامنة لهذا المبلغ » وأخيراً

طلبت قراءة خطاب الصدر ، فلما تلاه عارف وجدناه يقول : « إن المخصصات الخديوية تصرف شهرياً بصفة منتظمة » (ولم يحدد مدة الدفع إلى نهاية الحرب) عندها استراح عباس نوعاً ، وقد جاء في الرد أنه تلقى خطاب سموه بالتعظيم ، وأنه علم برغائب جنابه العالی التي أرسلها على يد عارف باشا وأنه جدد البحث مع زملائه فيها ويعرض أنه كما أجاب شفيق باشا بهذه الرغائب فإن الحكومة العثمانية ترى أنه من الطبيعي أن يكون لسموه الحرية التامة في الإقامة بالاستانة والسفر منها إلى البلاد المحالفة أو المحايدة ، وأنها تصرف له المخصصات الخديوية شهرياً بانتظام وأن شئون المصريين ورجال سموه يرجع الأمر فيها إلى جنابه العالی ، وبالاختصار كل ما جاء في مذكرة سموه ماعدا النقطتين المذكورتين ، فإن الحكومة لا تجد طريقة لتطبيقهما . وأنه يلتمس تعريفه برقياً عند تشريف ركابه للاستانة .

وقد أرسل أنور باشا أيضاً خطاباً آخر لطيفاً يقول فيه : إنه متفق مع الصدر في كل ما جاء في جواب نخامته وأنه يرى الفائدة لسموه في عودته إلى الآستانة ولا يلتمس من جنابه العالی إلا ثقته برجال الدولة .

وعارف قال : « إن مجلس الوكلاء بحث في رغائب الجناب العالی في جلستين يوم الثلاثاء ويوم الأحد وأن الصدر هو الذي كتب بخطه الجواب على رغائب سموه وأمضاه باعتباره صدراً أعظم وناظراً للداخلية ، وقال فخامته لما سئل عن عدم التصريح ليكن بأخذ جواز سفره إنه لا يعرف الباشا من هو ، وعلى أي حال فانه صدر قرار وزاري بعدم التصريح بالذهاب لسويسره ، ولا بالأياب منها ، ويمكن لم يطلب تصريحاً بالحضور إلى الآستانة باعتباره موظفاً خاصاً . »

شديد يزين للخديو جانب الانكليز وهو يرجع جانب الأتراك : وفي صباح ٥٢ أغسطس وجدت الخديو يتناقش مع شديد بك في الموضوع واليك يقول : مادام الصدر لم يضمن لأفندينا المخصصات بعد الحرب ، وإن الطلبات التي أجاب عليها الآن ربما لا تكون لها قيمة فيما إذا تغير الصدر حينئذ لا فائدة من الاتفاق مع الأتراك بخلاف الاتفاق مع الإنجليز فان كل شيء فيه مضمون . وقد دهشت لما سمعت عباساً يحجب على هذه الملحوظات بقوة مفندا لها ومحبذا الاتفاق مع الأتراك ومع هذا قال « إن الباب مفتوح أمامي . فيمكن الاتفاق مع الانكليز كما يمكنني الانتهاء مع الدولة ، وإنني بعد كل تدبر أرى المنفعة في الاتفاق مع الدولة

فانه يبقى لى صفة الخديوية، ويحافظ على موقفى السياسى ويضمن لى المعيشة بالراحة فى بلاد إسلامية وبين أهلى وحاشيتى؛ وأظن فى وقت الصلح لا ترفض إنجلترا تخصيص ألفى جنيه شهرياً لى .

وعلى ذلك تقرر أن يمهد للسفر وأن يكون بعد عيد الأضحى مباشرة — أى فى أوائل أكتوبر — وتقرر أن نحضر مذكرة بالمسائل اللازم تنفيذها قبل وصول الخديو إلى الأستانة مثل إبعاد الدكتور أحمد فؤاد الذى يعمل الآن فى إدارة الأمن العام بتركيا فان الصدر قال : إننا بعد تجربة أربع سنوات لا نجد لهذا الشخص أهمية مطلقاً وإننا نبعده عن الأستانة إلى أى محل يريد أفندينا

وحصل الكلام بعد ذلك فى أن تنفيذ هذه المسائل يستلزم رجلاً خلاف عارف باشا ولمح الخديو مرارا إلى بدون ذكر اسمى؛ ولكنى تظاهرت بأنى لأفهم مايريده لأنه لا يمكننى أن أترك عائلتى وهى الآن فى معالجة من مرض .

ترتيبات السفر : عندئذ قرر أن يذهب يكن باشا باعتباره رئيساً للتشريفات الخديوية . مع عارف باشا ، وأن تصدر إرادة خديوية لرمزى باشا طاهر بتعيينه سرياورا ؛ ويقسم العمل إلى ثلاثة أقسام : عسكري يشغل به رمزى باشا والثانى يختص بحبوقلى ويقوم به ابراهيم بك أدهم وثالث ملكى ويقوم به عارف باشا ويكون باشا يراقب. ويرجع الأخيران بعد تمام عملهما إلى سويسرة للالتحاق بالركاب الخديوى ، ورمزى باشا وتوفيق بك فهمى الياور يحضران إلى فينا للالتحاق بنا أيضاً .

وقد كتبت مذكرة تتضمن (١) إرسال المال لدفع المطلوبات (٣٠٠ ألف فرنك) (٢) إرسال أوامر من الباب العالى لسفير الدولة فى برن بالاستعداد للسفر مع الحاشية بصفة رسمية وبأخبار حكومة سويسرة بهذا السفر وطلب إعطائها الأوامر فى صدد ذلك للحدود السويسرية ، مع مخبرة دولتى ألمانيا والنمسا باعطاء الأوامر لسفيرهما بزيارة الخديو قبل سفره (٣) الحكومة العثمانية تتفق مع النمسا والبلغار على الترتيبات اللازمة للمرور بأرضيهما ولزيارة الأمبراطور والملك وإبلاغ سموه بالترتيبات المذكورة قبل قيامه (٤) إذا كان للحكومة ملحوظات على هاتين الزيارتين فتبلغها لسموه تلغرافيا (٥) تعطى الأوامر لتسهيل سفر رمزى طاهر باشا وتوفيق بك فهمى إلى فينا مع عارف باشا لا انتظار وصول الخديو إليها والالتحاق بحاشيته

(٦) طلب سفره لسموه لاستعمالها عند الحاجة مع الباب العالي كالمعتاد من قبل ، وتسلم ليكن باشا لا حضارها معه للسويسرة عند رجوعه من الاستانة (٧) المخصصات الخديوية ومرتبات الحاشية والقبو كمتخدائية والمحروسة تصرف من النظارة المختصة لرئاسة الديوان الخديوى عند حضور سموه لتوزيعها بمعرفته حسب الأمر . (٨) تنفيذ وعد الصدر بابعاد أحمد فؤاد قبل سفره (٩) الترتيبات التى ستعمل للمحافظة على حياته من قبل إدارة الأمن العام أثناء وجوده بالاستانة تكون بالاتحاد مع من يخصه سموه لذلك (١٠) الاستئذان من الصدر لمقابلة رئيس التشريفات ومدير الأمن العام وقومندانية مركز الاستانة - إذا لزم - لعمل الترتيبات والاحتياطات اللازمة لحضوره واستقباله على المحطة لزيارة السلطان .

والأوامر العسكرية تقضى بأن عارف باشا يقدم لناظر الحربية خطاباً من أفندينا رداً على جوابه وفيه يعلم سموه بأنه عين رمزى طاهر باشا سرياوراً ويعرفهما ببعضهما ورمزى باشا يطلب من أنور باشا صدور الأمر للبحرية باصلاح المحروسة والزورق البخارى الكبير واحضار ما يلزم لهما من الأدوات . وبأن يمد خزان وابور الكهرباء فى جبوقلى بالزيت ويصرف الأشياء اللازمة لمطبخ جبوقلى وسراى بليك حسب وعد الناظر .

ولما علم شديد بأن من ضمن الطلبات ارسال ٣٠٠ ألف فرنك لدفع المخلوبات قال: ان المبلغ لا يكفى . فرد عليه سمره قائلاً : لا يا شديد بك . يكفى يكفى لان البنك له ٢٠٠ ألف و ٢٠ ألف للمحامين و ٣٠ ألف للمشتريات اللازمة لليك وجبوقلى - ويبقى ٥٠ ألفا . ففهمت من ذلك أن السلفة التى عقدها مع البنك هى مائتا ألف فقط ، ولما خلوت بشديد عرفت الحقيقة وهى أن السلفة تعطى على أقساط شهرية ولهذا يقول الخديو : إنه بقى له لآخر الشهر مبلغ كذا . وعلمت أن السلفة عملت من شهرين وعلى هذا فان الذى سيدفع للبنك ليس ٢٠٠ ألف فرنك بل المبلغ الذى سحب منه فى مدة الشهرين الماضيين والشهر الآتى أى لغاية السفر .

وما سمعته من عارف أن أنور باشا يقول: إن الخديو عندنا الان - وفيما بعد - خديو ، ومن الدين علينا له أن نقوم بمعيشته لآخر حياته وأن الألفى الجنيه التى يطلبها سموه قليلة بالنسبة له . وإن كل ما يلزم لمطابخ بليك وجبوقلى نعطيها من الحريسة بالأثمان التى تعطى بها سراى السلطان وأعضاء العائلة الملكية ، يعنى بأثمان قليلة جداً فمثلاً أفة السكر بثمانية قروش بدلاً من مائة وعشرين قرشاً

وفي يوم ٢٧ أغسطس أرسل الخديو برقية للاستانة بعزمه على السفر، وارسال عارف باشا ويكن باشا لعمل الاستعدادات اللازمة

اختيار بعض المصريين لمرافقة الخديو بالاستانة : وفي يوم ٧ سبتمبر اجتمعت أنا وشديد بك والدكتور سيد كامل عند الخديو ، وتحادثنا في الأشخاص الذين سيستصحبهم للاستانة غير الحاشية الرسمية؛ فسررنا أسماء المصريين في جنيف ولوزان وزوريخ؛ ثم نظرنا في حالة كل منهم، وقررنا بادی الامر عدم أخذ الطلبة، ولا الذين جاھروا بالعداوة مثل محمد فريد بك ،



احمد فريد بك

وتقرر أن كل واحد منا (أى شديد وسيد كامل وأنا) يبلغ بعض المنتخبين بسفر الجناح العالي ؛ وأنهم إذا أرادوا التماس سفرهم في معيته فالتنا نبلغ التماسهم . وكان في الكشف ٣٤ اسما ، فانتخب منهم ١٤ هم اسماعيل ليب ، على الشمسي ، احمد بك فريد (ورئى تعيينه تشريفاتيا خديويا) والدكتور زاهر ، والاستاذ فهمى (وتقرر تعيينه في جنيف لمراقبة الصحافة وما يكتب فيها بخصوصا نظير راتب نرسله له) والاثنان الأولان يخبرهما شديد بك والدكتور سيد كامل ، والثلاثة الآخرون أخبرهم أنا؛ وأن أكلف الأستاذ فهمى بأن يستطلع رغبة

كل من عثمان افندى الديب ومدكور وصفر (إذا كانوا أمضوا الامتحان) أما الشيخ عبد الحميد فاني أستفهم من البرنس ابراهيم حلمي عما إذا كان يريد عند لغاية رجوعه إلى الاستانة فيبقى ، ويأتى معه ؛ وإلا فنأخذ في المعية ؛ واستجلاب مصرى اسمه صالح يستخدمه الانجليز في سويسرة للاستفادة من ذكائه واقداره في مصلحتنا بالاستانة ، وآخر اسمه نجيب ندخله في مدرسة الطب بالاستانة ليختلط بالطلبة المصريين ويعرف نواياهم . وكذلك تقرر أن يرافقنا منصور أفندى القاضى

الذى كان يصدر جريدة النيل بلوزان، وهو رئيس الجمعية المصرية وجمعية الرابطة الإسلامية؛ وقد عين رئيساً للحسابات بالخاصة (١)

عودة الحمريو لموسمانه: وافق رجال الحكومة التركية على جميع الترتيبات التي اقترحها الخديو للسفر، وزادوا في التسهيلات أن وضعوا سفير الدولة في سويسرة تحت تصرفه لتسهيل كل ما قد يعترضه من العقبات؛ وصرح طلعت باشا بأن للخديو أن يستصحب من يشاء (إشارة لصاحبه) وعندئذ أخذنا في الاستعدادات النهائية فأشرت في يوم أول أكتوبر على جوازات السفر من قنصلية الدولة وقنصلية النمسا لى وللمسافرين معنا، وبينهم ثلاثة من السويسريين: أحدهم بوظيفة سكرتير، والثاني مهندس معمارى، والثالث مهندس حدائق؛ وتقرر أن يكون السفر لزوريخ يوم ٤ أكتوبر. وفي هذا اليوم ودعت حريمى وأولادى وغادرت جنيف ظهراً

السفر: وفي يوم ٥ أكتوبر كان جميع المسافرين في محطة زوريخ. فركبنا القطار الخصوصى، وهو مركب من عربتين للنوم وعربة متاع. وكان على المحطة للوداع دولة البرنس محمد على، وسكرتيه، ونجلا الخديو البرنسان عبد المنعم وعبد القادر، وسفير الدولة، ومندوب من الحكومة السويسرية، ونشأت باشا الألبانى وأخوه ثريا بك، وعبد الله البشرى (الذى رجا الخديو أن يتأخر شهراً ليطمئن على أحوال عائلته في مصر بعد وفاة والده) ورشيد بك أحد الأتراك من لهم علاقة قديمة بالخديو، وهو من «جماعة تركيا الفتاة» وكان مدة الحرب يقيم في جنيف وشديد بك. وركب معنا بعض المودعين إلى الحدود السويسرية. ولم يفتش متاعاً عند هذه الحدود. وفي محطة «فلدكرش» النمساوية أضيفت للقطار عربة طعام، وتناولنا الغداء الفاخر على حساب الدولة التركية كبقية نفقاتنا في السفر.

الوصول إلى فينا: وفي صباح يوم ٦ وصلنا إلى فينا فوجدنا في استقبالنا ضابطاً ورجلاً ملكياً، والدكتور امستر، ورجال السفارة العثمانية بدون السفير حسين حلمى باشا، الذى أرسل سيارته ليركب فيها الخديو، فقصدنا فندق امبريال. زيارة امبراطور النمسا: وبعد الاستراحة قدم السفير للزيارة، ثم ركب مع سموه إلى قصر الامبراطور الذى يبعد عن فينا قليلاً لأجابه دعوته للغداء.

(١) وقد بقى بالإستانة حتى الهدنة فعاد إلى السويسرة

وبعد العودة علمت أن سموه جلس على يمين الامبراطورة، وجلس الامبراطور على يسارها، وان الامبراطور سأله: هل تأتيه أخبار من مصر؟ فلم يبقو على إجابته بأن الأخبار منقطعة بينه وبينها، وأجاب «نعم»!

حادث مكدر : ثم غادرنا فينا في المساء، وما كاد القطار يبرحها حتى وقعت حادثة مكدره ذلك أن إحدى نوافذه أصيبت بمقذوف نارى كسر زجاجها، ولما وصل إلى مدينة صوفيا قدم سكرتير الملك، وأبدى لسموه الأسف على غيابه عن المدينة، وكذلك استقبله سفير الدولة ورجال السفارة. ومن بليجراد كانت قد أضيفت عربية حربية بها ضابط ألماني، وقوة معه بالاستعدادات التامة للمحافظة على القطار.

وفي يوم ٨ وصلنا إلى لول بوغاز، فوجدنا مفتش الحدود العثمانية واصف بك وزميله في انتظارنا، لمرافقتنا إلى الأستانة. وركبا هما واثان من الجند معنا. الوصول إلى الأستانة : وكان القطار قد تأخر عن ميعاده في بلاد البلقان نظرا لسقوط قاطرة على الخط فانتظرنا ساعتين حتى أخلى الطريق؛ ولكن عوض المسافة في بلاد البلغار وجزء في أراضى الدولة بحيث بلغنا الأستانة في الميعاد المضروب وهو الساعة الثانية بعد الظهر؛ وقد كان في بعض المحطات الكبيرة بضعة عساكر لتأدية السلام.

وكان في انتظارنا على محطة سرکه جي رئيس المرافقين، والأمين الأول لجلالة السلطان، ومستشار الصدر بالنيابة عن الصدر، ومستشار الحرية بالنيابة عن أنور باشا، ومدحت شكرى كاتم أسرار جمعية الاتحاد والترقي بالنيابة عنها، وفصييلة من الجند ومعها الموسيقى التي عزفت عند وصولنا، ثم ضباط المحرسة وعلى رأسهم الميرالاي ابراهيم أدهم بك، وانضم اليهم توفيق بك القائم مقام المرافق الذي كان قد حضر إلى فينا مع السرباوير رمزي طاهر باشا، وفصييلة من بحرية المحرسة، ثم بعض المحمين، ومن بينهم عزت باشا زوج فائقه هانم افندى.

ونزل الخديو من القطار، فسلم على المندوبين أولا؛ ثم استعرض فصييلة المعسكر الشاهانية، وأثنى على قائدها؛ ثم سلم على باقي الحاضرين في المحطة الا عزت باشا فانه أشار إليه بيده من بعيد، فتأثر، ولما رأى شكلى من هذه المعاملة، وقال: انه لا يعلم السبب لهذا الأغضاء.

مقابلة السلطان : ثم ركب الخديو سيارته ومعه مندوبو السلطان ورمزي طاهر باشا؛ وركبت أنا وعارف ويكن في سيارة أخرى تابعة للحربية؛ وتوجهنا إلى سراي يلدز، وقابل السلطان محمدرشاد^(١) منفرداً؛ ثم رجعنا إلى بيك بدون المندوبين .
الخديو يستخف بجلالته : ولما عاد الخديو أبدى لنا استخفافه بالسلطان الذي حادثه في تغيير « بوابة » سراي ضولمه باغجه .

وكذلك علم من جلالته أن امبراطور ألمانيا طلب أن يرى السلطان عبد الحميد؛ فهذه المناسبة قال : « إنه يحب شقيقه وإنه يراعيه ولا يريد ضرره » فقال الخديو : « كان كلامه مثل الصغير الذي يحس بذنب، فيبتدىء بتبرئة ساحته قبل أن يسأل عنه ! »

وبما دار الحديث فيه مسألة ثورة الشريف حسين في مكة؛ ولما أراد الخديو أن يقول : « ربما كان للشريف عذر » نفى السلطان ذلك بشدة .

زيارة الصدر للخديو : وفي يوم ٩ منه زار الخديو الصدر في منزله، فأخبره بأن امبراطور ألمانيا سيحضر لزيارة السلطان، وأن سموه سيدعى للمأدبة التي ستقام لجلالته، ولمح بأن سيكون من بين المدعوين البرنس سعيد حليم، وسأل سموه عما إذا كان سيخاطب البرنس؟ فأجابه بأنه لا يود الحديث في الشخصيات، وأظهر عدم استعداده لمخاطبته قائلاً : « إن المائدة كبيرة فليس هناك ما يدعو للتقرب » .

وروى لي سموه أيضاً أن الصدر قال له : إن وجوده الآن في الاستانة معهم سيفيد الحكومة العثمانية من خبرته ومعلوماته، فأجابه بأنه مستعد لأية خدمة عامة وإنما لا يحب أن يتدخل في مسائل شخصية

قال الخديو : « ولو ضممننا مقالته السلطان عن الشريف، ومقالته الصدر تبين ان الاتراك سيطلبون مني أن أساعدهم في المسألة العربية، وقد رأيت من الصدر صراحة عجيبة »

زيارة ولي العهد : وبعد الظهر زار الخديو الأمير وحيد الدين ولي عهد السلطنة العثمانية

وفي يوم ١٠ زار شيخ الاسلام في مركز المشيخة، وبعد الظهر زار الأمير



الأمير وحيد الدين

عبد المجيد في جاملجة ؛ وهو
الأمير الذى يأتى بعد ولى العهد
وبينه وبين الخديومودة خصوصية
الحفاوة بالخديو : وقد لاحظت من
يوم حضورنا إلى الاستانة أن المحبين
هرعوا إلى بيك للسلام ؛ وفي هذا
اليوم حضر الصدر ورد الزيارة
لسموه ؛ وفي أثناء الحديث عرضت
مسائل شخصية ، فتتجى الصدر عن
الدخول فى الموضوع بناء على
ما رآه من رغبة الخديو وكان سموه
يريد أن يوفدى له كائن ذاهب

من تلقاء نفسى لزيارة خصوصية ولا علمه بارتياحه لما رآه من الحفاوة ، وأضيف
إلى ذلك تحذير الصدر من الدخول فى مسائل سموه الشخصية ، ولكن بعد زيارة
اليوم والحديث الذى حصل كلفى أن أبلغه بأنه يقدر سياسته التى يلتزم فيها اجتناب
الحديث فى المسائل الشخصية حق قدرها ، وروى لى أنه عرف من الصدر
رغبته فى ارجاع الاتراك المخالفين لاتحاديين إلى الاستانة بأية وسيلة كانت ،
والغرض من ذلك ألا يسمع لهم صوت معارض عند المناقشة فى الصلح ، ولهذا
لما كلبه سموه فى دخول نشأت باشا الاستانة : قال « إنه لا يرى مانعا من ذلك »
وحضر أنور باشا وشيخ الاسلام للزيارة

أسف الأميراطور على الحادث المكدر : وفى هذا اليوم ورد من سفير النمسا
خطاب يقول فيه بورود برقية من سكرتير امبراطور النمسا يعرب فيها عن أسف
جلالته والملكة لحادث كسر الشباك بديوان سموه فى القطار النصوص ، وأنه تحقق
بأن ولدين صغيرين كانا يقذفان الحجارة على القطار عمرهما ٧ و ٨ سنوات .

وقد أرسلنى سموه الى سفير النمسا لأعرب له عن شكره لاهتمام الأميراطور
والامبراطورة بارسال البرقية ، وأن أرجو رفع هذا الشكر لجلالتهما ؛ ثم لمحت
فى كلامى الى انتظار الخديو لزيارة التراجمة حتى يحضر هو ويؤدى الزيارة للسفراء

فأفهمنى أن الحكومة العثمانية أظهرت رغبتها فى عدم استخدام الترجمة فى الأعمال الرسمية، لأنها عادة قديمة كانت متبعة عند وجود الامتيازات، فألغيت بالغاءها. وقد حضر ناظر الخارجية فى بيك، فكلّمه عارف باشا فيما يلزم اجراءه، فقال: «انه سيخاطب سفير النمسا وهو أقدم السفراء ويفيدنا بما يتقرر.

عباس وامبراطور ألمانيا بالاستانة: فى يوم ١٤ أكتوبر وردت مكاتبة من الصدارة بها دعوة للجناب الخديوى للحضور الى محطة سرّكة جى يوم ١٥ منه فى الساعة الحادية عشرة لىكون مع جلالة السلطان فى استقبال امبراطور ألمانيا؛ وفى هذا اليوم أخذ سموه رمزى باشا طاهر وتوفيق بك فهمى الى المحطة، وكانوا جميعاً يرتدون كساوى التشرىفات الكبرى، وكان الترتيب كما يأتى: السلطان وولى العهد وباقى الأمراء، وبعدهم الصدر، ثم الخديوى، ثم شيخ الاسلام والوزراء.

وقد لاحظ سموه فى تأثر أن يكون ترتيبه بعد الأمراء، فكأنهم رجعوا الى ترتيب صدارة سعيد باشا الاخير الذى كان يصمم على أن يكون ترتيبه قبل سموه وتساءل عما إذا كان هذا قد حدث عفواً؛ ولكنه استدرك بأن الصدر أخذ موقفه بشكل يدل على أنه يعرف هذا الترتيب من قبل. فقلت: « لعله عمل ذلك ليرى الامبراطور أن مقامه أعلى من مقام الخديوى » فقال عارف: « ومن جهة أخرى يفهمونه أن مسألة مصر داخلية » وشاركه الخديوى فى الرأى. ثم قال:

« ولما سلم الامبراطور على من كان قبلى سلم على وحادثنى بالامسانية قائلاً: « لقد مرت مدة طويلة لم تتقابل فيها، وايض شعر رأسينا. فأجبتة: « إتنى وإن كنت لم أحظ بمشاهدة جلالتم فأتنى رأيت أولادكم عندى فى مصر » فقال: « أنا آسف لما فاتنى من زيارتها، وأولادى كان حظهم أوفر برؤيتها ». يعنى أن الامبراطور عنى به أكثر من الآخرين.

وقد جمعنى سموه مع عارف وقال: « إن الأتراك لم يعلمونى هل المطلوب منى زيارة الامبراطور؟ مع أن ذلك من الواجب على؛ ثم يلزم أن أعرف من الآن موقفى فى المأدبة التى ستقام »

وتقرر ذهاب عارف باشا إلى دائرة التشرىفات للاستعلام، بينا الخديوى ونور الدين يمران على سفارة العجم، وعلى بعض النظار الذين حضروا للزيارة، لترك بطاقات لهم.

وكان رد التشریفات : انه حددت الساعة السادسة إلا ربعاً لزيارة الخديو
للإمبراطور ، فتعجبنا لأهمال التشریفات إلى هذا الحد ؛ فلو لم نسأل ما ذهب
الخديو ، وعد ذلك منه تقصيراً .

أما ما يختص بترتيب سموه فأخبرنا أن أمين السلطان وممدوح بك التشریفات
وواحداً من الحرية سيجتمعون في السراى للاتفاق على هذه المراسم ، فتقرر مقابلة
ممدوح بك ولفت نظره إلى ترتيب الخديو على المائدة ، ولفت نظر الصدر كذلك
ولمعرفة ما تقرر .

وقد ذهب عارف إلى سفارة العجم فقابل الخديو وأخبره بما عمله ، ثم عاد
فلبس كسوته العسكرية حسب أمر التشریفات ، وذهب مع توفيق بك إلى يلدیز في
الميعاد المحدد ، فوجد الصدر والوكلاء يلبسون « الردنجات » فقال له الخديو : « إني
لم أكن أعلم بالزيارة إلا بعد ان أرسلت للتشریفات مستفهما ؛ وهام أولاء قد
ألبسوني الكسوة العسكرية ، وأنتم جميعاً بالردنجات ، مع أنني كنت قبلها لابساً
مثلكم ! » فأجابه طلعت : « ولكنك عسكري »

وكان الترتيب : أن يتبدى ولى العهد بالزيارة ، ثم الخديو ، ثم النظار ، وبين
كل زيارة وأخرى ربع ساعة . فلما خرج ولى العهد نودى على الخديو فدخل .
ومكث مع الإمبراطور عشرين دقيقة ، ولولا أن الضابط نبه جلالته إلى فوات
الوقت لاستمر في محادثته

رأى الإمبراطور في الانجليز والأتراك : وقد انحنى الإمبراطور إنحاء شديداً
على الانجليز ، وانتقد الملك انتقاداً مرأ ، واعتبره عديم القيمة . قال : « وإني عالم بما
نالك أنت منهم » ثم أضاف : « وماذا تقول في صاحبك الذى ذهب مع همشير
(اسم الوابور الحرنى) - وأشار بأصبعه - في مقر البحار ؟ فذهب كتشنر حيث لا يرجع ،
ثم قال : — أى الإمبراطور — إنه محب للسلام ، وأنه من تاريخ زيارته الأولى عزم
على مساعدته ، والمسلمون عندهم القرآن ، وهو قانون عظيم جدا لو اتبعوا مافيه
لأفلحوا . ولكن بكل أسف أرى أنهم يهملون قواعده ، فكيف يترك الأتراك
أراضيهم بدون زرع ؟ أما أنت فانتى أعرف بأنك مزارع كبير واشتغلت كثيراً
بالفلاحة » فأجابه الخديو نعم « أنا فلاح » قال : « ويلزم أن يشكل الأتراك إدارة

طية ، فيقيموا العدل في المحاكم ، ويستغلوا أراضيهم ، وينظموا ماليتهم ، ويخلعوا عنهم رداء الكسل حتى تتوفر الثقة الأوروبية بهم .

قال الخديو : « ومن ذلك علمت أن زيارة الإمبراطور ليست زيارة ودية ، بل زيارة عمل ، وأساسها الكلام مع الاتراك في مسألة إلغاء الامتيازات ، فكأنه سيقول لهم : « إنكم تطلبون هذا الإلغاء ، ولكن ماذا فعلتم لاجتذاب ثقة أوروبا نحوكم ؟ » ثم يفهمهم أن المانيا ضمنتهم في مبالغ كثيرة فماذا صنعوا لتحسين ماليتهم حتى يمكنهم فيما بعد سداد الاقساط ؟ »

أما أنا فاعتقدت أن الغاية من هذه الزيارة هي التدخل في شؤون الدولة الداخلية بحجة الإصلاح ، وتعيين ألمانين في الادارات .

وقال الخديو : « إنه وجد الإمبراطور موفور الصحة ، ولا يظهر عليه التعب ولا القلق ، بخلاف إمبراطور النمسا الذي هو شاب لطيف الخلقة ، إلا أنه يظهر عليه الاجهاد »

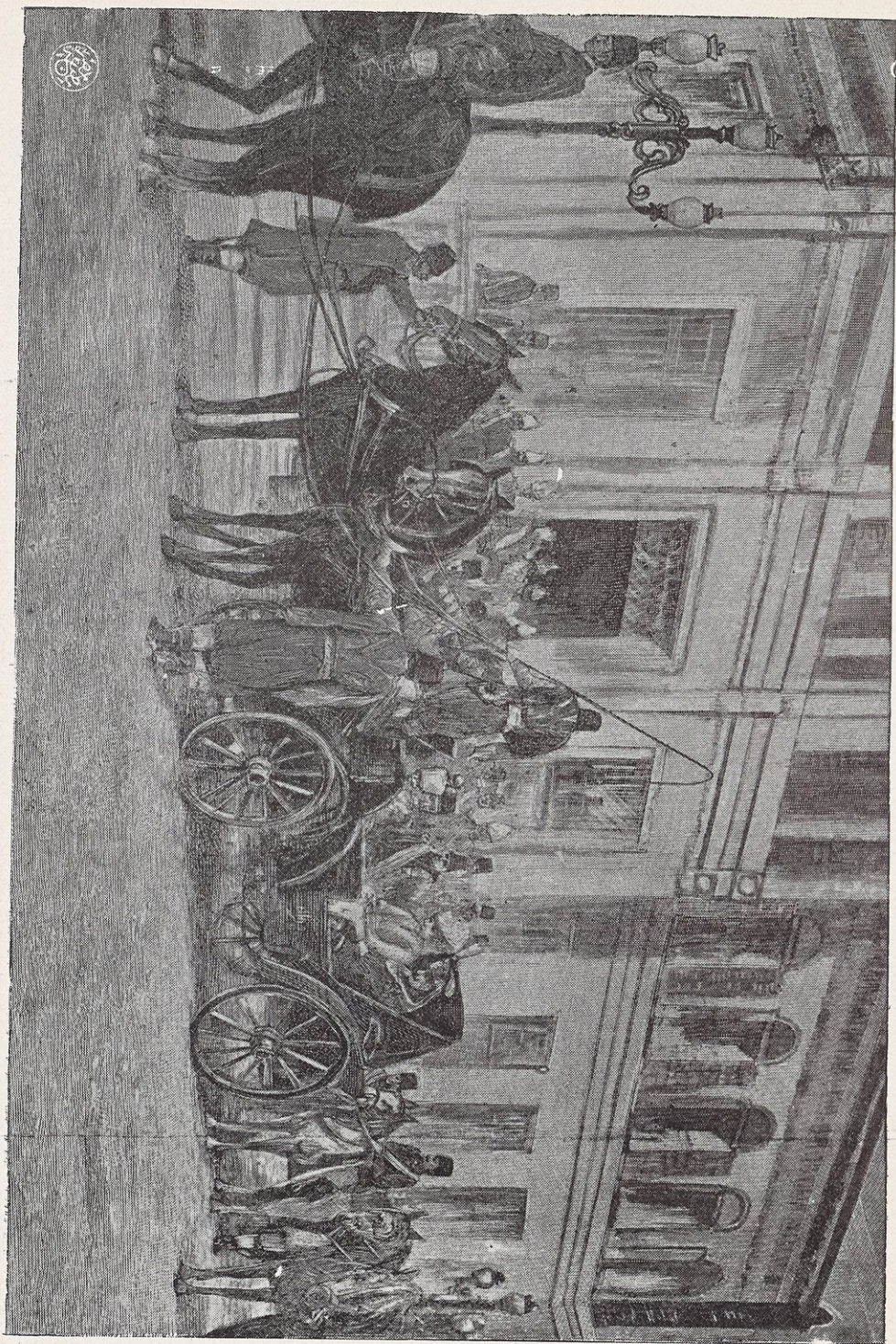
وقد سأل عارف عما اذا كان الإمبراطور قال شيئاً بخصوص الحرب ، أو انه قال على العموم : « إن النصر في جانبه » فأجاب سموه بأن الإمبراطور لم يفتاحه في مسألة مصر على الاطلاق . وذلك طبعاً لأن الاتراك أفهموه أنها مسألة داخلية ولكن الحقيقة أنها مسألة دولية .

ومن المحتمل أن سموه لمح لجلالته بأنه اعتماداً على ما أظهره طلعت باشا من حسن السياسة معه قبل الرجوع للاستانة ؛ ولكنه لم يصرح لنا تماماً بذلك بل لمح تليحاً خفيفاً .

قلت : « يا حيدالو دعا الإمبراطور افندينا لزيارته ، ورافقه في الجهات العسكرية فانه يتمكن من الكلام الطويل معه في مسائلنا » فقال : « نعم يكون حسناً »

وفي يوم ١٧ منه ذهب عارف ويكن إلى التشريفات للاستفهام عن مكان سمو الخديو في المأدبة الرسمية التي ستقام في السراي للإمبراطور . ولما حضرا علنا أن السلطان سيجلس في الصدر ، وعلى يمينه الإمبراطور ، وأمامهما ولي العهد ومجيد افندي وعلى يمين الإمبراطور حتى باشا سفير الدولة في برلين ، ومن بعده ناظر خارجية المانيا ، وبجانبه سمو الخديو . وفي المساء وردت دعوة رسمية لحضور المأدبة عباس يشكو من معاملة ناظر الخارجية الالمانية : وقد سافر الإمبراطور مساء

امپراطور المانیا خارجاً من سراي في البذر



يوم ١٨ منه وكان الخديو بين المودعين لجلائته على المحطة ، ولما عاد من وداعه وجده متعضاً من ناظر خارجية المانيا لأنه لم يتحادث معه فى شأن ما من الشؤون السياسية ، مع كثرة التقارير التى أرسلها له بواسطة موسيو پادل ، وموسيو لندمان (تاجر الاقطان بمصر) والبارون رشتوفن

ولكنه كان مسرورا من حفاوة الامبراطور به لأنه عند الانصراف من المائدة تحادث معه فى أنه مضى وقت طويل ولم يتقابلا ، وختم كلامه معه بقوله : « ولا تطول مدة البعاد كما سبق »

ولكن هذه الحالة من ناظر الخارجية الالمانية جعلت الخديو يتخوف من أن يكون هناك اتفاق بين الاتراك والالمان على هضم الامتيازات المصرية بعد الحرب مرتبات المصريين : كان من ضمن الاتفاقات بيننا وبين الصدر وأنور قبل عودة الخديو أن تصرف الدولة مرتبات المصريين الذين يرافقون الخديو ، وقد كلفنى وضع ميزانية بهذه المرتبات ، وكذلك وضعنا ميزانية للمخصصات الخديوية ولجوبقى والمحروسة .

وفى يوم ٢١ اكتوبر قابلت أنور باشا ، وطلبت منه أن يأمر بارسال جميع المخصصات والمرتبات إلى البنك الذى يختاره ، ليمتولى الديوان الخديوى توزيعها بمعرفة وسألته عن الاجراءات الواجب اتباعها ، وهل ترسل الكشوف للصدارة أو للحرية مباشرة ؟

فقال : « أما المخصصات فأمرها معلوم ، والمرتبات التى كانت تصرف من قبل سيدى صر فيها . وأما مرتبات من حضر مع الجناب الخديوى فترسل ونحن نأمر بصرف الجميع » فشكرته وخرجت .

وقد أمر الخديو أن أعطى أنا وظيفة ناظر الديوان الخديوى ، وعارف رئيس الديوان التركى ، ويكن باشار رئيس التشريفات (١) وقرر مرتبا لكل منا قدره ١٧٥ جنيتها تركيا ، وكان قد عزم على جعله ١٤٢ جنيتها فقط ؛ فأبنت له أن هذا المبلغ لا يكفى وأنه يحسن أن يكون ١٥٠ جنيتها فرفعه هو إلى ١٧٥ جنيتها وسوانى بالرئيسين الآخرين وقد بلغت الزيادة فى المرتبات الجديدة ٢٣٥ جنيتها تركيا ؛ لأن مرتباتنا نحن وأن كانت قد قطعت عند وجودنا بالسويسرة إلا أنها كانت محسوبة ضمن المرتبات القديمة . وقد رفعت لسمو الخديو التبت الاتى :

(١) وكان قد عاد للاتصال بالخديو بعد ماعليه القارى سنة ١٩١٦

الديوان الخديوى مقارنة بين المبالغ التى تقررت الآن والمبالغ التى كانت تصرف

الآن	قرش	جنيه	الآن	قرش	جنيه	قبلا
أحمد شفيق	٠٠	١٧٥	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
عارف باشا	٠٠	١٧٥	٠٠	٤٥	١٤٢	٠٠
يكن باشا	٠٠	١٧٥	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
رمزى باشا	٠٠	١٧٥	٠٠	٤٥	١٤٢	٠٠
ابراهيم أدهم بك	٧٦	٥٨	٧٦	٥٨	٠٠	٠٠
توفيق بك	١٩	٥١	١٩	٥١	٠٠	٠٠
الحاج محمد افندى	١٠	١٦	١٠	١٦	٠٠	٠٠
احمد فريد بك	٠٠	٦٥	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
منصور افندى القاضى	٠٠	٤٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
مأمون نجيب	٠٠	٢٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
ميشيل دهان	٠٠	٢٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
نور الدين افندى	٠٠	٤٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
احسان افندى	٠٠	٠٠	٠٠	٧٨	٢٢	٠٠
المجموع	٠٥	٦١١	٠٥	٧٣	٢٣٣	٠٥
ما كان يصرف قبلا	٧٣	٢٣٣	٧٣	٢٣٣	٢٣٣	٧٣
الزيادة	٣٢	٣٧٧	٣٢	٣٧٧	٣٧٧	٣٢
تنزيل نقص فى القبول كمتخدا ئية	٥٠	١٤١	٥٠	١٤١	١٤١	٥٠
الزيادة الحقيقية	٨٢	٢٣٥	٨٢	٢٣٥	٢٣٥	٨٢
القبول كمتخدا ئية	الآن	قبلا	الآن	قبلا	قبلا	الآن
جلال الدين باشا	٠٠	١٥٠	٠٠	١٥٠	١٥٠	٠٠
عبد العزيز افندى	٠٠	٢٠	٠٠	٢٠	٢٠	٠٠
عبد السلام افندى	٢٠	٦١	٢٠	٦١	٦١	٢٠
وصفى افندى	١٤	١٤	١٤	١٤	١٤	١٤
عمر عادل افندى	١٥	٠٠	١٥	٠٠	٠٠	١٥
	٤٩	١٩٠ ١	٤٩	١٩٠ ١	١٩٠ ١	٤٩

فى الشهر

قرش جنيه

١٩٠ ٥٠

٤٩ ٠٠

١٤١ ٥٠

مجموع ما كان يصرف

الذى سيصرف الآن

التقص

وذكرت في نهايته ملاحظة وهى « إن استصوب أفندينا يقال في الجواب : إن هذا الثبت يحتوى أسماء المأمورين في الديوان الخديوى وفي القبوكتخدائية (الان) حتى يكون الباب مفتوحا لتعيين طبيب أو خلافه، وقد أضيف فيما بعد اسم الدكتور امستر السكرتير بمرتب ٧٥ جنهياً

إهداء نياشين من الخديو : رغب الخديو في أن يستخدم حقه في إعطاء النياشين إظهاراً لسلطته بين المصريين ولدى الأتراك كذلك بعد أن عاد إلى الاستانة متعاً بجميع حقوقه ؛ وقد طلب منى أن أكتب إلى الصدارة بطلب بعض النياشين طبقاً للامتيازات الخديوية ، فلاحظ عارف باشا أنه ربما اعترضت الحكومة على ذلك ، وطلبت معرفة أسماء من سيتمنحون هذه النياشات ، فأجاب : هذه ليست للأجانب بل نقول : إننا سنوزعها على رجال المعية . وحرر الطلب فعلاً ومعه ثبت بعدد النياشين من كل نوع .

وقد ورد الرد بالموافقة ومعه النياشين فوزعها سموه كالآتى

- | | | |
|---------------------------------|---|-----------------|
| البرنس عبد المنعم | : | المجيدى الأول |
| عارف باشا رئيس الديوان التركى | : | العثمانى الثانى |
| رمزى باشا طاهر السرياور | : | المجيدى الثانى |
| عبد الحميد بك شديد | : | » » |
| ابراهيم بك أدهم ميرالاي | : | العثمانى الثالث |
| توفيق فهمى بك قائم مقام | : | المجيدى » |
| احمد نور الدين افندى معاون | : | العثمانى » |
| حسين وصفي كاتب بالقبوكتخدائية | : | المجيدى الرابع |
| الحاج محمد افندى ضابط أركان حرب | : | العثمانى » |
| منصور افندى القاضى | : | المجيدى » |
| الدكتور سيد كامل | : | » » |
| إسلام قبودان | : | المجيدى الخامس |

كيف تلقى الخبر وفاة السلطان حسين ونولية السلطان فؤاد: في يوم ١٢ أكتوبر وردت لنا الأخبار ب وفاة السلطان حسين كامل ، وتعيين السلطان فؤاد ، فقال الخديو : « أنا مسرور بما حدث . أولاً لأن أولادى يعرفون الآن أن إنجلترا لا تعاضدهم ولا تفكر فيهم ، وثانياً لأن البرنس فؤاد غير محبوب من المصريين لأنهم يعلمون ميله للأيطاليين » ثم استطرد في أحاديث من هذا القبيل .

وقد وردت من شديد برقية بأن الذى خلف السلطان حسيناً هو نجله البرنس كمال الدين . وذلك أنه عرض عليه العرش فرفضه ، ولهذا عين البرنس فؤاد .

بنى ربيع عباس : كان اسماعيل حقي باشا « مدير اللوازم » في نظارة الحرية قد وعد بشراء احراج (الجفلك) الجديد الذى يملكه الخديو بمقدار مائتى ألف جنيه ، فسر بهذه الصفقة ، ولكن المدير عاد فرأى أن الحرج لا يساوى هذا المبلغ وعرض مائة ألف فقط ، فغضب الخديو لذلك . وفى أثناء مناقشات فى الموضوع يوم ٢٢ أكتوبر أبدت رأي بأنه إذا حصلنا على مبلغ ١٥٠ ألف جنيه فانتنا نقبل خصوصاً وأن اسماعيل حقي صرح بأن هذه الاحراج ستباع للفقراء بالاستئانة بأثمان رخيصة ؛ واقترح أن ينوه بأن ذلك بناء على رغبة الخديو لينال من الشعب الرضاء والدعاء ؛ وعندئذ ثار الخديو وفاه بكلام عدده جارحاً لى لأن نحوه أننا نفرط فى ماله ، ولكن ما يخصنا نحن نتشدد فيه . وقد تألمت لهذا الكلام لأنه دليل على أنه يعتقد أننا نخدمه لأجل النقود وليس لاخلاصنا له ؛ وفهمت أنه سيستمر على جرح إحساسى كما كان فى سويسرة ، وأنا مراراً كنت أنوى الانفصال عنه ، ولكنى كنت بعد التدبر أعود فأقول : « إنه معذور لما هو فيه من الضيق المالى » فأصبر على قوله فى بعض الاوقات : « كل ساعة يلزمننا طيسخ يلزمننا فلوس ، أنا أصرف عليهم بدون ثمرة ! لماذا أعطيهم نقوداً هل أنا مجبر على ذلك ؟ » وهكذا من الكلام المؤلم للنفوس .

ولكن بعد رجوعه إلى الاستانة وبعد أن صارت معيشته مضمونة ، والحكومة العثمانية هى التى تصرف مرتبات حاشيته فلا يصح أن يجرح إحساس الصغير قبل الكبير . فبعد أن ترددت دقيقة فيما أفعله دفعنى إحساسى إلى القيام من حضرته بدون استئذان ، وبحالة غضب أمام ماهر افندى المحامى و ابراهيم بك أدهم ، ونزلت إلى غرفى ، فأخذت القلم وأصابعى ترتجف ، وكتبت ورقة طلبت فيها منه إقالتى

ورجوته أن يقبلها وما دونه فيها « إننى ما أبديت رأى فى مسألة الحرج إلا حفظاً لشرف سموه ومنفعته الشخصية، وما كنت أتوقع أن يعنفنى أمام رجل غريب، لهذا أرفع استقالتى وأرجو قبولها » ودعوت له فى ختامها بالتوفيق فى جميع أعماله .

ولم أذهب لتناول الطعام فى الغداء بحجة الصداع ، ولا لتشجيعه للزورق البخارى عند مبارحته لبيك ، وقد حضر لمقابلتى مظهر بك فكنت أكله بصعوبة حتى كان ينقطع الكلام مدة ، فى خلالها أفكر فيما حصل ، فيشقى على الأمر ، وأقول بنفسى : « ماهذه المعاملة بعد أن خدمته الخدمة الصادقة ، فهلا يحترم سنى ، وهلا يقدر إخلاصى ؟ »

أما عريضة الاستقالة فبعد أن كتبها سلمتها للحاج محمد افندى أحد الضباط لتوصيلها إلى ابراهيم بك أدهم ، وكتبت له كلمة أقول فيها : « إنه بالنظر للأهانة التى رأيتها أمامه من أفندينا فأنى رفعت استقالتى فى العريضة التى أرسلها مع الحاج محمد افندى » ورجوته أن يقدمها .

وقد أدرك يكن باشا كدرى، فألح على أن أعرفه بما جرى، فأخبرته بأنى سمعت ما أكره من أفندينا لأجل إبداء رأى فى مبيع الحرج، ولم أعلمه بالتفصيلات ولا بالاستقالة .

وبوم ٢٣ قابلت يكن باشا مساء وكان قد حضر إلى بيك من جبوقلى بناء على استدعاء الخديو له، فأخبرنى أنه رافقه فى زيارة القصر ومحلات الكهرباء والمطبخ وغير ذلك ؛ وفى أثناءها كلمه فى مسألتى، وادعى أنى أردت أن أوثر عليه فى زيادة المراتب ، قال يكن : « ولكنى قلت له : إن الباشا لعله بأحوال المعيشة رغب فى عرضها على الاعتبار، ولا أظن أنه أراد إجبار أفندينا على شيء » فقال : « إنما لما سألنى شفيق عن مرتبه ، وأجبت به بأنه مثل باقى الرؤساء لم يقل شيئاً فوضع الرقم أمام اسمه بدون ملاحظة منه » وتكلم كثيراً حول نقطة واحدة أنه لا يقبل أن يؤثر عليه شخص ما؛ ثم قال : « وأنا بقولى لشفيق : إننى فى الوقت الحاضر لا يمكننى أن أفرط فى مبلغ ٥٠ ألف جنيه من ثمن الحرج، وقولى : هل تتنازلون أنتم عن جزء من مرتباتكم؟ لا أقصد إهانة ، بل أريد أن أقول : إن الوقت لا يسمح بذلك »

قال « يكن : وعرفنى سموه برفع استقالتك ولكن يا باشا كيف تتركنا ؟ » قلت له : « إن الخديو تعود أن يقول عنا : أننا اشخاص لا يهمننا إلا الطعام والنقود، وكنت

أسمع ذلك في سويسرة وأنكدر منه كثيراً ، وهممت أن أرفع استقالتي جملة مرات ، إنما كنت أرجع لأنني أقول في نفسي : إنه في ضيق وفي بلاد أجنبية وخالي اليد وأعصابه متهيجة سواء من خلويده أو من الأحوال السياسية ، ولكن الآن رجعت إلى مركزه واطمأن على معيشته وعلى منصبه الرسمي ، فلا يصح أن يكرر ما كان يقوله . ولا يليق به أن يليق الكلام بدون حساب . وسموه مخطيء إذا كان يظن أننا نخدمه لأجل المال ، فهو تحت أقدامى ، ولو كنت ممن يعبدون المال لكانت ثروتي كبيرة ، ولكني مخلص ومحاط بمخلصين ، فأنت الذى تنفق على عائلتك في الشهر ثلثمائة جنيه أظنك ما جئت طامعاً في المرتب الذى قرره لك ، ولهذا لا أطيق الآن وهو في مركزه القوى أن أيسر إحساساتنا بكلام جارح ، وإذا كنت أضحي بمركزي صوناً لشعوري فأنتى في الوقت نفسه أدافع عن أشخاصكم أتم ، وإننى بصفتي رئيساً يجب على أن أفعل ذلك ، وإلا فلوتركت هذه الفرصة دون أن أعرف الحديو بأننا لسنا عبيداً بل أناساً يحافظون على كرامتهم ، فماذا كنتم تفعلون أنتم ؟ فالذى فعلته هو درس لسموه ليعاملنا المعاملة الطيبة ، ويترك عادة التفرير والتكدير بدون حق وخصوصاً أمام أشخاص ليسوا منا « فلما سمع منى يكن باشا كل ذلك قال : « يا باشا لك كل الحق » ثم رجاني أن لا أروى عنه شيئاً بخصوص هذه المسألة ، لأنه لم يكلف من قبل الحديو بأمر ما ، وإنما رغب فقط أن يعلمنى سراً بما حصل من الحديث .

وفي ٢٤ منه جاءنى رمزى طاهر باشا وعارف باشا وقالوا : « إن أفندينا أخبرهما باستقالتي » وطلبا منى أن أستردها لأنه يقول إن مبدأه ألا يرفض استقالة من يطلبها . فلهذا حضرا للرجاء بأن أكلفهما استرداد الاستقالة من الجناح العالى فأجبتهم بأن هذا لا يكون ، لأننى أكون قد اعترفت بخطأ منى ، مع أننى أنا المجروح وأنا المهان .

فقال رمزى طاهر : « إن الكلام الذى حصل من أفندينا ليس فيه ما يدعو لتشبك » فقلت وأنا غاضب بما سمعته : « إذا كنت يا باشا لا تعتبر هذا الكلام جارحاً فلا يليق أن تكون رئيساً ، وأنا كنت أقبل هذا الكلام لو كان قد حصل بينى وبينه أو بوجود أحد أقرانى ، ولكن أمام أجنبي لا أقبله » فرد على قائلاً : « إن أفندينا لا يعتبر ما هو أفندي أجنبياً . قلت : « ولكن أنا لا اعتبره كعارف باشا ورمزى باشا » فقالوا : « إنه

لا يلبق أن ترك سموه وهو خارج بلاده ولو كنا في بلدنا لتغير الموقف» فأجبتها بأني ما كنت أفعل ذلك لو كان سموه في سويسرة ؛ ولكن الآن وهو في بر السلامة محاط بعائلته وحاشيته ، ومقيم في بيته ، ومعتز بتجديده من الحكومة العثمانية ومطمئن على معيشته ، لا مانع من استقالي من خدمته .

قال عارف : « وما الذي يقوله الناس ورجال الحكومة ؟ » أجبت : انني اتفق مع أفندينا على أن تكون استقالي مبنية على أنني ذاهب إلى السويسرة قياماً بواجبي الوطني للمدافعة عن حقوق مصر . قال : « ولكن سموه لا يكتف الحقيقة » . قلت : « هو حينئذ وشأنه . وإنني لا أريد أن أسمع من أفندينا أنني أعبد الدرهم ، ولو كنت كذلك لأحرزت ثروة كبيرة مدة وجودي في المناصب العالية ، أو لعملت على تنفيذ الوعود التي كانت تعطى لي بتولي إحدى النظارات قبل الحرب ولاخذ أموال طائلة ؛ فليتهم أفندينا أننا نحن قبلنا العمل لا لأخذ المرتبات بل لأخلاصنا له وللسير معه على مبادئنا »

ولما كثر الإلحاح وقال عارف باشا : « إن الظاهر على وجه أفندينا الأسف » قلت : « حينئذ أرفع لأعتابه بأني علمت بأسفه ، ولهذا أسترجع استقالي » قال : « إنه لا يقصد ذلك » قلت : « حينئذ أكتب العريضة بأني علمت أن أفندينا ما كان يقصد اهانتني » قال : « هو لم يكلفنا أن نقول ذلك » قلت : « وأنا لا يمكنني أن أكلفكم رد استقالي بدون سبب »

وقد قال عارف باشا : « إن أفندينا تأثر من استقالتك وهذا يكفي » يعني ان الذي حصل يكفي ليعلم مقدار كدرى (أى أنه لا يفعل ذلك مرة أخرى)

وفي هذا اليوم حضر يكن باشا وقال : « إن أفندينا قال له : إن عارف باشا ورمزى طاهر باشا لم يتمكننا من اقناعي فاذهب أنت لاقتناعه »

فقال : « أنا وشفيق نعرف كيف نتفاهم » ولهذا حضر الى فرويت له ما حصل من المناقشة بيني وبين الرئيسين واخذت عليهما أنهما لم ينتهزا فرصة فتحي لهما الباب لولوجه وانتهاء المسألة فأنتى لكوني علمت منك ان أفندينا قال لك : إنه لا يقصد اهانتني ، اردت أن يقولالى ذلك حين استفهمت منهما عما إذا كان سموه يقصد تعنيفي ؟ فلم يفهما غرضي ولم يجاوباني ، ولو اجابا لانتهد المسألة .

قال يكن : « امس قلت : انني سمعت هذا الكلام من أفندينا ولكني ما كنت

مكلفاً أن أبلغه ؛ أما الآن ففي وسعي أن أكرر لك في ذلك ، قلت : « حينئذ أكتب لأفندينا أقول أنني سمعت منك ذلك ولهذا أسترده استقالاتي » قال : وهو كذلك ، ووعده بارسال الجواب غداً ، وقد أعلمتني هذه الحادثة مكانتي عند جميع من بالسرأي حيث حضروا من أغوات وموظفين للسؤال عني ظناً منهم أنني مريض حتى أن الوالدة أرسلت فسألت عني كذلك ؛ ولم أخبر أحداً بالواقع إلا الماس آغا في المساء فلما علم بالتفصيلات وافقني على ما فعلت وقال : « إلى متى هذه المعاملة السيئة ؟ »

وفي ٢٥ منه حررت العريضة الآتية وأرسلتها مع عارف باشا :
« سيدى ومولاي :

جاءني حضرات الرؤساء أمس فعلمت من صاحب السعادة يكن باشا أن الجنب العالي ما كان يقصد تعنيفي ولا تكديري ، مما استوجب رفع استقالاتي ، فاطمأن قلبي وهدأ روعي — ولهذا أستردها راجياً أن يتحقق مولاي بأن إخلاصى لعرشه ولذاته الكريمة لا يقدر بمال والله المسؤول أن يوفقنى لخدمة جنابه الفخيم وإرضائه . »

وقد أفهمنى عارف باشا أن مسألتى انتهت فقلت : نعم ، وكان يمكنكم أن تنوها أمس ، فأننى فتحت لكم باباً لكنكم ما ولجتموه عند ما سألتكم عما إذا كان الخديو أراد من كلامه إهانتى أولاً ؟ فلو كنتم أجبتونى بالنفى لانتهى الأمر ؛ ولما علمت من يكن باشا أن الواقع هو هذا قبلت سحب استقالاتى .

وقد عرفت اليوم من ابراهيم بك أدهم أن رمزى طاهر باشا قال له أمس : انه لم يرنى منفعلاً بهذه الدرجة مطلقاً ، فأخبرته بما سبق أن قلته له : بأنه لا يصلح للرئاسة إذا كان لا يفهم إن كلام الخديو كان جارحاً أولاً .

وقال البك أيضاً أنه لما تسلم عريضتى المحتوية على رفع الاستقالة لم يقدمها فى اليوم نفسه ، وبعد أن تردد فى عرضها - ولعله بالالاهانة التى حصلت أمامه - قال فى نفسه : « إن الواجب عليه تقديمها حتى يتجنب أفندينا كسر الخواطر » فعرضها عليه فى الساعة العاشرة مساءً فسأله عن وقت تسلمه لها وعلم أنه كان آخرها عنده فلم يفتحها فى شيء ؛ انما يظهر انه قال شيئاً عن ذلك لرمزى طاهر باشا فقال الباشا لابراهيم بك : « اذهب عند شفيق وهدئه ، ولكن أدهم بك تتحى

عن التدخل ، فلما قرأ عريضة سحب الاستقالة قبل إرسالها مع عارف باشا أعجب بها خصوصاً قولي : « إن إخلاصى لا يقدر بمال » .

وفى يوم ٢٦ منه قابلت عباساً عند حضوري الى بيك فقال : « أهلاً يا شفيق باشا » وطلع الى السلامك ، وبعد أن حضر الرؤساء تكلم معهم فى الكتابة التى أرفقتها باسترداد استقالتى ؛ ثم حضر الى يكن باشا وكان فى الغرفة عارف باشا وحاول أن يظهر لى أن ماقاله لى أول أمس ليس هو أن الخديو لم يقصد تكديري بل ان الكلام الذى أسمعنيه ليس فيه شىء من التكدير ولا التعنيف ، فقلت : ان الذى سمعته أن سموه ما كان يقصد تكديري ، فقال عارف : « ان هذا معناه إذن أن أفندينا يقول : إنه آسف لما حصل » قلت : لا ، ولا أفصد أن يقول لى سموه إنه آسف ، قال يكن : فأفندينا يقول يجب تغيير هذه العبارة وهى « لا يقصد » حيث تدل على الأسف ، فتقول أن ليس فى كلامه شىء من التكدير ، قلت : حينئذ اعترف بأن غضبى لم يكن فى محله واننى غير محق فيه . قال يكن : إن الغرض ايجاد كلمة غير (لا يقصد) قلت : فليأمر أفندينا بالكلمة التى يريدونها ففهمت أن يكن باشا رأى مؤاخذه من الخديو عما قاله لى أول أمس وأراد أن يتدحى عنه .

ولما طلبنا للمائدة صعدت مع الاخوان فقال : « تفضلوا . تعال يا شفيق باشا » وفى أثناء الطعام وجه لى الكلام فى مسائل عاديه فزال ما كان بيننا من سوء التفاهم ولم يطلب منى تغيير جوابى .

وفى يوم ٢٨ منه جاءنى ماهر افندى فأخبرته بما حصل من استقالتى وأسبابها وطلبت أن لا ييوح بشىء من ذلك لأحد ، وفهمت منه انه لم يحس بامتعاضى ولم يفهم ما حصل من الكلام باللغة العربية .

واليوم علمت من يكن باشا أن عباساً سأله عن الكلام الذى دار بيننا لما أمره بمحادثتى فأجابه بأنه قال لى : « إن الجناب العالى ما كان يقصد تعنيفى » فقال سموه : ولكن من هذه الكلمة (لا يقصد) يستدل القارئ أننى أبديت أسفى لما قلته ، فرد الباشا بأن شفيق باشا يقول : انه لا يريد أن يمس كرامة سموكم واذا رغبت فى ابدال كلمة (لا يقصد) فما على سموه إلا أن يختار ما يريد ، فقال عارف باشا : بل إن شفيقاً مصر عليها ، فرد عليه يكن بالنفى ، وعندئذ قال الخديو : « لندع هذه المسألة الآن » ولذلك لم يفاتحنى عند مقابلته كما سبق

بين الخديو وولى عمره : فى يوم ٣٠ ديسمير سنة ١٩١٧ أرسل عباس فى طلبى وكذلك أرسل لعارف باشا ، ولما اجتمعنا عنده فى الآستانة أخبرنا أنه وردت له بالأمس من نجله ولى العهد رسالة باللغة الفرنسية تتضمن أنه طلب منذ شهر يوليو الماضى من سفارة إنجلترا فى برن أن تتصل بالدائرة الخاصة فى مصر وتطلب منها إرسال مبلغ شهرى له من الأموال التى يستحقها هو شخصياً وقد ورد له الآن ما طلبه . ولهذا فانه يرجو والده فى أن يأمر شديد بك الذى كان قد عين من قبل الخديو للبقاء معه فى فريبورج بصفته ناظر الخاصة الخديوية بالألا ينفق عليه مع إبقائه فى خدمته . وإبقاء شقيقه كذلك ، إذا لم ير سموه مانعاً وأنه لا يزال الابن الخاضع المطيع . ثم أبدى أسفه على أن الحالة اقتضت فعل ما فعله .

وعرض علينا رسالة أخرى من شديد تفيد ما تقدم وقد كان سموه متألماً من أن شديداً لم يخبره بهذه الاجراءات التى اتخذها نجله فى حينها .

وقد أرسل سموه بعد المداولة معنا رسالة الى الصدر يخبره فيها بالموضوع اتباعاً لسياسة التفاهم التى انتهينا إليها أخيراً .

سنة ١٩١٨

اجتماع هام بعيد الجلوس الخريوى - معلومات وأسرار عن الحالة في طرابلس
بين الخريوى ورجال الحزب الوطنى - محاكمة بولو واعدامه - رحلة السويسرة كلرها
متاعب وآلام - سنوّه مختلفة :

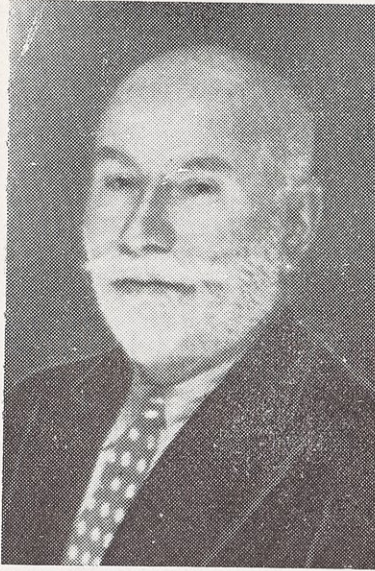
اجتماع هام بعيد الجلوس الخريوى : عز منها بعد موافقة الخديو - على الاحتفال
بعيد جلوسه بالاستانة ، للفت الأنظار إليه ، وإظهار شخصيته في العاصمة التركية ،
وقد كان يرغب في هذا الاحتفال ولكن خشية من فشله لم يرد أن يتدخل فيه بشكل
ظاهر ، فأعطانى في أول يوم من يناير مبلغ مائة جنيه بصفة سرية ، للانفاق منها
على هذا الاحتفال ، وتقرر أن يقام في فندق بيرالاس .

وفى ٣ منه حضر البرنس ابراهيم حلمى ومحمد عزت باشا ، وقابلا سموه . وقالوا
له : « إن حالة الجيش التركى في فلسطين سيئة جدا » - وكان قصدهما من ذلك أن
نعدل عن الاحتفال الذى لم يكونا موافقين عليه - وبعد خروجهما أبدى لى الخديو
عدم استراحته لرأيهما ، فقلت له : « إن صغار المصريين هنا يبدون شعوراً وحاسة
أكثر من كبارهم » فقال : « نعم وكلما نزلت إلى الطبقة الدنيا تجد الأحساس
أعظم » ...

وقضيت من يوم ٤ منه إلى يوم ٧ فى إعداد الخطب التى ستلقى فى الاحتفال ،
ووضع البرنامج ، وأسماء المدعوين من مصريين وأتراك وفرنس وأفغان وهنود
وسوريين وغيرهم ، مع أعضاء اللجنة وكان سكرتيرها فريد افندى صدق ، وقد
استعد لالقاء خطب عبد الحميد افندى رفعت ومنصور افندى القاضى ومأمون أفندى
نجيب الذى حضر معنا من السويسرة .. وغيرهم .

وقد أرسلت أوراق الدعوة موقعة باسم السكرتير .

موقف جمال باشا من الاحتفال : وفي يوم ٧ أرسل مدير البوليس إليه لمقابلته وفهمنا أن هناك نية لعرقلة الاحتفال ، وتكدر الخديو لذلك . ولما قابله سأله هل



فريد أفندى صدق

الخديو سيحضر الاحتفال حتى يقوم البوليس بعمل الترتيبات اللازمة ؟ ، ولما علم منه بعدم ذهاب سموه أرسل الخبر تليفونياً إلى نظارة الداخلية ، فجاءه الرد بأرسال فريد أفندى لمقابلة جمال باشا ناظر الداخلية بالنيابة عن طلعت باشا الذى كان متغيباً ، ولما مثل بين يديه ، انتقد أولاً : وضع السلام الخديوى فى البرنامج مادام سموه لن يحضر فى الحفلة ، وأمره ألا يعزف إلا السلام الشاهانى ، والناس قيام ثانيا : توقيع على بطاقة الدعوة باسمه ، مع أنه غير أهل لدعوة الصدر ، وشيخ الإسلام والوكلاء والسفراء . ثالثاً : أنه اكتفى

بمخاطبة البوليس مع أن الواجب أن يطلب مندوباً عن الداخلية ، للاشتراك مع لجنة الاحتفال فى وضع البرنامج . رابعاً : لاحظ على كلمة (الجلوس على الأريكة الخديوية) التى وردت فى الدعوة قائلاً : « إن هناك تعييناً وليس جلوساً »

وكذلك انتقد الهاتف « أفندمز » بالنسبة للخديو قائلاً : « هذه كلمة لا تنقل إلا للسلطان ، فليس لدينا غيره نقول له : « أفندمز » فرد عليه فريد بلطف قائلاً : « إننا نحن المصريين لانستعمل كلمة « خديو » بل نقول « أفندينا » وها هو ذا المستشار (وأشار إلى مستشار الداخلية) يقول لدولتكم أفندمز « فهل أتم فى منزلة السلطان ؟ »

وأخيراً سأله فريد عما إذا كان هناك ما يدعو لعدم الاحتفال ، أو يأذن له بالذهاب ، لأن الوقت قد حان لحضور المدعوين ! فأجابه جمال باشا : « كنت تستحق المحاكمة على المخالفات التى ارتكبتها ، ولكن لأنى شاهدت فيك الذكاء والصراحة أكتفى بتأنيبك ، ثم التفت إلى المستشار وقال : « إذا سمع الآن الخديو

بملاحظاتى هذه فإنه سيقول : « إننى أناوئه » فأجابه فريد بأنه يستحق التأنيب الذى سمعه وأكثر منه لاعتماده على البوليس فقط ، وعدم اخبار الداخلية . ثم رخص له جمال باشا بالخروج ، وإقامة الاحتفال . وبعد خروجه عاد إليه فأخبره أن صورة الخديو ستوضع في صدر الاحتفال بين عليين أحدهما تركى والآخر مصرى . فقال له جمال باشا : « لا يوجد علم مصرى ، فضع علماً تركياً مكانه ومزقه » ! ولما علم الخديو بما دار بين جمال باشا وفريد افندى لم يتأثر ، بل أعطى لجمال الحق في انتقاداته ، ولا سيما في مسألة العلم ومسألة السلام الخديوى

إنابة الخديو لى في حضور الحفلة : وقد أنابنى عنه في حضور الاحتفال فذهبت ومعى عارف باشا ، واحمد بك فريد ، وقد كان الأول متردداً في الذهاب . ولا سيما عندما أرسل البوليس لفريد افندى ولم يكن قد عاد بعد ، وحضر من المدعوين أكثر من مائة . ولما وصلنا قابلتنا اللجنة الاحتفال ، وأجلستنا في المكان المعد لنا .

اعتذار البرنس ابراهيم حلى عن رياستها : تولى يوسف ضيا باشا الرئاسة بعد أن اعتذر عنها البرنس ابراهيم حلى ، وجلس الأعضاء عن يمينه ويساره ؛ وافتتحت بالسلام الشاهانى ، ونجن ووقوف ، وصعد على المسرح رجل يسمى سليمان مع خمسة أشخاص وأنشد السلام الخديوى بصوت جميل ، فاستعيد مرات ؛ ثم رحب الرئيس بالمدعوين وشكرهم على اجابة الدعوة . وألقيت الخطب والقصائد بين التصفيق الحاد ، وقد اقترح فريد أفندى تذكاراً لهذا اليوم أن يقام احتفال خيرى يصرف دخله لأبناء الشهداء في الحرب .

كلمتى بالنيابة عن الخديو : وبعد ذلك وقفت وقلت : « باسم الجنب الخديوى أشكر حضرات أعضاء اللجنة التى أقامت الاحتفال لمناسبة ارتقاء سموه الأريكة المصرية ، وأشكر الخطباء والشعراء على احساساتهم الشريفة نحوه ، وإننى سأرفع اقتراح اللجنة باقامة احتفال خيرى إلى جنابه العالى ؛ ولا أشك في أن سموه يقبل بكل سرور جعل الاحتفال تحت رعايته ؛ وندعو الله عز وجل أن يحفظ لنا دولتنا العلية ، وينصر جيوشها على أعدائها ، وأن يوفقها لاسترداد حقوقها وحقوقنا فنحن بعضنا بعضا ، ونرجع للأوطان ، ونتمتع بمشاهدة الأهل والايوان وما ذلك على الله بعزيز . »

انشاد السلام الخديوى . وبعد انتهاء كلمتى أنشد السلام الشاهانى ختاماً للحفلة ، ولكن الكثيرين طلبوا انشاد السلام الخديوى من سليمان وجماعته ، فصعد على المسرح ، وأنشده بين التصفيق الشديد .

كثرة المهنتين للخديو : ولقد غصت سراى بك بالمهنتين ، فجاء البرنسان ابراهيم حلى وعلى فاضل وعزت باشا ، وأرسلت البرنيس فاطمة هانم ووالدة البرنس عمر طوسون مندوبين للتهنئة ، ونور أفندى قاضى مصر ، ورفعت باشا سفير الدولة فى باريس سابقا ، واحمد بك صادق ، وحمد الله باشا ، من كبار الموظفين سابقا فى المحاكم المصرية وعدد من البندنيين والمكيين ، وجموع كبيرة من المصريين فى قطارين خاصين من قطارات الترام ، ومن بينهم أعضاء لجنة الاحتفال ؛ فقابل سموه جميع من حضروا إلا صلاح الدين مظهر وشقيقه حسن مظهر ، وهما اخوان لمظهر الذى تعدى على الخديو فى سنة ١٩١٤ ، فبكيا ، وقالوا إنهم بريئان مما حصل من أخيهما ، فوعد سموه بمقابلتها بعد أيام (١)

وكذلك حضر مقبل يكن مندوباً عن ناظر الحرية للتهنئة والاعتذار عن عدم إمكان الحضور بنفسه نظراً لكثرة أعماله ، فسر سموه بهذه العناية ؛ وجاء كذلك



عبد المجيد أفندى

« نظام السلطنة » السفير العجمى فوق العادة مع سفير العجم الاصلى ، وأرسل سفير ألمانيا تهنئة بصفقة الشخصية عنه وعن قرينته وكذلك الدكتور « پروفير » رئيس قلم الاستخبارات الألمانية فى الآستانة

ووردت عدة برقيات من الآستانة وسويسرة والنمسا ، بينها تهنئة من الجمعية الخيرية الاسلامية التركية بالآستانة وبرقية من الطلبة بجنيف . ومن البرقيات اللطيفة التى سر بها الخديو برقية من ولى عهد السلطنة الثانى عبد المجيد اتندى وكان بينه وبين سموه صداقة شخصية ، وقد أمرنى بتسليمها لعارف باشا ليكتب رداً ودياً مناسباً .

وكذلك برقيتان من كريمته عطيه هانم افندى وزوجها جلال الدين باشا والذي سره منها إعلانها الاستعداد للرجوع للاستانة إذا رغب الخديو ذلك ، وكانا من قبل ممتنعين عن الحضور من سويسرة ، ولم يقبلا مرافقتنا عند السفر منها .

وبعد انتهاء ورود التهاني عهد إلى الخديو في الرد على المهتمين ، والذهاب لمركز الجمعية الخيرية التركية وشكرها على التهئة التي بعثت بها . وكذلك الذهاب إلى أنور باشا وشكره على إرسال مندوب خاص ، ولما لم أجده في المنزل تركت بطاقة لأحد مرافقيه .

وبمناسبة هذا العيد أنعم الخديو على ضباط المحروسة بنياشين مختلفة ، وعلى أحمد فريد بك التشريفاة ، الأول بالمجيدى الثالث ، وعلى نور الدين بالرتبة الثانية .

لجنة الاحتفال في دار الآثار العسكرية : وفي يوم ٢٠ دعا مختار باشا مدير دار الآثار العسكرية والسيدنا ، لجنة الاحتفال مع كبار المصريين لزيارة الآثار المذكورة ولزيارة السيدنا ، وقد عرض علينا فيها صورة الاحتفال بعيد الجلوس مع منظر لزيارة امبراطور ألمانيا ، ثم ألقى خطاباً مدح فيه الخديو كثيراً على تعلقه بمقام الخلافة ، وعدم عودته إلى مصر ليكون آلة بيد الانجليز ، وتكلم عن أهمية موقع مصر وضرورة إخراج الانجليز منها وإرجاعها لما كانت عليه قبل دخولهم فيها وإعادة الخديو إلى أريكته .

وبعد عودتنا قابلت عباساً وكان معه البرنس ابراهيم حلمي ، فعرضت عليه ماحدث في دار الآثار وفي السيدنا ، وما سمعناه من مختار باشا ، وقلت : « إن الباشا كان جريئاً جداً في خطبته وصريحاً في ثنائه ومدحه » وكنت أشير بهذا إلى التردد والضعف الذي أبداه البرنس عند ماتنجي عن رئاسة لجنة الاحتفال .

حفلة لمواساة عائلات الشهداء في القنال : وفي يوم ٢٦ فبراير قر الرأي على تنفيذ اقتراح فريد افندى صدقي بشأن مواساة عائلات شهداء القنال ، فافتتح الخديو قائمة الاكتاب بمبلغ عشرين جنيها عن نفسه ، ومثلها عن الوالدة ، ومثلها عن كل من كريمته . وقد اشتركت بمبلغ خمسة عشر جنيهاً ، وبلغ الاكتاب بعد يومين ثلثائة جنية .

وتقرر توجيهي مع حمد الله باشا والشيخ عبد العزيز جاويش إلى السراي في

يوم ١٦ مارس ومعنا رقعة دعوة للسلطان ، مطبوعة بحروف مذهبة ، كما هي العادة حسبما قيل لنا ومختومة من الجنب الخديوى بما أن الاحتفال تحت رعايته ، ولكن سموه تردد فى كتابة الدعوة ، أو الختم عليها إن كانت مطبوعة . كما أنه تردد فى طلب أوركستر السراى ، وفضل أن لا نعمل شيئاً « غير معتاد » إذ يجوز أنه فى أمثال هذه الحفلات لا يعطى الأوركستر . فلما استفهمنا من صادق بك تشريفاتى الصدارة أكد لى هو والشيخ عبد العزيز جاويش بأن « الأوركستر » أرسل إلى حفلات متعددة ، وما علينا - نحن رؤساء الديوان الخديوى - إلا أن نكتب خطاباً إلى رئيس الحجاب بطلبه وبعد العرض على سموه أذن بالكتابة ، فخررت باعتبارى ناظر الديوان طلباً بنيهته على التماس لجنة الاحتفال ، وأضفت على ذلك « كما هو المعتاد فى أمثال هذه الحفلات » ومن جهة أخرى توجه عارف باشا ، وقابل مرتضى بك الكاتب الثانى فى المابين ، وباحشه فى صيغة ورقة الدعوة للسلطان ، ثم حضر وأخبرنا بأنه لا توجد طريقة رسمية لتقديم الدعوة ، وأملانى كتابة بالتركية لطبعها بحروف ذهبية وتقديمها بواسطة حمد الله باشا والشيخ جاويش ، وأنه لا لزوم لتوجهى معهما ، وأضاف قائلاً « وأن ذلك ما يرغبه الجنب العالى » ، ولما علمت بهذه التفصيلات عرفت فريد افندى صدق بها لطبع تذكرة السلطان وإحضارها فلم يلبث أن خاطبنى تليفونياً بما فحواه أن جمال باشا ناظر الداخلية بالنيابة لم يستحسن « تصديق » السلطان بمثل ذلك ، وسألنى رأيى فيما يلزم عمله ، فقلت ماعلى الباشا والشيخ إلا أن يتوجه لدعوة مولانا السلطان شفيها بواسطة رئيس الحجاب ولما كنا فى الغداء سأل عباس عما تم فلخصنا له ما حصل فقال لى : إنه لا يعلم بكتابه الجواب بطلب « الأوركستر » وأظهر أنه لا يتذكر أنه وافق عليه وقال إذا حصل ما لا يرضى فانى أقول إن هذا العمل حدث بغير إذن وأضاف على ذلك : « رأيت يا شفيق أن الأوركستر لا يعطى فى احتفالات مثل احتفالنا ؟ وإذا أمر السلطان بأعطائه فما هو إلا لخاطرى وعلى سبيل الاستثناء » وانتهى الامر بان توجه حمد الله باشا والشيخ جاويش ، وتحدثا إلى رئيس الحجاب ، وعادا شاكرين لما لقياه من الحفاوة مع الوعد بهبة سلطانية .

وفى يوم ١٧ منه توجهت للمابين ، وقابلت توفيق بك رئيس الحجاب ، ورجوته فى أن يرفع شكر الجنب العالى ، ولجنة الاحتفال ، والمصريين جميعاً لمولانا السلطان على إرسال الأوركستر .

وفي يوم ٧ ابريل أُلصقت على الجدران إعلانات عن الحفلة في تياترو « بتي شان » على أن يكون يوم للرجال ، وآخر للسيدات ؛ وكذلك طبعنا برنامج الحفلة بالتركية والفرنسية مصدراً بصورة الخديو ، فكان ذلك كله دعاية عظيمة له .

تخوف الخديو من الفشل : وعلى الرغم من هذا كان عباس يخشى أن يفشل الاحتفال من جراء الدسائس التي كان يتوقعها من رؤساء المعية الآخرين الذين كانوا ينقمون على إقامة الحفلة ، وقد كتبت جريدة « ألتى » تلاحظ أن لجنة الاحتفال اختارت أرمينياً للتمثيل ، فكان سموه يتوقع التصفير في أثناءه لوجودها ، فامتنع عن الحضور وأتاب عنه البرنس الأمير ابراهيم حلى . أما الصدر فانه لما علم أن سموه لا يحضر أرسل في « بنواره » اثنين من مرافقيه ؛ وكذلك لم يحضر من النظار إلا جاويد بك ؛ واعتذر سفير النمسا بأنه أسلف وعداً بالحضور في فندق بيرابالاس للجمعية الخيرية النسائية وكذلك الكثيرون من ذوى المناصب العالية . ومن المحتمل أن السفير لما سأل يكن باشا عن يوم الاحتفال وعرفه جعل احتفاله أيضاً في اليوم المذكور حتى لا يحضر اجتماعنا بهذه الحجة لما بينه وبين الخديو من سوء التفاهم .

أما سفير ألمانيا وزوجته فقد حضرا ؛ وكذلك عبد المجيد أفندى ولى عهد السلطنة الثانى ، وجلست معه في مقصورته مدة ، فأعرب عن حبه للخديو ، وتمنياته لرجوعه إلى عرشه ؛ وفي هذه الحالة يزور سموه في مصر . وكذلك حضر خالد باشا الداماد نجل المرحوم درويش باشا ، وقال لى : « انه من المحبين للجناب العالى الخديوى » .

تمنى البرنس ابراهيم حلى ونيابتي عن الخديو : ولما قرر سموه إنابة البرنس ابراهيم حلى اتخذنا ما يلزم لارسال الزورق البخارى إلى ميركون لاحتضاره إلى بيبك حيث يستقل مركبة الوالدة إلى التياترو ، إلا أنه خاطبنا بواسطة حرمة يقول : « إنه لما رجع مع أفندينا أمس الى سرايه أصيب بركام ، فهو طريح الفراش لا يقوى على النزول » فاستغربت هذا التنحى في هذه المرة ، كما أنه تنحى في المرة السابقة لما دعى لرأسه الاحتفال بعيد الجلوس . وأظن هذا التصرف مراعاة لخاطر البرنس سعيد حليم من جهة ، وحتى لا يصل الى علم الانجليز خبر يكدرهم منه . عنى أنه يريد أن يحفظ خط الرجعة ؛ فلما علم الخديو بذلك أمرنى أن أنوب عنه

فتوجهت الى التياترو ووصلت قبل الساعة الثانية ، فوجدت أعضاء اللجنة ورئيسها حمد الله باشا امين يستقبلون الزائرين ، وآنسات يعن بعض الأشياء الصغيرة ، فجلست في المقصورة التي كانت معدة الخديو ، ومعى يكن باشا ، واحمد بك فريد ، وابتدأت الحفلة بعزف الموسيقى للسلام الشاهانى ، فوقف الجميع على الأقدام ، ثم قامت فرقة تركية بتمثيل رواية تمثيلا متقنا ؛ ثم ألقى قصيدة في رثاء شهداء القتال الشيخ سليمان ناجى العمرى السورى وفيها أبيات جميلة عن مصر والخديو ورجوعه العرشه ؛ وقد حازت قبولا وتصفيقا من العرب خصوصا والأعيان وأعضاء مجلس المبعوثان التركى ؛ وهذا الشيخ أعمى فألقاها عن ظهر قلبه

وحضرت بعده مدام ليني برنارد متبرعة ، ووقعت على البيانو قطعتين أظهرت فيهما مهارتها ؛ فأهدينا اليها طاعة من الزهور وهى على المسرح ؛ ثم أنشد الشيخ سليمان سلام الخديو «يا زمان الهنا الخ..» وبعده قطعة من رواية «روميوجوليت» ولقى الشيخ سليمان استحسانا عظيما .

وبعدها جاءت موسيقى دارالآثار العسكرية وهى مرتدية ملابس الموسيقيين القديمة بالعمم والقفاطين والأحزمة ، ولقد نجحت الحفلة نجاحا عظيما حتى أن الخديو أسف على عدم حضورها لما بلغته أنباء نجاحها الباهر .



احمد افندى فريد

معلومات راسرار عن الحانة فى طرابلس:

فى يوم ٢٢ يناير زارنى فى سراى بىك رجل مصرى اسمه « احمد افندى فريد » حضر من طرابلس الغرب على غواصة ألمانية بصحبة نورى باشا شقيق أنور باشا ورفع لى عريضة لتقديمها إلى الجناب الخديوى فسألته عن دواعى وجوده فى طرابلس ، وعلمت منه بأنه فى أوائل الحرب تشكلت جمعية سرية المؤسس لها هو على بك اسماعيل واسماعيل افندى

حسن من ضباط الحرس سابقاً ومن محمود بك عزمى الذى كان موظفاً بقولة



محمد عبد الخالق مدكور باشا



الميرالاي على اسماعيل بك

وعبد الخالق باشا مدكور سر تجار مصر ، وعلى باشا حلمى عضو الدومين سابقاً . وجبريل بك من مشايخ العربان ، والاثنان الأولان كانا يجتمعان بالشيخ الطيب السنوسى فى منزله بالسيدة زينب (وكنت أنا علمت بمن حضر الى الآستانه من رجال المعية الذين وصلوا من مصر قبل دخول الدولة فى الحرب باجتماع الضباطين المذكورين بالشيخ الطيب وحلف اليمين لديه على العمل ضد الاحتلال بتدير ثورة فى الداخل ومساعدة السنوسيين ضد الانجليز) ودخل فريد افندى فى هذه المحالفة وقر رأى على إرساله الى السنوسى بمهمة وقام من عزبة جبريل بك فى كفر الدوار ومعه أحد البدو مزوداً بخطاب من اسماعيل افندى حسن الى نورى باشا ؛ فلما قابل السنوسى وعلم منه أن قوة السنوسيين والأتراك غير كافية للهجوم على مصر ضد ٦٠ ألفاً من الانجليز بعث الى اسماعيل حسن خطاباً يحذر المصريين فيه من سوء العاقبة ، إذ اعتمدوا على قوة السنوسيين فى إحداث ثورة بمصر ؛ فلما وصل هذا الخطاب الى جبريل بك رده الى نورى باشا فتغيظ من فريد افندى وظن أنه جاسوس انجليزى وليس موفداً من قبل اسماعيل حسن ، وحبسه مدة حتى أرسل

يستعلم من مصر عن الحقيقة ، فورد الخبر بأنه ليس جاسوساً ؛ وعند ذلك أخرجه من السجن ، وعاتبه قائلاً : «ولو أن قوتنا ليست كافية حقيقة ، إلا أنه ما كان ينبغي أن تجرب المصريين بها ، لئلا تضعف عزيمتهم ، وتقل شجاعتهم ، وتنحل عرى رابطتهم». وبعد ذلك اشترك مع نوري في جملة أعمال ، حتى وثق به جداً وأحضره معه للاستانة ومن كلام فريد افندى لى علمت أن طرابلس منقسمة الى جملة مناطق فيها منطقة نفوذ السيد احمد الشريف وهو مياي (على قوله) الى الانجليز باطنياً والى العثمانيين ظاهراً ؛ ومنطقة نفوذ السيد الادريسي وهو مياي الى الايطاليين وموال للسيد احمد الشريف فى الباطن ؛ ومنطقة نفوذ رمضان السواحلى وهو من الأتراك ؛ ومحل وجود نوري ميناء مصراطة التى تأتى اليها الغواصات ؛ ولو أن شقيق أنور يعلم بموالاة الشريف للانجليز إلا أنه (على رواية فريد) لا يجاهر بذلك لى لا يحمله على الانضمام علناً لأعداء الدولة ، فتسقط حجة الأتراك فى أمر الجهاد الدينى الذى أعلنه الخليفة ، ولم يعمل به أحد ، غير السنوسيين فى الظاهر . والدولة ترسل النقود والهدايا الى السيد احمد الشريف ، وآخر هدية كانت منذ شهر حيث أعطته ٥٠ ألف جنيه ذهباً ، ومثلها ورقاً . وكذلك علمت أن سر الاتفاق بين الشريف والادريسي هو أنه إذا انتصر الأتراك يشفع الأول للثانى ، وإذا انتصر الانجليز يشفع الثانى للأول ؛ وأن الواقعة التى نشبت بين السنوسيين فى سيوه ، وبين الانجليز هى مظاهرة فقط ليظهر الشريف للأتراك أنه ذهب لمقاتلة أعدائهم ولكنه اضطر الى التقهقر أمام قوتهم فيثبت بذلك ولاءه للأتراك . والحقيقة أن هذه الواقعة وبالأحرى المظاهرة تم تدبيرها بين الانجليز والشريف بحيث لم يقتل ولم يؤسر من رجال الأخير أحد ، وكان فريد افندى حاضراً ، كما أنه كان موجوداً فى الواحات الداخلة مع الشريف ، عندما طرد الانجليز السنوسيين منها .

ولما علمت بأهمية معلوماته طلبت اليه أن يرجع الى بيك يوم الخميس القادم

٢٤ يناير .

وفى هذا اليوم قدم الحديو وتباحثنا نحن الثلاثة فى جلستين وأمر سموه أن يكتب فريد افندى تقريراً مفصلاً بجميع الحوادث فى مصر وفى طرابلس وأمرنى أن أذهب الى أحد رجال قلم الاستخبارات الألمانية ، لأعرفه بوجود فريد افندى وبأهمية معلوماته لا بلاغها لقلم المخابرات الألمانية فتوجهت يوم ٢٥ برفعة احمد بك فريد اليه ، وعرفته بملخص ماسمعتة من فريد افندى وبأننى سبق أن اشتغلت بأمر

الخديو مع البارون أوينهايم في تحضير عمل يقوم به المصريون ضد الانجليز في مصر من جهة حدود طرابلس الغرب ، وإرسال أسلحة وديناميت وأشخاص مصريين كانوا يتعلمون في المدرعة « جون » صنع قنابل الديناميت . ولكن بكل أسف أن أنور باشا قال : « إن هذا من شأن الحرية » فلم تتمكن من تنفيذ مشروعنا . فقال رجل الاستخبارات ان الأتراك وحدهم لا يمكنهم عمل شيء ، ولكن نحن الألمان بواسطة غواصاتنا ، يمكننا نقل ما يلزم من الأدوات والأسلحة والنقود وإرسالها الى داخل مصر لتمكين المصريين من الانتفاض على المحتلين فتعلم الدنيا بأجمعها أنهم لا يرغبون فيهم ، بل يريدون الاستقلال ؛ وبذلك يدحضون ادعاء الانجليز والثورة تساعد مندوبي الدولة وحلفائها على طلب إخلاء مصر ، وعلى كل حال أنه قد عرف من كلامي أن الخديو له رجال يعملون في مصر ضد الاحتلال ، وأن نفوذه موجود فيها .

وفي يوم ٢٦ منه حضر الألماني ، واختلى بالخديو مدة ساعة ونصف ، وبعدها قابلت سموه وقلت : أن من صالح أفندينا إرسال أحد رجاله الى طرابلس ليكون واسطة اتصال بيننا وبين رجالنا في مصر ويدرس الحالة في طرابلس من جهة إمكان عمل شيء بالاتفاق مع الألمان والأتراك وبهذه الطريقة يعلم محالفونا أن نفوذنا لم يزل باقياً . ويقدرّون قيمتنا حق قدرها . وقد راقه هذا الاقتراح ، إلا أنه لم يجد أمام نظره إلا مأمون أفندي نجيب فقلت . « إنه شاب طائش لا يعتمد عليه » فأبدى عدم اعتماده على عبد الله أفندي البشري ، حيث لا يثق باخلاصه الثقة المطلوبة ، ولا بمحمد بك فريد لأنه قوال وليس بالفعال ، وقال عن احمد بك فريد إنه يخشى ألا يكون حسن التصرف . فقلت : « يا أفندينا اذا سمحت فاني أذهب بنفسى ، وأضحى بحياتي لصالح بلدى » قال « نعم يا شفيق أنت لست كغيرك ، فان إخلاصك ثابت ، ولكن عندما يبحثون عنك ولا يجدونك هنا ولا في أوروبا والانجليز لهم جواسيس في كل محل ، يعملون بوجودك في طرابلس »

وقد ظهر لى من ذلك أنه لا يريد إرسال أحد المستخدمين ولأ الضباط المعلومين للانجليز خشية الانتقام منه ، لأنهم يعملون وقتها أنه هو الذى أرسل هذا الشخص الى طرابلس ؛ وهو يرجح احمد بك فريد على الآخرين لأنه غير معلوم عند الانجليز انتسابه للخديو مثلاً .

وفي ٢٧ منه بناء على أمر الخديو توجه احمد فريد بك ، مع احمد فريد أفندي

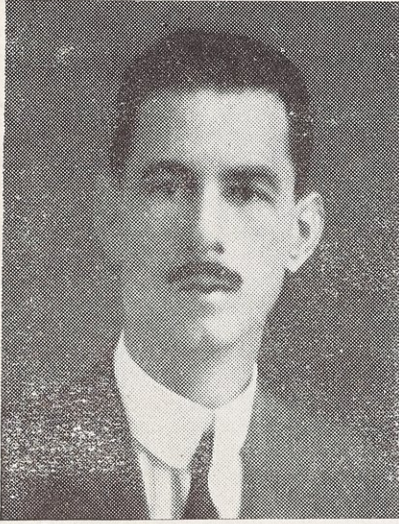
الى رجل الاستخبارات الالماني فشرح له الأخير الحالة في طرابلس الغرب وسياسة السيد احمد الشريف والادريسي والسواحي ، فكان من رأيه التوفيق بين الشريف والسواحي حتى يتيسر جمع جيش عظيم ليقوم بعمل مفيد ، وفي حالة تعذر التوفيق تستدعي الحكومة العثمانية الشريف الى الأستانة وفي غيابه تنضم القبائل التي تحت نفوذه الى قبائل السواحي وتسير الحملة على مصر لأن رؤساء قبائل الشريف على رواية فريد أفندي يعلمون بنياته الخفية ، وغير راضين عنه إلا أنهم ملتفون حوله للمنفعة التي تأتيهم منه .

فأفهمت احمد فريد بك عند رجوعه من هذه المهمة باقتراحى إرسال أحد رجال الخديو لطرابلس للمخابرة مع رجالنا في مصر وبأنتى قدمت نفسى لهذه الخدمة . فأجبنى بأنه هو أيضاً فكر فى أن يذهب للعمل هناك . وقد عرضت على الخديو هذه المعلومات فلم يوافق على اقتراح الالماني لأن السنوسى لا يقبل السفر .

مندوب عثمانى في طرابلس للاصلاح بين زعمائها : وفي ٣١ يناير حضر إلى بيك يوسف شتوان بك رئيس الجمعية الخيرية الاسلامية في الأستانة وقابل الخديو : وأعلمه : بأنه سيسافر إلى برلين لمقابلة الصدر هناك ومنها يتوجه إلى بنى غازى فى مهمة لأن الأحوال في طرابلس ليست على ما يرام وقد أرسل الخديو أحمد فريد بك إلى الالماني ليعلمه بسفر شتوان بك لبرلين وبمهمته في طرابلس ، وليسأل هل السفارة الألمانية تعلم ذلك ؟ ولما رجع أفهمنا أنه لا يعرف شيئاً عن هذا الموضوع فأمره الخديو بأن يعود إليه ويرجوه ألا يذيع سفر شتوان بك ، وألا يعلم أحداً بأن الخبر منقول عنا ، وقد عاد لنا فقال : إنه روى الخبر للسفير فاستغرب وقال : « كف تتصرف تركيا وحدها دون ألمانيا ودون الخديو ؟ » وأرسل الخبر « بالشفرة » إلى دولته .

وأخيراً علمنا من فريد أفندي أن مهمة شتوان بك هى اصلاح ذات البين بين الشريف والسواحي ، وأنه أخذ معه هدايا فاخرة للزعيمين : مشروع القيام بحركات حربية على حدود مصر الغربية : وفي يوم ٣ فبراير علمنا منه كذلك أن نوري باشا سيسافر إلى برلين ومعه محمود أفندي لبيب الضابط ، والأستاذ عبد الرحمن عزام ، المصريان ، ويطلب من ألمانيا ، الغواصة الكبيرة دوتش لاند » للخدمة بين پولوا وطرابلس مع الغواصات الصغيرة التي تشتغل الآن

وذلك لتقل مهمات حرية استعدادا لاحداث ثورة في مصر ، حيث علم أن الانجليز أخذوا من المصريين جنوداً ومؤناً أرسلوها إلى الجهة الغربية ، وكذلك أخذت فرنسا من تونس . ولذلك يرى نوري باشا مناوشة الفرنسيين على حدود تونس والانجليز على حدود مصر ، وإذا لم ينجح في كلتا الجهتين فهو على الأقل يضطر الدولتين لسحب جزء من جنودهما في الميدان الغربي .



الأستاذ عبد الرحمن عزام

الخديو يقترح احتلال سيوه : وفي يوم ٩ منه قابل الخديو سفير ألمانيا في السفارة وتحدث معه في في شؤون طرابلس ، وما يريد نوري باشا عمله ، ومهمة شتوان بك ثم أبدى أنه يفضل استبدال الأمير دو مكلنبورج الألماني بالمندوب الألماني الموجود بطرابلس لأن الأمير يستطيع مع بعض المصريين تشكيل قوة مصرية بقيادة ضباط مصريين يمكنها بسهولة احتلال سيوه .

وقد ظهر لسموه أن السفير يجهل وجود مندوب ألماني في طرابلس ، وأنه يرى ألا ضرورة للقيام بحركات في هذه الجهة ، بل يكتفي فيها بالدفاع . وقد استنتج الخديو من ذلك أن الألمان لا يهتمون الآن بمصر فعاد متألماً .

ترقية الضباط المصريين بطرابلس : وفي يوم ١٦ علمت من الخاويو أن أنور باشا أمر بترقية جميع الضباط المصريين بالجيش التركي بطرابلس إلى رتب أعلى من رتبهم ، وصرف جميع مرتباتهم حسب الترقية الأخيرة ، وأمرني سموه بمقابلة أنور وشكره على ما فعل . وبعد ذلك أهمل المشروع الذي كان يهم به الخديو .

بين الخديو ورجال الحزب الوطني :

عباس يقرب الشيخ جاويش : بعد وصولنا من السويس إلى الآستانة كان الشيخ عبد العزيز جاويش قد حضر لسراي بيك مسلهما ، ولكن الخديو لم

يهتم به ، نظرأما كان يعلمه عنه من العمل ضده والالتواء للصدر سعيد حليم ، ولكن توترت العلاقات أخيراً بين الخديو ومحمد



الشيخ عبد العزيز جاويش

بك فريد ، فرأى أن يقرب إليه الشيخ جاويش ، فأوعز إلى أحد رجال الحاشية بأن يفهم أحمد بك صادق ، انه إذا أقنع الشيخ جاويش بالحضور إلى بيك ، فان الخديو يسر منه . وبناء على هذا بذل صادق لك جهده في اقتناع الشيخ بالحضور إلى السراى ، وفي ٢ فبراير حضرا معا وقابلا الخديو طويلا ، وتحادثوا في موضوعات كثيرة .

وقد علمت أن الشيخ أنحى على الأتراك في حيرة الخديو قائلاً : « ان كبارهم يأمرن ، ولكن صغارهم يعرفون التنفيذ وإنه خدم الدولة كثيراً ولم ينل أية فائدة لشخصه ».

ثم ذكر بعد ذلك أنه عقد في برلين مؤتمرأ من المصريين ، ودعا إليه محمد بك فريد رئيس الحزب وتصالفاً ، وعملاً معاً ؛ وأنه من وقت رجوع الخديو يرى أنه آن أوان العمل في المسألة المصرية بأشرافه . فأجابه سموه بأنه مستعد للعمل .

وفي يوم ٥ فبراير توجهت بناء على الأمر لمنزل الشيخ لزيارته ، ولما لم أجده تركت له خبراً بدعوته لتناول الطعام غداً معى في فندق بيرابالاس .

وقد حضر في الميعاد فأخبرته بارتياح الخديو لزيارته ، والمعلومات التي أعطاها لسموه ، وأن الوقت لم يسمح ببحث الموضوعات التي عرضها ، ولهذا يدعوه الخديو لمقابلتة .

مؤتمر الحزب في برلين : وقد علمت منه تفصيلات عن المؤتمر الذى عقده في برلين . وذلك أنه أرسل برقية لفريد بك رئيس الحزب ، فلما التقيا سلم عليه فريد سلاماً غير ودى ، فانتزعت هذه الفرصة وقال له : « إنه يريد أن يعلم سبب هذه الجفوة » فرد فريد : بأن السبب هو أنك لم تتبع خطة الحزب الوطنى . فقال له الشيخ : « وإنيك

تتهمنى فى مسألتين : الأولى . أننى معضد لارتقاء البرنس سعيد على الأريكة المصرية ولكنك لايمكنك أن تقوم بأثبات ذلك ، ثم أقسم الشيخ بأنه لم يفتح البرنس مطلقاً فى مسألة كهذه ، وأن زيارته له فى بعض الأحيان هى لصلة قديمة بينهما ، وعرفنى الشيخ أنه فى مدة صدارة البرنس كان يسعى فى تعيين بعض المصريين فى إدارة الحكومة العثمانية ، وأشار إلى مصطفى باشا ماهر ، وأن عماد الدين كان قد كتب ترتيباً بأسماء المرشحين للمناصب فى الدولة . وقال الشيخ لفريد بك : « والمسألة الثانية أنك تدعى بأننى من المحبذين لضم مصر لتركيا كأنها ولاية من ولاياتها مع أننى توجهت معك إلى طلعت باشا ، وسمعنا منه أنه لم يبحث فى إدخال تغيير على حالة مصر ، وأن ادارتها أحسن من إدارة الدولة ، فلا معنى لأن تتدخل فى شؤونها وفضلاً عن ذلك فأنى أنا المصرى الوحيد الذى حصل على كتابة بأن الدولة لاتتوى أن تغير شيئاً فى حالة مصر بل تردها إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال » فشكرته على مسعاه الحميد . وأردت أن يفصح لى عن هذه الكتابة ، فقال : « إنه كتب لأحد رجال الحكومة ، يستعلم عن نيتها نحو مطر ، فأجابه بما سبق التنويه عنه » وأضاف على كلامه مايفيد أنها ليست كتابة رسمية .

ومن كلام الشيخ : أنه عندما ذهب فى المرة الأخيرة إلى برلين رجاء اثنان من النظار العثمانيين ألا يحمل على فريد .

وقد تخلص من هذا الكلام بأنه دعا فريد بك إلى الأعراض عن الوشايات ، وأن يشتغل المصريون جميعاً على خطة واحدة ، ثم أظهر التذمر من بعض أفعاله ، وأن الشبان تركوه ، والتفوا حوله هو فقلت : « إننى ألوم فريد بك على مسألتين : الأولى الحقد ، والثانية الاهتمام بالشخصيات أكثر من العموميات » ، وضربت له مثلاً بما جرى بينه وبين الخديو من التنافس والشقاق ، ثم قلت : « ولكن لما رجع سموه إلى الأستانة كان يجب عليه أن ينسى الحقد والشخصيات ، ولا يتكلم فيما فات ولكنه مع الأسف الشديد كتب فى مجموعة الحزب الوطنى التى تصدرها فى استكهولم ، أن دخول الخديو فى مسألة بولو باشا التى هى فى صالح الألمان ، يبعد الحزب الوطنى عن سموه » .

فقال : إنه لم يطلع على ما كتبه فريد فى هذا الشأن ، لأنه بالفرنسية وعابه قائلاً : « إن جميع الملوك لهم هفوات ، وهفوات الخديو أقل من أمثاله ، والحزب

الوطني لم ينتقد سموه في جريدته من أجل الشخصيات بل العموميات .

قلت : « إن جنابه العالی لم یخل من الغلط والمؤاخذة ، إنما أقدر أن أقول : إنه في مدة ولايته وهي ٢٢ سنة ، ما كان يوماً يعمل ضد صالح الوطن ، فاذا قيل : إنه كان في مدة غورسنت سائراً على وفاق مع الإنجليز ، أجيب على ذلك بأنه كان يسعى في هذا الوقت إلى توسيع امتيازات مجلس شوری القوانين ، وعلى كل حال إن اختياره الإقامة في الاستانة بجانب الخلافة رغم تهديد الإنجليز ، وإضاعته لعرشه ، كل هذا كاف لنسيان مافات » فوافق وقال : « انه قد أزف الوقت ، فما عندنا إلا فترة من الآن إلى اكتوبر الآتی الذي أرى أن يتم فيه الصلح ، فيجب علينا أن نستعد أثناء هذه الفترة للعمل » قلت : « إن الخديو ، عند ما قرأ في جرائد الاستانة أن مؤتمر البلاد الإسلامية في شرق أفريقيا قرر استقلال مصر والجزائر وتونس ومراكش أرسلني سموه إلى الصدر لأقول : « إنه لا يعلم شيئاً عن هذا المؤتمر » .

فطلعت باشا أجباني بصراحته المعلومة أن الحكومة السنية هي التي أوفدت المندوبين من مصريين وهنود إلى استكهولم لهذه الغاية » فقال الشيخ : « نعم هذا هو برنامج الصدر » وأخبرني أنه وجد مرة في القطار بألمانيا مع الجنرال زكي باشا ، الذي كان قائداً على حملة مصر قبل جمال باشا والآن هو المندوب العسکری في مؤتمر الصلح واستطرد الكلام إلى مسألة مصر واستقلالها ، فقال الجنرال : « إن القطر المصری لما كان مستقلاً أفاد الدولة العثمانية في حروب عدة خفیر لنا نحن الأتراك أن نراه مستقلاً » قلت : « ولكن بكل أسف لانرى حراً كلاً للألمان نحو مسائلتنا مع أنهم ما كانوا لیستمرروا في هذه الحرب لو اعتنوا بالحملة المصرية وضربوا الإنجليز في مصر فكانت إنجلترا تخضع للصلح من زمن مديد » قال : « قلت أنا ذلك في وقتها فبدلاً من إرسال الجيوش الجرارة إلى القفقاس وفي كل الجهات كان الأولى العناية بالحملة المصرية لكن المسؤولية في ذلك على قيصر ألمانيا وولى عهده فأنهما من المتسببين في تأخير الحملة لدواع حرية كان يقتضيها الدفاع عن النمسا وبروسيا الشمالية »

قلت : « على كل حال ينبغي علينا نحن المصريين أن نهتم بشؤوننا » . قال : « ولذلك سأسافر لألمانيا بعد أسبوعين أو ثلاثة » فقلت : « عليك أيها الأستاذ أن توحد كلمة المصريين » ثم أخبرته بعزمي على السفر أنا أيضاً إلى سويسرة . فقال : « يا حبذا لو سافرت معك لأنني أرغب أن أفضي بضعة أيام بها » قلت : « يكون هذا من حظي

وهناك نبذل جهدنا في اجتذاب المصريين إلى الوحدة حتى نكون كتلة واحدة خصوصاً وأن من بينهم بعض العقلاء الذين هم بكل أسف مشتتون في آرائهم السياسية فلو أرشدناهم إلى الطريق المستقيم فذلك خير ، لأن الألمان يزعمون أننا كمية مهجلة أولاً : لأن المصريين في مصر لا يحركون ساكناً ولا يثيرون على الحكومة المحلية مع أنهم معذرون حيث لا توجد أسلحة بين أيديهم وليس لهم سند يركنون إليه وثانياً : لأنهم ينظرون إلى انقسامنا فيضحكون منا ، فقال : « لو سافرنا نبذل جهدنا فيما هو لازم ، ثم أتى على فؤاد بك سليم قائلاً : « إنه اشتغل جيداً في المدة الأخيرة » . ثم قال : « أما ما يدعيه الألمان من أن المصريين لم يصنعوا شيئاً في هذه الحروب فأنتي في خطبة ألقيتها في برلين باللغة الإنجليزية وترجمتها إلى العربية ستصدر في العالم الإسلامي ، أظهرت الخدمات الجليلة التي قام بها أبناء النيل حتى في وقت ضغط الانجليز عليهم فأنهم أبوا الدخول في الحرب ، مع أنه كان يمكن تجنيد مليون عسكري منهم » .

وفي أثناء تناول الطعام مر علينا جمال باشا فسلم على الشيخ : ولما خرج من غرفة المائدة وقف أمام مائدتنا ، وكلمه بالعربية بأنه إذا أراد مقابله فيكون ذلك في النظارة بعد الظهر .

ولما عدت ورويت للخدوي حديثي مع الشيخ جاويش قال : « ربما يكون طلعت باشا الصدر هو الذي أوحى له بالتقرب منا » .

وفي صباح ١١ قابل الخديو الشيخ جاويش فدعاه لتناول الغداء معنا . وقد أخبرني الخديو عما يظنه من أسباب ميل الشيخ عبد العزيز لجانبه في الأيام الأخيرة . وأن غرضه من ذلك هو أن يجعل لنفسه شأنًا ، وأنه عرض على سموه فكرة جمع المصريين في برلين المنقسمين أحزاباً وشيعاً وتوحيدهم جميعاً ، وهذا تكون له الكلمة العليا عليهم وعلى فريد بك أيضاً ، وطلب من سموه الموافقة على هذه الفكرة حتى يجمع المصريين المقيمين بالاستانة أولاً ويخبرهم بأنه متفق مع جنابه على هذا العمل ، وأن سموه قد وافق على طلبه ، وأخيراً طلب من الخديو ألا تكون بينه وبينه واسطة بل يتلقى الأوامر هو رأساً .

وكذلك حادثة الخديو في مخاوفه من إهمال الألمان للمسألة المصرية واعتبارهم إياها مسألة تركية بحجة ، فأجاب الشيخ بأن هذا هو الواقع ، فتحقق سموه ما كان يظنه من قبل ويتخوفه من هذا القليل .

الشقاق بين زعماء الحزب الوطني : وفي يوم ١٤ أخبرني الخديو أن الشيخ جاويش بعد أن اجتمع بسموه في المرة الأخيرة جمع المصريين المقيمين بالأسكندرية وكان واقفاً مع أحمد بك صادق لإيهامهم أنه يعمل بروضى الخديو ، لأن صادق بك رجل سموه ، وأخبرهم أنه اتفق معه على تشكيل هبات تمثل الأحزاب في مصر ، وأنه هو سيتكلم بالثيابة عن جميع هذه الأحزاب للدفاع عن صالح البلاد ، فأنبرى له أحد الحاضرين وواجهه بأنه إنما يقصد من ذلك مناوأة محمد بك فريد والظهور عليه ، وامتنعوا عن مرافقته قائلين : « إنهم لا يظنون أن الخديو يوافق على هذا البرنامج . . . »

قال بسموه : « والشيخ لم يحسن السياسة لأنه اشتبك مع الدكتور أحمد فؤاد فوقع بينهما جدال شديد » .

وقد كنت أعلم أن عباساً يسره وقوع هذا الشقاق بين رجال الحزب الوطني فعندما أخبرني بذلك قلت : « هاهي ذى نفحات سياستك ظهرت ، فأنت الآن أوقعت الشقاق بين جاويش وفريد وفؤاد ، فأظهر سروره ، وضحك كثيراً ، وربت على كتفي مرات . ثم أخبرني كذلك أن الشقاق قد وقع بين المصريين المقيمين هنا وبين أحمد بك صادق ، لأنه كان معضداً لسياسة الشيخ جاويش ، وأراد إيهامهم أن الخديو موافق على هذه السياسة ، لينفضوا من حول فريد ففتحوا عليه لذلك .

غضب الخديو على الشيخ جاويش : وقد ظلت العلاقات حسنة بين الخديو والشيخ جاويش ، حتى علم بسموه يوم أول إبريل أنه ذهب مع شكيب أرسلان إلى البرنس سعيد حليم ، وطلباً منه أن ينتهز أول فرصة ، ويستوضح الحكومة في مجلس الأعيان عن سياستها نحو احتلال الانجليز لمصر .

وقد أخبرنا الخديو بما علمه وهو متحد ، قائلاً : « كيف يطلب هؤلاء الناس من سعيد حليم ذلك ، مع إظهارهم لنا الإخلاص والولاء ؟ ولا يزال إذن حزب الصدر موجوداً يعمل لصالحه ضدنا »

ومن هذا الوقت غضب الخديو على الشيخ جاويش وانقطعت العلاقات بينهما كما ذكره بولو وأعمده : في يوم ٧ سبتمبر سنة ١٩١٧ تقرر أن يكلف ثريا بك من قبل الخديو بأحضار يوسف صديق إلى الاسكندرية ، خوفاً من أنه بعد سفر عباس إليها يستدعى إلى باويس ، ليشهد على بولو باشا في القضية التي أقيمت عليه

ويفشى الأسرار التي يعرفها في مسألة المبالغ التي صرفت من ألمانيا .
وعلى ذكر هذه المسألة أقول : إننا قرأنا بعض ما كتب في الجرائد الفرنسية فقال عباس : « إن يوسف أفشى ما كان يعلمه من إرسال المبالغ من بنك درزدن إلى بنك زورخ » فاقترح شديد أن يطلب سموه من مدير البنك بأن يرجع الشيكات إلى برلين ، أو يضعها في ظرف ، ويختم عليه بالشمع الأحمر ، حتى لا يتسنى لأحد أن يلتقط صورها برشوة تعطى لمستخدم البنك . قال سموه : « ولا يعرف أحد كيف تصرفت أنا في هذه المبالغ لأنها سلمت من يدي لأيدي آخرين مباشرة فالمعلومات المنشورة في الجرائد مأخوذة من تقرير يوسف باشا الذي يحتوى ١٨ صحيفة ، وقرأه على الشمسى بك ، والخوف من أنه بعد سفرنا إلى الأستانة يأخذونه لفرنسا ، ويواجهونه بموسيو بولو ، ليصلوا إلى اعترافات منه تجرحنا لأنه إلى الآن لم يقل شيئاً ضدنا ، أما كافاليني فانه في أمان بأيطاليا ؛ وكانت السلطة العسكرية الفرنسية ستقبض عليه في الحدود ، ولكن الإيطاليين توسطوا له وهكذا تخلص ، وأظن أنه لا يمكن إكراهه على دخول فرنسا وأننى سبق أن أوصيته كثيراً ، وحذرتة من إفشاء السر فلا خوف علينا من جهته » .

قلت لسموه : « إنه من المحتمل أن المعلومات التي كتبتها الجرائد الفرنسية مأخوذة من الأوراق المضبوطة عند يكن باشا » فنفى ذلك لأن الأوراق ليس بها شيء مما نشر . . .

فزع الخديو : وفي يوم ١٨ فبراير سنة ١٩١٨ قرأنا في الصحف أن بولو بعد

محاكمته في فرنسا صدر الحكم عليه بالاعدام ، جزاء على المشروع الذى كان يهيم به ولما علم الخديو بالخبر اضطرب له ، وقال : « إنه ليس حكماً فرنسياً بل هو انجليزى » يعنى أن الانجليز هم الذين هيئوا أسبابه . ثم قال : « وبعد ذلك سيحاسبوننى أنا أيضاً على هذا العمل » ثم أبدى أسفه على أن الألمان الذين حبذوا هذه الفكرة ، قد تركونا ولم يهتموا بنا ، والأتراك من جهة أخرى لا يعلقون أهمية على هذه المسألة وأخيراً أمرنى بأن أقابل الدكتور بروفر مدير قلم الاستخبارات الألمانية بالاستانة وأطلب منه أن ينوب عن سموه في مقابلة سفير ألمانيا ، ورجائه بأن يطلب من برلين إرسال كل مايكتب في الجرائد الفرنسية والانجليزية في مسألة بولو ، ولا سيما مايرد فيها عن الخديو . وكذلك أن يستقصى هل من الممكن الاستفهام بواسطة

برلين من مصر عما يدور في أفكار الانجليز من ناحية المسألة المذكورة ، لكي يكون على بصيرة مما سيقروونه في هذا الشأن ، لتدارك الخطر قبل وقوعه .
ولما قابلت بروفر وعد بعمل اللازم ، وأبدى لي رأيه في أن الانجليز لا بد أن ينتقموا من الخديو في مصر .

ثم أمر عباس بجمع كل ما حصل من يوسف صديق من أول مخبراته مع الألمان بالاستئذنه ، للاتفاق بين سموه من جهة وبين الأتراك من جهة أخرى ، واقترحاته عن أعمال بولو وكفاليني في مسألة الدعاية ، ومخبراته مع ناظر خارجية ألمانيا . . . الخ .

وقد قال : « إن بولو مظلوم ، والذي كان يجب شتقه هو يوسف صديق أصل كل المصائب » ثم قال : « وبما أن احمد بك صادق عدو يوسف ، ويعلم عنه أموراً فساداً حرضه على وضع تقرير بما يعلمه عنه ، وكذلك عبدالله البشري فإنه يحيط ببعضها ، ويكشف تقريراً آخر لاستخدامهما إذا لزم الحال » .

تشهير الفرنسيين بولو : وقد نشرت في باريس ثلاث رسائل تضمنت معلومات تفصيلية عن شخصية بولو وأعماله ومحاكمته ، وتنفيذ الحكم عليه ، وبما ورد فيها : أنه وصلت أخبار للحكومة الفرنسية عن مشروع بولو ففتح تحقيق في باريس ولكن لم يقبض عليه لعدم توفر الأدلة ضده . وفي أوائل سنة ١٩١٦ علمت بدخول عشرة ملايين فرنك باسم بولو إلى أمريكا ، فزادت شبهتها فيه ، ولما دخلت أمريكا الحرب سنة ١٩١٧ أرسلت إليها لجنة تحقيق ، وبعدها قبض على بولو . وتنقسم أعماله إلى قسمين :

١ — في سويسرا : في فبراير سنة ١٩١٥ حصلت مقابلة في جنيف بين بولو وصديق باشا ، عرض الأول في أثناءها على الثاني مشروعاً مهماً لفصل فرنسا عن إنجلترا في عقد صلح على انفراد مع المتحالفين ، وشراء بعض الجرائد الفرنسية للترويج لهذه السياسة ؛

واختار بولو من بين هذه الجرائد الطان والجورنال والرائيل . . .
وحدث بعد ذلك مقابلة أهم من الأولى في زورخ ، بين بولو والخديو ، ومدام لوزانج ، ويوسف وكفاليني . وقد استحسن الخديو مشروع بولو وعرضه على موسيو سميرين النائب المجري ، وكذلك على الكونت مونتس سفير ألمانيا

في روما سابقاً . وهذا الأخير وافق عليه ، ووعد بالكتابة إلى فون ياجو وزير الخارجية الألمانية . وقد سافر يوسف لمقابلة الوزير الذي قبل المشروع وخصص لتنفيذه عشرة ملايين من الفرنكات على أن يدفع مليونان ونصف مليون في كل من الشهرين الأول والثاني ، وبعد ذلك يدفع مليون كل شهر .

وأن الخديو ويوسف وكفاليني قبضوا المبلغ ، ولم يوفق بولو إلا لشراء بعض أسهم الراييل بمبلغ ١٧٠ ألف فرنك .

ولما جاء موعد دفع القسط الثاني أراد هؤلاء الثلاثة إبعاد بولو من توزيع هذا القسط كما سبق ، وأن يختصوا هم بالعمل دونه ؛ وعهد إلى كافاليني بشراء أسهم الجرائد ، فلم يفلح .

ولما أخفق الخديو في محاولة شراء الجرائد طالبته ألمانيا بدفع ما بقي عنده من القسط الثاني ، وهو ٨٣٥٠٠٠ مارك . وكان مترددا في دفعه بنصيحة لوزانج إلا أنه في آخر الأمر أعطى شيكا بهذا المبلغ لمسيو بادل مندوب وزارة الخارجية الألمانية .

٢ — في أمريكا : وقد أراد بولو أن ينفذ مشروعاً خاصاً به ، ولذلك تخابر مع مسيو هومبرت النائب ومدير جريدة « الجورنال » واتفق معه على مشتري ١٢٨٠ سهماً بمبلغ ٥٠٠ و ٥٠٠ و ٢ فرنك تدفع بعد الحرب ، فذهب إلى أمريكا ومعه العقد المبرم بينه وبين موسيو هومبرت ، وبواسطة موسيو بافينستيد الموظف في بنك « جيرمانو أميركانو » تمكن من عرض مشروعه على الكونت بيرنتورف سفير ألمانيا في واشنطن ، وطلب منه لتنفيذ مشروعه عشرة ملايين من الفرنكات فانخدع بيرنتورف ، وأرسل برقية إلى فون ياجو بذلك ، فجاء الرد بالقبول ، وأرسل المبلغ على جملة مصارف في نيويورك .

وقد اشتبهت السلطة الفرنسية في المبالغ التي وردت باسمه إلى أمريكا ؛ ولكنها لم تجد الأدلة كافية . وعند دخول أمريكا الحرب أسرعت بإرسال لجنة تحقيق إليها ؛ وعندئذ قبض على بولو الذي أنكر أن هذه المبالغ وردت في ألمانيا ؛ وادعى أنها من نقوده الخاصة وكانت مودعة في أنفيس

شهادة يوسف صديق تسبب إعدام بولو : ولكن ثبت من التحقيق غير ذلك وكان من الأدلة التي اتخذت ضده معلومات حصل عليها مراسل جريدة الماتان من يوسف صديق باشا . وقد كانت هذه المعلومات سبباً في إعدامه

هذه السويسرة كلها مناعب وآروم : بعد ما عدت مع الخديو إلى الاستانة ، وانتهيت من ترتيب ما يلزمه من التخصصات والرواتب للحاشية والمرامى ، وانتهيت كذلك من حفلة عيد جلوسه على ما يرام ، واستقرت معظم المسائل التي تشغل باله ، استأذنت في السفر إلى سويسرة للاستشفاء ، ولاستصحاب أسرتي والعودة بها إلى الاستانة : وقد اجتهدت في استخراج جواز سفر سياسى لأضمن عدم تعقيش أمتعتى ، وقابلت الصدر لهذا الغرض فأمر بتسهيل طلبي

أوامر بخصوص عبد المنعم : وقد كان معى من التعليمات التي أخذتها من الخديو عند سفرى فيما يخص بالبرنس عبد المنعم . ألا أهتم بشيء عنه ، ولكن لما وصلت إلى سويسرة أرسل دولته يطلب مقابلتي ، فأجبت رسوله رشيد بك بأن الأصوب أرجاء المقابلة حتى لا يسمى الانجليز الظن به وى ، وربما فهموا أننى قدمت لاستمالته إلى والده ، ولما بلغه ذلك اقتنع ، ولكنه تأثر وقال : « انه يحبنى ويقدرنى وأنه كان يريد أن يسألنى عن أخواته » فأبلغت رسوله أخبارهن

بريد الخديو وطبيب خاص له : وكنت قبل سفرى وعدت الخديو أن أنفق مع قنصل جنرال الدولة فى جنيف على إيصال البريد الخديوى للاستانة ، وقد تم ذلك ، وصارت الرسائل تصل له وترد منه فى مدة قصيرة

وكذلك كان سموه قد اختار طبيب أسنان من السويسرة ، ولكن سفره تعطل من ناحية الحكومة السويسرية ، فتوسط لديها حتى صدر إذنها للدكتور بالسفر وقد جاءتنى رسالة من البشرى بشكر الخديو على إنهاء هاتين المسألتين

الاستعداد للعودة إلى الاستانة : أخذت فى إعداد معدائى للسفر من سويسرة أنا وعائلتى ، فاستدعيت نجاراً يرتب الأثاث فى صناديق كبيرة ثم ذهبنا إلى بادن للاستحمام علاجاً للروماتيزم الذى كان يتتأبى

أمانة السويسريين : وهناك جاءتنى رسالة من النجار بأنه وجد فى أحد الصناديق خاتم زواج من الذهب ، مكتوباً عليه اسم « عزيزة شفيق » سلمه له صبيه ، وهو يرسله لنا ؛ فأعجبت بأمانة الصبي والنجار وأرسلت له رسالة شكر ومعها مكافأة وعلى ذكر هذه الأمانة أذكر أننى كنت يوماً مع حرمى نودى بعض الزيارات

في جنيف ، فافتقدت ساعتيها ، وبها جديلة ذهبية ودبوس ، فأعلمنا عن ذلك ولم تمض ثلاثة أيام حتى جاءت سيدة فقيرة ، وسلمت لنا الأمانة الضائعة بعد التأكد من أنها لنا وكذلك في مرة أخرى كنت ذاهباً إلى لوزان ، ومعنى حقيقية ومظلة وأنا أسرخ لادراك القطار المتسلق لزيارة فؤاد علوى (ابن الدكتور علوى) المريض بالسل في مصحة فوق لوزان . ولشدة العجالة وضعت المظلة على شرفة فندق ونسيتها ، وبعد عودتي بأيام جاءتني المظلة ، وكان منصور القاضي قد أعلن عن ضياعها ، وعلمت أن أحد المارة رآها فسلمها لمكتب الشرطة الذي علم أنها لي فأرسلها مع جندى

السفر : في يوم ١٧ مايو سافرت من جنيف ومعى أسرتى وأسرة عبد الحميد شديد بك فأمضينا ليلة في بوكس ، ومنها إلى فلد كرش ، وعند قيامنا منها لم يستحضر الحمال كل أمتعتنا ونسى ثلاث حقائب ، ولم نعرف ذلك إلا بعد قيام القطار فاضطررنا إلى النزول في بلودنس ومنها عدت إلى فلد كرش ، واستحضرت الحقائب ، وفي يوم ١٨ منه قمنا إلى أنسبروك فوصلنا إليها قبل الساعة السابعة مساء

وكنتم قد حجزت مقاعد لنا في القطار السريع الذى يقوم بعد وصولنا إلى أنسبروك ببيع دقائق

ضياع حقيبة بها حلى ونقود : وقد تعبنا لأن أمتعتنا كانت كثيرة يضاف إليها الأطفال . ولما قام بنا القطار لاحظنا أن الحقيبة التى بها حلى حرمى والنقود الذهبية تركت في أنسبروك فأخطرنا الكمسارى الذى نبه بالتليفون عند أول محطة للبحث عنها ، وجاء الرد من المحطة التى نسيت فيها بأنها سترسل عند وجودها بقطار الصباح إلى فينا ولكنها لم تحضر

انتظار عباس بالقطار في بودابست : ووصلنا الى فينا صباح ١٩ منه ، وأمضينا الليلة ، وفي ٢٠ وصلنا الى بودابست بناء على أمر الخديو — وكان في أثناء غيابه قد دعاه امبراطور ألمانيا لمقابلته بقصد زيارة خطوط النار ؛ وقد آتم هذه الزيارة ، وفكر في العودة ، فأبرق لمقابلتي — وقد نزانا بفندق هونجاريا ، وعلمنا أن الغرف محجوزة لسموه وحاشيته ، وتأخر حضوره جملة أيام ثم وردتني برقية أخرى لمقابلته بمفردى في المحطة . ولما وصل القطار قابلته وكان في صالون ، وطلعت باشا في آخر ، وأحد أولاد السلطان عبد الحميد في ثالث ، فسألته عن الحالة السياسية ، فأجابني :

« المسألة لأجلنا بطالة » وكان الكدر بادياً على وجهه . وقال : إنه طلب إضافة مركبة نوم لأخذ عائلتي وعائلة شديد ، ولكنهم قالوا في برلين أنه لا توجد مركبات خالية .

عودة الى الحقيقة الضائعة : وبعد ذلك رجعت الى انسبروك ، فعلت أن الحقيقة الضائعة قد سلمها الحمال لأحد مستخدمي المحطة ، وهذا ادعى أن أحد الأتراك حضر بعد قيام قطارنا ، وذكر أنه مرسل من قبلي لأخذ الحقيقة ؛ ولكن لم يعرف اسمه ، ولم ير جوازه ، ولم يكتب محضر جرد وتسلم لتوقيع المتسلم عليه ولم يثبت أنه سلمها له أمام شخص ثالث ؛ فذهبت الى قاضي التحقيق ، الذي فتح « محضراً » دون فيه معلوماتي وملاحظاتى على تصرف الموظف ، وقد اتهمته باخفاء الحقيقة .

الرجوع الى بودابست وهدنة البلغار : ثم عدت الى بودابست بعد أن سلمت الأوراق لأحد المحامين في فينا ؛ وتركت عبد الحميد شديد وعائلته انتظاراً لقطار آخر لعدم وجود أما كن كافية لنا جميعاً . ولكن علمنا في نيش أن البلغار سلمت للحلفاء ، وأن الطريق قطعت ؛ وقد أثار هذا الخبر هياجاً عظيماً بين المسافرين ، وكان الزحام والحيرة في هذه الليلة كأنهما في ليلة الحشر .

وقد نزلنا في خان قدر ، ذقنا فيه الأمرين ولم يكن به غير سريرين ، مع أننا كنا خمسة .

وفي الصباح حاولنا السفر الى بلغراد ، ولكننا لم نجد أما كن في القطار لشدة الازدحام ، لولا رافة جماعة من البحارة والجنود الألمان في « جون » الوابور الحربى الألمانى بالأستانة ، فانهم قبلونا معهم في غرفة بالدرجة الثالثة ، وقد كنا عشرة مع امتعتنا . وساعدونا كذلك في بلغراد على نقل الامتعة وإيجاد غرفة في خان بها أربعة أسرة وأنظف قليلاً من التى في نيش .

متاعب ومرض وآلام : وكان من جراء هذا الاجهاد أن أصابتنا جميعاً الحمى الوافدة ؛ واشتدت وطأتها على حرمى ، عندما أصابها من الضعف .

وبعد ذلك عدنا الى بودابست ، وكانت حالتنا الصحية سيئة ، ولا سيما حرمى ، فان المرض أثر فيها كثيراً ، بحيث لم تتمكن من النزول على سلم الخان إلا زحفاً .

وأقننا في « بنسيون » أسبوعاً بكل رجاء ، لأن صاحبه كادت تخرجنا لما عاينته من مرضنا ، وحضور الأطباء لمعالجة حرمى ، وتوقعهم وفاتها .

وتوجهت بعدها الى فندق آخر وحجزنا غرفتين بهما أربعة أمرة . وهذا الفندق الجديد في غاية النظافة ، وبه حديقة غناء ، وحمامات من أحسن ما رأيت والأبهاء جميلة الأثاث ، ومديره طيب .

وقدار تاحث حرمي وتعافت نوعاً بعد أسبوعين إلا أن كريمي أصيبت بالدفترية فأمر طبيب الفندق بإرسالها الى مستشفى الخيمات ، ورافقتها والدتها ليلاً ، وكانت حالتها مزعجة .

وبعد أيام خرجت حرمي من المستشفى بعد أن اطمأنت على صحة كريمتي ، ثم أصيبت في اليوم الذي خرجت فيه باضطراب معوى شديد

وقد تركنا هذا الفندق إلى فندق آخر في مرجريت من جراء وقوع انقلاب في حكومة بودابست الى النظام البلشفي ، واحتلال المنتهين للبشيفية لهذا الفندق . وكان رئيس الحكومة يسمى « بلا كون » . وقد استولى البلاشفة على سوق الأغذية ؛ وخصصوا بعض المحال لهم ، وعليها شارات حمراء ، وبعضها لغيرهم . ونظراً لأن الطبيب أمر بأن تتناول حرمي أطعمة جيدة كنت أذهب الى السوق قبل الفجر للحصول عليها ؛ وكان المشترون يقفون بترتيب حضورهم صفّاً طويلاً أمام الدكاكين ومع أنني كنت أبكر إلا أنني لم أكن أجد ما أطلب في بعض الأحيان . وكان هذا الاجهاد مما يثير أعصابي ، ويجعلني كثير التهيج ، حتى أنني لم أكن أطيع ضحك أولادي ولعجبهم؛ وأثر هذا في أعصابي تأثيراً سيئاً

ولما اعتدلت صحة حرمي عزمنا على السفر ، وتمكنت من سحب أموالي ، وتقييد اسمي للسفر في القطار الصحي

وفي يوم ٧ يوليو سافرنا فوصلنا الى فينا بعد يومين ولم نعر على فندق نستريح به إلا بعد المرور على عدة فنادق مزدحمة فحمدنا الله على ذلك

وفي يوم ١١ يوليو قدمت نفسي للدكتور فوكس الرمدي ذي الشهرة العالمية وذكرته بأنه أوصى في سنة ١٩١٣ بضرورة إجراء عملية الماء في عيني اليمنى بعد خمس أو ست سنوات ، ففحصها وقرر أنها صالحة الآن للعملية ، واتفق معي على إجرائها في الغد ، وحجزت لذلك غرفة في المصححة

وفي الساعة الخامسة بعد ظهر اليوم المحدد حضر الدكتور ، ومعه مساعده

وطبيب المصحة ، وطماننى بعد فحص عيني للمرة الثانية بأن العملية مضمونة النجاح ؛
ثم ابتداء فى وضع المخدر الموضعى وأتم العملية فى مسافة قصيرة ، ثم ربط العينين ،
وتركنى . وقد قضيت الليلة متألماً . ثم عاد لزيارتى فى الصباح وقال : « إن الحالة
جيدة » فشكوت له من الامساك ، فنصح لى بأخذ ماء معدنى ، وأمر بالغذاء المناسب
ولكن الامساك ظل يزداد ، وأحسست بالتهاب فى عيني ، فخل الطبيب البول
وفى هذه الأثناء حضر الدكتور كاوتسكى ، وعلمت منه انه وجد فى البول واحداً
فى الألف من السكر . ولما جاء الدكتور فوكس سألته عن سبب الالتهاب وما ينشأ
عنه ، فأجابنى : ينشأ عنه « اكسوداسيون » فسألته : وهل يتلف العين ؟ قال :
« بكل أسف نعم » فكان هذا الجواب ضربة شديدة على نفسى

ثم بقيت بعد ذلك من يوم ١٦ إلى ٢٤ للتغير ، وغادرت حجرة المصحة الى
الفندق حيث تقيم عائلتى

وبعد عشرة أيام قابلت الدكتور فوكس ، ومعى الدكتور كاوتسكى وطلبت
منه أن يدانى على ما يقوى نظر عيني اليسرى ، ففحصها ثم كتب ورقة لكاوتسكى
بنوع من النظارات يساعدنى على القراءة والكتابة .

العودة إلى السويس : وقد سافرنا فى ٢٣ أغسطس فوصلنا إلى فلديكرش
ومنها إلى بوكس ، ثم زوريخ ، ونزلنا فى فندق ناسيونال

وكانت حرمى قد شكت للدكتور كاوتسكى من آلام تعترىها فى معدتها ، فكشف
عليها بأشعة رنتجن ، وأخذ صورتين لها ، ثم أوصانى أن أعرضها على طبيب نمساوى
فى زوريخ فلما بلغناها ذهبنا للطبيب فأشار بعملية ، ولكنها رفضت ، وبقى الألم
يعاودها بعد ذلك .

ثم سافرنا إلى لوزان فقدمتها للبروفسور « رو » فقرر وجود حصاة
فى المعدة تستدعى عملية . ولكنها بقيت تتردد فى إجرائها حتى يوم ٢٥ نوفمبر
فاستشرنا « رو » للمرة الأخيرة فأصر على ضرورة العملية . وعلى ذلك رضيت بها
وحجزت لها حجرة بالعيادة من أول ديسمبر ، وفى اليوم التالى أجريت العملية ،
وبقيت فى المستشفى إلى يوم ٢٤ ، حيث تقرر خروجها فى ذلك اليوم معافاة ؛ فسررنا
وأعدنا المعدات لأقامة حفلة فى الفندق بحضور الأولاد ، ولكن الله لم يكن قد
أراد انتهاء هذا المرض إذ ظهر أخيراً أنه لا بد من عملية أخرى يوم ١٣ يناير

سنة ١٩١٩ ومع ذلك قد خرجت معنا. وأقمنا الحفلة وقضينا فيها وقتاً كنا خلاله في فرح وسرور.

شؤنه مختلف :

أسرار عن الثورة العراقية : في ١٤ يناير . حضر اسماعيل باشا فاضل من رجال الحرية القدماء ، وكان مرافقاً للسلطان عبد الحميد . وبعد أن زار الخديو جلس عندي وذكرنا شئون مصر والاحتلال ، فقال لي : « إنه لم ببعض أطراف المسألة المصرية » وروى لي أنه عندما ثار عرابي على توفيق باشا كانت الدولة عازمة على إرسال حملة لاختتام الثورة ، وصدرت الأوامر باستعداد عساكرها التي كانت في كريت للسفر إلى مصر ، وأمرت فرقة من الاستانة بالذهاب إلى كريت لتخلفها . إلا أن يوسف رضا باشا رئيس لجنة اسكان المهاجرين رفع تقريراً إلى السلطان ، يحذره من إخلاء العاصمة من العساكر ، لئلا يخلعه الشعب كما خلع السلطان عبد العزيز ؛ تخاف على نفسه ، واستعاض عن الحملة العسكرية بأرسال درويش باشا سعيّاً للوفاق بين الترابيين وتوفيق باشا .

أخبار العائلة الخديوية : في يوم ١٩ يناير جاءت برقية من شديد يطلب فيها ١٥ ألف فرنك لمصاريف سفر جلال الدين باشا وعائلته ، فأرسل الخديو عارف باشا ليحصل على إذن المالية بأرسال المبلغ المذكور .

وفي يوم ٢٨ منه كان الخديو معتدل المزاج ، وتكلم مع جلال الدين باشا (وكان قد حضر) بلطف إنما طلب مني ومن عارف باشا أن نجري حساباً عما صرفه وعما تسلمه من شديد بك قبل سفره وهو ٢٥ ألف فرنك سويسري و ٩ آلاف كورون أرسلت له في فينا ، فتكلمنا مع الباشا وكتب عارف وثيقة بتسلم المبلغين مبيناً فيها أن الخديو كان يعطى لكريمته مدة إقامتها في سويسرة ٣٩٠٠ فرنك لمصروفها ، من الخمسة والعشرين ألف فرنك مرتبها مدة خمسة أشهر من أكتوبر إلى فبراير ، والباقي مع التسعة آلاف كورون هو مصروف السفر ، وهذا لتوقع عليه البرئيس وقد ركبنا مع سموه وبعض الحاشية من بيك لمرافقته إلى جبوقلي ، وفي الأثناء عرضت سيرة كريمة فقال لي : « إن اللازم عمل حساب آخر لمعرفة مقدار ما أخذته من المال بعد انقطاع مرتبها من مصر عقب إعلان الحرب ، حتى لا تدعى أنتي حرمتها مالها » ثم ألمح إلى المساعي التي قيل لسموه أنها قامت بها للحصول على نقود

من خزانة الخاصة بمصر ؛ وعطف بعد ذلك على مايقوله البعض وسمعه هو من أن ولي عهده البرنس عيد المنعم له في ذمته أربعمائة ألف جنيه ، وأجاب على هذا القول ، بأننا إذا حسبنا ما كان مرتباً له من يوم ولادته إلى أوائل الحرب لم يزد على مائة وتسعين ألف جنيه ، بفرض أني ماصرفت عليه قرشاً واحداً ، فكيف يكون له عندى أربعمائة ألف جنيه ؟ .

وتذمر من كريمته وزوجها ، وروى لى ان الوالدة لما سمعت بمطالبتها بما لها استغربت ذلك ، وقالت لسموه : « انه لما خرج اسماعيل باشا من مصر ومعه صناديق ملائى بالذهب مكتوب عليها (شبنانيا) لم تشأ هي ولا المرحوم توفيق باشا أن يكشفوا السر ويفضحاه » وعلى الجملة لقد كان مملوءاً غيظاً من كريمته ومن جلال الدين باشا

وفي ٢٥ مارس أمرنى أن أجرى حساباً لكريمته باعتبار ان لها راتباً قدره مائة وخمسون جنيهاً صرياً في الشهر ، وهى قيمة ما كانت تأخذه من الخزانة المصرية ، وانقطع في ديسمبر ١٩١٤ فكان الحساب كما أتى : أولاً : أنها كانت مقيمة في جبى قلى على مصاريف والدها . وكذلك مصاريف سفرها من الاستانة في ٧ يونيو ١٩١٥ . ثانياً : لما كانت في فينا وسافرت بعدها لسويسرة مكثت في الفنادق مع الخديو هي وزوجها وولدهما والخدم على حساب سموه لغاية دسمبر ٩١٥ . ثالثاً : انفصلوا بعد ذلك ، وترتب لها ٣٩٠٠ فرنك سويسرى شهرياً ، يقابل ١٥٠ جنيهاً مصرياً لمصاريفها ، حتى رجعت أخيراً إلى الاستانة ، كما ان والدها صرف ٥٥٠٠ فرنك في سويسرة ، و ٩ آلاف كورون في فينا لسفرها ومصاريفها . رابعاً : بعمل الحساب عن المدة من دسمبر ٩١٥ تاريخ قطع مرتبها من مصر ، لغاية انفصالها في سويسرة من المعيشة مع والدها أى ١٣ شهراً يكون لها ١٩٥٠ جنيهاً مصرياً ، باعتبار ١٥٠ جنيهاً في الشهر وهذا المبلغ تسلم لها اليوم وأعطت وثيقة بذلك

وكلفنى عباس أن أعرف جلال الدين باشا بصفة شخصية أن سموه في مقدراته الآن أن يوسع على أولاده ، ويريد أن يعلم ولي عهده كيف يعامل شقيقته ، وأعرفه أيضاً بأن البرنسيس ستقبض مرتبها شهرياً فضلاً عن الأرزاق التى سيخاطب نظارة الحربية في صرفها لها .

المصريون في السويسرة : في يوم ٣١ يناير حضر شتوان بك إلى بيك ، وأخبرنا أن الحكومة العثمانية سترسل مندوباً إلى سويسرة للقيام بتحقيق عن حالة المصريين الذين يتناولون بها مرتبات من الدولة ، لمعرفة ميولهم نحو أعدائها ، وطلب من سموه أن يرسل له معلوماته عن هؤلاء المصريين لتقديمها إلى المندوب . وقد كلفني أن أتعاون مع عبد الله البشري على كتابة مذكرة بالمعلومات المطلوبة فأعدناها معاً يوم ٢ فبراير وهي تحتوى على ما يأتى :

أولاً : المصريون في سويسرة ينقسمون إلى طلبة وغيرهم : ومن الطلبة من يأخذ مرتباً من الدولة ، ومنهم من تأتى له نقود من مصر . أما غيرهم فبهم رجال ونساء وبعضهم يأخذ نقوداً من الدولة ومن مصر .

ثانياً : من المصريين خليل بك وهذا استحضر معه خادمة انجليزية من الاستانة بجواز سفر عثماني ، وقد تزوجت بصف ضابط انجليزي موظف الآن في سفارة انجلترا في برن وله علاقات ومخابرات مع قنصل انجلترا في جنيف ، وقد تمكن من استخدام مبارك بك ابن الصدر الأسبق فريد باشا مخبراً سرياً براتب يتقاضاه من الدولة ، مع أن مبارك هذا سافر لسويسرة والآن يتجسس لحساب الانجليز وكذلك في الاستانة زوجة فريد باشا ، وهي تستحضر نقوداً من أحد بنوك ألمانيا وترسلها لابنها نور الدين بك .

وقد أرسلنا المذكرة لشتوان بك مع رسول بعث به في طلبها .

وفاة السلطان عبد الحميد : في يوم ١١ فبراير أعلنت الصحف وفاة السلطان عبد الحميد ، وعلم الخديو هذا الخبر فأبدى أسفه وحزنه ، ولما كان نجله عبد الرحيم افندي قد زار الخديو قريباً فقد سألت سموه : « ألم يخبركم عن مرض والده ؟ » فأجبنى « لا يا شفيق لم يفاتحنى في هذا الصدد ولا بد أنه غير سائل عن والده » ثم تأوه وقال : « وهكذا يكون حال الأولاد الذين أمهاتهم من الجوارى ... ؟ » فقلت بتأثر « كل شيء قسمة ونصيب » وقد ذهب سموه للاشتراك في تشييع الجنازة بالملابس الرسمية ، ومعه رئيس التشریفات ، والسر ياور ، ورئيس الديوان التركي ، ولم أذهب أنا لعدم تكامل الملابس الرسمية عندي .

وفي المساء توجهت مع الخديو أنا ورمزي باشا طاهر ، وعارف باشا ويكن باثما الى ضولمه باغچه وكتبنا أسماءنا في سجل التعزيات ، ثم قابل عباس

السلطان فعزاه في وفاة شقيقه . أما نحن فانتظرنا في غرفة رئيس الحجاب ، وهناك حضر توفيق باشا الصدر قبل الأسبق وكان سفير الدولة في إنجلترا قبل الحرب ، فقدمت نفسي وزملائي اليه وجلسنا نتحدث فسألني عن البرنس محمد علي باشا ، وعن حسين رشدي باشا حيث كانا في حفلة تتويج ملك إنجلترا ، عندما كان هو سفيراً بلندن .

مذكراتي في يد الخديو : كنت قد تركت المذكرة التي أقيدها فيها مذكراتي اليومية يوم ٢ مارس سهواً فوجدتها منصور أفندي ، القاضي ، وسلمها لأحمد بك فريد لا يصلها إلى ، ولكنه سلمها للخديو لافتاً نظره الى خطورة ما أكتبه فيها ، فأخذها سموه وقلب بعض الصفحات ، ثم قال : « ولماذا يكتب شقيق كل ما يسمعه ، أو يعلمه ؟ » وقد بلغني ذلك من البشري ، فأخبرته أنني تعودت تقييد مذكراتي منذ عهد بعيد ، وربما تنفعنا في المستقبل . وقد علمت بعد ذلك أن ما قلته نقل الى عباس فأبدى ارتياحه له . ولما قابلني بعدها نهني الى خطورة ترك مذكرات كهذه يطالع عليها الآخرون وكنت ألاحظ بعد ذلك أنه يكتف عني كثيراً من الأخبار ، فاستنتجت أنه لا يريد أن أطلع على الأسرار وأدونها ! . . . وكانت هذه هي المرة الثانية في سرقة مذكراتي فعندما كنا في زوريج أخذها نور الدين أفندي خفية وأطلع الخديو عليها فبعد أن تصفحها أمره بردها في موضعها .

رأى الصدر في حل المسألة المصرية . في يوم ٢٤ مارس أوفد الخديو عارف باشا الى الصدر لتحديد ميعاد لزيارته ؛ وتقرر أن يكون الموعد ظهر يوم ٢٦ منه . وبعد عودة سموه كان يبدو عليه السرور من هذه المقابلة ، وأخبرنا أنه دار الحديث حول الصلح الذي عقدته الدولة مع روسية ، وعلى بعض الشؤون الحربية في القفقاس وغيرها .

أما مصر فقال الصدر : « إن مسألتها ستحل على منضدة مؤتمر الصلح ، لأنه من الصعب على الدولة استرجاعها ، بعد توغل الانجليز في فلسطين » وأكد أن سموه في نظر الحكومة العثمانية هو الخديو المعبر شرعا ، ولا خديو غيره . فقلت لسموه : « مادام الصدر يقول : « إن المسألة ستحل على منضدة المؤتمر ، فيجب علينا إذن أن نفكر فيما سنقوم به من الأعمال لخدمة القضية المصرية ، تحت ارشاده » فأجابني أن الشيخ جاويش يسعى ونحن نريد أن نترده أولاً حتى يظهر فشله نهائياً ، لأنه كما بلغني قد سقطت قيمته لدى الألمان والأتراك ، وعندما يفشل نقول له : « إذن تخلف أنت ودعنا نحن نعمل !!! »

سنة ١٩١٩

بينى وبين البرنس محمد على — المخبرات بينى وبين سعد باشا — العودات
بينى وبين عبد الله البشري . أوامر بخصوص مرسمة للاستاذ وفيه المحامى —
مخبرات متنوعة مع عباس وهاشية — حفلة تأبين للمرحوم محمد بك فريد —
أخبار عن مصر

بينى وبين البرنس محمد على :

البرنس والحركة الوطنية : أرسلت يوم ٢٨ ديسمبر سنة ١٩١٨ رسالة الى
البرنس محمد على ، أطلب منه أن يخبرنى عن بعث بالبرقيات الى ويلسون طالباً
استقلال مصر ، وهل هو على رأس المطالبين بهذا الحق ؟ وهل يستصوب ضم صوتى
وصوت من معى من المصريين فى بودابست (حيث كنت قبل العودة الى السويس)
الى أصوات المطالبين بهذا الاستقلال ؟

وقد جاءنى منه الرد بتاريخ ٢ يناير سنة ١٩١٩ ، يتلخص فى أنه لا يعلم شيئاً عن
القائمين بهذه الحركة ، وكل ما يعلمه أن المصريين بالسويسرة منقسمون الى حزبين :
حزب برياسة محمد بك فريد ، والآخر برياسة اسماعيل بك لبيب .

بين أفراد العائلة الخديوية : وفى يوم ٣ نوفمبر سنة ١٩١٩ جاءتنى رسالة من
الدكتور سيد كامل ورد فيها .

« أعرف سعادتك أن المساعى المتعددة والمتنوعة الجهات . التى قام ويقوم بها
دولة البرنس الجليل محمد على باشا ، سواء لرجوعه الى مصر أولاً ، أو لذهابه الى
فرنسا ثانياً ، ليست بما انشرح له الجنب العالى الخديوى ، لا لاعتبارات ذاتية فيما
يتعلق بمركز سموه ، بل لأن أمثال هذه المساعى ، دون التفكير فى الحضور لرؤية
دولة والدته ، مما يجعل دولتها تتأثر وتحزن ، خصوصاً بعد غياب دولة البرنس عنها

خمسة أعوام ونصف عام ، وازدياد شوقها إلى مشاهدته يوماً بعد يوم . قرب الله أيام اللقاء في سرور وهناء .

وقد أرسلت للبرنس بعد ورود هذه الرسالة إلى كتاباً ، أشرت فيه إلى ما يراه شقيقه في مساعيه للسفر ، قبل رؤية دولة الوالدة .

فجاءني الرد منه بتاريخ ٢٩ نوفمبر وفيه يقول :

« قد وصل جوابك وتلوته . فأما رأي أخي العزيز في مساعي وأعمالى ، فجباً لهو أدباً لشخص كان كبيرى وكبير العائلة ، ورعاية للأخوة أحجم عن البوح بشىء مما فى نفسى . وأنكم لتعرفونا منذ الصغر نحن الاثنين وتعلمون أحوالنا وسلوكنا فى الخمس السنوات التى نأينا فيها عن الأوطان . وأنا والحمد لله قد وصلت اليوم الى سن الخامسة والأربعين ، ومستجمع لكامل الصحة والعافية ، ولا أجهل كل واجب ، وبالأخص واجبات صاحبة الدولة والدتى ؛ والله يعلم ضميرى ، وإنى متوكل عليه ، وطالب منه الرحمة والعفو ؛ وكفانا أعداؤنا المعلومون ؛ فلا يعمل أحد على الإيقاع بيننا لهلاك عائلتنا »

وبعد ذلك كتبت إلى سموه أعرض رأيي بأن يرسل إلى دولة الوالدة رسالة ، إذا كان لا يستطيع رؤيتها .

فجاءني الرد منه بتاريخ ٢٧ ديسمبر وهو فى « نيس » يقول فيه :

« أما من جهة كتابتى إلى دولة والدتى المحترمة ، معرباً عن إحساساتى الشريفة النبوية ، فقد أديت هذا الواجب قبل مبارحتى بلدة منترو ؛ وأنا أقوم بهذا الواجب كل خمسة عشر يوماً . وأما سمو أخى المحترم فنسأله تعالى أن يرضيه ويرضينا » . ثم ذكر أنه من يوم حضوره إلى « نيس » لم تصل إليه ردود على رسائله لوالدته ؛ وهو يخشى أن تكون رسائله لم تصل إليها . ولذلك أرسل لى خطاباً باسمها ؛ وكلفنى أن ألقيه فى صندوق البريد ففعلت .

مخبرانى مع سموه باشا : فى يوم ٢٧ يوليو أرسلت برقية إلى سعد باشا رئيس الوفد المصرى بفندق « جران هوتيل » بباريس قلت فيها :

« بمجرد رجوعى إلى السويس أرسل لمعالىكم وإخوانكم أعضاء الوفد الكرام تحياتى القلبية ؛ وأضخم صوتى إلى أصواتكم فى مطالب وطننا العزيز الحققة ؛ وإننى لأرجو الله أن يكلل مهمتكم السامية بالنجاح ، فان الله والحق فى جانبنا »

وقد ورد لي الرد في برقية منه بتاريخ ٣٠ منه قال فيها :
« أعضاء الوفد وأنا نشكركم على تحياتكم القلبية » .
وفي ١٩ سبتمبر وردت لي الرسالة الآتية من معاليه ، رداً على رسالة مني إليه .
« عزيزي صاحب السعادة احمد شفيق باشا .

أشكركم جزيل الشكر على ماتضمنه خطابكم الأخير من عبارات التهئة بحلول
عيد الأضحى المبارك أعاده الله عليكم وعلى عائلتكم الكريمة بالصحة والهناء ، وحقق
آمالنا جميعاً في استقلال مصرنا العزيزة .

تأثرنا لانحراف صحة السيدة حرمكم المصون ؛ ونرجو أن يكون قد زال ذلك
العارض ، وإن حرمي تبلغها أزكى تحياتها ، وترجو لها دوام العافية ، ولسعادتكم
منى في الختام أحسن التحية ، وأزكى السلام »

وفي يوم ١٢ ديسمبر كتبت له رسالة جاء فيها :

« الآن وقد استراح فكري قليلا من ناحية صحة حرمي أردت أن أكتب
إليكم في شأن وطننا العزيز

على الرغم من شواغلي كنت أطلع جرائدنا ، وقد تأملت لما يلحق مواطنينا من الفتك
بأرواحهم دون شفقة ولا رحمة ؛ وخصوصا الشدة التي أعقبت وصول الجنرال النبي لمصر ،
وأنا أسف على رفض اقتراح العضو الديمقراطي في مجلس الشيوخ الأمريكي بمنح البلاد
استقلالها ؛ فلم يبق أمامنا إلا اتقرب حصول مشاكل جديدة في أوروبا ، تسمح لنا بالاستفادة
منها ، وعلى كل حال يجب علينا ألا نغفل عن كل احتمال ، وأن نتكل على الله وعلى نهضتنا
الوطنية التي بارك الله فيها ؛ لافرق بين صغير وكبير ، وغنى وفقير ، ورجل وامرأة
إنما أرى يا أخى القيام بأمرين ، أعرضهما على ثاقب فكمركم

الأمر الأول : انشاء جريدة في بلد محاييد بعنوان « الاستقلال المصرى » أو
« الأنباء المصرية » ، تعبر عن آمالنا الوطنية ؛ وتدافع عن حقوقنا المغتصبة ، وتنشر
اخبار بلادنا نقلا عن جرائدنا وجرائد أوروبا ، وتنتقد أعمال المحتلين . وبهذه
الطريقة نغذى الرأى العام الأوروبى بما يجرى في بلادنا على الدوام .

الأمر الثانى : السعى لاستمالة الباب العالى إلى أن يعلن في مذكرته التي سيقدمها
بطلباته إلى مؤتمر الصلح ، نزوله عن سيادته على مصر لمصر نفسها . وطبعى أن
هذا الإعلان لا يعمل به انجلترا ، ولكنه يفيدنا أدبياً ، ويساعدنا في طلباتنا . وإذا

راقكم هذا الاقتراح فأنتى أخاطب من يقوم بهذا المسعى وعلى الله حسن التوفيق »
وكنت في إحدى رسائل للدكتور سيد كامل أشرت بهذه الفكرة ، تمهيداً
للبحث عن يقوم بالمسعى لدى الباب العالى ، إذا وافق سعد باشا عليها .

وفي يوم ١٥ ديسمبر جاءنى منه رد على كتابى ، يقول فيه :

« إن إنشاء جريدة لمصر فى أوربا مسألة تستحق النظر ، وهى موضوع البحث
لدينا من زمن طويل . أما مسألة تركيا فلا نرى من فائدة للسعى فيها . أولاً : لأننا
أعلننا من بدء النهضة الحالية ، أن علاقتنا بتركيا انقطعت وأصبحنا مستقلين عنها .
ثانياً : لأن اللورد كرزون صرح فى مجلس اللوردات حديثاً بأن انجلترا لا ترى
لتركيا حقاً على مصر ؛ ولا تعلق مستقبل هذه على ما يحصل بينها وبين تركيا .

وبناء عليه فلا فائدة مطلقاً من السعى الذى أشرت إلىه »

وفي ٢٣ منه جاءتنى رسالة منه ردا على رسالة منى إليه وما ورد بها :

« إن مآثرته فى الجرائد ليس إلا صورة مصغرة من نهضة مصر المباركة ، التى
هبت من رقدتها ، مطالبة بحقها فى البقاء ، شاعرة بأن لابقاء لها بغير الحريات
والاستقلال ، باذلة فى سبيل ذلك أعز مآلديها من الأرواح والأموال . ولقد أنابتنا
فى المطالبة بحقوقها ؛ وكم صادفنا فى طريقنا من الصعوبات ، ولكنها لم تنزعنا ،
فنحن مثابرون على المطالبة بحقوق بلادنا بكل الوسائل المشروعة الممكنة

« وإن المسائل المعضلة التى أشرت إلىها فى كتابكم لم يصعب علينا إيجاد الحل
المناسب لها ، مع مراعاة مصالح الجميع ، كما ترونه فى الأوراق الحاوية لبعض أعمالنا
المرسلة إليكم مع هذا . وفقنا الله إلى ما فيه الخير لبلادنا . وإن ثقتنا فى الله لكبيرة
لاستناد قضيتنا إلى الحق والعدل »

المراسلات بينى وبين عمير الله البشرى : سافرت الحرم من الأستانة تقصد
السويسرة وبمعيها عبدالله البشرى ، ولكنه انفصل منها واتصل بى وبعائلى ، فقابلناه
بكل مظاهر المودة والعطف ، وبقى معنا حتى سافرنا من فينا للسويسرة ، فأرسل
إلى عدة رسائل منها واحدة بتاريخ ٢٦ يوليو جاء فيها :

« أقدم لسعادتكم خالص تحياتى وشوقى ؛ وأقدم احترامى لحضرة السيدة المصونة ،
وبعد فقد وجدت فى صندوقى بالبنك مبلغ أربعة آلاف كرون ؛ وهأنذا أرسلها
لسعادتكم بيد الشكر والثناء . وتأكد يا سعادة الباشا أنتى لا أنسى ما عشت فضلكم

على في أيام الغربة ؛ وسأحفظ في قلبي تذكراً جميلاً لمروءتك وانعطافكم ، وما احظتموني به من العناية ، أتم والسيدة المصونة المحترمة والأناجيل ، حتى أنسيتموني في بعض الأحيان أننى غريب ، وأننى بعيد عن أهلى .

« كنت أعطيت للسيدة المصونة سنداً بالمبلغ المذكور فأرجوكم تمزيقه »

وفى يوم ٢٢ نوفمبر أرسلت إليه كتاباً جاء فيه :

« إننى أنا وعائلتى لانسى مطلقاً عشرك الطيبة ، ولا مجلسك الأئيس ، ولا ضحكك ولا كلامك العذب ، ولا تأثر أعصابك في بعض الأوقات ولا . ولا . . . ومراراً ماقلنا : « ينقصنا عبد الله بك » فلا عدمنالك أخاً وفيماً ؛ وإننا حقيقة نحس بفرأغ بيننا لأنك كنت منا . »

أوامر بمصرى الاستاذ وفير المحامى : وردت إلى رساله بتاريخ ٢٢ نوفمبر من عبد الله البشرى ، وكان قد سافر للسويسرة ومنها عاد للاستانة جاء فيها :

« تعلمون أنه وصل من مصر إلى السويسرة حضرة أحمد وفق المحامى ؛ وهو

يقيم على ماأظن بجنيف والمطلوب أن تقابلوه بشخصكم ، وتحادثوه شفهاً بما يأتى :

« أن القضية المصرية تستفيد كثيراً من أن يكون لها محامون أحرار ، ليست لهم صلة بأى سلطة من السلطات ، يدافعون عنها في البلاد المتفرقة ، والممالك الأجنبية وإن لها الآن والحمدلله كثيراً منهم بالسويسرة وفرنسا وإيطاليا وغيرها من الممالك المتحالفة والمتحاربة والمحايدة ؛ ولكن ليس لها منهم أحد بالاستانة ؛ فاذا أراد حضرة أحمد وفق أن يقوم بهذا الواجب المقدس المفروض ، الذى نرى أنه من خيار الأاكفاء للقيام به ، فأننا مستعدون للقيام بكل



الاستاذ احمد وفق المحامى

مصاريف سفره من السويسرة إلى هنا في الدرجة الأولى ، كما ندفع له كل مصاريفه هنا طول المدة التى يرى ضرورة إقامته بها ، حيث يشتغل حراً بعيداً عن الانتساب لنا ، نراه من وقت لآخر ، فيتسع له ميدان العمل وحرية ، ثم ندفع له كل مصاريف

عودته إما إلى السويسرة أو إلى مصر أو غيرهما من الممالك ، حسبما يريد
« ولأننا نستحسن أن يكون حديث سعادتك معه دون وسيط ؛ حتى لا ينتشر
ذلك في الأندية والمجتمعات .

« وإذا أقبل كلفوه أن يطلب من قنصل إيطاليا الترخيص له بالسفر إلى الاستانة
بالتغراف ، بنفس الطريقة التي اتبعتها أنا ؛ وتعلمون سعادتك تفاصيلها . ويظهر أن
حضرته محبوب من حكومة إيطاليا ، بدليل أنها سهلت له طريق سفره إلى السويسرة
وبهذه المناسبة أخبر سعادتك أنني خرجت من السويسرة ، ووصلت إلى الاستانة
بغاية الراحة ، دون أن تفتش حقائبي في الطريق ، وأوصلت كل رسائل مقلقة ، لم
يطلع عليها أحد . ولما وصلت السفينة إلى الاستانة حضر ضابط إيطالي أمضى على
جوازات السفر بالصلون ، دون أن يوجه إلينا أى سؤال ؛ ونزلنا إلى البر بعد
ذلك دون أية إجراءات أخرى .

« وفي الوقت ذاته تقدرون مصروفات سفره وترسلونها إلينا ، كي نبعثها لكم
تلغرافياً .

« وإنى أذكر لسعادتك ماصرفته أنا بالطريق على وجه الاجمال والتقريب ، كي
تستنبهوا به في تقديركم لمصاريفه . (وذكر النفقات)
« وعليه فيمكن سعادتك تقدير اللازم من الفرنكات السويسرية واليطاليانية ،
فترسله اليكم .

« وإذا تم الأمر وقبل صاحبنا ما أخبرناكم به تطلبون النقود منا بالتغراف
على الوجه الآتي :

يرسل تلغراف من الموسيو شوفلبرجر يقول فيه : « أرسلوا لي مبلغ كذا على
لوزان » ويكون معنوياً باسمي في جبوقلي . عند ذلك نفهم نحن ، فترسل المبلغ باسم
سعادتك تلغرافياً ؛ ومتى وصل اليكم تسلمونه لحضرة وفيق بك ، وتأخذون منه
إيضالاً بتسلمه ؛ وترسلون الايصال إلينا بالبوستة ؛ ويستحسن تسليمه المبلغ بعد
استخراج جواز السفر »

وقد رددت عليه بتاريخ ٤ ديسمبر برسالة جاء فيها :

« إنني سأنفذ الأوامر . والفكرة صائبة ؛ وماهى إلا واحدة من مبتكرات
سمو الخديو ؛ والشئ من معدنه لا يستغرب ؛ وإنى أشكرك يا صاحبي لهذه البيانات
التفصيلية المفيدة عن رحلتك ؛ وسأستفيد منها عند سفري »

وفي يوم ١٢ منه أرسلت له رسالة ثانية بأنني بحثت عن محل إقامة الأستاذ احمد وفيق فلم أوفق ، ووجوده مجهول في السويسرة : وقيل لي أنه لم يحضر مطلقاً اليها ؛ وأنه رجع من إيطاليا الى مصر . وعند سفرى الى برن استعلم من مكتب بوليس الأجانب بها ، فاذا كان اسمه ليس مدوناً فيه تحقق لي عدم وجوده ، وبالفعل لم أجده مخبرات متنوعة مع عباس وهمايئة : قضيت نصف العام الماضى الأخير والنصف الأول من هذا العام ، فى متاعب وآلام شديدة شرحت جانباً منها فى مذكرات العام الفائت ، وكانت لها ذبول وبقايا ؛ إذ أجريت لحرمنى عملية جراحية أخرى ، وظلت صحتها سيئة : وانقطع عني مرتبى من الأستاذة ، نظراً لانقطاع المواصلات بينها وبين النمسا بسقوط البلغار ؛ وبقينا فى النمسا ثم فى السويسرة نعانى كثيراً من هذه الحالة .

حالى الصحية : وقد أرسلت للخديو رسالة يوم ٢٨ يوليو شرحت له فيها ما أصابنا ثم قلت : « إننى أنتظر أوامره فى البقاء بالسويسرة أو العودة الى الأستاذة » ، وعزيتة فى وفاة البرنس عب القادر .

وفى يوم ٢٣ أغسطس سنة ١٩١٩ وردت لي رسالة من موسيو كونستان شوفلبرجر سكرتير عباس السويسرى يقول فيها :

« إن خطابى وصل للخديو منذ ثلاثة أيام وأن سموه يشكرنى على التعزية ، ويهنئنى بالخلاص من الصعوبات الجمّة التى لقيناها ، ولكنه يأسف لعدم نجاح العملية التى عملت لي ، ويرجو أن يكون هذا آخر ما يصيبنى . وأنه كان ينتظر على الدوام رجوعى ، وكان يرسل عند وصول كل باخرة مندوباً للبحث عني ؛ فكان فى بعض الأحيان يجد بعض المعارف فيطلعوناه على أخبارى .

والخديو يلفت نظرى إلى أن الحكومة التركية منذ توقيع الهدنة قطعت نصف المرتبات حتى مخصصات سموه ، كما أنها قطعت نهائياً مرتبات الموظفين الذين تركوا الاستانة ماعداً ؛ ولكن النقود الخاصة بى لاتزال فى الخزانة التركية موقوفة لحين رجوعى »

وفى يوم ٢٧ سبتمبر وردت إلى رسالة من الدكتور سيد كامل جاء فيها :
« الحمد لله الذى كما ربط قلوبنا بروابط المحبة والرحمة وصل بيننا بنعمة المراسلة .
وقد وصل إلى كتابكم المحرر فى أوائل هذا الشهر فتألمت لما جاء فيه وسجدت لله شكراً أن أخرجكم من أشد المضايق التى كنتم فيها سالمين ، لولا ما أصابكم فى نعمة

النظر، وجمعكم ببقية أنجالكم المحروسين رغم ما أصاب من كان معكم في سفركم من دواعي التعب وأوصاب المرض، ورجوته سبحانه وتعالى أن يجعل ما عانيتموه من مشاق السفر وقلق الغربة وحيرة الحال نحو عام من الزمان آخر ماترونه من متاعب الأيام في حياتكم، وحياة أولادكم الطويلة، وأن ينعمكم بعد الذي قاسيتمو، براحة البال، وتحقيق الآمال جزاء وفاقاً لما صبرتم ولما نويتم

« وقد تشرفت بتقديم مكتوبكم الخاص بتهنئة عيد الأضحى المعنون باسم الجنب العالى الخديو إلى سدته السنية، فحاز لديها تمام القبول والارتياح وصدركم إلى الأمر ببلاغ سعادتكم تشكراته، ثم رضت بين أيدي سموه كتابكم إلى فتفضل بالاطلاع عليه، فظهرت لي من ملاح سموه أمارات التأثر على ما قدره الله لكم من حرمان بعض النظر، وعلى مالاقيه أولادكم ولاقيتموه من المصاعب والشدائد

« أما ما سألتوني عنه بخصوص ما حررتكم من مكاتيب إلى جهتنا فالذي أعرفه هو أن الذى وصل الجنب العالى من طرفكم طول السنة الماضية لا يزيد عن كتابين أو ثلاثة كتب، وصل أولها أو ثانيها عن يد مسافر قام من بودابست إلى الأستانة ووصل ثالثها أخيراً إلى سموه عن طريق البريد من سويسرا، ثم كتاب وصل الماس أغا حديثاً، ثم ما تفضلتم بكتابته في أوائل الجارى. وهذا خلاف زيارة زارها مظهر لبيك حيث تشرف بالمقابلة في وقت لم أكن فيه لمخادثته

« وأما ما أرسل من جهتنا إلى طرفكم فاني أعرف يقيناً أن الجنب العالى حفظه الله أمر موسيو شوفلر جر السكرتير الخاص بكتابة الرد على جوابكم الواصل من سويسرا، وأعرف يقيناً أن هذا الرد أرسل إليكم منذ شهر من الزمان بعنوان أو تيل ناسيونال في زوريخ .

« هذا وإنى أعرفكم أننا والحمد لله في خير وعافية، فالجنب العالى حفظه الله مازال كما تعرفون قوى العزيمة، ثابت العقيدة، صابراً على ما يقدره الزمان .

واجب الخديو وواجب الوطن : ولقد ذكرتم أعزكم الله أن عليكم واجبين واجباً « شخصياً » وقد قتم به . وواجباً « عمومياً » أتمتم تشتغلون به الآن (يقصد بذلك اشتغالي بالفضية الوطنية ومخبراتي مع سعد باشا) .

ولعل التفرقة بين الواجبين سابقة قلم، فأتمم ونحن قديماً اشتغلنا بواجب « عمومى » . كذلك لم نقصر فيه لحظة ما حسبنا أوحى إلينا ضمائرنا، وإنما إذا تعلقنا في تأدية الواجب العمومى بأهداب سموه فلا نأخذ مسألة سموه الخاصة فرع كبير في المسألة

العامة ، ولأنه لا تناقض بين الفرع والأصل كما يجب أن يعتقد بهذا كل مصرى .
« ولقد سرى من كتاب سعادتك ما أشرت إليه من أن الأمل في تحقيق المقصد
يزداد يوما بعد يوم ، وهذا ما أعتقده عن بعد ، وأرجو سعادتك أن تنيروا بصيرتى فيه
بما تقفون عليه حتى أؤكد اعتقادى بالخبر اليقين »

المفاوضة في بيع شركة الأزبكية البلجيكية : كان يقيم في جنيف موسيو نيقول
وهو رجل اشتغل في شركة عقارية لمشترى العقارات وبيعها في مصر ولكنها
أفلست فعاد للسويسرة ، وقد عرض على أنه يريد الاتصال بالخدو ليقوم بعملية
الوساطة في بيع عقارات شركة الأزبكية البلجيكية فكتبت للخدو رسالة بما يعرضه
موسيو نيقول في يوم ١٣ أكتوبر .

وفي يوم أول نوفمبر وصلت إلى رسالة من الدكتور سيد كامل جاء فيها :
« إن خطابكم المحرر في ١٣ الماضى باسم الجنب العالى الخديو المتعلق بما دار
بينكم وبين موسيو نيقول في المفاوضة قد اطلع عليه سموه ، وأمرنى بخصوصه أن
أبلغكم ما يلى :

« الحديث الذى حصل بينكم وبين موسيو نيقول بخصوص الشركة غير مطابق
لل كلام الذى دار بين موسيو هكسيوس ومسيو شوفلر جر أخيرا في جنيف ، فان
هذا الأخير يقرر في رسالة منه بتاريخ ٢٢ الماضى أنه قرأ جوابا عند الأول يفيد
أن الشركة في بلجيكا وضعت تحت الحراسة من ابتداء الهدنة . وبما أن المفاوضة
الجدية بخصوص احتمال بيع هذه الشركة لا يمكن أن تحصل إلا بعد الوقوف على
حالتها المالية الحاضرة ، وتقدير قيمتها على أساس قيم الأشياء بعد الحرب لاقبلها
فوجود الشركة تحت الحراسة يمنع من الوقوف على هذه الحقائق ، وبالتالي لا يمكن
المفاوضة في هذا الموضوع ، ولا تكون هناك ضرورة لحضور موسيو نيقول
للاستانة . أما إذا كان يستطيع أن يحصل على المعلومات الكافية للوقوف على
حقيقة مركز الشركة المالى ودرجة زيادة قيمتها عما كانت عليه قبل الحرب ، وكان
فى وسعه أن يعرفا بادى ذى بدء عن الثمن الذى يتوقع إمكان البيع بمقتضاه فان الجنب
العالى فى هذه الحالة ينظر فى المسألة ويمكن أن يستدعى موسيو نيقول للاستانة ..
وقد أرسلت الرد بأن نيقول سيعمل اللازم للحصول على صورة من
حساب الشركة

وأخيرا لم يفلح في بيعها وتولى المسألة رجل يسمى موسيو رولان

المتأخرات من مرتبي في الأستانة : وفي يوم ٣ نوفمبر وردت لى رسالة منه
جاء فيها :

« أمرنى سمو الخديو أن أعرفكم بأن عبد الله البشرى بك أرسل إلينا تلغرافا
يفيد قرب وصوله إلينا، وأن أسألكم عن الميعاد الذى تنتظرون فيه أن يصل اليكم
الترخيص للحضور لدينا

« وإنى لهذه المناسبة أرى من واجبي أن ألفت نظر سعاتكم إلى أن المساعى
اللازمة عن حضوركم هنا للحصول على متأخراتكم من خزانة الدولة يستلزم وقتا
من الزمن، وأنه من المفيد أن تتم وتنجح هذه المساعى قبل الميزانية الحالية وتنفيذ
الميزانية الجديدة فى شهر مارس القادم ، لأن التجربة فى معاملة نظارة المالية العثمانية
دلت على أن أمثال هذه الحقوق تسقط بمجرد الانتقال من ميزانية إلى ميزانية جديدة»
احتلال الحلفاء للأستانة : فى يوم ١٨ ديسمبر وصلت إلى رسالة من الدكتور
سيد كامل جاء فيها :

« يسرنى أن أبلغكم أن الاحتلال العسكرى الأجنبى الذى حل الأستانة بحلول
الهدنة قد خف كثيرا بداعى تسريح الجيوش طبعاً . واستعداداً على ماأظن لترك
الأستانة كما كانت عاصمة للحكومة التركية فى حدودها الجديدة التى يرسمها الآن مؤتمر
الصلح فى لندره وباريس

أما المعيشة فمازالت غالية ، خصوصاً فى الحوائج الملبسية، ومع أن الوارد من المواد
الغذائية كثير ، ولكن أيدى المضاربين تعمل على مص دماء الناس ، وسلطات
الحلفاء عاجزة طبعاً عن وضع حد لهذه الحالة، بل ربما كان من رجالهم من لهم مصلحة
فيها. الطاعرن منتشر فى الأستانة والتطعيم يكاد يكون إجبارياً حيث أن الناس يوقفون
فى الطرق فإن لم يكن معهم شهادة بالتطعيم يكرهون عليه . والحميات الخبيثة ظاهرة
فى بعض جهات الأناضول . وبالأمس قرأت فى الجرائد أن الحمى الراجعة ظهرت
فى «اسكى شهر» بالأناضول .

حفلة تأبين للمرحوم محمد بك فريد : أقام على الشمسى بك و اسماعيل لبيب
بك والأستاذ فهمى و ابرهيم بك راتب واحمد بك فريد حفلة تأبين للمرحوم محمد
بك فريد حضرها نحو ٢٥ مصرىاً وألقيت بعض الخطب من الشمسى و احمد فريد
ومنصور القاضى وبعض طلبة لوزان .

وكان القائمون بها قد طلبوا منى أن رأس الحفلة ، ولكنى رأيت لا اكتفاء بحضورى .

وبعد انتهائها قرر المحتفلون إرسال برقيات لمندوبى الدول فى مؤتمر الصلح بالاحتجاج على قتل الأبرياء فى المظاهرات

اطلب الكثير تغل القليل : وكنت قبل وفاة المرحوم فريد بك قد زرته وهو مريض ، وصادف أن وردت جريدة الأخبار ، وبها بيان للحزب الوطنى يقول فيه : « أن لامفاوضة إلا بعد جلاء آخر جندى انجائزى عن الأراضى المصرية » فسألته مستفهماً : « لماذا نطلب هذا الطلب ؟ . وهل هو معقول ؟ وهل نحن انتصرنا فى حرب مع انجلترا حتى نمل عليها شروطنا ؟ » فقال : « المقصود من هذا أن نطلب الكثير ، حتى ننال خير ما يمكن تحقيقه »

أخبار عن مصر : كنت فى السويس أقرأ الصحف وأطلع على مايرد فيها عن مصر ، وحالة الثورة بها ، وكنت فى بعض الأحيان أرسل لأصحابى بطاقات مفتوحة ، أسأل فيها عن صحتهم ، وذلك خوفاً من أن تمنع المراقبة تسليم الخطابات المقفلة شجاعة أسرة تقلا باشا : ومن بين من كنت أخاطبهم وأجد منهم شجاعة محمودة فى كتابة بعض أخبار مصر أسرة تقلا صاحب الأهرام سواء فى ذلك جبرائيل تقلا أو والدته .

ومن بين هذه الرسائل رسالة من مدام تقلا بتاريخ ٢٨ نوفمبر سنة ١٩١٩ جاء فيها .

« إننى ونجلى نبدى الشكر لكم على الأحاساس التى أظهرتموها نحونا ونحو الأهرام .

ولنا الحق فى القول بأننا سائرون على خطة فقيدنا مؤسس الأهرام التى ترمى إلى الدفاع عن الحق ضد القوة ، وأن نخلع عنا نير الأجنى ، وإذا كانت سوريا هى منبت رأسنا إلا أننا نسكن مصر منذ خمسين سنة ندافع عنها ، فى هذه البلد تألمنا وفيها نأمل



مدام تقلا باشا

أن ينالنا السعد . إذ نحن نعمل بأخلاص للصالح العام ، وإن ولى لا يهمل أى تضحية مادية أو أدبية لهذا القصد ، وهو يعترف بالجميل للرأى العام المصرى الذى لا يزال يعضدنا . أما بخصوص حالة البلد فانا نشكر الله على أنها تتطور كل يوم من حسن إلى أحسن ، لأن الظروف تساعدها . أولاً : أن صعود ثمن القطن يسمح بأننا لانجبر على بيعه بالبخس وهذه نقطة مهمة . ثانياً : بالنسبة للحوادث فان الجرائد تنشرها بحرية والمراقبة عليها ألغيت غير أن جريدتى الأفكار والمحروسة قد صار إقفالهما وقد اتخذت الوسائل للضغط على الحركة الوطنية ، ولكن طالما بقى المصريون متحدين بهذا الشكل فلا خوف علينا ، ومهما عمل الإنجليز فانهم لا يصلون إلى استرداد ما فقدوه من حالتهم الأولى ، والعداوة قد تأصلت فى قلوب المصريين ضدهم ، ولكن ليكن نصب أعيننا احتمال حصول عراقيل ، والله يعلم إلى أى مدى لأن الخصم له جملة طرق يستعملها ولا يتأخر عن استعمالها وقت اللزوم ، غير أن التنظيمات المصرية الشابة ليست على مايرام ، ويلزم لها الزمن والصبر »

وجاءتني منها رسالة بتاريخ ٧ ديسمبر ورد بها :

« المسألة تأخذ فى التطور والاتضاح ، والأفكار تتوجه نحو الاستقلال بصفة عملية ، والإنجليز سيعلمون أخيراً أن الأمور ليست كما يعتقدون ، وندعو الله أن تنتهى المسألة بسلام » .

سنة ١٩٢٠

مهراد المصريين بالسويسرة واقتراع عقم مؤتمر — عودنى الى الاسنانة — بينى
وبين عباس — استقالنى وأصابها — نصفية الحاشية — سعى عباس لاستقلال
الحركة الوطنية — شؤونه مختلفة

مهراد المصريين بالسويسرة واقتراع عقم مؤتمر :

اختيارى رائداً للجمعية المصرية بلوزان : في يوم أول يناير سنة ١٩٢٠ زارنى
عبد الله شديد بك ، وعرفنى أن المصريين فى لوزان انتدبوه ليلغنى أن المصريين
فى باريس شكلوا جمعية باسم « الجمعية المصرية بباريس » تعمل لتحرير مصر بأشراف
سعد باشا زغلول . وقد شكل مصريو لوزان جمعية مماثلة ، وتريد أن أكون رائداً
لها ، فتستشيرنى فى خطتها ومنشوراتها ، وأنهم يستعدون للحضور كلهم أو وفد منهم
لشكرى إذا قبلت هذا الأشراف . فأجبت به بأنى وأنا مصرى لأبخل بمجهودى فى
خدمة وطنى ، ولحت له بأن لالزوم لانتخابى رئيساً ، وقلت : « إننا جميعاً جنود فى خدمة
الوطن ، وإننى مستعد لمقابلة كل من يريد من الساعة ٥ إلى ٧ مساء كل يوم »

وبعد خمسة أيام حضر إلى منصور افندى القاضى ومحمد توفيق افندى عبد الله
وشكرانى على قبولى الاشتراك فى العمل ، وأخرج الثانى من جيبه مقالة يريد إرسالها
لجريدة الأفكار بمصر وفيها فصل تحت عنوان « شفيق باشا فى لوزان » تكلم فيه
عن مساعدتى للمصريين فيها ، وأبنى كأب لهم ، ثم انتقد كبار المصريين فى باقى مدن
سويسرة الذين لا يهتمون بشىء فطلبت منه حذف هذا الانتقاد ، وقلت : « إن واجبتنا
الآن لم شعثنا لالتفريق بيننا » فوافق منصور على هذه الفكرة : ثم وعدتهم بالاجتماع
معهم كل يوم فى الموعد الذى حددته .

إشاعة قبول سعد للنظارة وترك القضية الوطنية : وفى يوم ٦ يناير عرفنى شديد
بأن هناك نبأ هاماً وطلب اجتماعنا فاجتمعنا عند منصور افندى وأخرج محمد توفيق

افندى عبد الله من جيبه جواباً قرأه علينا بأَمْضاء أحد الطلبة المصريين . في باريس ، يقول فيه : « إن سعد باشا انفصل هو وعبد العزيز بك فهمى وأحمد لطفى السيد من الوفد ، وامتنع عن مقابلة جماعة من الطلبة كانوا توجهوا ليسألوه عن إشاعة قبوله منصب الوزارة مع مظلوم باشا تحت رئاسة رشدى باشا ، ويظنون أن هذا الانفصال وهذا الامتناع هما من الأسباب التى تجعلهم يظنون سوءاً بسعد باشا ، وأنه انطوى مع الأنجليز ، واقترح إخواننا فى لوزان إرسال برقية له يهددونه ، ويستقبحون عمله ، فقلت لهم : « مهلا ، هذه الأشاعة تحتاج إلى استيقان فأنا أرسل خطاباً إلى سعد وأسأله عن الحقيقة » فأملت توفيق افندى ماملخصه :

« نشرت التيمس خبراً مفاده احتمال دخولك مع مظلوم باشا فى وزارة رئيسها رشدى باشا ، وأنت كسترجع لمصر قريباً ؛ وجاءت أيضاً أخبار من باريس إلى المصريين هنا تردد هذه الأشاعة ؛ أما أنا فلا أستطيع أن أصدقها لسببين : الأول كراهة المصريين لرشدى نظراً لإهماله الكبير فى واجباته نحو الوطن مدة الحرب ، وأنت أعلم منى بهذا الإهمال ، والثانى : ردك المشهور على التيمس لما اقترح مكاتبها تعيينك فى منصب الوزارة . اللهم إلا إذا كان قبولك لها الآن على أساس الاستقلال التام فاذا كان الأمر كذلك أرحوك أن تفيدنى حتى أهنى نفسى وأهنئك بهذا الفوز الباهر ، وأطمئن المصريين هنا ،

فجاء الرد بتاريخ ١٠ يناير يقول فيه : « لقد أصبتم فى عدم تصديقكم إشاعة دخولى الوزارة . إذ لا يدخلها من كان فى قلبه ذرة من حب الوطن ، ولو لم يكن له فى البلاد شأن يذكر ولا فى الاستقلال سعى مشهور ؛ فكيف بمن أجمعت الأمة على الثقة به كل الاجماع ، وعهدت اليه السعى فى الاستقلال التام ، وأنزلته من قلوب أبنائها منزلاً لم يبلغه أمير ولا سلطان ؟ كيف يرضى هذا أن يستبدل بهذا المقام السامى أحقر مركز وأخطره فى البلاد ؟ ولقد أحسنتم إذ ذكرتم ما نشرته التيمس عنى من عهد غير بعيد من انى أفضل أن أكون فرداً فى مصر المستقلة ، على أن أحتل فى مصر الحماية أعلى مقام ، وانا دائبون على السعى فى عملنا ، والأمة تؤيد باتحادها سعيها ، والله من فوقنا على كل شىء قدير »

المخبرة لعقد مؤتمر مصرى فى السويسرة : تخبرت مع حسين شيرين بك فى تربيته ، ومع على بك الشمسى فى جنيف ، ومحمد بك راسم فى فريبورج ، وعزير باشا عزت فى زوريخ ، وأرسل منصور القاضى لجماعة الحزب الوطنى فى برن ، لعقد مؤتمر يحضره

جميع المصريين في سويسرة ، لتقرير مصير بلادهم ، وكنت اقترحت ذلك أيضاً على



محمد بك راسم



حسين شيرين بك



عزيز عزت باشا

جماعة لوزان فوافق الجميع على فكرتي
ما عدا برن فانه لم يردني منها جواب
قاطع ، واقترح على بك الشمسي تأليف
لجنة لترتيب المؤتمر ، وأن يكون عقده
في جنيف لكثرة المصريين بها ، ولاعتيادهم
اقامة مجتمعاتهم فيها ، ولأنها المدينة التي
يختارها السياسيون لأعمالهم ، فأعلنت تربيته
وفريبورج وزوريج بهذا الاقتراح ، كما أنني
أظهرت للمصريين في لوزان وغيرها موافقتي
على اقتراح جنيف ، وطالبت تعيين مندوب
من كل جهة لتأليف اللجنة التحضيرية ،
وكتبت إلى على بك الشمسي بقبول اقتراحه ،
وبالاستفهام عن المنتخبين للجنة من جنيف.

ظهور عقبات: وبعد ذلك جاء من اسماعيل بك ليبب خطاب يقول فيه بأنهم في جنيف لا يرون موجبا لهذا الاجتماع ، وحضر عندي في ٢٠ يناير شديد وأحمد فريد ومنصور ومحمد توفيق عبد الله فمفسر فريد هذا الرفض بعد القبول باحتمال ظنهم أن وراء هذا الاجتماع شيئا في صالح الخديو ، بعد أن نشر جرنال لاتريبين دوجنيف « جريدة الغياقي » قرب حضور عباس حلمي إلى سويسرة بناء على قول من يوثق بكلامه من حاشية سموه .

كما أن عوض البحراوى واسماعيل بك ليبب وعبد الملك حمزه في برن يأبون الاجتماع بهؤلاء « الذوات » وكبار المصريين (وكان منصور كتب لهم ذلك بدون ذكر اسمي وانما قال مثل عزيز عزت باشا ومحمد بك راسم وشيرين بك) لأنهم لم يحرخوا ساكنا ولم يقدموا أى مساعدة مالية في الحركة الوطنية ، ولهذا يكون من العيب على أمثالهم أن يجتمعوا مع هؤلاء الذوات ؛ وكان قد خطر على بال أحمد بك فريد أن الشمسى يظن أنني سأتولى الرئاسة فقال توفيق : « إن شفيق باشا يرفض أن يكون رئيسا وكذلك شديد بك »

وقد أشار شيرين وعزيز عزت باشا بأنه ما دام يوجد انقسام ما بين المصريين في عمل الاجتماع فيكتفى بكتابة ورقة يمضى عليها المصريون ، مضمونها ضم أصواتهم إلى أصوات اخوانهم في مصر والغالب على ظن اخواننا في لوزان ، أن سبب هذا التردد اعتقادهم أن للخديو يدأ في هذه الحركة .

وقد ساء المصريين في لوزان العدول عن فكرة الاجتماع ، فقالوا بعمل الجهد في رفع سوء التفاهم مع شيرين أولا ومع الشمسى ثانيا ، فوافقهم وأوفدنا محمد توفيق أفندى عبد الله إلى شيرين بك يوم ٢٤ يناير فقابلته وتذاكرا في موضوع الاجتماع وتنسيق صورة الدعوة . ثم جاءني تليفون من الشمسى يقول فيه : إن شيرين أخبره بعدم وصول رده الذي أرسله إلى من منذ ٤ أيام ، ويستغرب كيف لم يصل ؟ وقد عرفني فيه بأن بعض المصريين في جنيف قبلوا فكرة الاجتماع والبعض رفضوه وأنه يسعى في لم شمل الجميع ، وطلب مني أن أعرفه بمندوبي لوزان في اللجنة التحضيرية ، فقلت : « اننا لم نقرر شيئا ، وكنا ننظر معرفة المندوبين من جنيف ، وعلى كل حال فلوزان ستعين واحدا أو اثنين من ثلاثة هم توفيق ومنصور القاضي والدرديري ، فقال : « حينئذ ها نحن ننتظر انتخاب لوزان لنبدأ في العمل »

وفي يوم ٣٠ يناير سافرت من محطة لوزان إلى تربيته فقابلت الشمسي بك ،
والأستاذ فهمي وشابا قبطيا متوجهين لتشييع جنازة عثمان غالب باشا فتكلمت معهما
في مسائل سياسية ولكنهما لم يفتحا باب المناقشة في مسألة عقد المؤتمر وتحاشيت
أنا الكلام وقها ، وعند ما كنا في مدفن تربيته انتحى شيرين فهمي جانبا ثم لم أر
أحدا منهم بعد الدفن ، فتركهم ورجعت إلى لوزان .

وفي ٣ فبراير ورد لي خطاب من علي بك الشمسي يأسف لأنني لم أحضر إلى
منزل شيرين بعد دفن عثمان غالب ، ويخبرني بأن اجتماعا عقد هناك وشهده
القادمون من برن من المصريين ، وبعد المناقشة تقرر بأغلبية الآراء ارجاء اجتماع
المؤتمر إلى ما بعد معرفة رد لجنة ملنر على اقتراح سعد باشا :

وكنيت قبل حصول هذا التردد كتبت إلى سعد باشا أعرفه بفكرة الاجتماع
فجاء منه الرد يوم ٤ فبراير يقول فيه :

« يسرنى أن يعمل كل من يستطيع العمل ، لصالح القضية المصرية فاذا اجتمعتم
أنتم ومن يرى رأيكم ويتحد معكم على القيام بعمل نافع لها كان ذلك من أفضل
ما تعملون ، ومن أحسن ما يستوجب الشكر وحسن الذكر »

فأرسلت إلى علي بك الشمسي وشيرين بك وعزير عزت باشا بهذا النص في
١٣ فبراير وقلت للأول : « إنني ما كنت أعلم بعزمه هو وفهمي وغيرهما على الاجتماع
عند شيرين بك » وكتبت للثاني بهذا المضمون وأنه لم يخبرني هو ولم يدعني لهذا
الاجتماع ، فضلا عن ذلك فقد سمعت آنفاً من محمد توفيق أفندي عبد الله نقلا
عنه (عن شيرين) أنه كان يستحسن أن يدخل هو في المخاطرة مع جنيف وغيرها
لترتيب الاجتماع ، لهذا رأيت الرجوع من تربيته عقب حفلة الدفن إلى لوزان .
ثم كتبت إلى سعد باشا بتردد بعض المصريين في عقد الاجتماع وأنى أرجو
زوال هذا التردد قريباً .

البرنس محمد علي والمؤتمر : وحررت خطاباً للبرنس محمد علي باشا في نيس
أستعلم منه عما اذا كان سيضم صوته إلى أصوات البرنسات في مصر ؟ وهل البرنس
ابراهيم باشا حليى الموجود في نيس سيعمل ذلك ؟ إذ الأمة بأمرها قد أبدت رأيها
ونحن نرجو أن يجتمع المصريون في السويسة قريباً لهذا الغرض فرد علي يقول :
« إنه مسرور من أن المصريين التفوا حولي » ، ولم يصرح بجواب على سؤالى ، وحررت

له خطاباً آخر في ١٥ فبراير أسأله عما اذا كان يريد أن يساعد مالياً في عقد المؤتمر ان حصل ، فجاء الرد وليس فيه تصريح عن المساعدة .

طلبي مساعدة من عباس للمصريين: حررت لعبدالله البشرى جملة رسائل عرفته فيها بالتفاف المصريين بلوزان حولي وباقتراحي عقد المؤتمر لجمع كلمة المصريين في مصير بلادهم ، ثم طلبت مساعدة مالية من الخديو تسمح لمن في لوزان باستمرار طبع الجريدة التي كان يصدرها محمد بك فريد ، وعرفته بمخبراتي مع سعد باشا في صدد الاشاعة التي شاعت عن قبوله منصباً في وزارة يرأسها رشدي باشا ، وبالرد الذي جاءني منه بنفي هذه الاشاعة ؛ ثم استحسننت أن يقدم الخديو شيئاً من المساعدة المالية للوفد في باريس بصفة سرية؛ فلم يصل الى رد على ذلك.



الأستاذ محمد الدين حفي ناصف

أخبار المصريين في باريس: أرسل الى محمد الدين حفي ناصف نجل المرحوم الشاعر حفي بك ناصيف خطاباً بتاريخ ٢٩ يناير يقول فيه حرفياً : « علنا بمزيد السرور خبر اشتراككم مع الشبيبة كي تعقدوا المؤتمر ، وتعلنوا به أهل أوروبا وتشدوا به أرزمصر ، وسيحضر وفداً لجمعية عند أول إشارة فنرجو أن تتنازلوا بتكليف من يبادر باخبارنا قبل الموعد بثلاثة أيام ولسعادتكم الفضل في هذا العمل الوطني المجيد والسلام عليكم الخ »

فأرسلت له الرد الآتي بتاريخ أول فبراير : تلقيت بيد الممنونة والشكر كتاب حضرتكم المؤرخ في ٢٩ يناير الماضي . نعم اشتركت بكل سرور مع الشبيبة هنا وأردنا أن نعقد اجتماعاً للمصريين لاعلان رأيهم في مصير بلادهم ولضم أصواتهم الى أصوات مواطنينا واتصلنا باخواننا في المدن الشهيرة بسويسرة فخذ الجميع هذه الفكرة ، ثم تردد بعضهم أخيراً ؛ فاذا اتحدت الآراء وهذا رجائي لا أتأخر عن إخباركم بموعد الاجتماع ، ويسرنى أن أرى الشبيبة المصرية في جميع الأقطار تجاهد

في سبيل إنقاذ الوطن من يد الغاصبين له — فبارك الله فيهم وتوج جهادهم بالنجاح
ومنى لكم وجميع إخوانكم أسمى التحية والسلام .

عودتي إلى الآستانة : عذمت على الرجوع إلى الآستانة من شهر سبتمبر سنة ١٩١٩
مدة وجود البشري معي في لوزان فأرسلت خطاباً إلى سفير الدولة في برن أطلب
منه أمرين : الأول اعطائي جواز سفر سياسياً . والثاني عمل المساعي لرجوعي ، فأتاني
الرد بأن الأمر الأول غير ممكن تنفيذه لأن هذا الجواز لا يعطى إلا لانتظار الحكومة
العثمانية ، وعن الأمر الثاني بعث إلى باستمارة لاملأها وأردها له وقد فعلت ،
وانتظرت الترخيص ثلاثة أشهر بغير جدوى ؛ ثم كتبت إلى البشري وطلبت منه
أن يرشدني إلى طريقة الرجوع في أقرب وقت لأن راتي ستصرف فيه الحكومة
العثمانية ، إن لم أرجع وأقبضه لغاية مارس ، ورجوته أن يرسل برقية بطلب
الترخيص ، وكان ذلك في فبراير سنة ١٩٢٠ ، فأتاني الرد بأنه أرسل برقية إلى نظارة
الخارجية بطلي ؛ ومن جهة أخرى طلبت من عباس اجراء ما يلزم لتعجيل الترخيص
سواء كان تحريراً أو برقياً بواسطة البشري فوعده بذلك ؛ ولما لم يأت خبر فكرت
في مراجعة قنصلية جنرالية ايطاليا ، فأرشدني القنصل إلى طريقة وهي طلب السفر
إلى ايطاليا ومن هناك يسهل التصريح بالذهاب إلى الآستانة ، ولكن طلب مني ضامناً
يعرفني ، فأعطيته اسم موسيو دي مارتينو الذي كان عندنا معتمدا لايطاليا وهو الآن
معتمد أول في مؤتمر الصلح ، فقال لي أن أكتب إليه خطاباً ، فكتبتة ، وعلمت بعد
أيام من القنصل أن دي مارتينو كلمه تليفونيا من لندن ليستعلم مني عن الجهة التي
أقصد الذهاب إليها ، فقلت له : « إنني أريد الرجوع إلى الآستانة » فأبرق إليه بذلك وطلب
منه أن يبرق إلى القوميسير الطلياني في الآستانة كي يسمح للقنصل برقياً بالتأشير
ثم انتظرت أسبوعين وقابلت القنصل وتناقشنا فيما يلزم لاستعجال ارسال
الترخيص ، فأنهينا إلى كتابة برقية باسمه قال فيها : « إن موسيو دو مارتينو يوصي علي »
وفي العشرة الأخيرة من مارس جاء الرد بالترخيص إلى القنصلية ، فذهبت إلى
جنيف ، واستخرجت جواز سفر عثمانياً بتاريخ ٢٥ مارس .

وقد سافرت يوم ٦ ابريل من لوزان إلى ميلانو ومنها إلى البندقية ومن هناك
ركبت الباخرة فوصلت إلى الآستانة يوم ١٥ منه . وجاء مندوب من السلطة
الايطالية لمراجعة جوازات السفر . ووجدت عبد الله البشري والدكتور سيد كامل
في انتظارى .

مع عباس : وتوجهت إلى حصار عند عديلي مظهر بك ، وبعد الاستراحة ذهبت إلى بيك وقابلت عباسا ، فدار الحديث بيننا عن حالتي وحالة عائلتي الصحية قبض مرتبتي المتأخرة : وفي يوم ٢٢ منه قبضت من المالية ١٥٠ جنيها قيمة مخصصاتي عن مدة سنة لغاية آخر فبراير سنة ١٩٢٠ .

استقالتني وابيها :

نقود البير حمصى : البير حمصى صاحب محل للتسليف في حلب ، وكان قد قابلني في أواخر سبتمبر سنة ١٩١٨ في بودابست ، وسلمني ألفي ليرة انجليزية بنك توت و ٢٨٧ ليرة ذهباً ، وسندات من البنك العقارى المصرى ، لتوصيلها لعميله بالاستانة ولكنى لم أتمكن من ذلك بسبب انقطاع المواصلات بين النمسا وتركيا كما تقدم ، فبقيت الأمانة عندي .

وكان الخديو قد أرسل سيدة ذات نفوذ كبير على ابنه البرنس عبد المنعم بسويسرة لتقرب شقة الخلاف بينهما ، ولكنها بقيت في فينا عند ما انقطعت المواصلات مدة أشهر طويلة ، واحتاجت هى وبعض الحاشية الخديوية إلى نقود ، وكان القانون النمساوى يقضى بمصادرة نقود الأعداء . فصرفت الأمانة إلى كورونات ووزعناها علينا ، وكان الجانب الأكبر من نصيب هذه السيدة .

ثم كتبت للخديو بأن تدفع الخاصة (٢٢٨٧ جنيهاً) لعميل حمصى في الاستانة وصادف وجود البير حمصى في لوزان بعد عودتي إليها ، فسلمته سندات البنك العقارى وأخبرته بما حصل في النقود وبتحريرى للخديو ، وبناء على طلبه أعطيته خطاباً لعباس ملتصقاً دفع القيمة .

وفي أوائل يناير سنة ١٩٢٠ قابلني ، وأخبرني أنه لم يتمكن من السفر إلى الاستانة لتسليم خطابي وتسلم المبلغ ، وطلب أن أسدده له لحاجته إليه .

وكان قد بلغنى أن الخديو أرسل إلى السيدة بعد وصولها للسويسرة أن تسعى لسداد هذا المبلغ من مواردها الخاصة ، فأخبرت حمصى بذلك ، ولكن هذا الحل لم يرضه ، فاضطرت أن أمضى له تحويلاً على الخاصة بالاستانة وشفعته بخطاب . وفي ١٠ فبراير جاءني نجله وأخبرني أن التحويل لم يدفع ، وعمل عليه بروتستو .

وقد بقيت المراسلات مستمرة بيني وبين عباس ، وبينه وبين السيدة في سويسرا دون جدوى حتى رجعت إلى الاستانة .

مذكرة عن الموضوع : ثم حدث بعد ذلك سوء تفاهم بيني وبين الخديو من جراء هذا المبلغ ، فكتبت مذكرة وافية أرسلتها له في يوم ٢٨ يونيو وضمنتها تفصيلات الموضوع كله ، وأنا أثبتنا هنا مكتفياً بها عن ذكر هذه التفصيلات :

- ١ - أعتقد أنني لست مخطئاً في إغاثة المنتمين للخديو في وقت حرج
- ٢ - جاءت الأوامر بقلم الدكتور سيد كامل بأنه كتب إلى السيدة الأنفة الذكر بالسويسرة أن تسعى لسداد المبلغ
- ٣ - اضطرت أن أمضي تحويلاً لمصى على الخاصة رفض دفعه بناء على أسباب مهيئة لشرف ناظر الديوان الخديوى .
- ٤ - وردتني أوامر بقلم أحمد بك صادق ، يقول فيها : انه بالنظر لكون القسم الأعظم من السلفة يرجع إلى السيدة فعلى أن أراجعها فيه ، أما القسم المختص بالحاشية فنه ما حصلت التسوية فيه ، والباقي المختص بما أخذته ، وبما أخذه شديد بك فطلب منى تقديم حساب عنه .
- ٥ - راجعت السيدة وبينت لها أنه لم إذا لم تحصل التسوية دخلت المسألة في منازعات قضائية
- ٦ - صعبت على نفسى إذ كنت كمتسول يمد يده يميناً ويساراً ولا منقذ له ، أنا الذى فعلت خيراً وأغثت محتاجاً .
- ٧ - اقترح حمصى أن أتنازل له عن حقى على السيدة ليستطيع اتخاذ الإجراءات القانونية ، فقبلت على شرط أن لا يقيم الدعوى الآن ، وأن ينتظر وصولى إلى الأستانة وعرض المسألة برمتها على الجنب العالى ، فيأمر بحل موافق للطرفين
- ٨ - لما مثلت بين يدى سموه حصلت المذاكرة فى الموضوع ثلاث مرات بحضور عارف باشا وأحمد بك صادق ، فشرحته شرحاً وافياً ، خصوصاً نقطة المساعى التى بذلتها لتنفيذ الأوامر الواردة ، ومنها نقطة تنازلى عن حقى لمصى .
- ٩ - أظهر سموه استعداداً لفض المشكل ، وأصدر أمره إلى أحمد بك صادق بأن يتفق معى على طريقة لتسوية الحساب ، وبالفعل حرر مشروع خطاب للسيدة باستحضار النقود اللازمة من مصر ودفع الحساب المذكور ، ووافق سموه عليه وأمر بترجمته إلى التركية ، فشكرت الجنب العالى على قبوله دفع هذا الدين .

١٠ — بعد يومين جمعني مع عارف باشا وأحمد بك صادق وعرفنا بأن حمصى طلب السيدة أمام قاضى الصلح ، فتكدر وتكدرت أنا أيضاً ، لا لأن هذا الطلب يعد إقامة دعوى ؛ ولكن لأنه يخالف اتفاقنا ، وعليه أمر سموه أن اجتمع بدومرتينو (الذى كان موظفاً بقلم قضايا الخاصة بمصر) وأحمد بك صادق لتحضير خطاب بطلب استعلامات من حمصى

١١ — فى ٨ مايو قدمت حسابى الذى كان قد طلبه منى أحمد بك صادق ، وقلت له « ليقبل منه الخديو مايقبل ويرفض منه مايرفض » وكان ملخصه : ٧٧ ألف فرنك سويسرى ما فقدته فى سياحتى فى النمسا ، ١٢ ألف كورون لنفقائى مع عائلتى وعائلة شديد بك لغاية اكتوبر سنة ١٩١٨ و ٢١٠٠٠ فرنك فى بودابست وفينا ، وخرجت ٥١٨ جنيتها انجليزياً مأخذته من نقود حمصى فكان الباقي ٩ آلاف فرنك

١٢ — فى ١٠ منه جمعني دومرتينو بك مع أحمد بك صادق وأعلننى الاول بأن الجنباب العالى أوقف تنفيذ تسوية حساب حمصى ، لأننى بتنازلى عن حقى له أعطيت فرصة للخصم بأقامة الدعوى ، وأعلننى الثانى أن سموه يرفض قطعياً النظر فى الحساب الذى قدمته ، فأجبت بأننى ما تنازلت عن حقى إلا لقصده واحد وهو الوصول إلى تنفيذ الأوامر ؛ وقلت عن الحساب إننى كنت أود أن أعرف مالا يرضاه سموه فأتركه .

١٣ — وردت برقيات من ارنست حمصى ابن الدائن وعرضت على الجنباب العالى تؤيد عدم إقامة الدعوى وان طلب السيدة أمام قاضى الصلح ، ماهو إلا لمجرد الأرهاب ولا يعتبر فاتحة للدعوى .

١٤ — ورد خطاب من والده بحلب بواسطة مندوب من الكريدى ليونيه بالاستانة بأنه ينتظر الوصول إلى حل ودى كما وعدته ، ولكنى فهمت من المندوب أنه أرسل تعليمات للبنك بأقامة الدعوى فى حالة عدم الوفاق

١٥ — رفعت مذكرة بكل ذلك لجأئنى أحمد بك صادق ويده صورة الاتفاق الذى بموجبه تنازلت عن حقى لخصم ، كأنه سلاح جديد ، ثم قال : إن حمصى لما علم بعدم امكان اقامة الدعوى فى سويسره يريد الآن اقامتها هنا ، فأجبت به بأننى سبق أن افهمت أفندينا من بادى الأمر بهذا الاتفاق .

١٦ — اجتمع بنى السيد محمد العتابى الموجود بضيافة الخديو وعبد الله البشرى

وقال لى : إن ماهر أفندى أخبر الجناب العالى بأنتى استشرته فى إقامة الدعوى ضد سموه ، فكيف يجوز لى أكل عيش سموه فى الوقت الذى أضمر له السوء ؟ فدهشت لهذه التهمة الجديدة ، وكذبتها قطعياً ، ثم طلبت مواجهتى بماهر أفندى ، وقلت : إن الحقيقة أنه سألنى عن الخديو فأجبت أنه لى لم أشرف بمقابلته من مدة لسبب تافه يرجع إلى مسألة نفود كانت عندى أمانة وتصرفت بتوزيعها عند انقطاع المواصلات عنا ، ولما حضرت وعرضت المسألة صدر الأمر بقبول الدين وبتسويته وأخشى من أن صاحب الدين يقيم الدعوى علينا ، وطلبت منها عرض جوابى على سموه فى ذلك (١)

١٧ — يستخلص من ذلك أن الأسباب الظاهرة لهذا الغضب تنحصر فى ثلاثة أمور : الأول طلب السيدة أمام قاضى الصلح ، والثانى تنازلى عن حقى للخصم ، والثالث استشارة ماهر أفندى ، فعن الأول أجيب بأن الدعوى لا تعد قائمة إلا إذا رفعها الخصم أمام المحكمة ، ودفع الرسوم عنها ؛ وعن الثانى أقول : إنه ما ورد على خاطرى أن أعطى سلاحاً ضد مولاي ، والدليل على ذلك أنه كان فى مقدرتى أن أترك الخصم يقيم الدعوى على وأدخل الخاصة ، ولكنى بالعكس تحاشيت ذلك وبذلت جهدى فى إرضائه بالانتظار ، وكان من السهل على كذلك أن أطلب من شديد بك وهو ناظر الخاصة أن يمضى التحويل ، ولكنى توقيت ذلك حتى لا أغضب سموه ؛ وأرد على الثالث بأنتى أسف جداً لعدم احضارى أمام سموه حينما اتهمنى ماهر أفندى بما أنا براء منه ، ولهذا رجوت مواجهتى به سواء أكان فى الحضرة العلية أو أمام من تأمرون به فتظهر النتيجة

وبينما أنا أحرر هذه المذكرة إذ حضر عندى اليوم سعادة عارف باشا وأبلغنى نفس الأسباب الموجبة لتأثر سموه وقال : إنه كان الأولى ألا أستشير بحاميه إلا بعد الاستئذان ، ولكنى أكرر غرضى الحقيقى من هذه الاستشارة وقال : انكم لا تقبلون منى عذراً ، وانكم تتركون لى البت فى أمرى ، فإذا كان غرض سموكم ىرمى إلى تقديم استقالتى فأنا رهين أمركم الصريح الذى أتلقاه - إما رأساً أو بواسطة سعادة عارف باشا - وعندها لا أناخر عن رفع هذه الاستقالة لأننى لا أريد أن يقال « إننى تركت سموكم من تلقاء نفسى »

شفيق

(١) الذى أخبر الخديو فى الحقيقة هو نور الدين بك اللوشاى بى

فرجع عارف باشا المذكورة وقال : « إن الخديو قرأها من أولها لآخرها ولم يصدر له أوامر »

ولم أذهب لسراى بيك بل اكتفيت بارسال كلمة لعارف باشا أسأله عما تم فأجاب بأنه سيمر على ليبلغنى الجواب .

وفى يوم ٢ يوليو بناء على موعد أعطاه لى الدكتور سيد كامل ذهبت عنده فوجدت البشرى ، وتكلمنا فى الموضوع فكان رأينا بالاجماع أن الخديو لا يريد بقاءنا نحن الثلاثة عنده بسبب انقطاع مخصصاته من حكومة تركيا ، وأن الدكتور سيد كامل سيستمر أسبوعاً على الذهاب إلى بيك بعد الظهر فقط ثم ينقطع لأن الخديو لا يتقبله ولا يحادثه ولم يعد ينظر إليه . وأما البشرى فقال : انه يرافق سموه ولكن لا يكلمه بل فى أثناء وجوده معه فى الزورق يحدث نور الدين - إن كان معهما - أو البحارة .

وانه حصل كلام بينه وبين عباس فقال : إن اللازم انهاء مسألة النقدية مع شفيق بأن يقبل سموه ما يخص السيدة على سعر الجنيه الانجليزى بالكورون وقت أخذها المبلغ ويقول لشفيق : أنت وشأنك فيما دفعته لشديد ولبشرى ، واننى لا أقبل منك حساباً ، ولا أعتريك فى ضياقتى وينتهى الأشكال .

فرد الخديو بأن كرومر لم يمكنه أن يخضع سموه فكيف أنه يخضع لارادة شفيق ؟ فلماذا كلف البشرى بأن يكلمنى ، ويأخذ منى استقالتى ، فالتمس أن يصحبه السيد محمد العتابى الذى كان حاضراً هذه المحادثة ليكون شاهداً على أنه سيبلغنى كل ما أمر به الجناب العالى .

قال البشرى : فلما لم آت له بالاستقالة احتد على وقال ضاحكاً مستهزئاً : « أنا أكلف أحمد بك صادق وهو يفعل ما لم تفعله أنت » ولكن على كلام البشرى أن المذكور تنجى عن هذه المهمة ، ولهذا عهد بها الخديو إلى عارف باشا .

وتكلمنا بعد ذلك فى موضوع استقالتى ، فكان من رأى صاحبى أن لا أقدمها ، بل أترك السراى حتى لا أقفل باب المسالمة ، واحتمل رجوعى إلى خدمة الخديو قلت : « غيرى يمكنه أن يعمل ذلك ولكن أنا لا أود أن يدعى على بأننى تركته بعد ٤٢ سنة قضيتها فى خدمة السراى » .

قال البشرى : « هو لا يريد أن يدفع نقوداً ، ويبحث عن أسباب لذلك » ، قلت : « وأنا ليس من شأنى أن أساعده على مطلوبه » وعلى هذا راجعنا صورة الاستقالة ، وبعد تعديل خفيف فى التحرير اتفقنا على الصيغة الآتية :

نص الاستقالة : « مولاي الجناب العالي الحديوي

« في يوم الاثنين ٢٨ يونيو الماضي رفعت إلى أعتاب سموكم مذكرة في موضوع النقود التي قدمتها في فبراير ١٩١٩ للسيدة المحترمة ولبعض رجال الحاشية في وقت ضاقت بهم سبل المواصلات حيث كانوا في فينا وبودابست ، وما استطاعوا الوصول إلى سويسرة ولا العودة إلى الآستانة ، وكانوا لا يجدون باباً للاستدانة من أي بنك من البنوك، وحيث كان حقاً على أن أعمل ما في جهدي لاغايتهم في هذا الموقف الحرج وكان حقاً لي أن أشكر على ما قمت به لا أن أجازي بالمعاملة التي عوملت بها حتى الآن .

« ومع أنني كنت ولازلت على تمام الاستعداد لارضاء الجناب العالي لا تمسكاً بأهداب وظيفة بعد أن قضيت فيها حيناً من الدهر يستوجب راحتي ، وإنما ابقاء على الرابطة التي تربطني بهذا البيت العلوي العظيم ، فأنتي لاقيت ، من سموكم في الأيام الأخيرة الأغضاء والأعراض اللذين انتهيا برغبة جنابكم العالي في تقديم استقالي وهي رغبة ظهرت من رفضكم النظر فيما التمسته في ختام مذكري المتقدمة الذكر .

« هذه الرغبة ليست مبنية يا مولاي على أسباب أرى نفسي فيها مخطئاً بوجه من الوجوه وما اعتذارى لسموكم من محادثتي مع ماهر أفندي أخيراً إلا من باب التآدب نحو سموكم ، ومع هذا لا يسعني إلا أن أطيع إشارة جنابكم العالي فأقدم إلى أعتابكم ملتمساً قبول استقالي من وظيفة ناظر الديوان الحديوي .

« مولاي : لي اثنان وأربعون عاماً قضيت ثلثها في خدمة المغفور له والدكم وثلاثها في شرف خدمتكم ، فكانت تصادفني أحياناً ظروف أتحمّل فيها من شدائد الحال في العهد الأخير بين مصر والعربة ما لا يتحمله غيري ، وكم هممت بالاستقالة فتمثلت أمام عيني صورة المرحوم والدكم فتذكرت ما لأبياديه البيضاء على من الاحسان حيث رباني صغيراً وشمّلني بعطفه كبيراً ، فأرجع عن عزمي رغبة مني في وفاء هذا الدين بدوام البقاء في خدمة سموكم .

« انني لا أكون مبالغاً اذا اعتبرت نفسي قدوفيته بما قمت من خدمات في أصعب الاوقات جمعت فيها بين واجب الاخلاص لبيتكم الكريم في شخص سموكم العزيز وبين داعي الوطن المقدى ، حتى كان لي الحق في مقاسمة جنابكم العالي شطراً متواضعاً في نثار الجهاد السياسي المقدس الذي جاهدتموه .

والآن أترك خدمتكم ذا كراً بالجميل ما أوليتموني فيها ، ناسياً ما أصابني في
أثناءها راجياً من سموكم العفو عن هفواتي التي لا تخلو الحال من وقوعها من غير
قصد في غضون مثل هذه المدة الطويلة، داعياً لسموكم أن يفيض المولى سبحانه وتعالى
عليكم نعماءه ، وأن يحسن لكم العاقبة ، ويرد لكم حقوقكم . واني ما زلت يامولاي
عبد سموكم الطائع . «
«تفسير»

وحررت للوالدة رسالة بالأسباب التي بنيت عليها استقالتى فأرسلتها للخديو
وفي ٢٨ يوليو توجهت بعد الظهر إلى سراى بك ، ودفعت باستقالتى لعارف
باشا راجياً منه أن يقدمها للخديو ، وبعد أن قدمها قال : « إنه تسلمها ، ولكنه لم
يقرأها وأبقاها إلى مابعد ، كما أنه لم يقرأ المذكرة وسيقرؤها معاً ويعطينى خبراً ،
(مع أنه سبق أن قال لى يوم أن عرض على سموه مذكرتى : انه قرأها من أولها
لآخرها) . وبذلك انقطعت صلاتى بعباس
تسديدى دين حمصى : وبواسطة عبد الحميد شديد سددت هذا الدين ، بسحب
حوالة لحمصى يسدها ابنى عز الدين بمصر

تفسير الحاشية :

عبد الحميد شديد بك: زرت شديد بك يوم ٢ مارس قبل سفرى من السويس
فعرفنى بأن عباس أرسل له فى جواب حرره احمد بك صادق يأمره بالرجوع الى
الأستانة بدلاً من محرراته التى هى عبارة عن طلبات نقود وتألمات وتوجعات فيما
أصابه من الخسارات المادية ، فأجاب شديد على ذلك بأنه خدم سموه متطوعاً مدة
سنتين فكان ينفق من ماله أجر السكك الحديدية ومصاريف الفنادق وغيرها ، وأنه
كان قرر له بعد ذلك ألف فرنك شهرياً ، ولما علم بوصول نقود له فى مصر أنزلها
الى خمسمائة ، وأخيراً لما عينه ناظراً للخاصة قرر له ١٣٠٠ فرنك وبناء على طلب
شفيق زاده الى ١٥٠٠ ، مع أن الذى كان سموه وعده به هو مبلغ ١٢٥ جنياً مصرياً .
ثم قال : إنه فى مدة وجوده فى خدمة الجناح العالى قام بخدمات جليلة ، منها
أنه لما احتاج سموه الى نقود عقد له سلفة بمبلغ ثلاثمائة ألف فرنك يأخذها على
أقساط شهرية كل قسط عشرون ألف فرنك (وكان يصرف منها للحاشية ألفين
ويرسل الى لوزانج ٦ آلاف فرنك لفرنسا) ومنها أنه توسط بينه وبين الانكليز
لعمل اتفاق فى صالح سموه نظير تنازله عن حقوقه فى الخديوية المصرية .

وأخيراً قال شديد : إنه متمسك بالشروط التي أرسلها منذ شهر لقبوله القيام بأعمال الخاصة ومنها تخصيص سيارة لركوبه وترك الحرية له في انتخاب المستخدمين ، وعدم قبول أوامر إلا من سموه ؛ وله أن يفعل ما يشاء وأن يخصص مسكناً له ولأولاده ولا يأخذ مرتباً ؛ فقط عند الاستغناء عنه يعطى ألف جنيه إنجليزي لمصاريف رجوعه إلى الأستانة ، وأنه ينتظر الرد لغاية مارس فان لم تقبل هذه الشروط فانه يقدم استقالته ، ويطالب بحقوقه لغاية يوم الاستقالة .

وفي يوم ٨ مايو (وكنت قد حضرت إلى الأستانة) اجتمعت مع عباس وكان في حضرته عارف باشا واحمد بك صادق فدار الحديث عن شديد بك فقال : إن المذكور كتب له وادعى أنه هو الذي أغاثه من الضيق الذي كان وقع فيه أثناء وجوده في سويسرة ، فقال : إنه يفخر بأن الضيق قد بلغ به إلى هذه الدرجة ، وهذا ليس بالشيء الذي يشينه ، لأنه يدل على عزة نفسه (وخرج سموه بهذا الكلام عن الموضوع لأن شديداً لا يريد بما فعله لسموه أن يقول : إن هذا العمل إهانة بل يقول : إنني ساعدته على إيجاد النقود في وقت احتياجه لها) .



رمزي طاهر باشا

ثم أنحى على شديد باللوم مدعياً بأنه أفسد عليه عبد المنعم وعبد القادر أيضاً ثم قال : إنه أرسل للمحامى بيكار في السويسرة أن يطلب منه تقديم حسابه . ولم أعلم ماذا تم بعد ذلك لانفصاله عن الخديو .

رمزي طاهر باشا : في يوم ٢٠ أبريل
تقابلت مع رمزي طاهر باشا السرياور الخديوي الذي استقال بعد رجوع عباس من ألمانيا ؛ فعلمت منه أن السبب هو أنه كان قد أعطى شهادة ممضاة منه ومن ابراهيم بك أدهم وتوفيق بك الياوران ،

لحسين وصفي افندي الذي كان معاون القبول كتخدائية وفصله الخديو ، بأنه كان ضابطاً في الجيش المصري ، حتى يمكنه أن يستخدم في الدولة ويعيش . فعلم الخديو

بذلك وغضب على سر ياوره مدة ؛ وبعدها جاءه احمد بك صادق وكلفه برفع استقالته فلم يقبل ، ولكنه انقطع عن العمل في بيته .

قال رمزي باشا : « ولكن جاني ذات يوم احمد بك صادق في منزلي ، وكان معه يكن باشا و ابراهيم ادهم وتوفيق بك فهمي (أى الذين انفصلوا عن الخديو) وطلب احمد صادق منى أن أتوجه معه للسراى لمقابلة سموه ، وكان سبب هذا الطلب أنه كان نوى أن يترك الآستانة بعد الهدنة التركية ، ويهرب الى أوروبا ، وكان يرغب في تسليمى السرايات فرفضت التوجه مع احمد بك صادق رغم إلحاحه » .

وسبب فصل وصفى افندى أن الخديو أخرجه من سراى جبوقلى التى كان يسكنها ويأكل فيها لأن راتبه كان ١٤ جنيتها فقط ، والخديو على الرغم من إلحاحى مدة تقرير المرتبات لم يرض أن يعطيه علاوة ، لا هو ولا ابراهيم بك أو توفيق بك ، حتى غضب من إلحاحى ، فلما أخرجه من جبوقلى صار مبلغ ١٤ جنيتها لا يكفى لمسكنه ومعيشته . وصادف في هذا الوقت أن احمد بك فريد التشرىقاتى استعفى ، فطلب وصفى بواسطة رمزي باشا أن يعين محله حتى يقبض ٦٠ جنيتها تركياً شهرياً فتكفيه لمعيشته ، فقال الخديو : « أنا لا أخاف من تهديده » كأنه يقول : إن وصفى يهدده بالقتل إذا لم يرض بزيادة راتبه !! .

وعلمت من رمزي باشا أن الخديو كان يأمر بتعطيل إرسال الاذن بسفر عائلة شديد بك لأنه ما كان يريد أن يرجع إلى الآستانة قبل سفره إلى المانيا ورجوعه منها ، كما أنه عطل رجوعنا معه من بودابست .

وقال رمزي : « إنه لما وردت برقية منى بتعذر مواصلة السفر لانقطاع الطريق ، وأن عفشى ضاع ، كان يضحك كأنه حصل له السرور من ذلك » ثم قال : « وان الخديو كان ينوى إذا حضر شديد بك إلى الآستانة أن يسلمه إلى الحكومة انتقاماً منه ، ويظهر عنه أسراراً تدور حول مسأله طرابلس الغرب ، تكون سبباً للقبض عليه »

الدكتور سيد كامل وعبد الله البشرى : في يوم ١٩ يونيه كان الشيخ محمود المصرى (الذى كان فى المدينة وحضر الى الآستانة وساعده الخديو والآن فى

خدمته) في غرفة احمد بك صادق مع الدكتور فريد طيب السراى ، فجرى الكلام في مسأله مصر واحتمال رجوع الخديو ، فقال احمد صادق : ولو أن البعض هنا ينكر هذا الاحتمال ! . فقال الدكتور : أظن أنك تعنى بذلك السيد كامل ؟ قال : نعم . فأسرع الشيخ وأخبر الخديو بذلك ، فغضب من الدكتور سيد كامل . ولم يكف الشيخ بذلك بل دس لعبد الله البشرى . فقال : وان البشرى يحامى عن الخونة (أى شقيق وسيد كامل) . فلما بلغ ذلك البشرى سفه الشيخ وشتمه وكان ينوى ضربه ، وأما سيد كامل فأراد أن يتواجه مع الدكتور فريد ، ولكن هذا كان يأتى السراى ولا يدخل غرفتى ، التى يأوى اليها سيد افندى ، والتى كان يدخلها الدكتور كلما حضر للسراى من قبل ؛ وتقرر عمل تحقيق ، ولكن فريداً تهرب منه الى يوم ٢٤ يونيو . ولما اجتمعنا بحضور عارف باشا قال الدكتور : انه لم يكذب وألقى كل المسؤولية على احمد بك صادق وعلى الشيخ محمود المصرى .

نور الدين : حدث فى أوائل أغسطس أن الخديو عهد إلى نور الدين بك فى مهمة فاعتذر لأن له قضية منظورة فى اليوم المذكور ، ويجب عليه أن يكون حاضراً فى المحكمة ، فلم يرق ذلك فى عين الخديو ، فأنبه وكدره ، وقال له : « كيف لاتقضى مصالحى ، وأنت مأجور منى مع أنك تمضى نصف الشهر فى مباشرة أشغالك الخصوصية ؟ » فكتب نور الدين خطاباً لسموه يقول فيه : « ان الذى يتقاضاه منه لا يقوم بمعيشته ، ولولا اجتهاده ومباشرة أشغاله الخصوصية التى تساعد على العيش لمات جوعاً ، فاذا كان هذا لا يرضى الجنب العالى فانه يقدم استقالته » . وبعد أربعة أيام أرسل له عارف باشا يقول : « ان استقالته قبلت » وانتهى الامر

سمى عباس لاستقوال الحركة الوطنية : بلغنى فى أوائل ابريل سنة ١٩٢٠ أن عباس كلف البرنيس شويكار بالسعى عند سعد باشا زغول فى باريس لاجتذابه إلى جانبه ، وأن أمله كبير فى الرجوع إلى مصر سلطاناً عليها . ولكن سعداً قابل البرنيس بتحفظ ، وعادت بلا نتيجة .

وفى يوم ٢٤ منه علمت من عباس أن البرنيس أخبرته أن صفية زغول أثنت على حرمه ولم تن عليه ، وأنه يعتقد باتصال المخاطبة بين حرمه وصفية هانم

ثم علمت من البشرى ، أن سموه يريد أن تكتب حرمى إلى صفيه ، فانهم لتدافع عن الخديو عندها .

ومع وجود هذه الرغبة أراد أن يفهمنى أنه لا يهتم بأى شىء فقال : « أنا الآن صرت فيلسوفاً فلا يفهمنى من هذه الدنيا شىء »

وفى يوم ٧ أكتوبر قال الدكتور سيد كامل لى : « يحسن أن تقدم نفسك يا باشا للانتخابات القادمة لتشكيل الجمعية الوطنية التى ستنظر فى الاتفاق بين مصر وانجلترا » ثم سألتنى عن رأى فيما إذا كنت أعطى صوتى للخديو عباس ؟ فأجبتة نفيّاً قائلاً : « اننى عرفت أنه لا يصلح للحكم ، وأن وطنى فى حاجة الى الرجل الصادق المحب للمصريين ؛ وليس من يبغضهم . وهل نسبت يا سيد أفندى ما كان يقوله عن المصريين ؟ اننى سجلت عليه كل أقواله كما فاه بها ، وإن حى لوطنى أكثر من كل شىء » ، قال : ولمن حينئذ تعطى صوتك ؟ قلت : وقتها أفكر فيمن أصوت له ! . واسترسلنا فى أحاديث الحكومة والحكام فقال : « نحن وجدنا مع الخديو عباس - وخصوصاً أنت - من زمن بعيد ، فكيف تتركه الان ؟ أفلا يقول الناس أن شقيقاً ترك عباساً مدعياً بأن سموه لا يصلح للحكم ، مع أنه خدمه المدة الطويلة ؟ قالت : « إن هذا الانتقاد ظاهره منطقي ، ولكن عندى من الأسلحة ما يمكننى من المدافعة عن خطتى » ، قال : « أنت يا باشا تقول ذلك باللسان وليس بالقلب ، وأنا أرجو أن يزول ما بينكما وترجع المياه إلى مجاريها »

وأضاف : « وأنا أقول هذا من عندياى وليس بايعاز » ، فأجبتة : « أنا أريد وأنت تريد والله يفعل ما يريد » وقد فهمت أن عباساً هو الموعز له بهذا الحديث وفى يوم ١٩ أكتوبر حضر محمود أفندى زكى ، وأخبرنى بأنه بناء على الحاج عباس توجه هو وصفا بك صاحب جريدة العدل بالآستانة سابقاً إلى بيك . والاول قابل سموه فلامه على ما كتبه فى جريدة مصر ضده ، وطلب منه أن يصلح المسألة ويكتب ما هو فى مصلحته على شرط أن يرسله إليه وهو - أى الخديو - يبعث به لمصر ، وقد وعده أحد صادق أن يصرف له مرتبه الذى كان قد قطعه عنه سموه منذ ستة أشهر ، ولامه على ما كتبه من أن وفداً من المصريين ذهب لبيك ليسترحم عطف الخديو عليهم ، ولكن وسيط السوء أحمد صادق رفض قبول الوفد وإدخاله فى حضرة سموه ، وقال : « والله اننى لمظلوم » وفهمت من محمود أفندى زكى أن سموه يجتهد

في جمع المصريين حوله ، فقلت : « نعم ما يفعل ، وكنت نصحته قبل الآن ولكنه لم يسمع النصيحة إنما أدرك الآن غلظه فرجع عنه والحمد لله » فقال : « ولكن نحن جميعاً نرغب في أن تكون يا باشا في مقدمتنا » فقلت : « أنا الآن لا أريد أن أخطو خطوة إلى الأمام ولا أتناول في شيء ، وغاية ما أرجوه أن أرجع إلى مصر ، وهناك أشتغل لصالح بلدي » فعاد يلح علي بأن أغض الطرف عما حدث ، فلم أجبه بشيء . وفي يوم ٢٤ نوفمبر قابلت الكابتن دافيلد في قلم الخبائرات الانجليزية بالاستانة . فعرفت منه أن محمد سعيد باشا وأحمد شوقي بك يقومان بالدعاية للخديو عباس . وسألني عن رأيي في ذلك فقلت : إن سموه له - زب ، فإذا كان محمد سعيد باشا على رأسه فإنه قد خاب في مسعاه ، لأن الأخبار التي وردت لي من مصر تدل على أن المصريين ناقمون على سعيد ، وعرفته أيضاً بالحزبات التي بين محمد سعيد وسعد باشا .

سُوءه مُخلفه

عباس وصاحبه علمت من شديد أن لوزانج لم تقبل الذهاب إلى الاستانة إلا بعد أن أخذت خمسمائة ألف فرنك ، خلاف عقد لؤلؤ اشتراه الخديو لها في مونتره بعشرة آلاف جنيه ، ومصوغات جاء بها أحد باعة المجوهرات من باريس بمبلغ مائة ألف فرنك ، قال : « وإن جملة ما أخذته منه يقدر بخمسين ألف جنيه » وأظن أن في ذلك أيضاً الستة الآلاف فرنك التي كان يدفعها لها شهرياً ، وترسلها لباريس . قال : وإن سموه أعطاها أيضاً أسهماً من البنك العقاري وربما يكون ذلك في نظير المائة والخمسين ألف ليرة تليانية ، التي كانت لها في بنك رومه بمصر وسحبها منه عندما رجعت من فيينا إلى سويسرة مع الخديو ، وسموه كان يقول بهذه المناسبة : « إن أقرب الناس لم يسعفني كما أسعفتني امرأة » .

من أسرار الحرب العظمى :

بلغني من راقب نجل مظهر بك يوم ٢٩ يناير أن الانكليز كانوا عرضوا على الدولة بواسطة سفير إحدى الدول انسحاب العساكر العثمانية من الحرب نظير تأمينها على سيادتها على مصر وعلى أملاكها جميعها واسترداد الجزر بما فيها كريد ، وكفالتها في الخمسمائة مليون جنيه (قيمة ديونها) وأمريكا تضمن للدولة تنفيذ هذه الشروط ، ولكن فؤاد بك سليم في تقريره الذي أرسله مع اقتراح انكثرت هذا قال

برفضه ، لأن إنجلترا لم تعرضه إلا لأنها تحققت من عدم نجاحها في هذه الحرب ، وأنها ستخسر ليس فقط مصر التي سيؤول أمرها إلى الدولة بل الهند أيضاً ، وأن إنجلترا متحققة من انتصار ألمانيا .

وبلغنى منه أيضاً أنه لما حصلت الهدنة مع الدولة تخابرت إنجلترا مع الملحق العسكرى في سفارة الدولة ببرن ، لامع فؤاد سليم بك ، ولما تبرم للحكومة العثمانية من ذلك ، اجابته أن إنجلترا لم ترد المخابرة معه لأنه مصرى .

رأى ضابط انجليزى فى الادارة المصرية المستقلة : تحدثت مع الكابتن دافيلد السابق الذكر عن مشروع الاتفاق بين مصر وإنجلترا ، فأظهر لى أنه يخشى إذا انسحب الانجليز من الادارة أن يفشو ظلم الحكام ، وتقع البلاد في حالة أسوأ من حالة تركيا ، فأجبت به بأن عقيدتى خلاف ذلك . أى أن المصريين يحسون بالمسؤولية ليس فقط أمام إنجلترا بل أمام الدول جميعا ، وانهم يحسنون الادارة خصوصا وقد اكتسبوا فى مدة الأربعين السنة الماضية تحت اشراف إنجلترا دراية وخبرة فى الأعمال . فقال : « اننى متشائم » فقلت : « هذا جائز ولكن هو اعتقادى ، ويكفى أن تكون الرؤوس طيبة أى النظار » وأفهمته أنى أدركت الأوقاف بالذمة والصدقة وفى مصر - ولا شك - من هو خير منى ادارة ، فأظهر أنه ليس من رأى وأنه عاشر الفلاحين ، ويخشى أنهم بعد خروج الانجليز يأسفون عليهم ، قلت : « ربما كانوا يأسفون لولا أن حادثة دنشواى أبعدهم عنهم ، فانه حتى وقوع تلك الكارثة كان النفوذ الانكليزى كبيرا جدا ، وكان الأهليون يلجأون إلى الوكالة الانكليزية للأخذ بناصرهم ، ولكن انعكس الأمر عقب الحادثة ، ودللى على هذا أننا إذا جمعنا احصاء عن عدد العرائض التى كانت تقدم إلى الوكالة قبل حادثة دنشواى وبعدها وجدنا الفرق عظيما » فقال : « صحيح ! كانت حادثة أليمة إلا أنها لو نظرنا إلى المسألة من وجوها مختلفة لوجدنا أنه كان يجب تأديب المعتدين »

الآن حصحص الحق : وفى اجتماع آخر بالكابتن دافيلد يوم ٢١ سبتمبر استطرد بنا الكلام عن خدمتى لعباس فقلت له :

« ها هى ذى مسألة من المسائل التى كانت غامضة أظهرها التحقيق الذى يجرى الآن في مصر أمام المحكمة العسكرية الانجليزية عن جمعية الانتقام ، فان عبدالرحمن بك فهمى قال : « ان سبب انفصاله من وكالة الأوقاف هو أن الخديو عند وجود

المدير العام شفيق باشا بالأجازة في أوروبا طلب منى اتحاد اللازم لمشتري تفتيش المطاعنة الذى يملك ثلثيه شفيق المدير العام للأوقاف ، فرد عبد الرحمن بك بأن الثمن المطلوب ليس موافقا ، وليس من الصالح المشتري به ، فألح الخديو مرارا ، ولما لم يطع الأمر فصل ، وقال أيضا : « إن شفيق باشا لم يقبل المشتري فنقل من الأوقاف العمومية ، وجاء بعده ابراهيم نجيب باشا فاشترى التفتيش ، وأعلن عبد الرحمن بك أن الخديو كان له مصلحة شخصية في بيع المطاعنة للأوقاف .

قلت للكاتبين : « هذه هى حقيقة خروجى من الأوقاف فالحمد لله انها ظهرت على لسان غيرى »

اشتراكى فى جمعية خيرية عربية : فى يوم من أوائل نوفمبر دعانى عبد الرحمن بك العابد للغداء . وكان معنا الدكتور سيد كامل ومعهم من اللاذقية تالى العلوم فى الأزهر ، فأخبرنى الأول بأنه قد تشكلت جمعية عربية من السوريين لتفسير أبناء العرب المحتاجين إلى بلادهم ، وانه تقرر أخيرا انتخاب أعضاء آخرين من المصريين والبغداديين والطرابلسيين والحجازيين ، وأن الجمعية انتخبته وقبل العضوية ، وانها تريد أن أشترك فيها :

وبعد أن اطلعت على قانونها وما يعلمه الدكتور سيد كامل عنها قبلت الاشتراك فأرسلت لى الجمعية رسالة جاء فيها .

« بناء على ما هو معروف فى سعادتك من نباهة الذكر والرغبة الصادقة فى عمل الخير وما هو متأكد لى (الجمعية الخيرية العربية) بالاستئانة من أنكم لا ترفضون تعضيدها ان هى دعتمكم إلى الاخذ بناصرها ، أتشرف بابلاغ سعادتك جماع أعضاء مجلس ادارتها فى جلستهم المنعقدة يوم الخميس الموافق ١١ نوفمبر سنة ١٩٢٠ على انتخاب سعادتك ، مع مزيد سرورنا الشخصى فى التطالع إلى التشرف بطاعتكم يوم الخميس القادم ١٨ نوفمبر ، لحضور اجتماع مجلس الادارة الذى ينعقد عادة كل أسبوع فى مكهنا الخاص ، ولسعادتكم منا مزيد السلام ووافر الاحترام ، رئيس مجلس ادارة الجمعية الخيرية العربية

أحمد عبود

وقد توجهت في الميعاد وتعرفت بالأعضاء ، وعرضت علينا جملة مسائل منها أنه تقدم لنا أحد الجراكسة ويحسن العربية وكان مفتيا في القوقاز وهاجر منها هاربا من البلشفيكيين ، والتمس مساعدته ماديا هو وعائلته ، ولما كانت الجمعية لا تنظر إلا في تسفير أولاد العرب رفضنا طلبه ، وإنما تبرعت له بخمسة وعشرين جنيا ، فدعا وخرج .

واستمرت على الذهاب إلى جلسات الجمعية وتبرعت لها بخمسين جنيا واشتركت بخمسة عشر جنيا شهريا ، ولما أردت السفر من الآستانة إلى فيناوسويسرة تركت لها ثلاثين جنيا اشتراك شهرين .

سنة ١٩٢١

التحقيق في ضياع المجوهرات — عودنى الى مصر — المساعى لعودة عمير الطمير
بك شريف وعلاقاته بعباس — رأى في الاتفاق بين مصر وانجلترا — برنامجى
لوصولات الداخلية — الخلاف بين مصر وعملى ومساعى التوفير — حوادث
الاسكندرية ودفاعى مع شكور باشا عن سمعة مصر — نوادر عن شيخ عباس .

التحقيق في ضياع المجوهرات : علم القارىء من مذكرات سنة ١٩١٨ بالمتاعب
والآلام التى لقيتها في سفرى الى السويس لاستحضار عائلتى، وعائلة شديديك بناء على
الأمر الخديوى، ومن بينها ضياع حقيقة بها نقود ومجوهرات، وادعاء أحد موظفى محطة
انسبروك أن واحداً من طرفى حضر لتسليمها، وشكواى ضده وضد مصلحة السكة الحديدية
وقد حدد لنظر الدعوى أخيراً جلسة يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٢١ فى الاستئناف
بعد أن حكم لى فى المحكمة الابتدائية بوجوب التعويض، فسافرت من الآستانة يوم
١٠ فبراير إلى فيينا، وقابلت المحامى شو نبرج الذى يترافع عنى فى الدعوى، فعملت منه
أن الاستئناف أيد الحكم الابتدائى بحق فى التعويض، ولكنه يطلب ايضاحات
عن الحقيقة، وأن المدعى العمومى أراد انهاء المسألة بدفع مليون كورون، فأبى المحامى
لأن المبلغ قليل نظراً لانخفاض سعر العملة، وأن شو نبرج سأل بعض الخبراء فى المجوهرات
عن أثمانها الآن ووقت ضياع الحقيقة، فعلم منه أن ثمنها فى ذلك الحين يساوى خمسة
أضعاف الثمن الحالى، وطلب من المحكمة أن تفصل فى هذه النقطة عند صدور حكمها حتى
لا تستغرق الدعوى مدة طويلة . وهو يعتقد أنه إذا صدر حكم الاستئناف لمصلحتنا،
فان المدعى العمومى سيطلب ارسال القضية إلى محكمة النقض فى فيينا، وعلى فرض تأييد
الحكم فان الصعوبة فى أن تدفع الحكومة المساوية التعويض المطلوب، بينما المسموع
أنها تريد أن تعلن التوقف عن دفع ديونها وهى تفكر فى اصدار قانون بذلك .
ثم أخبرنى أن هناك مبدأ قانونياً يقضى بتمثيل الأشياء الضائعة وقت ضياعها بسعر عملة
البلد الذى ضاعت فيه، وأنه إذا حصل ذلك نخسر خسارة كبيرة لهبوط سعر الكورون .

وفي يوم الجلسة كنت مع المحامي في المحكمة ، ثم حضر المدعى العمومي فتعارفنا وبعدها حضر القاضى والترجمان فتبادلنا التحية ، ولم تر المحكمة حاجة لحلف اليمين على المصحف الذى كنت استحضرتة معى ، وإنما دعانى القاضى أمامه وأجلسنى على كرسى بجانب الترجمان ، وحلفت أننى أقول الحق ؛ ثم ابتدأ الأسئلة وكلها ترمى الى غاية واحدة ، وهى : هل عندما كنا في هوتيل بلودانس حتى ركبنا القطار ووصلنا الى أنسبروك كانت الحقيقة في حزميتين ، ولم تمسها يد خلاف يدى ويد حرمى ؟ فكانت أجوبتى أن الحقيقة كانت في حراستنا ولم تمسها يد أجنبية ؛ ثم سئلت عن إقفالها بالمفتاح لأننى قلت في محكمة لوزان : إننى أقفلتها وأخذت المفتاح في جيبى . قلت : نعم أننى متعود ذلك ، وعلى ظنى أننى لم أخلف هذه العادة ، لكن من الجائز أننى لم أقفلها كما يجب في بلودانس ، لأننى لم أمسها بعد ذلك حتى أعلم هل كانت حقيقة مقفلة أم مفتوحة وتمت الأسئلة على ذلك ؛ ثم ابتدأت المرافعة من جانب المدعى العمومى ، ثم من المحامى ثلاث مرات ، فالأول كان يدفع مسؤولية السكة الحديدية ، والثانى يثبتها ؛ ثم كان يقول بأنه إن كانت مسؤولية فتكون على أساس قيمة الكورون وقت ضياع المحفظة ، لكن المحامى قرر أن مقدار التعويض عن المجوهرات المفقودة هو ٢ مليون كورون بالقيمة الحالية على الأقل ، وطلب من المحكمة أن تقرر انتداب أحد الخبراء فى فيينا لسؤاله عما يعلمه عن قيمة المجوهرات فى ١٨ سبتمبر ١٩١٨ وقيمتها الآن حتى اذا قال بزيادة عن ٢ مليون يكون لنا الحق فى هذا ، الزيادة ، وطلب فوائد المبلغ الذى ستحكم المحكمة به لغاية يوم الدفع ، ثم حصلت مناقشة حول اثمان بعض الأشياء التى كانت داخل المحفظة منها النقود الذهبية فطلب دفع قيمتها وانتهت الجلسة . وقد حكم لنا . ولكن الحكومة لم تدفع لأن الامبراطورية تجزأت وتعددت حكوماتها فلم تعد هناك حكومة معينة نطالبها (١)

(١) وقد علمت بعد ذلك أنه توجد فى لندن لجنة للنظر فى توزيع ديون الامبراطورية النمساوية على المالك التى تحولت اليها الامبراطورية أخيراً . وقد قيل لى بصدد ذلك أنه من الممكن تحويل القضية على هذه اللجنة بوساطة أحد المحامين هناك . ولهذا أرسلت جميع أوراق القضية الى حضرة صاحب السعادة عبد العزيز عزت باشا — وكان وزيراً مفوضاً فى لندن وقتذاك — راجياً منه انتداب أحد المحامين ليقوم بما يلزم للوصول الى تنفيذ هذا الحكم .

وقد أودع الباشا ملف القضية لدى سكرتيره الخاص وكان سويسرياً . ومن سوء الحظ أن ذلك السكرتير انفصل من وظيفته عقب ذلك ، فضاعت أوراق القضية ، واتهى أمرها عند هذا الحد .

عودتى الى مصر :

المساعى للعودة : سعت فى العام الماضى كثيراً للعودة الى مصر ، فلم يأتنى الترخيص ، فظننت أن ذلك ربما كان من معارضة السلطات الانجليزية لتوهمها أننى لا أزال على اتصال بعباس ، وأن استقالتي ليست إلا مناورة يقصد بها تسهيل عودتى الى مصر لخدمته فيها .

وقد جاء الترخيص لحرى وحدها بالسفر فسافرت من السويسرة فى ديسمبر سنة ١٩٢٠

وبقيت أنا بالأستانة أجدد المساعى ، بينما كانت حرى تبذل مساعى أخرى فى مصر .

وفى يوم ٦ يناير وردت لى من حرى رسالة جاء فيها : أن بعض السيدات من صديقاتها يشرن عليها بالكتابة الى السلطان ، رجاء الترخيص برجوعى الى مصر ، ولكنها لا تريد أن تعمل بهذه الاشارة ، وأنها ستطرق باباً آخر .

مساعى مظلوم باشا وتسويق السراى : وقد كتبت لى مدام تقلا باشا بأنها تقابلت مع عبد الفتاح يحيى باشا وكيل الداخلية ، وحادثته فى الترخيص لى بالعودة ، فأجابها بأن المستشار الانجليزى لا يرى مانعاً من عودتى بعد موافقة السراى كما هو المتبع مع المصريين ؛ فأرسلت الى مظلوم باشا (١) — لاتصاله بالسراى — ليقوم بالسعى اللازم .

وقد تكلم مع السلطان فؤاد بخصوص ذلك ثلاث مرات ، فقال له فى الأولى : « لماذا يا باشا تهتم برجوع شفيق ؟ » فأجابه : « لأنى رأيته فى سويسرة ، وحالته الصحية تستدعى الشفقة . وعند ما كله فى المرة الثانية ، أجب بأنّه سينظر فى المسألة بعد ، وفى الثالثة ، قال : « إنه سينظر فيها بعد رجوعه من سياحة الصعيد »

وبعد ذلك سافرت أنا الى أنسبروك لحضور جلسة المحكمة كما سبق ثم واصلت السفر الى السويسرة اعتقاداً منى بأن وجودى فى الأستانة ربما كان معرقلاً لهذه المساعى .

الترخيص بالعودة : ولما كنت في فريبورج وردت لى برقية من حرمى بأن السلطة المصرية قد رخصت لى فى العودة ، وأنها أرسلت برقية بذلك الى السفارة الانجليزية فى برن .

وفى ٨ مارس كتبت إلى رسالة جاء فيها : أنها بعد التفكير وبدون أخذ رأى أحد لأن صاحباتها مختلفات فى اختيار المسعى الضرورى لرجوعى قررت الذهاب الى المارشال اللبى القومسیر العالمى الانجليزى ، فخررت له خطاباً جاء لها رده بأنه يمكنها الحضور فى أى يوم أرادته ، وعليه توجهت ، ولكن المارشال كان غائباً فقابلها سكرتيره بلطف ؛ ولما وصلت إلى دار الحماية كانت أعصابها متهيجة حتى انهمرت الدموع من عينها ، وما كانت تقدر أن تفوه بكلمة ، وإنما هدأت حين جاءها السكرتير ، فأخبرته بتفصيلات القضية المرفوعة ضدى من الأوقاف (وقد عرفها القارئ فيما مضى) وعرفته بأنه تقرر اصدار الحكم دون النظر فى أوراق القضية ، وهى أوراق قديمة كانت استحضرت من المحاكم الأهلية حينما نظرت فى القضايا المرفوعة وقتها ضد احمد بك صادق وخيرى باشا وحسين باشا محرم ، وأن المحامى يريد تأخير القضية حتى تستحضر هذه الأوراق ، ويطلع عليها ؛ وأنتى لو كنت موجوداً فى مصر لاثبتت براءتى ، فطلب منها أن تستحضر من المحامى خلاصة للقضية بالفرنسية ، فاستحضرتها ثم علمت بعد أيام بالتريخ لى فى العودة ، فأرسلت لى البرقية السالفة الذكر .

وفى يوم ٢٦ مارس كنت فى جنيف وقابلت موسيو جانيو مدير البعثة المصرية فى السويسرة ، وتحادثنا فى موضوع عودتى الى مصر ، فقال لى : إن مفتش الجوازات الانجليزى فى سويسرة استعلم منه عنى ، وعرفه ببعض مسائل ليس لى دخل فيها ، وعلم جانيو أن هناك خطأ ، وأن الانجليز يظنون أننى يوسف صديق حتى أدى الحال الى أن أرسل له كراسات قضية بولو قائلاً : إن جميع ما فعلته وارد فى هذه الكراسة ففحصها المفتش ولم يجد اسمى فيها ، فتأكد من خطأ الانجليز ، وأقنع المفتش الذى طلب منه بناء على أمر ورد له من مصر أن يعطيه معلومات عنى ، فخرر له مذكرة بتاريخ ١٧ يناير سنة ١٩٢١ ، قال فيها : إنه لا يدخل فى وظيفته إعطاء معلومات عن أشخاص لأنه موظف تابع للمعارف ، ولهذا لا يعد ملزماً باجابة كل طلب من هذا القبيل ، ولا يجب أن يتجسس على الأشخاص ، وإنما لا يتأخر عن إعطاء معلومات عن يعرفهم بصفة خصوصية . بعد ذلك قال : إنه يعرفنى من منذ سنة ، وأنه اختلط بى

وتحادث معى في مواضيع شتى ، ولم يجد فى كلامى أو فى أفكارى ما يدل على بغضى وحقدى على أشخاص الانجليز ، ولكنه وجد عندى احساسات وطنية شريفة تثبت حى لوطنى . ولا يعرف أثنى فى زمن الحرب تداخلت فى مسائل Loucnles ولا كان لى يد فى مسألة علاقة الخديو مع الألمان ، بل كانت همتى مبذولة فى تعليم أولادى ، وأثنى لأدخر وسعاً فى مراقبة دروسهم وسيرهم ، ولا أتأخر فى بذل المال واننى أدقق فى مصروفاتهم ، ولم يكن لى من ذنب إلا الاستمرار فى خدمة الخديو إن كان هذا الولاء يعد ذنباً ، وعلى الجملة قال: إننى Gentelman وإننى على معلومات واسعة ، بعد ذلك مضى أكثر من شهر فأرسل له المفتش الانجليزى يقول إن السلطة فى مصر ترغب فى الاطلاع على المذكورة السرية التى أرسلها له فى ١٧ يناير ، وأنه يستأذنه فى إرسالها ، وأجاب جانيو فى ٢٣ فبراير بأنه لا يرى مانعاً من أن يبعث بها الى مصر . فالانجليز كانوا حينئذ يسيئون الظن بى ، وهذا سبب امتناعهم عن إجابة ملتقى الذى قدمته للقومسيير العالى بالأستانة فى شهر اكتوبر الماضى . وقد بلغت من ثرىا بك متولى أعمال سفارة الدولة فى برن أنه لما كان فى قوميسيون الهدنة بنظارة الخارجية ، وجاء الطلب له برغبى فى السفر من سويسرة للأستانة فى أوائل سنة ١٩٢٠ لاحظ بعض الصعوبة من المندوب الانجليزى ؛ ولكنه انتهى بعدم المعارضة السفر : كنت عازماً بعد الترخيص لى بالعودة أن أبقى فى السويسرة إلى الصيف حتى تحضر حرمى إليها كما كان مقرراً ، ثم نعود فى نهاية العام ، ولكنها أرسلت تستعجل عودتى لأموور عائلية

فذهبت يوم ٤ ابريل إلى قنصلية انجلترا بجنيف لاستخراج جواز السفر ، وقد دهشت حينما وجدت من القنصل تساهلاً كبيراً ، إذا كنتى بوجود جوازى العثمانى وقال بأنه سيؤشر عليه فقط ، وما على إلا احضار صورتين شمستين وفى يوم ٧ منه تسلمت الجواز وأشرت عليه من قنصلية فرنسا بصعوبة ، حيث قيل لى : « كيف يكون جوازك عثمانياً وأنت مصرى ؟ وكان يجب أن يكون انجليزياً » فأقنعهم بأن القنصل الانجليزى هو الذى اقترح ذلك ، ولو كان هناك مانع لجاءت المعارضة من جانبه

الوصول إلى أرض الوطن : وقد سافرت يوم ٨ ابريل بالقطار إلى مرسيليا ، وفى صباح يوم ٩ منه ركبت الباخرة ، فوصلت إلى الاسكندرية يوم ١٤ منه ، ثم

استأنفت السفر بالقطار إلى القاهرة . فوجدت في استقبالي بعض أفراد عائلتي وتوفيق بك فهمي، والدكتور سيد كامل، وحافظ بك عوض

مقابلاتي وزياراتي بعد العودة : في صباح اليوم التالي لوصولي إلى القاهرة زرت مدام تقلا باشا ، ولما رأيتهما سألت الدموع من عيني ، فلم أتمالك نفسي من التأثر ، وشكرتهما على حسن مودتهما لنا في أثناء غيبتنا ، ثم زرت مدام علوى باشا لتعزيتهما في وفاة زوجها ، وبعد ذلك ذهبت لزيارة البرنس محمد على فلم أجده

بين عابدين ودار الحماية : وقد استشرت مدام تقلا باشا فيما يجب عمله نحو عابدين ودار الحماية ، فكان من رأيها ألا أذهب لاحدهما ، ولكن تكلمت مع أمين باشا في مكان رأيته ، أن اكتب اسمي في سجل التشريفات بالسراي ، فتوجهت وقيدت اسمي ، وبعدها زرت سعيد ذا الفقار باشا فسلم علي سلاماً عادياً ، وكان معه محمود شكرى باشا (الذى كان رئيساً للديوان التركى الخديوى) ، فاحتضنى وسلم على بحرارة ، وأشار على بأن أقيد اسمي في دفتر التشريفات ، فأجبتته بأننى نشأت في السراي وأعلم تقاليدها ، وقد قمت بالواجب . وبعد ذلك توجهت إلى دار الحماية ، وقيدت اسمي هناك .

في الأزهر : ثم ذهبت إلى الأزهر لصلاة الجمعة ، فاستقبلني الموظفون باستياف . وكذلك من كان هناك في انتظار البرنس محمد على ، ولما وصلت إلى القبلة أجلسوني في الصف الأول ، وحياني كل من عرفني من العلماء أحسن تحية ، ولما حضر البرنس تقدم نحوى وصافحنى ، وقال : « هأنت ذا يا شفيق باشا قد حضرت »

وهتف الأزهريون لسموه ، وبعد الصلاة خطب أحد العلماء في عناية محمد على الكبير بالأزهر ، ودعا للأئمة الحاضر والأئمة الغائب ، وعند خروج سموه ، هتف بعض الطلبة (يعيش عباس باشا) .

ما لقيته من حفاوة رجال مصر : وفي صباح يوم ١٧ مارس زرت عدلى باشا رئيس الوزراء فاستقبلني بكل لطف ، وتحدثت معه في الترخيص للمصريين في أوروبا بالعودة ؛ وقابلت رشدى باشا عند خروجي من غرفة عدلى باشا ، فلما رآنى صاح بصوت عال : « كيف حالك يا شفيق باشا ؟ » ثم قابلت ثروت باشا أيضاً فلم يعرفني أولاً ، ولكن لما تكلمت معه قال : « ماهذا ؟ أنا ما عرفتك يا شفيق باشا »

وبعد ذلك قابلت جعفر ولي باشا وزير المعارف ، وكان عنده بعض الرؤساء فسألوني عن عباس . ثم زرت وزير الأشغال محمد شفيق باشا ، وكان معه المستشار ماكدونالد فعانقني الأول وقبلني ، فظهرت علي وجه مكدونالد الدهشة من هذه المقابلة ، فعرفه بي ، فسأله المستشار : لماذا لم يحضر في مدة السبع السنوات ؟ فأجاب : لأنه كان مع الخديو . فسألني مكدونالد عن سموه



نجيب بطرس غالي باشا

وقابلت مدحت يكن باشا وزير الاوقاف فقال لي : « إنك كنت مظلوما وإن عزت باشا زوج فائقه خانم أخبرني بكل ما حصل » وقابلني نجيب بطرس غالي وزير الزراعة مقابلة لطيفة ، ولكن علمت منه أنه يخالف سعد باشا ، وقال عنه : إنه متلون ثم عاودت زيارة عدلي باشا ، فأظهر لي عطفاً ، فكلمته ثانية عن المصريين الذين في الخارج ، وأنهم ينتظرون من وزارته صدور الأمر بارجاعهم إلى أوطانهم ؛ وقلت إن الحالة الآن تساعد على ذلك ؛ ثم حادثته في رجوع عبد الحميد بك شديد فعلمت منه أنه طلب كشفاً بأسماء المصريين الذين

في الخارج فكان الجواب بأن السلطة تجهلهم ، فطلب كشفاً بأسماء الذين لا ترى السلطة دخولهم ، فكان الجواب كذلك نفياً ، وأخيراً وعدته بأرسال كشف بأسماء من طلبوا الرجوع لمصر . قال : وسأنظر في طلباتهم . وقال عن شديد : إنه متهم بعلاقات خفية مع الطليان ، ووعد بالنظر في مسألته ؛ وقال ثروت باشا : إنه سينظر في طلب رجوعه . وزرت مظلوم باشا وشكرته على مساعيه وأعلمته بمساعي حرمي في دار الحماية فقال : وهأنت يا باشا قد حصلت غرضك بدون تدخل السراي ، وأظن السلطان سيتأثر من حضورك بعد هذا لتقييد اسمك في سجل التشريعات ثم زرت عزت باشا وشكرته هو وحرمة علي ما أذاعاه عني من حقيقة ما حصلني وبين عباس

أما الذين حضروا لتهنئتي برجوعي فهم سعد زغلول باشا ومحمد باشا سعيد ومظلوم باشا وسابا باشا وحسن حسيب باشا ومحمد شفيق باشا وأمين باشا يحيى.



على فهمى باشا



محمد شفيق باشا



أحمد عزت باشا العابد

ومحمد عرفى باشا وعبدالله باشا وهبى وعلى باشا فهمى، (ضابط متقاعد) وحسن باشا رفقى وحسين باشا محرم وأحمد عزت باشا العابد ونجيب شكور باشا واسماعيل صبرى باشا واسماعيل باشا أباطه وخالد باشا لطفى ومحمود باشا أبو حسين وحمدى بك سيف النصر (مدير فى المعاش) وبشرى بك حنا وبسيونى بك الخطيب وجلال بك فهمى ومحمد بك المويلحى وحافظ بك عوض وتوفيق بك فهمى وعزت باشا زوج فائقة هانم وأحمد باشا فائق (مدير فى المعاش) والشيخ أبو الفضل شيخ الأزهر

والشيخ البنا رئيس المحكمة العليا الشرعية والشيخ حسونه النواوى والسيد محمد البىلاوى والشيخ محمد زنائى سكرتير مجلس الأزهر الأعلى وغيرهم كثير من كبار الموظفين بالأوقاف .

المساعى لهودة عبر المحير شيرى وعملاقه بهباس : فى أول إبريل حضر إلى جنيف من ميلانو عبد الحميد شديد ، وكنت أخبرته بحضورى إليها ، وقابل موسيو جانيو حيث كان رجاء أن يتوسط لدى السلطة الانجليزية فى سويسرة لتسهيل الحصول على إذن بالرجوع الى مصر ؛ وبعد مناقشة بين السلطة وجانيو اقتصعت بأن تسمع من شديد ما فعله فى مدة الحرب وبعد الهدنة ، وأن يكون جانيو هو الوساطة بدلا من أن يكون هذا التحقيق فى قنصلية انجلترا ؛ وقد ألقى عليه موسيو جانيو عدة أسئلة فرد عليها وهى :

أولا: عن خروجه من مصر إلى ايطاليا بعد أن التجأ إلى قنصليتها بمصر وسعيه المتواصل فى رومة لرجوعه . ثانيا : انتقاله إلى لوسرن ومقابلته للخديو الذى كلفه بأن يمنع حسين زكى بك من مقاضاته فى سويسرة بخصوص مسائل مالية ادعاها على سموه ، وقد نجح شديد فى التوفيق بين الطرفين . ثالثا : قال شديد انه لما ضاق الحال لنفاد ماعنده ، وفشلت مساعيه فى لوسرن عند قنصل انجلترا أملا فى العودة إلى مصر هو وعائلته التى كانت لحقت به فى ايطاليا قرر فتح دكان فى برن ، وكان يورد للخديو ما يلزم له عند ما كان سموه ساكنا فى قصر كلاران ، فقلت النقاد عنده ، فراجع الخديو ، ولكن سموه أجابه بأن حالته الاقتصادية هو أيضا ، سيئة فاتفقا على مراجعة سفارة انجلترا لعمل اتفاق بين الخديو وبينها ، وبذلك تنفرج الأزمة ، وبناء على الأمر توجه شديد لمقابلة الكبتن بنز وهو فى مكتب المخابرات بسفارة انجلترا وأفهمه برغبة الخديو ، فأظهر عدم ثقة بمقاصد عباس ؛ ولكنه فى يوم من الأيام توجه توا بدون إخبار أحد إلى كلاران وقابل الخديو ، وتكلم معه فى الموضوع ، وبذلك ابتدأت المخابرات بعد مراجعة لوندرة ، وقد أحالتها نظارة الخارجية على اللورد اكتون ، فقابل الخديو مرتين ، وتقررت نقط الاتفاق ، وعلى هذا كلف سموه أحد المحامين السويسريين بكتابة خطابين فى موضوع الاتفاق ، وبعد امضاءهما من سموه أراد أن يرلى المحامى مواجهة السفير وتسليمه الخطابين ، ولكن السفارة أبت قبوله لأنها ما كانت تريد ادخال محام بين الطرفين طبعا ، وأرسلت تليفونا لشديد بهذا الرفض وبذلك انقطعت المخابرات .

قال وبعد ذلك قرر سموه الرجوع إلى الاستانة وترك شديداً لمباشرة أشغال
نجليه في سويسرة . وعينه مديراً للخاصة الخديوية بمرتب ١٢٠٠ فرنك شهرياً
وبوساطة شفيق باشا صارت ١٥٠٠ فرنك ، وقد راجع الكاتبين بنز لقلة المبلغ
وعدم كفايته لنفقاته مع أسرته ، فوعده بأن يرخص له في استحضار ١٥٠٠ فرنك
شهرياً من نقوده بمصر إن ترك خدمة الخديو ، وقد أراد شديد الانفصال ، ولكن
سموه وعده بأشياء حملته على سحب استقالته ، وأمره بأن يحضر لمقابلته مع ابنه
البرنس عبد القادر في برلين ، وأن يرسل عائلته مع شفيق إلى الآستانة ، وقد حصل .
ولما قام الخديو من برلين راجعاً إلى الآستانة أنزل شديداً في بودابست حتى يستقبل
قطار « البلقان زوج » ولكن انقطع الطريق ، فبقى في بودابست حتى تمكن من
الرجوع إلى سويسرة وعندها استقال .

ومن ضمن ما قاله أيضاً : إنه كتب إلى اللورد هاردينج في أمر عودته كما كتب
إلى اللورد كيتشنر ، وأن عنده رسالة من الأخير يعده بالرجوع ، وأخرى من جرای
بأنه تقرر ارسال نقود له ، ولكن بموت كيتشنر انقطع أمله في العودة
بعد ذلك وعده جانيو أن يقابل من يلزم في سفارة إنجلترا ببرن مجتهداً في
الوصول إلى نتيجة طيبة .

وبعد عودتي إلى مصر خاطبت عدلى باشا و ثروت باشا في شأنه كما ذكرت
ثم عاودت السعى مرات في الداخلية ، وسمعت من الوزير في المرة الأخيرة أنه
لا يمانع في الترخيص له ، ولكن المسألة بين أيدي الانجليز . فيجب اتخاذ المساعي
لدى الوكالة البريطانية أو عند مستر ريدير وكان ذلك يوم ٦ مايو سنة ١٩٢١ .
وقد ظلت أسعى حتى حصلت على وعد بعودته ، وأبلغت ذلك لحرمه ، فتقبلت
هذا النبأ بالسرور والشكر . وقد عاد بعد ذلك .

رأى في الاتفاق بين مصر وإنجلترا : بعد عودتي درست المقترحات التي
عرضتها لجنة ملنر على مصر للاتفاق مع إنجلترا وكونتلى رأيا عنها يتخلص فيما يلي :
١ — كنت أود أن يحصل الاتفاق بين الطرفين على الضمانات التي تقدمها مصر
لمصالح إنجلترا ، كما أن هذه تعلن رفع الحماية واءة افها باستقلال مصر بحيث لا ينص
في هذا الاعلان عن شيء من هذه الضمانات وأن يسجل هذا الاستقلال في عصبة
الأمم ، وتدخل مصر عضواً فيها .

٢ — أن تعقد معاهدة بين الطرفين تعترف مصر فيها بهذه الضمانات، وبمساعدة إنجلترا عند نشوب حرب بينها وبين إحدى الدول الأخرى، على شرط أن تقضى بذلك مصلحة مصر؛ وإلا فالتنا نأسر كثيراً لأن أعداء إنجلترا اليوم كثيرون، ونحن لا نود أن نخلق العداوة بيننا وبين دولة من الدول، إذ من الضروري لنا أن نشتغل في السنوات الآتية لترقيتنا وائماء ثروتنا وقوتنا، وينبغى أن ينص على مدة معلومة للمعاهدة

٣ — أن تسعى مصر المستقلة في إلغاء الامتيازات الأجنبية رأساً مع الدول ولو بمساعدة إنجلترا بحيث نطلب تشكيل لجنة دولية في مصر لهذا الغرض لأن ذلك اأجدي لنا وللدول، أما أن تجري المفاوضة في ذلك مع إنجلترا بعد قبول الدول أن تحل محلها، فان ذلك يضعفنا أمامها، وإذا كان من المأتم أن تكون إنجلترا هي الواسطة بيننا وبين الدول في هذه المسألة فعلى الأقل تشترك مصر معها في المأبارات.

٤ — الضمانات تشمل أولاً: ابقاء قوة عسكرية انجليزية في القنطرة فيلزم تحديد هذه القوة ودائرة الاحتلال ومدته، وعدم جواز إرسالها في جهة أخرى من القطر ولا إرسال الطيارات الخ. ثانياً: لاماوع من تعيين المستشار المالى لمراقبة صندوق الدين بدلاً من أعضاء الدول ذوات المصالح فيه مع عدم تدخله في المسائل المالية المصرية الأخرى، ولا معنى لاستشارة الحكومة له. وتلغى هذه الوظيفة اما عند دفع مصر لجميع ديونها بأى طريقة كانت وفي أى مدة، أو عندما تتحقق الدول من حسن إدارة مصر مالىتها. أو إذا رغبت إنجلترا في ذلك. ثالثاً: تعيين المستشار القضاى ينشأ منه تدخله في مصالح كثيرة مصرية وأهمها البوليس، فيلزم تحديد اختصاصاته بحيث لا يتعرض للإدارة المصرية على قدر الامكان؛ وكذلك تحدد مدته بانقضاء القوانين التى ستطبق على الأجانب عند إلغاء الامتيازات، أو عند ما تتق الدول بحسن الإدارة والأحكام المصرية.

٥ — يلزم أن تنص إنجلترا في إعلانها على إلغاء حمايتها وإعلان استقلال مصر دولة ملكية دستورية ذات هيئة نيابية وسيادة داخلية وخارجية، وتعاهدها في طلب الدأول في عصبة الأمم وتسجيل استقلالها فيها.

٦ — اعتراف مصر بمركز إنجلترا الممتاز فيه شأ من خدش استقلالها خصوصاً وأن مثل إنجلترا سينقدم على جميع ممثلى الدول الأخرى وسيكون له حق المعارضة عند

اللزوم للقوانين التي ستطبق على الأجانب . فإذا يكون لو عارض هذا الممثل وأصرت مصر على تنفيذ القانون ، وهل هناك محكمة عليا ؟

٧ — يكون الأفضل أن تذكر مصر في المعاهدة بين الطرفين أنها تمنح بريطانيا العظمى الضمانات التي تلزم لصيانة مصالحها الخاصة ، وتقدم الضمانات للدول الأجنبية تحقيقاً لتخلي تلك الدول عن الحقوق المخولة لها بمقتضى الامتيازات ، فهذه الوسيلة يكون الاستقلال أظهر ، ويكون من حق مصر المستقلة المخبرة رأساً في شئونها مع الدول الأجنبية .

٨ — في نفس اليوم الذي تعلن فيه إنجلترا استقلال مصر تمضى من الطرفين معاهدة محالفة تتعهد فيها إنجلترا أن تساعد مصر في الدفاع عن سلامة أراضيها بدون عوض ، لأن ذلك من مصلحة إنجلترا ، وتتعهد مصر في حالة دخول إنجلترا في حرب لها مساس بسلامة مصر — وهذا لا بد منه لأن نقطة ضعف إنجلترا هي مصالحها في مصر — أن تقدم داخل حدود أرضها كل المساعدة التي في وسعها تقديمها لإنجلترا يعنى مالا ومؤونة وذخيرة ورجالاً للدفاع عن حدودها . ولكن كل هذا بعوض . لأن ذلك ضرورى لإنجلترا أولاً . وبما تسمح به مصر في هذه الحالة استعمال مالها من الموانى وميادين الطيران ووسائل المواصلات والنيل والترع وإيجاد طرق مواصلات أخرى — تستدعيها الحال — وأرى أن فائدة إنجلترا كبيرة جداً من هذه النقطة لأن نفوذها بعد الحرب قد اتسع جداً بحيث أصبحت الدول حتى المحالفة لها تتخوف من هذا الاتساع ، وربما انتهزت أول فرصة للايقاع بإنجلترا لتحصل الموازنة في أوروبا .

٩ — حق مصر في التمثيل الخارجى محدود بأن لاتعقد معاهدة مع دولة أجنبية تمس بإنجلترا ومصالحها ؛ ولكن يلزم أن يستثنى من ذلك المعاهدات التجارية بحيث تكون مصر حرة في عقدها ؛ مع ملاحظة عدم تفضيلها على إنجلترا . ثم هل لإنجلترا امتيازات تجارية ؟ لا بد من النص على ذلك ، بحيث لا يكون لمركزها الممتاز أى علاقة تجارية .

١٠ — بمجرد التوقيع على المعاهدة وإعلان استقلال مصر يلزم سحب العساكر الإنجليزية والموظفين من مصر ، ولا ينبغي أبقاؤها حتى تتم المخبرات مع الدول في مسألة الامتيازات

١١ — إذا لم تتمكن من الحصول على استقلال السودان باعتباره جزءاً متمماً لوادى النيل فاللازم أن تشترك مصر فعلاً مع إنجلترا في إدارته بحيث تحدد الإدارة

المصرية والأدارة الأنكليزية تحديداً لا ينشأ من جرائه نزاع فيما بعد بين الطرفين ويمكن إيجاد هيئة دولية تحت رئاسة المستشار القضائي لوضع القوانين التي ستسرى على الأجانب والأهالي معاً ويكون في هذه اللجنة عضو مصري .

١٢ — ماهي الهيئة التي ستضع القانون الأساسي للحكومة المستقلة المستقبلية ؟
١٣ — في المشروع أن الحكومة حرة في تحديد قوتها البرية والبحرية فهل جرى البحث في هذه النقطة بين لجنة ملنر والوفد المصري ؟ وهل نحن أحرار في تعيين الضباط ؟ من رأي الاجتهاد في الوصول إلى حل مرض وعدم قطع المخبرات برنامجي المصروفات الدائمية : ثم قررت لنفس برنابجا للسير عليه يتلخص فيما يلي :
١ — لا تعطى مخصصات لأعضاء العائلة السلطانية من الآن فصاعداً إلا لمن حاز شروط الفضيلة والعلم وكان محتاجاً للاعانة .

٢ — تشكل لجنة من ثلاثة أعضاء من العائلة ومن رئيس الحكومة ورئيس مجلس النواب ومفتي الديار ويرأسها السلطان للنظر في مسائل العائلة وليس لحكمها استئناف .

٣ — يجب أن تكون القوانين واللوائح مبنية على أساس ديمقراطي .
٤ — تعميم التعليم الأولي الإجباري والمجانى وترقية التعليم في جميع درجاته بما في ذلك التعليم في المعاهد الدينية ، وأن تنشأ فيها أقسام للتخصص بحيث يكون الأزهر جامعة دينية عصرية .

٥ — انشاء مصانع لاستعمال المواد الخامات التي توجد في القطر .
٦ — تنشيط الزراعة وجعلها حرة وإيجاد مواد زراعية جديدة .
٧ — تأسيس مصارف في المديریات . تكون لها شعب في المراکز لمساعدة الفلاح بفوائد قليلة .

٨ — السعى في دفع ديون الحكومة بكل الوسائل الممكنة .
٩ — إيجاد طريقة لمبيع محصولاتنا بدون وسطاء أجانب وإيجاد غرف تجارية مصرية في الخارج .

١٠ — اصلاح الأوقاف والاعتناء بتنظيم المخصص منها للفقراء وانشاء مصارف ينقود الوقف .

١١ — ابطال العادات المخالفة للشريعة .

١٢ — تنظيم البعثات العلمية في البلاد الأجنبية ، وتشكيل مكتب مخصوص في القاهرة . للنظر في حاجات القطر من الاختصاصيين في جميع الحرف والصنائع واستجلاب برامج المدارس في الأقطار الأجنبية لدراستها وتوجيه الطلبة إلى الأحسن منها

الخطوف بين سعد وعدلى ومسامي النوفير : انتظرت أكثر من شهر أراقب حوادث البلاد ، فألفيت الاتحاد شاملا كل طبقات الأمة ، وشهدت الاحتفال بسعد باشا فإذا هو فوق ما يتصوره الانسان ولاحظت أن الخطب كلها كانت ترمى إلى توثيق عرى هذا الاتحاد لأن الأمة وعلى رأسها سعد باشا ، والوزارة وعلى رأسها عدلى يكن باشا كانتا تسيران جنبا لجنب ، ويد الأمة وزعيمها في يد الوزارة ورئيسها .

خلاف بعد وفاق : ولكن انفجر البركان منذ أعلن سعد خلافه مع الوزارة بشبرا يوم ١٩ ابريل لأنها لم تف بكل شروطه التي اشترطها عليها ، وذلك أنه كان يطلب رئاسة المفوضين ؛ ثم بعد ذلك استرد ثقته من الوزارة ، وقال عنها شيئا كثيرا وقابلته بردود كثيرة ؛ ولهجة الطرفين مع الأسف الشديد خارجة عن حدود المباحثات السياسية . وفي هذا الوقت خرج على سعد أمين بك الرافعي مدير جريدة الاخبار ، لأنه خالف الزعيم في قبول دخوله في المفاوضات قبل تعديل أسس

المفاوضة ، بإلغاء الحماية ورفع الأحكام العرفية ومراقبة الصحافة ، وإعلان انجلترا قبولها تحفظات الأمة . الأمر الذي كان يقول به سعد ولكنه غير خطته ، وقبل الدخول في المفاوضات لأن انجلترا أعلنت بلسان معتمدها أن مشروع ملنر لا يكون أساسا للمخابرات . وكل من الطرفين حرق طلباته . وخرج أيضا على سعد أكثر أعضاء الوفد المصرى مثل على شعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك ، ومحمد محمود باشا



محمد محمود باشا



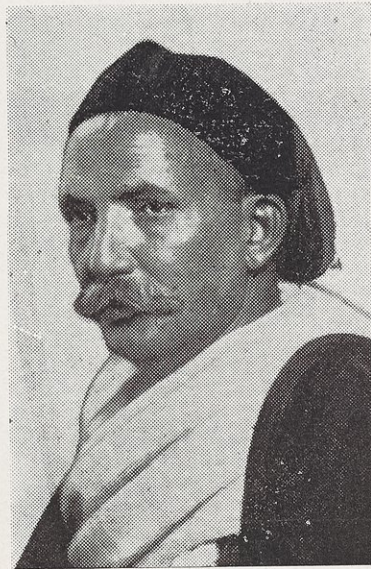
محمد علي علوبة بك



عبد العزيز فهمي بك



الدكتور حافظ عفيفي



حمد باشا الباسل

ولطفى السيد بك (١) وعبد اللطيف المكباتى بك ، ومحمد على بك علوبة ، ومحمد الباسل باشا ، والدكتور حافظ عفيفى بسبب صلاته ؛ وأعلنوا أنهم لا يرغبون دخول الوفد فى المفاوضات ، ويتركون للوزارة حرية العمل لأن برنامجها يطابق آمال المصريين .

والخلاف على الرئاسة سببه أن سعدا يعلن أنه لا يرتاح لمفاوضات عدلى فضلا عن أن الأمة الانجليزية تريد المفاوضات مع المصريين أى الأمة المصرية ، وهو الموكل بالنيابة عنها . أما عدلى فجوابه على ذلك ان التقاليد السياسية تقضى بأن رئيس الحكومة هو الذى يرأس المفاوضات . واشتد الجدل بين الطرفين وسارت جموع المتظاهرين ضد الوزارة ، فتدخل البوليس بالعصى أولا ، ثم اضطر إلى استعمال السلاح عند ما نادت المظاهرات بسقوط يكن الخائن ؛ ثم كان الموظفون أرادوا اقامة حفلة تكريم لسعد ، ولكن الحكومة أعلنت ضرورة الغائها ، لأن سعدا ينادى بالعداء للحكومة التى يرأسها يكن . إلا أن الموظفين أقاموها ، فقررت الحكومة محاكمة رؤساء الحفلة ومن بينهم أحد القضاة ، ولكن الجمعية العمومية للمحاكم برأته ، بينما مجلس تأديب نظارة الحقانية حكم على أحد أساتذة مدرسة الحقوق السلطانية بقطع شهر من مرتبه

عمل اسماعيل أباطله للتوفيق : ثم أن اسماعيل أباطله باشا جمع بعض أكابر القوم برئاسة البرنس محمد على باشا للتوفيق بين الطرفين فلم يفلح ، وكان قد عرض على سعد أن ينتخب بعض من يثق بهم ليضموا إلى السبعة المفوضين الرسميين الذين صدر المرسوم السلطانى بتعيينهم ، أو أن توجد صفتان : صفة رئيس فعلى وصفة رئيس شرف ؛ ويقال انه كان اختار الصفة الأولى وترك الثانية ليكن ، ولكن لم يتم الاتفاق .

مساعى البرنس عمر طوسن : ولما حدثت المظاهرات التى هتفت بسقوط عدلى يكن الخائن ، وأطلق الرصاص على المتجمهرين ، وقتل واحد بالرمح فى مصر ، وثلاثة فى طنطا غشيت الأمة غاشية من الكدر ، واستقبحت قتل المصرى للمصرى ، وخشيت سوء العاقبة . وقد رأى البرنس عمر طوسن ، ثم الشيخ محمد نجيت ، والسيد عبد الحميد البكرى أن تجتمع لجنة وطنية لفض الخلاف بين سعد وعدلى ؛ وكان رأى البرنس

يختلف عن رأيهما ، فيقول الأول بأن الانتخاب يكون رسمياً كما هو مقرر في مشروع ملنر ، وبدلاً من أن تعقد الجمعية بعد المفاوضات يكون انعقادها قبل ذلك . أما رأى الآخرين فانه يرمى إلى انتخابات غير رسمية ، وعلى كلتا الحالتين لم تحصل نتيجة . .

مساعى البرنس عزيز حسن : ولما اشتدت المظاهرات التأم اجتماع كبير في سراى الخرنفش (بيت البكرى) وقرر الجميع برئاسة البرنس عزيز حسن رفع عريضة إلى السلطان باستنكار ماوقع من قتل بعض المتظاهرين ، والتماس إصدار الأوامر لمنع تكرار ذلك في المستقبل ، وكنت ذهبت إلى هذا الاجتماع وسمعت بعض الحاضرين يملون اسمى بين أسماء أعضاء الوفد الذى سيذهب إلى سراى عابدين لرفع العريضة إلى السلطان ، وكان عدد الوفد أكثر من ٢٠ شخصاً من بينهم السيد البكرى والشيخ بخيت ، ولكن البرنس لم يكن معنا ، ولما وصلنا إلى السراى كتبنا أسماءنا في الدفتر ، وسلمنا العريضة لسعيد ذى الفقار باشا كبير الأمراء في ٢٢ مايو .

عريضة مع بعض الكبراء للسلطان : ثم إن شكور باشا فاتحنى في أحد الأيام بحضور واصف بك غالى أحد أعضاء الوفد الباقين مع سعد باشا ، في البحث عن حل فتناقشنا ، وقررنا كتابة عريضة إلى السلطان ، ملتجئين انتخاب جمعية مؤقتة برئاسة عظمته ، أو من ينوب عنه ، لأبداء رأيها في ثقتها بسعد أو بعدلى ، وتعيين المفوضين والتقى شكور بموسيو بويل السكرتير الشرقى للوكالة البريطانية مدة كرومر ، وقد حضر أخيراً إلى مصر للاطلاع على مايجرى فيها ، فأطلعنا على مشروعنا فوافق عليه وقال : إنه الحل الوحيد ، وعلى هذا تكلمنا مع واصف بك غالى ، وقال هو أيضاً : إن سعداً يقبل هذا الاقتراح ، فأرسلت إلى محمد بك المويلحى وأخبرته بالأمر ، فيكتب المشروع الآتى :

« يا عظمة السلطان : إن سوء الحال السياسية الآن في مصر وصل إلى درجة لاتدع لأحد عذراً في الوقوف أمامها وقفة المتفرج ، بل هى تعين على كل فرد من أهل التفكير في الأمة المصرية أن يبذل جهده لاستنباط رأى صائب في حل عقدها ، وقد تعددت الآراء في وجوه الحل الذى يفصل الخلاف القائم ما بين الوزارة وبين رئيس الوفد ، ونشر منها على الملأ ما يمكن الاعتماد عليه للوصول إلى النتيجة المطلوبة ، إلا أن

الوسائل فيها مختلفة ، والطريق إلى تنفيذها متشعب ؛ ولذلك رأى المتشرفون برفع هذه العريضة أن يلتزموا لهذا الغرض طريقاً فعالاً ، وسبيلاً مستقيماً ، ينزل الجميع على حكمه ، وتطمئن النفوس إلى استقامة وضعه وشكله ، وذلك بأن تتولى عظمتكم الأشراف بنفسكم الكريمة عليه ، فيصدر الأمر الكريم بتشكيل جمعية وطنية موقته ، بطريقة انتخابية ، تتألف من أعضاء الجمعية التشريعية بعد انتخاب جديد لهم ، ومن أعضاء مجالس المديريات ، ومجالس البلديات ، ومن مندوبين من أهل الصناعات الحرة مثل التجار والمحامين والأطباء والمهندسين وما أشبههم ، تحت رئاسة عظمتكم أو من تنيبونه عنكم ، فيطرح عليها وحدها هذا الخلاف القائم ، ليقر قرارها على حكم فاصل فيه ، يجرى العمل به للسير في القضية المصرية ، ومسألة التفويض للخبرة فيها على نمط مقبول ، تتكاتف حوله الهمم وتتحد العزائم للوصول إلى النتيجة المطلوبة من تحقيق أمان الأمة المصرية ، وصيانة المصالح الأنكليزية خاصة ، ومصالح الأجانب عامة ؛ وبهذه الكيفية يمكن تلافي أضرار الحالة الحاضرة من غائلة الشقاق ، وإهراق الدماء ، وتعطيل المرافق والمنافع ، وما ينتج للبلاد عنها من الخراب والدمار ؛ ونحن على ثقة من أن عظمتكم تقابلون ماتمسننا هذا بحسن العناية ، وجيليل الاهتمام ، فتتحل العقدة ويرتفع البؤس في وقت قريب ، كما تقضى شدة الحاجة وهول الموقف ؛ ونسأل الله أن يجعل التوفيق رائدكم في مصلحة الأمة على ماتحبونه لها من الخير والأسعاد .

ولما أطلع شكور باشا موسيو بويل على هذا المشروع وافق عليه ، ورفعته إلى دار الحماية لفحصه ، وكان يرى أنها ستوافق عليه ، ثم سأله عن الذين فكروا فيه وسيوقعون عليه ؛ فقال له : أحمد شفيق باشا الذي كان رئيساً للديوان الخديوي وبعض العظماء . فقال : « إن شفيق باشا رجل عاقل ومخلص لبلده ولو كان الخديو عمل بنصائحها لما حل بسموه ماحل ، ولكنه كان يسمع نصائح الرجال الآخرين » .

ولما قابله شكور في ثاني يوم ، وكان يوم أحد أخبره بما وقع من المصادح في الأسكندرية يومى السبت والأحد ضد الأجانب ، وأنه سينظر في هذه الحالة الآن ويهمل المشروع ، فتأسفنا كثيراً .

دعوة البرنس عزيز حسن لاجتماع بمنزل البكرى : ثم قرأت في الجرائد أن البرنس عزيز حسن نشر دعوة عامة للاجتماع في منزل البكرى بالخرنفس للاحتجاج على تشرشل وزير المستعمرات الذى أعلن في اجتماع بانجلترا أنه نظراً لما حدث

في الاسكندرية ، فانه يرى تأخير سحب الجنود الانكليزية من مصر؛ فتوجهت للاجتماع ولكن لم أجد إلا النفر القليل من الرجال المصريين ، ولم يكن هناك أحد من النظارة السابقين ، ولا من الوكلاء ، ولا من العلماء المعلومين ، واقتصر الاجتماع على شباب من جميع الطبقات ؛ وعلت أن سعد باشا سيخطب؛ ثم حضر ابراهيم باشا سعيد وفتح الله بركات باشا ، وأخيرا سعد باشا ؛ وألقى كلمته ، ولم يكن في خطابه من الانحاء الشديد على الوزارة مثل ماسبق في خطبه ؛ وقرر الجميع الاجحام عن دخول المفاوضات الرسمية إلا اذا كانت الحكومة البريطانية تعلن بأن تشرشل يعبر عن رأيه الخصوصى .

الطرف بين سعد وزملائه : ذكرت أنه كان قد انفصل عن الوفد حمد الباسل باشا وعبد اللطيف المسكباتى بك ومحمد محمود باشا وأحمد لطفي السيد بك ومحمد على بك وحافظ عفيف بك فأصدر سعد باشا بيانا ساهم فيه بالمنشقين ، وقال فيه : إنه يد يده لكل من يريد العمل لمصلحة مصر .

وفي مساء صدور هذا البيان ذهبت لسعد باشا في منزله ، ودار الحديث بيننا فقلت : إننى جئت لسبيين :

الأول : لأشكرك على زيارتى بعد حضورى من أوروبا .

والثانى : لأهنتك على بيانك وترحيبك بكل من يريد العمل للمصلحة المصرية . وبما أنك أعلنت هذا فهلا ترى أن أعضاء الوفد المنفصلين هم من رجالات الأمة والواجب أن تفتح صدرك لهم ؟ فأجابنى بأنه يرحب بكل مصرى عدا هؤلاء . ولما ناقشته في هذا مبينا أن الوقت وقت ونائم لا وقت انقسام ، وأنه يحسن تأجيل الحساب إلى فرصة أخرى . قال عنهم : انهم مجرمون ، وأنه لا يضع يده في أيديهم . فأسفت لهذا الاصرار

وفي ٢٢ يونيو انفصل عن الوفد جورج بك خياط ثم عبد الخالق مدكور باشا في ٢٨ منه .

سفر الوفد الرسمى : وقد تألف وفد برئاسة عدلى باشا للمفاوضة فاشتد نشاط الوفد المصرى في الدعاية ضده ، حتى سافر فوصل لندن يوم ١٢ يولية . وفي يوم ١٥ منه ابتدأت المفاوضات ، وبقيت تتخللها فترات تشتد فيها الأزيمة بين المتفاوضين ثم تمحل حتى أواخر اكتوبر .

وفي هذه الأثناء كان رسولان من رسل الوفد المصرى بلندن ييثان الدعاية ضد الوفد الرسمى ، ويعلمان أنه لا يعبر عن رأى الأمة المصرية .

زيارة بعض النواب الانجليز لمصر : وقد دعا سعد زغلول باشا بعض أعضاء البرلمان الانجليزى من العمال والأحرار لزيارة مصر ودراسة الحالة بها ، فسافر هؤلاء الأعضاء يوم ١٣ سبتمبر فوصلوا يوم ١٩ منه ، وقبولوا بحماسة شديدة فى الاسكندرية والقاهرة ، بينما أصدرت الحكومة أوامرها المشددة بمنع المظاهرات وأقيمت لهم عدة مآدب . ثم قفلوا إلى بلادهم يوم ٧ اكتوبر ونشروا تقريراً عن رحلتهم أشاروا فى نهايته إلى أن الاستقلال التام حق للبصريين ، بشرط عقد معاهدة تصون مصالح انجلترا والأجانب ، ونصحوا بالغاء الأحكام العرفية . واجراء الانتخابات فى الحال .

رحلة سعد باشا فى الصعيد : وفى يوم ١١ اكتوبر قام سعد برحلة نيلية إلى الصعيد . ولما وصلت الباخرة التى تقله إلى أسيوط ، وقعت مشادة بين المستقبلين له والمتشيعين لعدلى باشا ، انتهت إلى معركة بلغ عدد الجرحى فيها خمسا وعشرين نفساً مات بعضهم ، وغرق ثلاثة فى النيل ، فمنعت الحكومة بالقوة نزوله إلى أسيوط وتابعت الباخرة سيرها حتى جرجا ، وهناك كان من المتوقع حدوث فتنة كالتى وقعت فى أسيوط ، فمنعته الحكومة من النزول ، ولكنه أتم الرحلة إلى أسوان .

قطع المفاوضات الرسمية : وفى يوم ١٩ نوفمبر قطعت المفاوضات بين عدلى باشا واللورد كرزون ، لأن عدلى لم يستطع قبول المشروع الذى عرضه عليه اللورد ثم عاد إلى مصر وقدم استقالته يوم ٨ ديسمبر .

نفى سعد ورفاقه إلى سيشل : بعد استقالة عدلى باشا كان الوفد المصرى ينشر دعاية قوية لاقامة العراقيلى فى وجه كل وزارة ، بينما كان اللورد اللبى يفاوض ثروت باشا فى قبول الوزارة على نظام جديد وهو نظام تصريح ٢٨ فبراير الذى أعلن فيما بعد . وكانت دعاية الوفد معطلة لتنفيذ هذه الخطة ، فنهت السلطة العسكرية سعدا ورفاقه إلى الامتناع عن القاء الخطب وحضور الاجتماعات العامة ، وأمرتهم بمغادرة القاهرة ، وأن يقيم كل منهم فى بلده تحت مراقبة المدير .

وقد رد سعد رداً قوياً على هذا الأمر جاء فيه :

« إني موكل من قبل الأمة للسعى فى استقلالها ، فليس لغيرها سلطة تخلىنى من

القيام بهذا الواجب المقدس . لهذا سابقى فى مركزى مخلصا لواجبى ، وللقوة أن تفعل بنا ما تشاء أفرادا وجماعات ،

وكذلك كان رد بقية أعضاء الوفد تأمينا على رد رئيسهم .

وكان لهذا الحادث أثر كبير فى ضم الصفوف ، فعاد بعض المنشقين إلى الوفد وحضرت الوفود الكثيرة من غير الوفدين إلى بيت سعد تعلن تضامنها معه وعجابها برده .

وفى يوم ٢٣ منه قبضت السلطة على سعد باشا وزملائه إلى سيشل . وكانت البلاد فى غليان عظيم ، والمظاهرات مستمرة ليل نهار ، وأضربت غالبية الموظفين والمدارس جميعا ، واحتجت جميع الهيئات على اعتقال أعضاء الوفد المصرى وعاد جميع الذين انفصلوا عن الوفد إلى حظيره .

حوادث الإسكندرية والدفاع عن سمعة مصر :

صدى حوادث أزميز : لما نشبت الحرب بين الدولة العثمانية واليونان وانتهت باحتراق مدينة أزميز وخروج الأروام منها ، واستقرار سلطة الأتراك فيها ، هاجت هذه الحوادث خواطر اليونان فى الشرق الأدنى ، وكان لها صدى خاص فى الإسكندرية بحيث يكثّر عددهم ؛ وتجلّى استياؤهم فى مظاهر شتى لفتت الأنظار ، وشغلت الخواطر وكان من نتائجها أن استفزت العناصر المهيجة فى الإسكندرية إلى مقابلة روح العداء الذى أبدته الطبقة السفلى من هؤلاء بمثله ، فوقعّت حوادث باعثة على الأسف فى المدينة ، ولا سيما فى يومى ٢٢ و ٢٣ مايو سنة ١٩٢١ ، وهاج الرأى العام ، وذهب المتشائمون فى تأويل هذه الحوادث وتعليلها مذاهب شتى ، حتى خاف الأجانب على أرواحهم ؛ وبلغ من تأثير الوهم فى نفوس بعضهم أنهم ضربوا صفحا عن الاعتبار التى أدت إلى هذه الحوادث ؛ وصاروا يحسبون أنها نشأت عن التعصب الدينى وكرهية الأجانب ، وطيرت الأنباء البرقية إلى أوروبا مجسمة الحوادث ، ومعللة لها على وجه يثير الخواطر .

بيان بالدفاع عن سمعة مصر : وقد تحدّثت مع شكور باشا فى هذا الخصوص وفى ضرورة كتابة مذكرة فى الصحف الأفرنجية بمصر وأروبا ، ويوقع عليها أشخاص معروفون لأدحاض هذه التهمة ، فكتبت مذكرة بما عن لى فى الموضوع ، كما أن شكورا أملى مارآه ، وأعطيناها لأحد المحامين المشهورين لصياغتها ثم أخذت منها نسخة واجتمعنا : شكور باشا ووصف غالى ويوسف باشا قطاوى وأنا وقرأناها

وإقـاح الأخيران بعض تعديلات لأتمس الجوهر، وبعدها يبـيـضـناها ، وأرسل شكور



نجيب شكور باشا

باشا نسخة منها إلى جعفر بك غفرى فى الإسكندرية للتوقيع عليها من مصريين وأجانب ، ثم توجهنا إلى البرنس محمد على وعرضنا الأمر عليه ، فقال : إنه كان قد خطر له عمل شئ لادحاض تهمة التعصب الدينى ، وتكلم مع حسين باشا رشدى ، ولكن ترط الأمر لأنهما لا يريدان القاء مسئولية حادث الإسكندرية على المصريين خاصة ، ولا على الأجانب أو الأروام : فقدمت

إليه نسخة من البيان الذى عملناه ، فقرأه واستحسنه ، وأشار بأن نعرضه أيضاً على حسين باشا رشدى ، ففعلنا ، فأشار بتعديل خفيف ، وبعدها يبـيـضـنا المشروع وتوجهت فعرضته ثانية على البرنس ، فوافق على التعديل ، وأمضاه حسن باشا عبدالرازق وعبد الله باشا وهبى وغيرهم ، وأبقى المشروع عنده .



يوسف اصلان قطاوى باشا

وبعد ذلك اجتمعت لجنة للتوفيق بين سعد وعدلى عند البرنس محمد على باشا ، فعرض البيان عليها فأشار بعضهم بحذف كل ما يتعلق بالحرب التركية اليونانية وهى السبب المباشر للحوادث ، وهم سابا باشا

وعبدالله وهبى باشا وموسى قطاوى باشا^(١) ورابع؛ أما الآخرون فوافقوا على الأصل ولما علم شكور باشا الذى كان غائباً عن مصر وحضر رأى أن ما حصل من التعديل ضد مصالحنا، إذ ورد فيه أن فى الإسكندرية كما فى باقى الثغور طائفة من



يوسف سابا باشا

أوباش الأجانب والمصريين ليس لهم مبدأ ولاهم متعلون، وتوجد بين القسمين حزازات منبعثة من مزاحمة الأجانب للمصرى تؤدى إلى انفجارات. وقال: إذن يمكن الأجابة علينا بأنه إذا كان الأمر كذلك، وأن الانفجار الذى حصل أخيراً هو نتيجة لهذا ولم تتمكن السلطة المصرية من قمع الانفجار، فينئذ يلزم وجود قوة أجنبية دائمة كالقوة الإنجليزية لقمعه.

وكننت أنا وشكور بين الحاضرين وكذلك موسى باشا قطاوى، فتباحثنا فى الخلاف، وبعد أخذ ورد اتفق الجميع على اضافة جملة فخواها أنه فضلاً عن هذه

المزاحمة المستمرة، فقد طرأ ظرف استثنائى بمثابة الشرارة التى تلهب النيران، ومن ذلك نجمت حوادث الإسكندرية. وعليه اتفقنا جميعاً، وأمضينا البيان بعد هذا التعديل وها هو ذا نصه.

« ان ما وقع من حوادث الاسكندرية فى شهر مايو الماضى قد ملأ نفوس الموقعين على هذا حزناً؛ فرأوا من واجبه أن يعربوا علناً عن استيائهم من هذه الحوادث الشائنة، وعن الدهشة التى استولت عليهم عند ما شاهدوا فى بعض الأوساط الأوروبية بادرة شعور يميل إلى اسناد السبب فى وقوع هذه الحوادث إلى التعصب وكراهية الأجانب.

» ثم ردد لسوء الحظ عدد من الجرائد صدى هذا الشعور، حتى بالغت فأكدت بوجوده عند جميع المصريين على السواء.

« اما وقد هدأت النفوس قليلا بعد الشعور الذى بدر اليها بكل أسف لأول وهلة فان الموقعين على هذا يعتبرون أن فى مقدورهم اليوم أن يوضحوا الأمور على حقيقتها بدون أى تحيز .

« صحيح ان التحقيق الذى يجرى الآن سيكشف الغطاء عن هم المسئولون ، فيجازى المجرمون والحارقون والناهبون . إلا أن القضاء على الأشاعات الباطلة التى أذيعت بدون أن يفكر مذيعوها فى ما تحدثه من ضرر للجانب والمصريين على السواء يستوجب من الموقعين على هذا عرض الاعتبارات التى تسمح فى نظرهم بتقدير الوقائع على وجه الصحة .

« ليس من يجهل أن أهالى الثغور الواقعة على البحار مثل ثغرا الاسكندرية هم على العموم خليط من أجناس مختلفة للغاية ، وأن من بينهم نسبة لا نصيب لها من التعلم ولا قسط من المبادئ ، تخلق بين أفرادها ضرورات المعيشة مناسبات ومطامع تهدد فى كل وقت باثارة اعتداءات من جانب ، ورد اعتداءات من جانب آخر ، لاسيما إذا أضيف إلى سبب هذا التباغض وجود ظروف خاصة تلهب النار من مستصغر الشرر . إلا أنه مع بلوغ سكان الاسكندرية ٤٠٠.٠٠٠ نفس فاننا نتمسك بتقرير هذه الحقيقة ؛ وهى أنه ليس بينهم إلا أقلية ضعيفة جدا من هذه الطبقة التى نشير اليها . وبالتالي لا يمكن أن يسند إلى جميع المصريين ما شوهد فى بلدة واحدة من بلدانهم .

« ومما يثبت أن القلاقل كانت محصورة الدائرة ان معظم الجرحى من أوروبيين ووطنيين كانوا من أفراد هذه الطبقة المشار اليها ، بحيث أنه إذا كان قد أصيب أحد من غيرها فأصابته استثنائية ، ويمكن تعليلها بأنه فى مثل هذه الاضطرابات يسعى دائما الأشقياء الذين لا خلاق لهم فى انتهاز الفرصة السانحة .

« إن هناك آلافا من العائلات الأوروبية موزعة فوق متسع البلاد المصرية بحيث لا قرية إلا وفيها تاجرها الأوروبى يعيش مع عائلته عيشة هادئة وسط سكان كلهم من الأهالى ، ولا مدينة فى الأرياف إلا وفيها عدد من التجار الأوروبيين وسماسرة القطن ورجال الأشغال الذين يرون مدارسهم وكنائسهم وديورهم الخ... تعيش وتنمو فى جوها الطلق . ومع هذا فانه بالرغم من حوادث الاسكندرية الدموية ، ومن المناقشات الجدلية الصحفية لم يحدث أى حادث اعتداء ، أو سوء رعاية ضد هذه الآلاف من العائلات المنشورة فوق أطراف القطر المتباعدة ؛ بل

على العكس استمرت علاقات الوداد على أوثق ما تكون . فهل يعقل إذا أن
يسند إلى ١٣ مليوناً من سكان مصر روح هذا التعصب وكرهه الأجانب التي
تحدث بها المتحدثون ؟

» في قلاقل سنة ١٩١٩ حيث انتزعت قضبان السكك الحديدية من مواضعها
وقطعت خطوط التلغراف والتليفون بقيت عدة مدن في الداخل معزولة تمام العزلة
ومع هذا لم يبد من الأهالي وقتئذ أى شاهد على كراهة الأجانب عموماً أو
التعصب الممقوت .

وفي جميع المظاهرات السياسية الكبرى التي حصلت منذ ثلاثة أعوام لم يصب
أى أوروبى بأى إيذاء ، بل كثيراً ما رأينا الأوروبيين يعطفون على المتظاهرين
وشاهدنا ما هو فريد في بابه ولا مثال له في تواريخ الشعوب الأخرى ، وهو تأليف
الهلل مع الصليب فوق راية واحدة ؛ فهل التعصب هو الذى أحدث هذه المعجزات ؟
» ان جعل أمة بأكملها مسئولة عن قلاقل وقعت فوق نقطة من أرضها لحو ظلم
يتحتم على كل واحد منا واجب العمل على دفعه . وانما أذاع كثير من الأوروبيين
ونشروه من مشاهدات الأحوال التي رأوها وقرروا فيها كيف لزم المصريون
العديدون في تلك الأيام الحزنة خطة المحبة والتآخي لكاف لاقتناع من لا يصدقون
بأن احساسات الأمة المصرية لم يطرأ عليها أى تغيير .

» ان الموقعين على هذا يرجون من وقع في نصابهم قيادة الرأي ، وارشاد الجمهور
أن يعملوا باخلاص على تهدئة الخواطر تحقيقاً لمصلحة العناصر المختلفة التي عاشت
جنباً لجنب وفي كل زمان عيشة طيبة هادئة .

في يوم السبت ٢٥ يونيه سنة ١٩٢١ .

الامضاءات

سمو الأمير محمد على ، سمو الأمير عزيز حسن ، سمو الأمير محمد على حلیم ،
الشيخ محمد نجيت ، السيد عبد الحميد البكرى ، القمص يوسف غبريال ، أحمد مظلوم
باشا ، يوسف سا با باشا ، أحمد حشمت باشا ، يحيى ابراهيم باشا ، حسن حسيب باشا ،
موسى قطاوى باشا ، محمد شكرى باشا ، عبد الله وهبى باشا ، اسماعيل صبرى باشا ، اسماعيل
أبازله باشا ، أحمد فايق باشا ، اللواء على فهمى باشا ، اسكندر فهمى باشا ، أحمد خيرى
باشا ، حسن عبدالرازق باشا ، أفلاطون باشا ، عثمان مرتضى باشا ، أمين يحيى باشا ،
خيرى بك ، عمر شريف بك ، عبد الحلیم جندى ، نجيب شكور باشا ، أحمد شفيق باشا .



حسن حسيب باشا



يحيى ابراهيم باشا



اسكندر فهمى باشا



أحمد فايق باشا



عثمان مرتضى باشا



محمد أفلاطون باشا



أمين يحيى باشا

ثم استحضر الأمير محمد علي باشا عنده
بعض الأوروبيين فكتب المحامي الشهير
التلياني مانوزاردى الجملة الآتية :

« نحن الموقعين على هذا قد اطلعنا على
البيان المتقدم الذكر ونقر ما فيه ، لأننا
معتقدون تمام الاعتقاد بأن حوادث
الأسكندرية التى يؤسف لوقوعها لم تكن
قط نتيجة أى إحساس تعصب أو كراهة
للأجانب . »

١. مانوزاردى محام أمام محكمة الاستئناف
المختلطة - ج . ن . موصيرى بك بنكير -
ج يوجن مدير بنك الاسكونت دو باريس -
دكتور كومانوس باشا - البير مزراحى
أحد مديرى بنك كوكس - الأستاذ الدكتور بول فالتن مدرس بالجامعة المصرية .

ثم قام الدكتور سيد كامل بترجمة البيان إلى اللغة العربية ، وأرسلت النسخ الفرنسية إلى الجرائد الأفريقية في مصر والأسكندرية وبورسعيد ، وأرسلت نسخ عربية إلى الجرائد العربية في مصر والأسكندرية ، وبعض الجمعيات المصرية وللمصريين في الخارج نسخاً من الفرنسية لنشرها في جرائد أمريكا و إنكلترا وفرنسا وإيطاليا والنمسا وألمانيا وسويسرة والأتانة ، وفي المنتديات وغيرها ، ثم وزعنا من النسخ العربية على الأحزاب في مصر والغرف التجارية المصرية والنقابات والعلماء للتوقيع عليها ، ثم وزعنا بالفرنسية نسخاً للمنتديات الأفريقية والغرف التجارية الأوروبية والجمعيات وغيرها .

وكنّا فكرنا في عرض البيان على مدير البنك الأهلي لتوقيعه فذهبنا : موسى قطاوى وشكور وأنا إليه ، وتكلمنا معه فقال : إنه يظن أن هذا البيان يضر ولا ينفع ولمح إلى حوادث ١٩١٩ واعتبرها مثبتة للتعصب الديني مضافاً إليها ما حدث أخيراً في الأسكندرية وأنه يعتبر فوق ذلك حوادث الثغر من جرائر سياسة سعد باشا وأخيراً قال : إنه سيعرض الأمر على مجلس الإدارة ويستطلع رأيه في التوقيع (يعني رفض) .

ثم إن الأمير محمد علي دعا إليه المسيو هنرى نوس البلجيكي وحادثه في الموضوع فقبل مبدئياً وطلب أن ترسل إليه نسخة من البيان ، ولكنه عدل وقال : إن اخوانه يستحسنون أن يكتبوا بياناً آخر لا يخرج في معناه عن البيان الحالي ، ولكن يكتب بأسلوب غير هذا الأسلوب الذي يعبر عن موقف المصريين . وقد اجتمعنا شكور وقطاوى وأنا به ، وتناقشنا معه في الأمر ، فقال في أثناء الحديث : إن البعض يظن أن وجود البرنس وشفيق في هذه المسألة دليل على أنها مسألة خديوية ؛ وقد كان سموه أنبأني أنه فهم من كلام نوس بك أن امتناعه راجع إلى انتمائه للسلطان فؤاد الذي لا يرتاح إلى قيام البرنس على رأس أى حركة ، أما أنا فلما سمعت ما قاله نوس بك اعترضت على هذا الكلام ، وقلت : « إننى وطنى قبل كل شيء وإننى لأفعل إلا ما فيه صالح بلدى ولا علاقة لى بأى شخص » وقام نوس بك من عندنا على نية الذهاب إلى الأسكندرية لمناقشة بعض أصحابه في الموضوع ثم كتابة البيان ؛ ولكن لما رجع منها أخبر قطاوى باشا أنه عدل عن كتابة أى شيء لما وجده من استياء الأفرنج وتهيجهم ، كما أن مزراحى المحامى كان قد ذهب قبله إلى الأسكندرية ومعه نسخة فرنسية للسعى عند الأوروبيين للتوقيع عليها فلم يفلح .

وجاءت لنا بعض الردود من الغرف التجارية بوصول البيان وبأنها لا تشغل بالسياسة، وكتب لنا بعض الممثلين السياسيين بوصول البيان وبالشكر، ولكن قنصل فرنسا في الإسكندرية خطب لمناسبة عيد ١٤ يوليو فقال في خطابه: «إنه كان يتسائل عن أسباب سكوت المصريين عن حادث الإسكندرية، ولكن في هذه الأيام قام بعض الأمراء وكبار القوم وأعلنوا استيائهم لما وقع، وفندوا تهمة التعصب الديني وكراهة الأجانب» وامتدح القنصل هذا القول وأتى ببعض الجمل من البيان فسررنا من ذلك.

هذا وقد وصل إلى جريدة الأخبار من أحد المصريين بفيينا برقية بنشر البيان في جرائدها وبأنه وقع لديها موقع الاستحسان.

شؤره مختلفه

نور الدين يشكو من معاملة عباس : في يوم ٢٢ فبراير قابلت نور الدين بك فأظهر استياءه من عباس ، وقال أنه لما أرسله إلى سويسرة سنة ١٩١٨ سلمه تحويلاً بمائة وثلاثين ألف مارك وأخذ منه سنداً بتسليمه هذا المبلغ، ولما وصل إلى سويسرة دفعه إلى أحد البنوك باسم مدام لوزانج صاحبة اسمه بناء على التعليمات التي تلقاها، والآن أرسل عباس هذا السند إلى ألمانيا مدعياً أنه دفع هذا المبلغ لنور الدين من المبالغ التي تسلمها من ألمانيا لتخصم من حسابه الباقي طرف سموه، مع أنه لم يأخذ بارة واحدة باسمه. قال وهكذا لحقتني وصمة في سويسرة وفي الآستانة وفي ألمانيا من جراء أفعال الخديو. وعلمت منه أن لوزانج لما سافرت من الآستانة وحضرت إلى سويسرة. أخذت من بنوك زوريخ كل ما كان الخديو أودع فيها من الأوراق، والمجوهرات خوفاً من أن يحجز عليها كما سبق تهديده بذلك في برقية أرسلتها له في سنة ١٩١٩ بأن حمصى يريد الحجز على هذه الأشياء.

ثم قال إنه طلب الرجوع إلى مصر ولكن السلطة مشتبهة في أنه قدم إلى أوروبا للنشر الدعاية في مصلحة الخديو وقد رخص لعائلته بالرجوع إلى مصر وهو يؤمل أن يحصل على التصريح أيضاً بعد أن ينفي عن نفسه ما ألصقه به عباس .

نوارى عن سحر عباس : قابلت في زوريخ عزيز باشا عزت يوم ١٧ مارس ودعاني إلى الغداء مع البروفسور هيس وجاءت سيرة الخديو ، فقدح هيس في أخلاقه ؛ ومن ضمن ما قاله : إنه أرسل له بأن يحضر إليه في يوم

سبت لبذل المساعي في إخراج المرحوم يكن من الحبس ، فجاء مساء الجمعة بدلا من السبت ، فلما لاحظ الخديو على ذلك ، أجاب البروفسور أنه عجل بالحضور ليتمكن من التكلم في المسألة صباح السبت ، ولو حضر في اليوم المذكور ما أمكنه ذلك. لأن الإدارات والمصالح تغلق أبوابها بعد ظهر السبت، قال هيس: « وكل هذه الملاحظة لعدم دفع مصاريق في الليلة التي أمضيتها ». وقال أيضاً: إنه كان يستدعيه مراراً إلى زرويوخ؛ ويبقيه حتى الساعة ١٢ والنصف، ثم ينظر سيموه في ساعته ويقول له: « هيا يا بروفسور الحق الغداء » يعني أنه يصرفه بهذه الطريقة .

ثم قال متهمكماً: « وإنما الحق يقال أنه دعاني وزوجتي مرة لتناول الشاي » ثم قال: إنه كان قد ناط به تفسير القرآن لجاويدان خانم أو الكونتس توروكلما كانت في مصر، فكان يقضي الساعات في ذلك . ثم سأل جاويدان عما يلزم أن يصنعه لتذكير الخديو بأثعبه ، فأشارت عليه بأن يقدم كشفائين فيه حساب ، فقدم الكشف وطلب ٣٠ جنياً ، فغضب الخديو من ذلك، وخاطبه بعد أيام منتقداً تفسيره فرد عليه بأنه اقتبس ما ألقاه من التفسير من كتاب التفسير الكبير للطبري . قال البروفسور: « وهذا الانتقاد إنما كان تخلصاً من استمرار إعطائي الأجر على أتعابي »

سنة ١٩٢٢

الاموال السياسية وتصريح ٢٨ فبراير — الجرائم السياسية ضد الانجليز — قانونه
 وراثة العرسه — قانونه نصفية أملاك عباس — استغالى بالصحافة فى الليبرتيه —
 مساعدة المنكويين بالحريه فى الامانة — رحلتى فى سوريا وفلسطين — مطالباتى
 من عباس

الاموال السياسية وتصريح ٢٨ فبراير: من أول هذا العام كان الناس ينتظرون حضور اللورد اللبى المعتمد الانجائيزى فى مصر ، بعد أن برح إلى بلاده للتفاهم مع حكومته على اتباع سياسة جديدة ، وهى سياسة تصريح ٢٨ فبراير الذى أعلن بعد إيايه بالانفاق مع عبد الخالق ثروت باشا: وقد كان الاحتفال بقدمه كبيراً ، وازدحم الكثيرون فى فناء المحطة ، وعلى جانبي الطرق التى مرت مركبته بها، وحيوه بالتصفيق .

الأغلبية والتصريح : وبعد إعلان

التصريح قابلته قلة من الشعب بالترحيب أما الكثيرة الساحقة ، فكانت فى حالة عصية توحى إليها الحذر الشديد من السياسة الانجليزية ، ولا سيما وقد مهد لهذا التصريح بنفى سعد باشا وزملائه ، فلم يكن من المستطاع إقناع هذه الكثيرة بأن سياسة يمهدها بنفى زعيم البلاد ، يكون فيها خير للأمة .

موقف الصحف : وقد التزمت

معظم الصحف المصرية جانب التحفظ فى التعليق عليه ، ولكنها اتفقت على



عبد الخالق ثروت باشا

أمر واحد، وهو أن السياسة الجديدة، لم تحقق لمصر كل آمالها، وإنما هي خيوة
في سبيل تحقيق تلك الآمال .
الجاليات الأجنبية وسياسة التصريح : أما الجاليات الأجنبية في مصر فقد



اللورد اللتي

تخوف بعضها من النص على أن إنجلترا تحتفظ لنفسها بحق حماية الأجانب . وكان أشد هذه الجاليات تخوفاً هي الجالية الفرنسية ، التي قررت أن ترسل احتجاجاً إلى الموسيو جايار الوزير المفوض والوكيل السياسي لفرنسا في مصر جاء فيه :

« إننا لو افترضنا أضيق ماتحتمله الصيغة الواردة بالتصريح من المعاني ، لما استطعنا أن نتصور أن المصالح الفرنسية — عامة كانت أو خاصة — يمكن الدفاع عنها أو (حمايتها) بواسطة حكومات أخرى غير الحكومة الفرنسية »
« على أن مجرد قبول مثل هذا النظام نزول غير مقبول ، لاسيما وأن انتصارنا قريب العهد منا .

« وفوق هذا ومن جهة عملية محضنة ، يسوغ لنا أن نتساءل عما تتول إليه مصالحنا إذا كانت متناقضة مع مصالح رعايا الدولة الحامية »

الأمراء والتصريح : وقد اهتم أصحاب السمو الأمراء ببحث الحالة الجديدة ، وموقف مصر السياسي بعدها ، وكانت آراؤهم متجهة إلى اعتبار هذا التصريح كسباً نظرياً فقط ، لم يغير شيئاً من الناحية العملية .
وقد كتبوا إلى عظمة السلطان فؤاد الأول كتاباً يشرحون فيه نظريتهم جاء فيه :

« إن بقاء الحالة الحاضرة مع وجود الجيوش البريطانية في مصر مما يؤدي الاستقلال ، لأن هذه الأحوال لا تستوى هي ومبادئ الحرية الشخصية » .
وطلبوا إعلان استقلال مصر مع سودانها ، وسيادتها التامة في الداخل والخارج وتأليف جمعية وطنية لمناقشة التصريح ، وتحضير مشروع الدستور ، وأن تجرى الانتخابات بكامل الحرية بعد إلغاء الأحكام العرفية ، وإعلان حرية الصحافة . والعفو عن المعتقلين السياسيين ، ودعوة المنفيين .

بدء تنفيذ التصريح : كان المنتظر أن يعرض التصريح على البرلمان البريطاني يوم ٩ مارس ، ثم أجل إلى يوم ١٤ منه ، أما الحكومة المصرية فقد أخذت تنفذه فعلاً من يوم إعلانها ، فعينت وكلاء مصريين للوزارات بدلا من الإنجليز ، ثم امتنع المستشار المالي من حضور جلسات مجلس الوزراء ، كما كان المتبع منذ بدء الاحتلال وفي يوم ١٤ مارس وافق البرلمان الإنجليزي عليه واحتفلت الحكومة يوم ١٥ مارس بالاستقلال . أما الشعب فكان بعيداً عن الاشتراك مع الهيئات الرسمية ، بل

كان بعض الشباب يجتمعون ويهتفون للاستقلال التام ، فكان هتافهم هذا دليلاً على عدم اقتناعهم بأن ما حصل هو الاستقلال الذى يطلبون .

رأى عباس فيه : قرأت حديثاً لعباس مع مراسل جريدة « بروجريه دى يون » الفرنسية عن الحالة الجديدة ، ومما جاء فيه :

« إننى لأعير اللعب الذى لعبته وزارة لندن أدنى أهمية . يكفي أن يقرأ الإنسان بأى شروط اعترفت تلك الوزارة باستقلال مصر ، ليفهم أنه لم يتغير شيء من عهد الضغط الذى تعيش فيه بلادى منذ إعلان الحماية » .

وزارة ثروت باشا والرأى العام : لم تكن الوزارة على العموم موضع ثقة الرأى العام ، وكانت لذلك لا تسمح للشعب بابداء آرائه ، حتى أن الأمير يوسف كمال ، دعا إلى اجتماع يعقد فى بيت السيد أبى بكر راتب باشا يوم ٢٤ مارس فتصدت الحكومة لهذا الاجتماع ومنعته ، فزاد ذلك فى السخط عليها ، وعرضها لنقد كثير من العقلاء الذين كانوا على الحياد بينها وبين خصومها .

وقد زادت الحالة تعقداً حينما ألفت الحكومة لجنة لوضع الدستور ، دون أن تكون منتخبة من الشعب .

نعم إنها دعت جميع الهيئات إلى الاشتراك فيها ، ولكن لم يتقدم لها أحد من الوفدين وهم الكثيرة الساحقة ، ولا من الحزب الوطنى . وزاد ذلك هوة الخلاف بين الشعب والحكومة .

تأليف حزب الأحرار الدستوريين : لهذا فكر المنتهون إلى ثروت باشا وعدلى باشا ، فى تأليف حزب يناصر سياسة الوزارة ، وسمى «حزب الأحرار الدستوريين» وكان ذلك يوم ٣٠ أكتوبر ، وانضم إلى هذا الحزب كثير من مفكرى الأمة ، وأصحاب البيوت الكبيرة فيها .

وقد قبل الحزب الجديد بالسخط الشديد ، وأذاع الوفديان أن يتهمة فيه بالتخاذل وبشق وحدة الأمة ، وكانت أحاديث الانتقاد له تتداول فى مكان .

وفى مساء ١٦ نوفمبر وقع اعتداء بالرصاص على عضوين من رجال الحزب هما المرحومان حسن عبد الرازق باشا وإسماعيل زهدى بك ، وكان المعتدون يظنون أن سيارتهما تحمل عدلى باشا رئيس الحزب . وقد توفى العضوان متأثرين بجراحهما .

استقالة ثروت باشا وأسبابها : وفى يوم ٢٩ نوفمبر قدم ثروت باشا استقالته .
وأحاطت بهذه الاستقالة عدة إشاعات عن أسبابها الحقيقية ، غير أنه من المؤكد
أنه كان من بين هذه الأسباب ، دسائس خصومه فى السراى ، ومرماها أن له



محمد توفيق نسيم باشا

اتصالا بالخديو السابق ، لأن اسماعيل الرزنجى باشا والده كان متزوجاً بأحدى جوارى عباس باشا الأول والد إلهامى باشا جد الخديو السابق من والدته ، وأنه ساعد وفد الحزب الوطنى على السفر إلى مؤتمر لوزان ليعمل فى مصلحة عباس .

وقد ألفت بعد ذلك وزارة نسيم باشا فقبولت بالترحيب من الرأى العام وأصدر الوفد بياناً يحدد فيه مساوىء الوزارة السابقة ، ويفهم منه الرضاء عن الوزارة الجديدة، وإن لم يصرح بذلك .

الجرائم السياسية ضد الانجليز : وقعت فى هذا العام عدة جرائم سياسية ضد الانجليز نتيجة لتهميج الأعصاب الذى كانت الامة معرضة له بين التقلبات السياسية ونفى الزعماء ، ومحكمة بعضهم ، واعتقال فريق منهم .

وقد وقعت أولى هذه الجرائم يوم ٣٠ ابريل على اثنين من فرقة الطيران ، فجرحا جراحا بليغة ، وفر المعتدون قبل أن يتمكن البوليس من القبض عليهم . وفى يوم ٢٤ ما يو وقع اعتداء آخر على البكباشى كيف مساعد الحكمدار بالقاهرة .

وفى يوم ٢٩ يوليو اعتدى مجهولون على المستر توماس براون مدير قسم البساتين بوزارة الزراعة ونجله ومرتبته الانجليزية وسائق المركبة التى كانت تقلهم .

وفى يوم ٢ ديسمبر أطلقت خمس رصاصات على مستر روبسون المدرس بمدرسة الحقوق .

والذى كان يلفت النظر فى كل هذه الجرائم انها وقعت فى شوارع مزدخمة بالسابلة ، وفى أوقات يكثُر فيها المرور دون أن يقبض على الفاعلين .

قانونه ورأته العرسه : لما تولى السلطان فؤاد عرش مصر لم يكن له أولاد من الذكور ، وفى فبراير سنة ١٩٢٠ رزق عظمتة بنجله سمو الأمير فاروق (جلالة الملك) وقد أخبر اللورد اللنبى عظمتة يوم ١٥ ابريل من السنة نفسها بأن الحكومة البريطانية تعترف بالأمير فاروق وباعقابه من الذكور ، ورثة لعظمتة .

وفى ١٣ ابريل سنة ١٩٢٢ صدر مرسوم بوراثه العرش . ينص على ولاية العهد للأمير فاروق ، وعلى حرمان عباس باشا الخديو السابق من ولاية الملك ، دون أبنائه وذريتهم .

قانونه تصفية أملاك عباس : وفي منتصف شهر يوليو راجت أشاعات تتلخص في أن الخديو السابق قد فر من الاستانة إلى سويسرا ، وأنه يدس الدسائس هناك ضد مصر ، فصدر بتاريخ ٢٧ يوليو قانون باقرار ما قامت به السلطة العسكرية ، في ظل الأحكام العرفية من تصفية أملاك عباس ، وبجرمانه دخول الأراضي المصرية أو سماع أى دعوى قضائية منه بأى وسيلة ، أو مباشرته لأى عمل داخل الحدود المصرية شخصيا أو بالواسطة ، وإذا لم يتسلم ثمن ما يباع من أملاكه بواسطة لجنة التصفية بعد مضي عام من بيعها فإن الثمن يصادر لخزانة الحكومة .

وقد أرسل عباس داخل ظروف لكثير من عطاء المصريين منشورا سريا يظهر فيه عدم اعترافه بقانون الوراثة ؛ ولا قانون التصفية ، وعزمه على العمل للاحتفاظ بحقوقه ، ويدعوهم فيه لنصرته .

استغالى بالصوائف :

مقالات تثير اهتمام الدوائر العليا : منذ أواخر العام الماضى دخلت فى زمرة الصحفيين ، فبدأت أكتب مقالات فى جريدة الليبرتيه عن عهد الاسرة العلوية المحمدية ، وكانت تظهر كل يوم أربعا فى صدر الجريدة ، وقد أخذت تلفت الأنظار فى الأوساط الانجليزية وفى السراى .

وفى يوم ١٨ يناير سنة ١٩٢٢ قابلت موسيو ليون كاسترو صاحبها فأخبرنى أن قلم المطبوعات فى الداخلية أرسل إليه إشارة تليفونية ليستدعيه ، وكان يظن أنهم سيخاطبونه فى الكف عن معارضة تشكيل الوزاة الجديدة بعد وزارة ثروت باشا .

السراى تخشى الدعاية لعباس : وفى يوم ٢٠ منه قابلته ، ففهمت منه أن سبب استدعائه هو مقالاتى التى أنشرها بجريدته ، وذلك أن السراى تخشى أن يكون الغرض عمل دعاية لعباس حينما أصل إلى الكلام عنه ، وقد طلبوا منه أن يخبرهم عما إذا كان فى مقالاتى الآتية شىء من هذا القليل ، فقال لهم : « إنه يكتب مقالاته واحدة واحدة ، وأنا لا أعلم ماذا سيكتب بعد ذلك ، ولكنى لا أظن أنه يقصد القيام بالدعاية لعباس »

عندئذ قلت لكاسترو : « إننى لا أقصد الكلام عن عباس فى مقالاتى هذه إلا

عرضاً ، لأننى أنوى نشر كتاب خاص عن تاريخ آخر الخديويين « ثم أضفت : وإن عباساً له صفات طيبة وأخرى معيبة ، وعلى كل حال أنا على الحيدة من جهته ، وإذا كنت قد خدمته هذه المدة الطويلة بنية صادقة ، فذلك دين على لوالده توفيق رأيت أن أفيه .

النهضة النسوية : وقد حدث أثناء اشتراكى في تحرير هذه الجريدة أن دعا صاحبها المحررين بها لحفلة عشاء برياسته ، ثم كانت حفلة ثانية برياستى . وكانت المجلة قد خصصت قسماً لثمنون المرأة ، ومن بين ما كان ينشر فيه مقالات لكاتبات من بينهن سيدة باسم (حياة) تؤيد فيها حرية المرأة ونهضتها بأسلوب رشيق . ففى هذه الحفلة تحدثت عن النهضة النسوية الجديدة ، وأثنت على هذه الكاتبة المجيدة ، وعلى زميلاتها ، وانتصرت لحرية المرأة ، وقد ردت على هذه الكاتبة رداً لطيفاً وذكرت فيه أن والدها يعرفنى ، ويعرف عنى أشياء كثيرة . .

انقطاعى عن التحرير : وأخيراً رأيت أن أنقطع عن التحرير فى هذه الجريدة بعد كتابة خمس وثلاثين مقالة ، تجنباً للاحتكاك بالدوائر العليا التى كانت لا ترتاح لنشر مقالاتى .

مساعدة المنكوبين بالحرب فى الأستانة : فى يوم ٢١ يونيو سافرت إلى الأستانة لقضاء فصل الصيف بها . وفى يوم ١١ أغسطس قابلنى الحاج حسين مانع زاده أحد التجار المشهورين وأخبرنى أنه حدث حريق كبير فى بعض أحياء الأستانة ، وقد تشكلت لجنة برعاية السلطان ، ورياسة توفيق باشا الصدر الأعظم لمساعدة المنكوبين ، وستقوم ببناء منازل للفقراء الذين أصابهم الحريق فدمر بيوتهم ، وأن السلطان قال بوجوب وجود عضوين فى اللجنة من غير الأتراك وأنه (أى مانع زاده) قال فى الاجتماع انه يعرفنى عندما حضر لمصر ، وكنت أنا مديراً للاوقاف ، وأثنى على : فقررت اللجنة سؤالى عما إذا كنت أقبل الدخول حتى أروج اكتتاب المصريين لاعانة فقراء المنكوبين بالحريق ، فقلت : « يلزم سؤال الانجليز عن رأيهم فى الموضوع ، فإذا لم يجدوا مانعاً يسألون عن رأيهم فى دخولى عضواً فى اللجنة ، حتى لا يظنوا أننى أتناول فى مسائل سياسية » .

وبعد بضعة أيام قال : إنه تقرر استدعائى عند الصدر لمباحثتى فى المسألة وفى يوم ١٦ منه وردت إلى دعوة لمقابلته يوم ١٩ ، ولما قابلته بالصدارة .

قال لى: « ان لجنة الحريق أمكنها باعانات مالية من الجمهور أن تبني بيتين كبيرين يحتويان على مساكن متعددة، وانها شرعت فى بناء بيت ثالث، والايجارات التى تأت من هذه البيوت تنفق فى بناء بيوت للفقراء المنكوبين بالحريق؛ وستشرع فى طبع تذاكر بفئات مختلفة لعرضها على المحسنين من المسلمين أتراكا وعربا، ومن شتى الأجناس للمساعدة على بناء البيوت المذكورة، فهل يتيسر تنظيم هيئة فى مصر لهذا الغرض ؟ »

قلت: « إن الذى يتولى الآن جمع الأموال لمساعدة الأناضول هو الأمير عمر طوسون ». قال : « وهل يمكنك أن تكاتبه فى هذا الصدد لمعرفة عدد التذاكر التى يمكن توزيعها ومقدار قيمتها ؟ ». قلت : « اننى على وشك السفر إلى مصر والأحسن أن أكلبه شفويا فى الموضوع . ولكنى يادولة الصدر أجعل تفاصيل غرض اللجنة؟ فهل لها لائحة لأطلع عليها، وهل توجد خريطة تبين الأماكن المحترقة واحصاء عن عدد البيوت ومساحاتها، والتى منها للفقراء ، وما هى المعلومات عن طريقة بنائها ؟ » .

فقال: «إنه سيطلب من اللجنة هذه الايضاحات؛ والفكرة السائدة هى أن تقسم الأرض إلى جملة أقسام ، وتستدعى شركات البناء وتعطى كل شركة قسما » قلت : «وهل الشركات ، تقبل مشتري الاراضى وبنائها وتأجيرها وهى محكورة؟» ولفت نظره إلى هذه النقطة وأن اللازم استبدال أحكارها أولا . ثم استأذنت منه على أن أكون تحت أمره فى أى وقت؛ فأجاب بأنه لا يستطيع أن يقدم لى كل المعلومات التى طلبتها، وأخير اجاءنى منه مندوب. وترك لى فى المنزل خريطة استامبول ، والاراضى المحترقة ملونة بالأحمر، وعليها معلومات عن عدد المباني المحترقة، وهى ١٠ آلاف منزل وفى يوم ٢ سبتمبر زرت الصدر مودعا، وتحادثنا فى موضوع إعانة المنكوبين ثم قدمت له الاقتراح الآتى :

قلت : «علمت من سليمان أفندى البستانى أن جلالة الملك فؤاد أرسل لكم بواسطة تحياته ، وانكم كلفتموه أن يبلغه شكركم ، وبما أن العلاقات ودية بينكم وبين جلالته فربما يكون من الموافق كتابة خطاب ودى غير رسمى بهذه المناسبة ومن ضمنه استعطاف جلالته لمساعدة هذا المشروع » فوافق على الفكرة . ولكن قال : «حيث اننا لم نعقد الصلح مع الحلفاء، فالأصوب تبليغ جلالته شفويا من قبل ،

قلت : « واني لا أخفي عليكم ان الأزمة المالية لم تزل موجودة في مصر خصوصا لانخفاض ثمن القطن ، فالمصريون معذورون الآن ، ومع كل فاني سأقوم بالأمورية في السراى وعند الأمير عمر طوسون »

وفي يوم ٥ سبتمبر غادرت الاستانة عائدا ، فوصلت الاسكندرية يوم ١٠ منه . وتوجهت مباشرة إلى سراى رأس التين ومعى الخريطة السابقة الذكر . فكتبت اسمي في سجل التشريفات ، ثم قابلت حسن نشأت بك (باشا) أحد كبار رجال الديوان وسلمته الخريطة ، وبلغته ما كلفنى الصدر ، فتسلمها وأخذ عنواني . ثم قابلت الأمير عمر طوسن وأخبرته بالمهمة فقال : « إنه تقرر عدم ارسال نقود الاستانة لأن حكومتها ضد الكالين ، وأن كل ما يجمع من النقود يرسل إلى الأناضول » وبذلك انتهت المسألة .

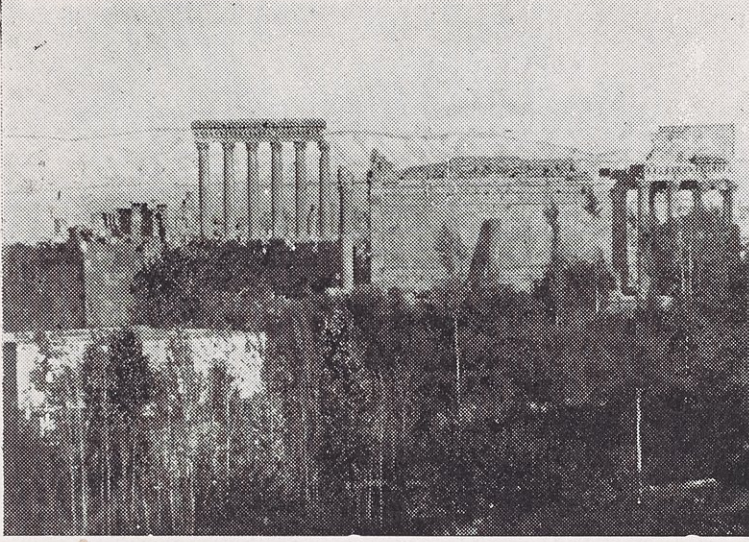
رحلتى في سوريا وفلسطين :

إعجابي بالتعليم في الجامعة الأمريكية ببيروت : سألت كثيراً ممن لهم وقوف على الجامعة الأمريكية في بيروت ، فوجدت أنهم مجمعون على القول بأنها تفضل مدارس مصر في التعليم والتربية ، وعلمت من أحد أصحاب المقطم أن المسلمين لهم معلم للديانة السمحة ، واليهود والنصارى لهم معلمون في دياناتهم ، وأنه سيحضر عن قريب مندوب من الجامعة ، لمرافقة التلاميذ الذين سيذهبون إليها للدراسة ، لهذا صممت على انتظاره ، وأخذ المعلومات منه ، ثم السفر بولدى احمد وراشد إليها .

وفي يوم ١٣ أكتوبر — وكنت قد حصلت على المعلومات المطلوبة — سافرت معهما ، فوصلنا إلى الحدود المصرية يوم ١٤ منه ، وفي اليوم التالى وصلنا إلى بيروت فذهبنا للكلية ، وهناك قابلنا الأستاذ حامد ثابت مدير قسم الأولاد الصغار ، فسلمته الولدين ، ودفعت نصف المصروفات السنوية لهما ، وهى مائتان وثمانية جنيهات سورية وقد علمت أن من أخص الصفات التى تعنى الكلية بغرسها في نفوس طلابها ، الاعتماد على النفس ، فالطالب هو الذى ينظم غرفته بنفسه ، كما أن الطلبة الفقراء يشتغلون بالخدمة في الكلية نفسها مقابل إعفائهم من المصروفات .

رحلتى في بعض البلاد : وفي يوم ١٧ أكتوبر اتفقت مع شركة مصايف لبنان على القيام برحلة لبلعبك ودمشق ، فركبت السيارة وصعدت الجبل ، ومرت على عاليه وبحمدون وصوفر ؛ ثم نزلنا إلى شتوره ، وتعديت عند صاحبي القديم سليم افندى

بولاد، وله هناك أراض واسعة، ومعمل نبيذ وسط كروم كثيرة .
ومن هناك ذهبنا إلى بعلبك فزرت والدّة الشاعر الكبير خليل بك مطران ،
فأعجبت بثقافتها وحسن إدارتها لشؤون العائلة .



معبد بعلبك

ثم شاهدت معبد بعلبك ، وهو معبد روماني قديم مبنى بأحجار ضخمة يبلغ طولها ١٩ متراً وعرضها أربعة أمتار وارتفاعها ثلاثة . ومنها أعمدة قطرها ثمانية أمتار .

وبعد ذلك قمنا إلى دمشق ، والطريق يشبه في بعض جهاته بلاد السويسرة صخوراً وودياناً وأشجاراً .. وقد قابلني على المحطة وكيل محمد علي العابد بك لغيابه في حلب فركبنا مركبة ونزلت بفندق فيكتوريا في ضيافة حرمه ، وقد حضرت لزيارتي؛ ثم أرسلت مركبتها فذهبت بها لزيارة حقي بك العظم الحاكم العام الذي أرسل معي مدير الأوقاف لمشاهدة المعاهد الدينية والمساجد ، وقد زرنا الجامع الأموي وبيت أسعد باشا العظم الأثرى الذي اشتراه الفرنسيون بستين ألف جنيه سوري ، وفيه قاعات عربية جميلة ، وشاهدنا دار الأيتام وفيها ١٥٠ بنتاً وهي متسعة ونظيفة ، والحكومة هي التي تنفق عليها مع دار أخرى للأولاد؛ وأخيراً زرت معمل تلسان لشغل الخشب المنزل بالسن والصدف ، وبين الصناع كثيرون من اليهود والآرمن

أما المسلمون فقد لاحظت أن ليس لهم نصيب كبير في الصناعات على العموم .
وقد رددت الزيارة للحرم العابد بك ؛ ثم غادرت المدينة إلى المعلقة وزحلة



ظهور الشوير

فظهر الشوير على ارتفاع ١٦٠٠ متر تقريباً ، ثم نزلت إلى بورمانه حيث المنظر
جميل بين أشجار الصنوبر ورائحته ، وعدنا إلى بيروت .

وفي صباح ٢٥ سافرت بالسيارة إلى حيفا ومنها إلى القدس ، فزرت حاكمها
موسيو « ستورس » وكان من قبل في مصر سكرتيراً شرقياً لكرومر ، ثم زرت
منزل المفتي الحاج أمين الحسيني .

وفي اليوم التالي حضر شيخ الحرم بناء على أمر المفتي لمرافقتي في الزيارات ،
فزرنّا الحرم وقبته مزينة بالفسيفساء الفاخرة الدقيقة ، وهي قائمة على اثني عشر
عموداً ، وأربع اسطوانات ، والصخرة المقدسة في الأسفل ؛ ثم تفرجنا على قبة تسمى
محكمة داود ، وهي صغيرة ومصنوعة من القيشاني . ومحمولة على ثمانية عشر عموداً
على نظام القبة الكبيرة

ثم توجهنا الى المسجد الأقصى ورأينا المحراب العظيم الذي بناه صلاح الدين
الأيوبي ، وبجانبه منبر على طراز عربي متقن ، وصانعه « حميد بن ظافر الحلبي » ثم صلينا
في جامع سيدنا عمر ، ثم خرجنا ونزلنا الى المسجد الأقصى القديم ، ومنه الى محل

سرير عيسى . فاصطبل سليمان ذى الحجارة الضخمة ، ثم خرجنا فرأينا باب التوبة وباب الرحمة ، وهما عظيمان معلقان منذ القدم ، وعلى جانبهما كرسي سليمان (للحكم) وخرجنا من الحرم الشريف ودخلنا الصلاحية (المدرسة) وفيها كنيسة ، ويقال: إن فيها قبر حنا والدة مريم ، وهى صغيرة ، ويشاع أن سيدنا عيسى كان يبرىء الأبرص بأدخاله فى مياهها ، وهذه المدرسة كانت فى مدة الحرب كلية لتخريج المبشرين المسلمين من كل أطراف العالم الاسلامى ، وكان يديرها الشيخ عبد العزيز جاويش ، وكان فيها أساتذة أفاضل ، ولكن بعد الحرب أوقلت وسلمت الى جماعة من الفرنسيين . ثم توجهنا الى مدرسة روض المعارف . ويديرها شيخ يظهر على وجهه الذكاء والنشاط ، وشاهدنا التدريس فى الفصول والمطبخ ؛ وأعطونا أجزاء من مجلة يصدرونها باسمها . وأخيراً توجهنا الى كنيسة القيامة وزرنا قبر المسيح والأماكن الدينية التى داخل الكنيسة التابعة لأقوام مختلفة ، وهى على جانب عظيم من الفخامة ، وبعد الغداء رجعنا الى هذه الكنيسة ، وتفرجنا على الآثار القديمة والهدايا النفيسة والمجوهرات الثمينة وكتب الانجيل التسعة المزخرفة ومن بين ما رأينا صورة لمريم فى أطار زجاجى مطرزة بالجواهر الكريمة ، ومنها إلوثة على الجبهة ثمينة ، ويقال: إن قيمة المجوهرات فى هذه الكنيسة تبلغ ٨ ملايين من الجنيهات وكثير منها لطائفة الروم الارثوذكس التى لها نفوذ عظيم وعقارات كثيرة فى القدس ، أما مفتاح كنيسة القيامة فهو فى يد عائلة اسلامية من قديم الزمان ، لمنع الاختلافات بين الطوائف المسيحية المختلفة .

وبعد ذلك ركبنا سيارة ، وتوجهنا الى مدينة الخليل ، ورأيت فى الحرم الابراهيمى من الخارج قطعاً كبيرة من الحجارة ، وقيل لى : إن سيدنا سليمان هو الذى بنى هذا المسجد . ولكنى لاحظت أن حجارتها صلبة جداً ، ولا أظن أنه من بناء زمان سليمان — وفى هذا الحرم قبر سيدنا ابراهيم الخليل وقبر زوجته سارة . ثم قبور اسحق وزوجته رفقة ، ويعقوب وزوجته لائقة ، ويوسف ، وبه الغار الشريف ويتدلى فيه قنديل لأنارته ، وله فوهة ، يجلس عليها شيخ ، فيكشف هذا الغطاء عن الفوهة ليرى الزائر عمق الغار .

ومن مدينة الخليل توجهنا بالسيارة الى بيت لحم ، وتفرجنا على كنيسة المهد ، وزرنا موضع مولد المسيح ، وموضع النحلة التى أمر الله سيدتنا مريم أن تهزها فيتساقط منها الرطب ، وهو لا يبعد عن محل الولادة الا بخمسة أمتار تقريباً ، ومسقوف

الآن ببناء؛ ومدينة بيت لحم بيوتها صغيرة مبنية بالحجر ونظيفة؛ وحرارتها ضيقة إلا أن أمام الكنيسة ميداناً متسعاً . وبعد هذه الزيارة رجعنا الى القدس وشكرت الملقى على حفاوته ثم عدت لمصر .

مطلوباتي من عباسي : في يوم ٥ نوفمبر علمت من محمد شفيق باشا أن عباساً وكل حسن بك صبري المحامي (باشا) في تصفية أملاكه مع الحكومة المصرية . وكان سموه قد جمع لجنة من المحامين المختلني الجنسية وشاورهم بالسويسرة في قضاياهم ضد السلطة في مصر ، فكان قرارهم أن له الحق في مقاضاة السلطة ، ولكن حسن بك صبري رأى أن هذه القضايا لا يمكن البت فيها قبل مضي سنة من وقت صدور الدكرتو الذي يقضى بمصادرة ماله من المال بعد التصفية ان لم يتسلمه في هذه المدة ، وعليه رأى أن الأصوب قبول تصرفات السلطة وقبض ما يكون من المال وهو بين نصف مليون وستمائة ألف جنيه ، فيشتري به أراضى في



حسن بك صبري (باشا)

الأناضول فيعوض، ماخسره في مصر . فقبل هذا الرأي، ووكله في تنفيذه . فلما علمت بذلك عزمتم على أن أقابله ، وأتكلم في موضوع مطلوباتي من الخديو . وفي يوم ٧ قابلته ، وعلمت منه أنه سبق أن دار كلام بينه وبين الخديو في أوربا في موضوع مطلوباتي ، وأن سموه يظن بأنني رفعت دعوى ضده ، وأنه قال : « أما مطلوب شفيق من النقود فسيرد لكن ما معنى هذه الدعوى ؟ » ولما علم صبري بك بأن هذه الدعوى لا توجد الا في مخيلته ، قال : الحمد لله . وأخبرته بملخص حكاية هذه المطالبات ، فقال : « ان المبلغ لا يستحق التردد في دفعه » وطلب مني أن أسلمه مذكرة به ، ووعد أن يتوصل الى الخديو لدفعه ، فشكرته ووعدته بعمل المذكرة . وفي يوم ١٠ اجتمعت بالكتور سيد كامل وتكلمت معه في المسألة ، فرأى معي أن لا بأس من تحرير مذكرة لخررها كما يأتي :

« حقائق القبة في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٢ »

« حضرة صاحب العزة الأستاذ الفاضل حسن بك صبرى »

« بعد التحية والاحترام، فاتحتم منذ ثلاثة الأيام في موضوع مطلوباتى من الجنب العالى، وقد دهشت عندما علمت أن سموه لا يزال ظاناً بأنى مخاصمه أمام المحاكم وهذا بخلاف الواقع كما أخبرتم، وقد سبق لى أن استعطفتم سموه لصرف هذه المطلوبات، ولكن مظنة وجود دعوى هى وحدها كانت دائماً السبب فى تأخير صرفها. والآن اشهدكم أنه ليس لى فى أى جهة من جهات القضاء هنا أو فى الاستانة أو فى أوروبا أثر لأية دعوى خاصة بهذه المطلوبات، وعليه أرجوكم أن تعرضوا على أعتاب سموه رجائى فى أن يتفضل فيأمر بصرف حقوقى التى أنا فى أشد الحاجة إليها. » وانى أتخذ بجوار وساطتكم القيمة، السنين الطويلة من عمري التى قضيتها فى خدمة سموه بكل صدق واخلاص، شفيعاً فى قبول الطلب الذى أرجو أن تكون الاجابة عليه فى القريب العاجل .

« أما مطلوباتى فهى : أولاً ٢٦٣٣ جنيهاً مصرياً قيمة ما أخذ من نقود المسيحوصى مع الفوائد لغاية السنة الجارية . ثانياً ٩٤٣ جنيه مصرى الباقى من سلفة الشيخ على يوسف وقدرها ٢٠٠٠ جنيه التى عقدها فى الخاصة مع الفوائد، فتكون الجملة ٣٥٧٦ جنيه مصرياً (١) وقد سبق أن سلبت مذكرة لحضرة الأستاذ أحمد بك لطفى فعرضها على الجنب العالى الذى أمره أن يبلغنى رد سموه بأنه سيأمر بدفع مطلوباتى بعد زمن قليل . هذا وتفضلوا بقبول شكرى على وساطتكم، وأنتى متوسم حل هذه المسألة على يديكم »

شفيع

وقد توجهت لمكتب حسن بك صبرى يوم ١١ فبراير وتركت له هذا الخطاب. وفى يوم ١٣ زرت عبد الحميد باشا سليمان وكيل وزارة الأشغال، فوجدت عنده حسن بك صبرى الذى أخبرنى بأنه تسلم خطاى، وأنه وجده فى تحريره ومحتوياته جيداً جداً، وأنه سيرسله مشفوعاً بتعضيد منه . قال : « وربما سافرت اليه بعد أسبوعين أو ثلاثة لانهى المسألة » فشكرته . وقد سافر بعد ذلك . وبعد عودته أخبرنى أن عباساً تسلم مذكرتى وقرأها ثم لم يعطه جواباً

أما ما تم فى المسألة بعد هذا فسيجده القارىء فى ملحق بمذكرات العام الآتى

(١) ولم أرغب فى ضم المطلوبات الأخرى حتى أصل إلى تسوية هذين المبلغين أولاً

سنة ١٩٢٣

عمارة المسجد الأقصى — السماح للوالدة بالعودة الى مصر
الحكم ضررى في قضية الارزاق — بيع مؤلفاتي وعضوية البرلمان — شؤره مختلفة

عمارة المسجد الأقصى : في يوم ٩ فبراير علمت بحضور مفتي القدس السيد محمد أمين الحسيني ، رئيس المجلس الإسلامي الأعلى ؛ وكنت تعرفت به في القدس عند زيارتي لها في العام الماضي ؛ وهو شاب يبلغ الثلاثين من العمر تقريباً ، ذكي يتحدث بعقل وورزانة ويعرف الترية وقد توجهت إلى فندق الكونتنتال لزيارته فلم أجده ، وتركت له بطاقتي



السيد محمد أمين الحسيني
رئيس المجلس الأعلى الإسلامي ومفتي القدس

وفي يوم ١٣ دعيت عند السيد عبد الحميد البكري لتناول الشاي في حفلة أقامها تكريماً للمفتي، وكان معه كمال بك المعماري التركي الشهير . المكلف هو ومن معه من المهندسين الأتراك بترميم قبتي المسجد الأقصى والصخرة ، والحاج سعيد بك الشواء عضو المجلس الإسلامي الأعلى ومدير بلدية غزه سابقاً ، و خليل افندي سكا كيني ، وعادل افندي جبره مدير

المكتب الأقصى ، والشيخ محمد بخيت ، والقمص بولس غبريال ، وغيرهم .
وعلمنا أن الغرض من حضور الوفد الفلسطيني جمع إعانات للقيام بالتعمير المطلوب ، الذي تبلغ نفقته مائة وخمسين ألفاً من الجنيهات .

وفي ١٥ منه حضرت حفلة غداء أقامها أحمد زكي باشا للوفد ، وكان معنا شيخ الأزهر ، والمفتي والشيخ محمد نجيت ، والسيد عبد الحميد البكرى ، والسيد رشيد رضا وسليمان شفيق باشا وزير الحربية السابق في تركيا ، وتناقشنا فيما يجب عمله لجمع التبرعات المطلوبة ؛ وتقرر أن أعرض الأمر على الأمير محمد علي ، وأتسب رياسته للهيئة التي ستشكل لجمع الإعانات ، وأن يقدم الوفد لسموه غداً بواسطة السيد عبد الحميد البكرى والشيخ نجيت .

وفي يوم ١٦ قابلت الأمير ، وعرضت عليه المسألة فقبل مبدئياً ، على أن يستطلع رأى اللورد النبي . ثم حضر الوفد الفلسطيني وقدمه السيد البكرى والشيخ نجيت لسموه ، ودار الكلام في الموضوع ، فأظهر ارتياحه وقبل بتحفظ ، وقال : إنه عند ابتداء العمل يسافر مع اللجنة التي ستشكل إلى الوجه القبلي لجمع التبرعات . ويطلب من سمو الأمير عمر طوسن أن يقوم بهذا العمل في الإسكندرية والوجه البحري ؛ فخرج الوفد شاكرًا لسموه ، مستريحاً لما بذلته من المساعي .

وفي يوم ١٩ دعوت الوفد لتناول الشاي ، ومعه السيد البكرى والشيخ نجيت والسيد رشيد رضا وزكي باشا ، والقمص بولس غبريال . رئيس الكنيسة القبطية بحارة الروم ومندوب البطريركية والاستاذ نسيم صبيغة ، وابراهيم بك نجار صاحب « لسان العرب » .



القمص بولس غبريال

وفي يوم ٢٠ انعقد مجلس إدارة الرابطة الشرقية ودارت المناقشة حول المساعي التي قمت بها لدى الأمير محمد علي ، فتقرر اعتماد هذه المساعي من الجمعية .

وفي يوم ٢٥ قابلت الأمير بناء على طلبه في نادى محمد علي ، فأخبرني أنه حظى بمقابلة جلالة الملك فؤاد ، وعلم منه ما دار بينه وبين مفتى القدس من الحديث حول جمع التبرعات ، فلاحظ جلالته أن الوقت غير مناسب للبدء بهذا العمل نظراً للازمة الاقتصادية ؛ ثم قال للأمير : إنه لم يكن

يعلم أن الوفد الفلسطيني طلب من سموه أن يرأس لجنة الاكتتابات ، بل علم أنه لجأ إلى الشيخ محمد نجيت . فسألت الأمير عما إذا كان الملك يكره الشيخ نجيت ؛ فقال بالفرنسية ما معناه : « نعم له ثأر عنده » .

وبعد أن تركته قابلت الوفد ، وأخبرته بما كان بين الملك والأمير ، فتقرر أن يزور المفقة اللورد اللنبي ، ويخبره بما حصل .

ولما قابله قال له : « الحقيقة أن الملك مشغول الفكر الآن بالحالة السياسية ، والأفضل الانتظار حتى تشكل الوزارة (١) . أما الأزمة المالية فلا عبء بها ؛ ثم أوصى المفتي أنه عندما يعلم بتشكيل الوزارة يكتب إلى اللورد ، وهو يقابل الملك وينهى المسألة .

وفي يوم ٢٧ سافر الوفد الفلسطيني ، فودعه على المحطة كثير من أعضاء مجلس الرابطة الشرقية ، وغيرهم .

وفي يوم ١٠ يونيو عاد مفتي القدس لإعادة الكرة فيما يختص بجمع الاكتتاب فنصحت له بأن يسير حسب رغبات جلالة الملك ؛ فيبدأ بالكلام مع الوزارة ملتمساً أن يكون العمل تحت رعاية جلالته ، على أن يعين هو اللجنة التي تقوم بالعمل في الوقت الذي يختاره . بحيث لا تكون هناك صلة بين المشروع ، وبين البكرى ، أو الشيخ نجيت أو صاحب المذكرات ، وذلك أدعى إلى رضا جلالته . وقد رافقته فقدمته لرئيس الوزراء ، فتكلم معه حسبما اتفقنا ، ووجد منه عطفاً على المشروع ، وقال : « إن اللورد اللنبي حادثه في هذا الصدد ، وأنه سيعرض الأمر على جلالة الملك ويحبذه » .

وفي يوم ١٢ منه اجتمع مجلس إدارة الرابطة الشرقية ، وقرر المساعدة في جمع الاكتتابات ، سواء باشتراك بعض أعضاء الرابطة في اللجنة التي سيأمر الملك بتشكيلها ، أو بتخصيص هيئة من الأعضاء لتعمل على انفراد .

وفي يوم ١٤ منه قابل المفتي سعيد ذوالفقار باشا كبير الأمراء ، فوعد بالمساعدة لدى جلالة الملك ، وقد قبل جلالته رعاية المشروع ، وتقرر ابتداء العمل في الحريف القادم .

وبلغت التبرعات ٣٠٦ جنيهات و ٨٦٠ مليماً . وبعد ذلك تبرع جلالة الملك فؤاد بمبلغ خمسة آلاف جنيهه وتبرعت وزارة الأوقاف بخمسة آلاف أخرى .

(١) بعد سقوط وزارة ثروت باشا

السماح بالعودة الى مصر : في يوم ٩ ابريل حضر إلى منزلنا الأمير محمد علي ، وتكلم مع حرمي في ارسال خطاب من السيدات المصريات إلى اللورد اللبني ، بشأن عودة دولة الوالدة ، يتلخص في أن الأحكام العرفية هي التي تمنع عودتها ؛ ولذلك يطلبن وساطة جنابه لرفع هذا القيد ، وتذليل الصعوبات ، التي ربما تعوق رجوعها

فخررت هذا الخطاب بالفرنسية ، وأطلعت عليه شكور باشا ، وطلبت منه كتابته على الآلة الكتابة . ولكن السيدات عدلن عنه ، وقررن إرسال رسالة باللغة العربية يطلبن فيها تحديد ميعاد لمقابلة اللورد للتكلم معه في الموضوع ، ووقعته السيدة شريفة هانم رياض

وحتى يوم ١٨ منه لم يرد الرد . وقد اتفق أن كان شكور باشا في هذا اليوم عند مستر كار سكرتير اللبني ، فسأله عما إذا كان اطلاق سراح أعضاء الوفد المعتقلين في قصر النيل قد أحدث أثراً طيباً عند المصريين ؟ فأجابه الباشا بالاجاب . ثم أظهر المستر كار امتعاضه من تمسك السراى بمسائل غير هامة .

ففهم شكور أنه يعني بذلك توقفها عن الاذن لوالدة الخديو بالرجوع ، فقال كار : « نعم إنتى أعنى ذلك ، لأن اللورد قابل الملك موفداً من قبل حكومته التي لا ترى مانعا في عودة دولتها ، وطلب منه أن يوضح أسباب عدم السماح لها بالعودة فأجاب الملك ، بأنه يرى الأفضل الانتظار حتى يعلن الدستور وينعقد البرلمان . تحضر في شهر ديسمبر ، وكان الأصوب أن يقابل طلب حكومة انجلترا بالقبول » فقال شكور باشا : إنه على استعداد للكلام مع السراى في هذا الشأن ، فسمح له كار بذلك ، وتوجه في يومه إلى السراى ، فأقنع سعيد ذا الفقار باشا بأن الأصوب السماح لدولتها بالعودة الان ، لأنه حين يعلن الدستور لا يكون هناك مانع من رجوعها ؛ فلا يكون للسراى رأى في ذلك . فوعد بالتكلم مع الملك في هذا الشأن . وقد أعلمنى شكور باشا بمسعاها فشكرت له

وفي يوم ١٩ ابريل تمكن سعيد ذو الفقار من اقناع الملك بهذا الرأى ، فأرسلت السراى برقية للوالدة بذلك . وأرسلت باسمى واسم حرمى برقية لدولتها بالتهنئة ، وأعلمت الأمير بمساعى شكور باشا

الحكم ضرى في قضية الأوقاف : ذكرت في سنة ١٩١٦ ما نرى إلى من الأخبار وأنا في تركيا عن رفع قضية ضدى من الأوقاف السلطانية .

وأذكر هنا تفصيلا لهذه القضية من مبدئها إلى نهايتها . ذلك أنه في أواخر سنة ١٩١٤ عينت الأوقاف اثنين من موظفي المالية ، وهما جورج بك طلاماس والمسترجون هلمبرت لفحص أوراقها ، فأتضح لها أن هناك أموالا سحبت لانفاقها في وجوه خيرية ، ولكنها صرفت في وجوه أخرى . فتولت النيابة التحقيق ، وكان

المحقق هو محمد زكى الابراشى أفندى (باشا)

فأتم تحقيقه ولم يجد شيئا في مكتبي بعبدين ولكنه وجد في منزل أحمد بك صادق وكيل الأوقاف الخديوية سندات بالمقادير التي صرفت باسم الفقراء ، بينما ذهبت في وجوه أخرى . فقدم القضية إلى محكمة مصر

الابتدائية في يوم ١٧ نوفمبر سنة ١٩١٥ . ونظراً لوجود صالح أجنبى في القضية ، وهو الحارس القضائى على أموال الخديو في الخاصة الخديوية معيناً من البنك العقارى الذى يداين دائرة عباس ، فقد حولت القضية إلى محكمة مصر المختلطة ؛ وكان ذلك عقب

صدور أحكام بالبراءة من المحاكم الأهلية

في قضية أقيمت على خيرى باشا بمائلة لقضيتى ؛ وكانت الأوقاف تطالبني بالتضامن مع الخديو بمبلغ ٧٨٠٦ جنيهات و ٩٦١ مليما وقد حجزت على أموال المودعة في بنك دى رومه وقدرها عشرة آلاف جنيه تقريبا دون الحجز على أموال الخاصة الخديوية وكانت وقائع الدعوى كما يأتى : « أنتى كنت أودع باسمى المبالغ الخاصة بالديوان ليتسنى لى صرفها كما أشاء » « وأنتى صرفت المبالغ التى رفعت بها الدعوى دون إذن من الخديو لعدم وجود أوامر كتابية منه بذلك » « وأن تحقيقات النيابة تثبت أن البيانات التى فى أذن الصرف غير حقيقية »

وقد رد وكيل عن النقطة الاولى بأن المبالغ المودعة في المصارف على قسم بن :



زكى الابراشى باشا

الاول . وهو رموس الاموال ، وهذه مودعة باسم الاوقاف ، والثاني وهو فوائد رموس الاموال ؛ وقد اودعت بأسمى كرئيس للاوقاف ؛ وذلك كراهة لان يظهر أن الاوقاف تتعامل بالفوائد المحرمة شرعاً ؛ وقد جرى هذا العرف من قبلى . وعن النقطة الثانية ، بأنه لم يكن يتصور أن أتأخر عن صرف المبالغ حتى يصدر لى أمر كتابى من الخديو ، لأن العادة جرت بأن تكون هذه الاوامر شفوية ، وحسى أنى كنت أنا كد من الخديو نفسه أنه أمر بصرف المبالغ . وعن النقطة الثالثة بأنه لم يكن من المتيسر أن أتجسس وأستقصى عن المبالغ التى تصرف لأعرف مواضع صرفها ، وأنا كد من أنها صرفت فى وجوها ، ووظيفتى لا تسمح لى بذلك ، وما أنا إلا وكيل عن الخديو (الناظر) وله كل الحرية فى صرفها .

وكان هذا الدفاع أمام المحكمة الابتدائية يوم ٨ مارس سنة ١٩٢١ ، ولكنها حكمت ضدى بأن أدفع مبلغ ٤٥٥٦ جنيهاً ، وعلى الخاصة وحدها بدفع مبلغ ١٣٥٠ جنيهاً مع دفع فوائدها باعتبار ٥ فى المائة من وقت رفع الدعوى . وبرفض طلبى الرجوع منى على الخاصة الخديوية ، وبدفع مصاريف الدعوى و ٨٠٠ جنيهه لحامى الاوقاف .

وقد استأنفت هذا الحكم أمام محكمة الاستئناف المختلطة .

وفى يوم ٢٦ ابريل سنة ١٩٢٣ كان موعد المرافعة أمامها ، فترافع أولاً لحامى الاوقاف ، ثم أعقبه مستر بادوا محامى الخديو ، ثم ترافع عنى البستانى بك ، وأخيراً وقفت فقلت : إن محكمة الاستئناف قررت أنه لا يمكننى أن أعصى أوامر الناظر (الخديو) على شرط ألا أقوم شخصياً بعمل لا يجوز القانون ، وهذه النقطة على ماأظن هى أساس القضية ، والأستاذ البستانى فند أقوال الاوقاف فى هذه النقطة ، وقال إن الدليل على أن الاوقاف لم تكن مقتنعة بأننى تداخلت فى أمور لا يجوزها القانون ، أنها طالبتنى مدنياً فقط ، وطالبت خيرى باشا المدير الذى سبقنى فى الاوقاف جنائياً مع أن القضيتين متشابهتان تماماً ؛ ولا شك أن المحكمة تحب أن تعرف ماهو سبب هذا الاعتقاد ، فلو كان عفيفى باشا خلي فى هذا المنصب على قيد الحياة لأعلمكم . ولكن لعدم وجوده اسمحو لى أن أعرفكم به .

فى مايو سنة ١٩١٤ عندما كنت أرافق عائلتى المسافرة من الاسكندرية إلى الاستانة قابلت السلطان حسين كامل فى القطار ، ودار الحديث عن أعمال الاوقاف الخديوية ، فقال لى : « يا شفيق أظن أنه تجرى أعمال تنذك بدون علمك » ، فدهشت

لهذا الكلام ، لأنه حينما كان يصدر لى أمر من عباس وفى الغالب عن طريق أحمد بك صادق بصرف مبلغ لتوزيعه بمعرفته وهو وكيل . كنت أرجع لسموه لأننا كد من صحة الأمر ، وعندها فقط كنت أصرفه بحسن نية . فكلام السلطان حسين لى يثبت أننى كنت بعيداً عن الألاعيب التى لا يجيزها القانون . وهو السلطان حسين ولا شك الذى أمر عفيفى باشا بالألا يطالبنى إلا مديناً

« وإننى ابن موظف شغل مناصب هامة ، فكان فى عهد الخديو اسماعيل باشا رئيساً لقلم العرضحالات فى السراى ، ثم انتقل إلى إدارة المالية المصرية ، ولكن لما عين على رأس هذه النظارة اسماعيل صديق باشا لم يلبث أن استقال ، لأنه لم يشأ أن يوافق على أعمال رئيسه ، فلو أطلع ولده على أى شك فى إدارة المصلحة التى كان يديرها ما تأخر لحظة عن اتباع خطة أبيه

» إن لى فى خدمة الحكومة ما يزيد على الأربعين عاماً ، أدت فيها الديوان الخديوى ثم الأوقاف قبل أن أنتقل إلى الأوقاف الخصوصية ، وإننى مرتاح الضمير من ناحية أعمالى ، لأننى أحس بأننى قمت بواجباتى بكل صدق وأمانة ، ولذا أرفع صوتى قائلاً : إنه فى هذه المدة الطويلة لم يجسر أحد أن يدعى على فى نزاهتى أو إدارتى اللهم إلا الأوقاف الملكية ، والآن وقد اتضح لها كل شىء فأرجو أن تحنى رأسها أمام الحقيقة وتوافقنى على طلباتى .

« وعلى كل حال فأننى أنتظر من محكمة الاستئناف آخر ملجأ للعدالة ، لا رفض دعوى الأوقاف فقط ، بل أيضاً الحكم عليها بتعويض لى نظير الضرر العظيم الذى نالنى من جراء حجزها على مالى بدون حق فوق الثمانية الأعوام » وقد أجلت الجلسة بعد ذلك للنطق بالحكم

وفى يوم ١٢ يونيو أخبرنى البستانى بك تليفونياً أن النائب العام للمحاكم المختلطة تشرف بمقابلة جلالة الملك ، وأنه يظن أن لهذه المقابلة علاقة بموضوع قضيتى وفى يوم ١٦ قابلت شكور باشا ، وأعلمته بهذا الحديث ، فأشار على بالذهاب إلى مقر المندوب السامى ، والتكلم مع أحد السكرتيرين فى الموضوع . وقد حدث فعلاً أننى قابلت السكرتير الشرقى ، وأخبرته بما يجول فى خاطرى ، وبتخوفى من هذه المقابلة ، ورجوته - إن لم يكن هناك مانع - أن يستفهم عن سبب تأخر النطق بالحكم فوعدنى بذلك

وبعد هذا قابلت مرزباخ المحامي، فقال لي: إن هذه القضية من القضايا الهامة ومعلوم أمرها للمستشارين، وإنه ظهر من كلام المستشار فامباس معه، ان تيار الأفكار في صالحى، فاطمأنت قليلا

وفي يوم ٢١ يونيو أصدرت المحكمة حكمها وهو مبنى على الحثيات الآتية :
« حيث ان شفيق باشا كان مديراً للأوقاف الخصوصية الخديوية فكان يلزمه أن يتحقق من أن المبالغ المنصرفة دفعت في أعمال الخير
» وحيث ان مسؤولية الخاصة واقعة عليها بناء على الحكم الصادر في ٨ يناير سنة ١٩٢١

حكمت المحكمة بمسؤولية الخاصة وشفيق باشا بدفع مبلغ ٢٠٢٥ جنياً بالتضامن، مع دفع الفوائد ابتداء من رفع الدعوى أى ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٥ ، وقد كان لهذا الحكم وقع سيء شديد الأثر في نفسى

بين مؤلفائى وعضوية البرلمان : فى يوم ١٣ مايو دعوت للافتار بعض معارفى من أهل منشية الصدر والقبة من العمدة والمدرسين وغيرهم حسب عادتي كل عام .

وبعد تناول الطعام وقف احمد بسيونى عمدة حدائق القبة، وطلب من الحاضرين أن يضمنوا أصواتهم الى صوته فى أن أرشح نفسى للبرلمان ، لأننى لم أقبل الترشيح حتى الآن على الرغم من أن بعض كبراء الحى أمثال شكور باشا دعونى الى ترشيح نفسى . فوافقه جميع الحاضرين وألحوا على فى القبول . فشكرت لهم هذه الثقة وقلت: إننى ازاء هذا الاحاح سأفكر فى الأمر: ثم تكلموا فى تنظيم لجنة للقيام بعمل الدعاية اللازمة، وقرأوا الفاتحة على ذلك ثم انصرفوا .

وفي يوم ١٩ منه زرت الشيخ حسونة النواوى شيخ الأزهر الاسبق مهنئاً بالعيد، وأطلعته على ماقاله بعض أهل الحى فحبذ اقتراحهم ، وألح على بقبوله ، وذكر أنه موافق عليه، وقد فكر فيه من قبل، وأشار على بعض من حضر عليه للمعايدة بذلك . وفى يوم ٢٠ منه عيدت على مصطفى بك الديب فى مصر الجديدة ورويت له ما حصل من أهل الحى ومن الشيخ حسونة، فعرفنى أنه عضو فى لجنة الوفد الانتخابية فى مصر الجديدة، وأنه سيجس نبض من معه فى ترشيحى .

وفي يوم ٢٣ منه حضر إلى وقال : إن اللجنة اجتمعت ودار الكلام فيمن

يرشونه ، فقال : إنه يرى في قسم الوابلي ثلاثة أشخاص جديرين بالانتخاب ، وهم حسن ، حسيب باشا ، ومحمد شفيق باشا ، واحمد شفيق باشا ، فوافقوا بالاجماع ؛ ثم انبرى منهم اثنان فأثنيا على ، وقالوا : إنني مجرب وسوابق حسنة ولي دراية بالتاريخ وأجيد اللغة الفرنسية .

وفي يوم ٣ يونيو زرت الوفد في بيت المصري بك السعدى ، وتكلمت مع على بك الشمسى في موضوع ترشيحي عن قسم الوابلي ، فقال : إنه سيسجل اسمي في سجل المرشحين من قبل الوفد لعضوية مجلس الشيوخ ، لأن الترشيحات لمجلس النواب قد انتهت .

وأخيراً راجعت نفسي ، فوجدت أمامي عملاً تاريخياً أهم بالقيام به ، وهو إصدار حوليات مصر السياسية ، واخراج «مذكراتي في نصف قرن» وأن هذا العمل التاريخي يتطلب مني أن أقف على الحياد بين الأحزاب المختلفة لأنقرغ للحقيقة وحدها ، بينما ترشيح نفسي لعضوية البرلمان ، سيعرضني للانغماس في الحزبية .

فكان أمامي أن أوازن بين مؤلفاتي وعضوية البرلمان ، فاخترت الأولى وعدلت عن الترشيح .

سُوءه مختلفة :

تعرفني بالمستر كراين الأمريكى : في

أواخر سنة ١٩٢٢ دعيت لتناول الشاي عند السيد عبد الحميد البكرى ، وكان من بين المدعوين المستر كرين سفير أمريكا في الصين سابقاً ، وقد تعرفت به في السنة الماضية عند السيد نفسه ، وكنت وعدته بأن أحصل له على توصية للامام الأدريسى ليتمكن من زيارة العسير في طريقه الى زيارة بن السعود والامام يحيى ، ثم دعوت



السيد مصطفى الادريسي

الحاضرين لأخذ الشاي عندي في أول يناير الحالى ، وكان من بين المدعوين السيد

مصطفى الأدريسى، فتعرف بالمستر كرين ووعدته بالتوصية ، كما أنه تعرف بسليمان شفيق باشا ناظر الحرية العثمانية سابقاً والذي هو ضيفي الآن بمصر ، وله معرفة تامة بالبلاد العربية السابق ذكرها ، فضلاً عن البصرة والعراق ودمشق وسوريا ، وقد تم الاتفاق على أن يرافق المستر كرين ، وتقرر أن تكون الرحلة في سبتمبر القادم لأنه وقت ملائم .

وقد دعاني المستر كرين مع سليمان شفيق باشا والبكري والتفتازاني والدكتور رضا توفيق الفيلسوف التركي لتناول الغداء في فندق مينا هاوس ، وقد أهديت له مجموعة مقالاتي في جريدة الليبرتيه .



الدكتور رضا توفيق الفيلسوف التركي

وفي يوم ١٠ يناير سافر لزيارة الحجاز وفي يوم ٢٤ رجع من رحلته بعد أن قابل ملك الحجاز ، فحضر لزيارتي مودعاً قبل سفره الى الأستانة :

مشروع اقتصادي : عرفت من السيد مصطفى عبد العال الأدريسى وهو ممثل صاحب العسير في مصر أنه يهتم منذ السنة الماضية بمسألة معدن البترول في جزيرة

فرسان أمام الحديدة التابعة لعسير ، وقد تقدمت له جملة عطاءات من ثلاث شركات انجليزية ، فاختار أحسنها ، وهو مقدم من أحد الإنجليز بمصر وآخر بانجلترا ، وقد قرأنا شروط العطاء معاً ؛ ولاحظت على بعض المواد ، وهي تتلخص في أن المستر باركر الإنجليزي بالأصالة عنه وبالنيابة عن آخر في لندن طرف أول ، والسيد مصطفى والسيد الامام الأدريسى طرفاً آخر ، يطلبون أخذ امتياز معدن البترول وما يوجد من المعادن الأخرى في جزيرة فرسان لمدة خمسين سنة ، ولهم الحق في مد هذه المدة خمسين سنة أخرى عند اتفاق الطرفين ، وقبل مضي المدة الأولى بسنة واحدة . وأن كل الأدوات اللازمة للعمل لا يؤخذ عنها جمر ك ، وأن الأرض تبقى في ملكية الامام ، وعليه أن يحمي العمال بحراس في نظير ثلاثة آلاف جنيه سنوياً

تدفع مقدماً ، وله أن يعين مأموراً ليقيد في دفتر خاص الصادر من المعادن ، وأن يخصص مندوباً لحضور الجمعية العمومية ، وبحث ميزانية الشركة أو الشركات التي يؤسسها طالبا الامتياز ، وذلك على مصاريف الشركة ، وللإمام الحق في ربع الأسهم مجاناً ، وللالهالي أن يكتبوا بعشرة في المائة توضع تحت تصرف السيد مصطفى .

وكانت ملاحظاتي ، خاصة بأن الشروط لاتبين الجهة التي تحسم الخلاف إذا وقع بين المتعاقدين ، ولم تجدد المدة التي في خلالها يبتدىء العمل ، ووعده أن أتكلم مع بعض المالمين الأمريكيين الذين سيفقدون إلى مصر قريباً ، بواسطة سفير أمريكا وكان الأمير محمد علي قد وعدني أن يقدمني له مع توصية منه . ولما قابلته وحادثته في الموضوع قال لي : إن مدير شركة البترول الأمريكية قدم إلى مصر ثم سافر إلى فلسطين وسيعود لمصر في ١٤ مارس فأقابلك معه .

ولكن هذه المقابلة لم تتم ، وأهمل المشروع كله بعد ذلك بسبب بسط نفوذ ابن السعود على بلاد الإدارة .

أسرار عن مسألة طابه : ورد ذكر هذه المسألة في القسم الأول من حكم عباس وفي يوم ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٣ أخبرني عزت باشا العابد أنه كان قد بلغ الانجليز أن الدولة ستحدث تعديلاً في الحدود بين مصر وفلسطين نظراً لما كانت تنويه من إعطاء امتياز للألمان بأنشاء سكة حديدية في فلسطين ، فأوعزت لندن إلى كرومر أن يستعلم من الغازي مختار باشا عن ذلك فأجابه بخشونة قائلاً : « وهل الدولة العلية غير مستقلة ؟ - أو ليس لها الحق في عمل ماتريد »

وعندئذ انتقلت الخابرات إلى الآستانة . وقد وافق عزت باشا العابد ، وزكي باشا مشير الطوبخانة ورضا باشا السر عسكر على جعل رأس محمد الحد الفاصل بين البلدين .

ولكن أبا الهدى الصيادى ويوسف رضا باشا رئيس قومسيون أسكان المهاجرين وكان ميالا للروسيا ، أرسل تقارير سرية للسلطان عبد الحميد ، بأن رأس « محمد » رمز معناه أن محمد رشاد الخامس سيقسم الحكم مناصفة مع جلالته ! فدعر عبد الحميد لهذا ! وحنق على عزت باشا ومن معه ،

الملك فؤاد لا يأذن لي بالمقابلة : في يوم ٢٩ سبتمبر عدت من الآستانة إلى

الأسكندرية فذهبت إلى سراى رأس التين ، وطلبت من التشرىفاتى النوباتجى أن يحدد لى ميعاداً لمقابلة جلالة الملك

وفى يوم ٣ اكتوبر تكلمت تليفونياً مع سعيد ذى الفقار باشا فى هذا الموضوع ، فقال: إن جلالة الملك مشغول كثيراً ، وسألنى عما اذا كنت قد سافرت الى القاهرة بعد عودتى من الأستانة، فقلت لا . فأجاب : حينئذ يمكنك السفر وعند رجوع جلالته لمصر سينظر فى طلب المقابلة وبعد ذلك لم يأتنى خبر !

وقد علمت من مصدر أثق به نقلاً عن الملك انه قد وصل الى علمه اننى أقوم بدعاية لعباس فى جمعية الرابطة الشرقية (سياأتى فصل خاص بها فى ملحق)

ملحقَات

جمعية الرابطة الشرقية — مطاويحي من عباس
صداقات عباس الشخصية — تحليل شخصية عباس

جمعية الرابطة الشرقية: تأسست هذه الجمعية سنة ١٩٢٢ وبقيت حتى سنة ١٩٣١ وقد أثرت جمع أخبارها في فصل واحد حتى أعطى القارئ صورة كاملة عن أعمالها

مهد الجمعية: دعا ميرزا مهدي رفيع مشكي بك سرتجار إيران جماعة من أصدقائه الأفاضل بمنزله، وكان منهم المصري والسوري والعجمي والتركي. وبعد العشاء أخذوا بأطراف الحديث، فقال أحمد زكي باشا أحد المدعويين: ها نحن أولاء اجتمعنا ونحن من أمم شرقية مختلفة، فهلا استطاع القيام بعمل نافع من هذا الاجتماع؟

ثم هداهم التفكير الى انشاء جمعية تربط أفراد الشرقيين وتقوى ما بينهم من العلاقات أسموها « جمعية الرابطة الشرقية » واختاروا للرئاسة السيد عبد الحميد البكري أحد الحاضرين وللسكرتيرية أحمد زكي باشا

انضمامي لها : ولما سمعت بهذه الفكرة
، ما نشر عنها الصحف كتبت لسكاتم السر
أحبذا ، وأعلن رغبتى فى الانضمام
فجاءنى الرد باعتبارى عضواً بها مع
الترحيب والسرور

الاجتماع الأول : وفي يوم ١٩ فبراير
اجتمع الأعضاء في دار الرئيس بسراة
الخرنفش ، وحضر الاجتماع أكثر من
خمسين بينهم الأمير يوسف كمال ، والنبييل
اسماعيل داود ؛ وألقي السيد البكري
خطبة قيمة . وقد اقترحت اسناد رياسة
الشرف الى الأمير يوسف كمال ، ولكن



النَّبِيلُ إِسْمَاعِيلُ دَاوُدُ



أعضاء جمعية الرابطة الشرعية

سره اعتذر ، وطلب أن تظل الرئاسة للسيد البكرى ، ثم جرى الانتخاب لمجلس الإدارة ، فانتخب السيد عبد الحميد البكرى رئيساً ، والشيخ محمد بنحيت والسيد رشيد رضا نائبين ، واحمد زكى باشا كاتم سر ، ومعه ثلاثة مساعدين أحدهم عربى ، والثانى تركى ، والثالث فارس ، وميرزا مهدى رفيع مشكى بك أميناً للصندوق والسيد محمد الغنيمى التفتازانى . وصالح جودت بك القاضى ، وحبيب لطف الله بك والأستاذ أميل زيدان ، والشيخ عبد المحسن الكاظمى ، والدكتور محجوب ثابت والشيخ مصطفى عبد الرزاق ، وصاحب المذكرات أعضاء

أغراضها : أما أغراض الجمعية ، فقد حددها قانونها بأنها توثيق الروابط بين الأمم الشرقية بالتعاون الفكرى بينها ، ودرس حضارة الشرق ، وما يناسب اقتباسه لنهضته من الحضارة الغربية ؛ وأن تتوسل الى ذلك بالوسائل العلمية والاقتصادية وبث دعوتها بالقلم واللسان ، وايفاد بعض رجالها الى البلاد الشرقية للتعارف والتآلف وانشاء شعب فيها ، وعقد مؤتمرات دورية فى جهات متعددة لتبادل الأفكار وللبحث فى شؤون الجمعية ومراحلها العملية وتكوين نادى لاجتماعات والقاء الخطب والمحاضرات واستقبال الوافدين على مصر من كبراء الشرقيين وفصلاتهم ، واصدار مجلة تنشر المباحث العلمية والاقتصادية والأدبية ، وتحجى بواسطتها آثار السلف ولتقوم مقام السفير بين أمم الشرق

اعتقال عضو فى الجمعية والأفراج عنه : وفى يوم ٢٣ ابريل قرر مجلس الإدارة السعى للأفراج عن الدكتور محجوب ثابت (١) الذى اعتقل بالوحدات الداخلة . وقد أنتج هذا السعى وأفرج عنه

مهمتى لدى عطاء الأستاذة : وفى يوم ٢٢ مايو سنة ١٩٢٣ قرر المجلس انتدائى من الجمعية لدى عطاء الأستاذة بمناسبة سفرى إليها للسعى فى سبيل نشر اسم الجمعية لخدمة الشرق والشرقيين مع تفويضى فى التصرف بما يناسب أغراض الجمعية وبعد عودتى عرضت على المجلس فى جلسة ٦ نوفمبر نتيجة مهمتى وهى :

مقابلتى للخليفة وحديثى معه عن الرابطة : قابلت جلالة الخليفة فعرضت عليه قانون الرابطة ولائحتها الداخلية ، فقابلنى ببشاشة وقال : إنه يتذكرنى من أيام وجودى بالأستانة عند ما كنت أقابله مندوباً من الحديو لأبلاغه تحياته ، وإنه

(١) صورته مع أعضاء مجلس الإدارة وستأتى

مسرور برؤيتي . واستعلم مني عن الرابطة فقدمت له قانونها مجلداً تجليداً فاخراً فاطلع عليه جلالتة ، وقرأ مقدمة قانونها وشكرني على تعريفه بها ، وكان يحفلها ، وتمنى نجاحها ، وكلفني تبليغ أعضاء مجلس إدارتها شكر جلالتة على تقديم القانون . ثم قلت لجلالتة : « إن غرض الجمعية غير سياسي ولا ديني ، فهي جامعة لعموم الشرقيين من جميع الأديان ، وبقانونها مادة تحرم الاشتغال بالسياسة وإنما غرضها التعارف والتآلف بين أمم الشرق بتقوية الصلات الودية والاقتصادية » : فسر جلالتة بذلك .

ثم قلت : « إن مما يحقق هذا الغرض إنشاء فرع لبنك مصر بالاستانة » فقال : « إنني أفكر في دعوة أمم الشرق التي لها مصارف إلى إنشاء فروع لها بالاستانة ، وفي اقتراحك بتقوية العلاقات الاقتصادية بين تركيا ومصر » . قلت : « إن الصلات الاجتماعية قديمة وباقية وأن التجارة يحسن تقوية روابطها بين مصر وتركيا فان بعض البلاد التركية كأزمير المشهورة بمتاجرها تأتي منها المتاجر على مراكب غير تركية ، وبعضها قد لا يمر بأزمير ، ولهذا يفكر المصريون في إنشاء وابورات بحرية لسفر الركاب والمتاجرة ببحار الشرق ، وكل يكون من المستحسن إيجاد روابط بين مصلحة السفائن التركية والشركة المزمع إنشاؤها » فتمنى جلالتة أن يتم ذلك .

مقابلة مثل أنقرة : وبعد هذا قابلت عدنان بك ممثل أنقرة الرسمي بالاستانة وحادثته بخصوص الرابطة ، وقدمت له قانونها ونسخة أخرى لرفعها إلى الغازي مصطفى كال فوعد بتقديمها إليه . وقد كنت عازماً على السفر لأنقره لولا ماعلته من أن الغازي مشغول ، فاكثفت بأن أترك له مع عدنان بك رسالة لفخامته كانت معي من الأمير عمر طوسن يعرفه في فيها .

وعند خروجي من الباب العالي قابلت أحمد جودت بك الصحفي التركي المشهور فدعاني إلى إدارة جريدته إقدام . وقد عرضت عليه فكرة الرابطة فاستحسنها .

مقابلة الحاكم العسكري للاستانة : ثم زرت رأفت باشا الحاكم العسكري

وتحدثنا في شأن الرابطة فقال : « إن تركيا مشغولة الآن بشؤونها الداخلية » وقد استحسن فكرة إنشاء فرع لبنك مصر بالاستانة .

دعائتي لها في الاستانة : ثم حضر عندي عمر رضا بك مراسل الاخبار ، وهو

معلم اللغة الانجليزية للخليفة ، وحادثى فى جملة موضوعات تتعلق بمصر والدولة وسألنى عن الرابطة الشرقية ، وعما فعلته للان ، فأجبتة بأن أغراض الجمعية عظيمة أما ماصنعتة فشىء قليل نظراً لحداثتها ، فهى تستقبل عطاء الرجال الشرقيين عند مرورهم بمصر ، وتؤلف بينهم وبين المصريين ، والمخابرات متبادلة بينها وبين عطاء الشرق ؛ ويهم الرابطة أن تنشئ لها شعباً بالدول الشرقية لتقوية الصلات بينهما . وأن الرابطة ستقوم قريباً بعمل تظهر به وهو السعى فى جمع الاعانات للمسجد الأقصى . ووزعت عدة نسخ من قانون الرابطة على الصحف المهمة وكبار رجال الدولة . وقد استنتجت أن مسألة إيجاد شعبة للرابطة متعذرة بسبب اضطرابات الأحوال ، وكان سليمان البستاني الوزير السابق وعد بالمساعدة فى إنشائها . ولكنه أشار بتأجيلها .

رسالة شكر إلى الخليفة : وبعد أن عرضت هذه التفصيلات على مجلس الإدارة قرر إرسال الخطاب الآتى للخليفة :

« حضرة صاحب العظوفة كبير أمناء جلالة الخليفة الأعظم . »

« السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فقد عاد إلى مصر حضرة صاحب السعادة احمد شفيق باشا أحد أعضاء مجلس إدارة جمعية الرابطة الشرقية ، فأبلغ ذلك المجلس أنه طبقاً لما عهد إليه قد تشرف بأن رفع إلى سدة مولانا الخليفة - أيده الله - خبر إنشاء جمعية الرابطة الشرقية بمصر ، وأبان لجلالته أغراضها السلبية العمرانية ، التى ترمى إلى تأييد روابط التعارف والتآلف بين أمم الشرق وشعبه بلاميز بين الأجناس والأديان ، وأن جلالته تفضل بأظهار عطفه العالى على تلك المقاصد ، وتسكرم حفظه الله فكلف سعادته تبليغ ارتياحه مع سلامه السامى إلى أعضاء مجلس الإدارة ، فتقبل أعضاء المجلس المجتمعون اليوم لذلك تحيات جلالته وعطفه الكريم برفع أكف الدعاء بطول حياة جلالته مؤيداً للبادئ الكريمة معضداً للجهودات القوية ؛ وقرر بالأجماع تحرير هذا الخطاب . راجين من عطفونكم رفع فروض شكرهم بالنيابة عن جميع أعضاء الرابطة الشرقية مختلفى الأجناس والمذاهب إلى سدة العلىا .

« أدامه الله مظهرآ للعناية الربانية ، مؤيدآ بالرعاية الصمدانية »

إحياء ذكرى جمال الدين بالرابطة : وفى يوم ٩ مارس سنة ١٩٣٤ أحييت الرابطة بسرأى البكرى ذكرى وفاة المرحوم السيد جمال الدين الأفغانى ، فنسكلم

ميرزا مهدي بك عن تاريخه والأستاذ مصطفى عبد الرزاق عن نظريته في ربط الشعوب الشرقية .

تدخل الجمعية في الحرب الحجازية العمومية : وفي يوم ٥ أكتوبر وردت للرابطة

برقية من السيد أمين الحسيني جاء فيها :

« أبرقنا لنجد لحقن الدماء ، وصون الأماكن المقدسة فنرجو ابراقكم بمثل ذلك ، ونقترح إرسال وفد منكم لجدة ليشارك مع سائر الوفود الإسلامية بالسعي لحقن الدماء ، وصون حرية البلاد المقدسة ، وللتوسط في حل المشكل بما يضمن المصالح الإسلامية والعربية »

فعمدت جلسة مجلس الإدارة فوق العادة وتقرر إرسال برقية لجلالة ملك الحجاز ، وعظمة سلطان نجد على يد جناب الحاج ميرزا محمد علي قنصل إيران بجدة ، وعضو الرابطة الشرقية هذا نصها :

« قنصل إيران بجدة . أبلغوا باسم الرابطة الشرقية النص الآتي للجلالة الهاشمية والعظمة السعودية : إن الخلاف القائم بينكما يسوء الرابطة الشرقية التي لها شرف العمل على توثيق الروابط السلمية بين أمم الشرق جميعاً ، فنناشدكم باسم الإنسانية ، العمل بروح الوئام لفض الخلاف ، وتقرير السلم حقاً للدماء الزكية ، وصوناً للبقاء المقدسة ، كما هي أمنية الشرق والشرقيين »

فرد جلالة ملك الحجاز بأنه يشايح الرابطة الرأي في العمل على حقن الدماء والوصول إلى السلم

ولم يرد عظمة السلطان ابن السعود .

افتتاح نادي الرابطة : وفي يوم ٩ يناير افتتحت دار الرابطة بشارع سامي بالقرب من المالية ، فدعا مجلس الإدارة عدداً من العضاء والعلماء ومحري الصحف وبعد ما أديرث أقداح الشاي وأطباق الحلوى أخذت صورة للدعويين مع أعضاء الرابطة ، ثم ألقى السيد عبد الحميد البكري كلمة الافتتاح فبين فيها ضرورة اتصال البلاد الشرقية وترباطها ، وأعلن افتتاح دار الرابطة .

ثم تكلم السيد الغنيمي التفتازاني عن جهود الجمعية الثقافية والعلمية وقرأ نص برقية أرسلتها الجمعية إلى سراي عابدين بمناسبة افتتاح دارها

وتحدث ميرزا مهدي بك عما رآه في الجمعية من غيرة على الشرق والشرقيين
وتمنى لها مستقبلا سعيدا في جمع شمل الشرق

وأخيرا القيت كلمتي ، وفيها شبهت مصر بقلب الشرق النابض ، وأنه ليس عجيب
أن تتألف الرابطة الشرقية فيها ، فتربط جميع الاطراف وتجمعها
عطف الرئيس ولسن : وفي أول ابريل أصدرت الرابطة مجموعة من خطب

الرئيس ولسون ورسائله في السنوات من ١٩١٣ إلى ١٩١٩
وهذه المجموعة أرسلها الدكتور ولسن للرابطة بواسطة صديقه الحميم مستر
تشارلس كراين سفير الولايات المتحدة في الصين سابقاً ، ورئيس اللجنة الأمريكية
التي طافت الشرق الأدنى لسؤال أهله عن رغائبهم قبل أن يبت مؤتمر الصلح في
تقرير مصيرهم .

وكان قد مر بمصر سنة ١٩٢٢ كما ذكرت ، فسمع بالرابطة الشرقية فزارها في
سراى الخرنفش ، ثم سافر إلى الولايات المتحدة ، وكان مما حدث به صديقه الحميم
الدكتور ولسون خبر الرابطة ، فأعجب بها وأحب أن يشجعها في أعمالها ، فانتخب
هذه المجموعة وكلف مستر كراين أن يوصلها للجمعية لترجمتها إلى بعض اللغات
الشرقية ونشرها في الشرق ، ووعد بأن يكتب لها مقدمة بقلبه .
وقد عاد مستر كراين سنة ١٩٢٣ وسلم هذه المختارات للرابطة ، وبلغها عطف
الرئيس ولسن وإعجابه .

ولكن الموت حال دون كتابة المقدمة التي وعد بها إذ توفي قبل طبعها .
مساعدة الجمعية لجرحى الريف بمراكش : في يوم ٩ يونيو عرضت على مجلس
إدارة الرابطة رسالة وردت إلى من الأمير عمر طوسون ، بخصوص مساعدة جرحى
الريفيين بمراكش ، فتقرر أن تقوم الجمعية بعمل نداء لاستئداء الأكف لمساعدة
هذا المشروع ، وتبرع الأعضاء الحاضرون بمبلغ ١٣٨ جنيهاً وقد كتب الأمير
شاكراً للجمعية عملها .

تدخلها في حوادث دمشق : وفي جلسة ٢٧ أكتوبر عرضت برقية من موسى
كاظم باشا رئيس اللجنة التنفيذية بفلسطين ، تصف الفظائع التي ارتكبت في دمشق
وغيرها من مدن سوريا ؛ فقرر المجلس الاحتجاج لدى عصبة الأمم ورئيس وزراء
فرنسا ورئيسي مجلس الشيوخ ومجلس النواب بها وبعض صحفها .
وهذا هو نص الاحتجاج :

« إن جمعية الرابطة الشرقية تحتج بكل قواها باسم الإنسانية لدى عصبة الأمم على الفظائع الواقعة في سورية وهي فظائع تستوجب أشد الاستنكار من الشعب الفرنسى نفسه .

« إن أكثر المدن عمرانا من مدن سورية قد أصلح معظمها في هذا اليوم ركاما من الخرائب والاطلال ؛ أما مدينة دمشق المقدسة فقد كان نصيبها أكثر هولاء وأشد مصاباً ولا سيما في أحيائها التاريخية والآهلة بالسكان والتجارات ، فقد أصبح الألوف من النساء والشيوخ والأطفال - عدا القتلى - بلا مأوى يعانون نهاية الآلام من الفاقة البالغة ؛ وفوق هذه النكبة فغير مسموح للنساء بأن يخلصن بأنفسهن من هذا الجحيم » إن العالم المتمدن لا يمكنه أن يبقى ساكناً ، أو أن يغمض الطرف بأزاء هذه الفظائع التي يعجز عنها الوصف ، وأن جمعية الرابطة الشرقية أمام هذه الأحوال تتأشد العصبة عواطفها الخيرية ، وتضامنها الإنسانية ، لتضع نهاية سريعة لهذه الاعمال التي تثير الغضب في سريرة كل انسان »

مساعدتها للمنكوبين في سوريا : وكذلك وجهت الرابطة نداء لجمع التبرعات للمنكوبين في سوريا وتبرع المجلس بمبلغ ٨٢ جنيها ، وبلغ مجموع التبرعات التي جمعتها الرابطة ١٢٠٠ جنيه تقريباً وأرسلت الجمعية برقية لحكيم أجمل خان الزعيم الهندي الكبير في دلهي وهذه هي صورتها :

« ضرب مدينة دمشق آثار عطف العالم الشرقي والآثار الاسلامية التاريخية تهدمت . كذلك كان حظ حماه . تدمر المدن والقرى . وتفرض الغرامات الباهظة . والأهالي غير قادرين على الدفع ، الشتاء يقترب بقره مهدداً بالجوع عشرات الألوف من النساء والأولاد والشيوخ .. والأرض لم تزرع . الرابطة الشرقية ترجو مساعدتكم لدى الشعب الهندي الكريم ، وصحافته الشريفة ، لاعانة السوريين وللاحتجاج على المظالم . قدافتحننا الا كتاب هنا »

وقد جاء الرد بالبرق بالصورة الآتية :

« نشكركم على برقيتكم . كل الجهود مبذولة في الهند وفي الخارج . لنا الثقة أن كل الأحزاب المصرية تتعاون لتخفيف مصاب إخواننا المنكوبين . نرجو اهداء تحياتنا إلى أحمد شفيق باشا »

بحث في الأزياء والتقاليد الشرقية : في يوم ١٢ ابريل سنة ١٩٣٦ دعوت أعضاء الرابطة لتناول الشاي بدارها ، وبعد ذلك عرضت أن يكون موضع سمر الليلة « مناقشة الأزياء والتقاليد الشرقية » وطرح عليهم الأسئلة الآتية :

١ — هل يجب أن نستمر نحن الشرقيين على تقاليدنا ومظاهرنا كما هي . أو أننا نندمج في العوائد والأخلاق الغربية . أو أننا نحفظ بتقاليدنا وعوائدنا الحسنة ونستبدل بعض الظواهر والتقاليد القديمة بأخرى غربية مما يفيدنا ولا يتنافى مع العادات القومية الصحيحة ؟

٢ — وإذا قررنا التجديد فما هي المظاهر القديمة التي يلزم تغييرها بمظاهر جديدة تنطبق على قواعد الصحة والاقتصاد ؟

٣ — وهل ينبغي إذا تقرر تجديد الزي أن تتميز كل فئة في الشعب بنى مخصوص يناسب حالتها وطقوسها الذاتية ؟ .

دارت المناقشة في هذه الأسئلة وتناولها سماحة الرئيس وسعادة الوكيل وعبد الرؤوف بك زكي والشيخ محمود أبو العيون وصالح بك جودت والدكتور منصور فهمي والأستاذ نسيم صبيعه، وظلت المناقشات إلى ما يقرب من منتصف الليل . وقد ألفت بعد ذلك جمعية للنظر في الموضوع من جميع جهاته الاجتماعية والاقتصادية والصحية ، وعقدت عدة جلسات لهذا الغرض ، وعرضت عليها زياً مبتكراً قليل النفقات ومناسباً للطقس في مصر ، نال استحسان الكثيرين ، ولكن لم تنته المسألة إلى شيء عملي

صلة الرابطة بالجمعيات في الشرق : وفي ١٧ نوفمبر اقترحت إيجاد صلات بين الرابطة والجمعيات بالشرق ، فتقرر بعد تلاوة المذكرة المقدمة منى للمجلس في هذا الشأن ، أن ترسل جمعيتنا للجمعيات العلمية والأدبية في الشرق بطلب قانونها ومطبوعاتها تمهيداً لعقد الصلات معها

وفي ١٠ ابريل سنة ١٩٣٧ اقترحت تأليف لجان داخلية للرابطة لدرس شؤونها ولجان لمعرفة أحوال البلاد الشرقية .

وقد تقرر تأليف لجنة تنفيذية ولجنة مالية . ثم لجنة عربية للبحث في شؤون بلاد العرب والعراق وسوريا ، ولجنة تركية للبحث في شؤون تركيا ، ولجنة فارسية للبحث في شؤون فارس وأفغانستان وبلوخستان وشمال الهند ، ولجنة هندية لدراسة

شئون الهند ، ولجنة الشرق الأقصى لدراسة حال الهند الصينية وبلاد الملايو والصين واليابان ، ولجنة المغرب لدراسة شمال افريقية واللجنة الافريقية لدراسة الحبشة والسودان ، على أن يعجل بتأليف اللجان الثلاث الأول ، ويترك الباقي للظروف .

وفي ١٥ ديسمبر قدمت اقتراحا بطريقة استقبال الرابطة لجلالة ملك الأفغان وتقرر نشر تحية من الرابطة لجلالته يوم قدومه بالصحف ، وارسال تلغراف تهنئة له مع الجنرال غلام جيلاني خان سفير جلالة الملك بأنقرة .

اصدار مجلة الرابطة ومقالاتيها : وفي جلسة ٥ ابريل سنة ١٩٢٨ تقرر فتح ا كتياب لاصدار مجلة تعبر عن أغراض الرابطة ، وتنشر مبادئها ، فتبرع سمو الأمير يوسف كمال بمبلغ خمسين جنيها ، وسمو الأمير عمر طوسن بمبلغ عشرين جنيها ، والسيد علي بك الرفاعي بعشرين جنيها ، والسيد السكري بعشرة جنيها ؛ وتبرعت بمبلغ ستة جنيهات وربيع الجنيه شهريا . وقد أسندت إلى ادارة المجلة .

وقد صدر العدد الأول منها يوم ١٥ اكتوبر ، وكتبت به مقالة بعنوان : « جمعية الرابطة الشرقية . ماضيها . حاضرها . مستقبلها » ومما جاء فيها :

« منذأكثر من جيل استيقظ الأمل في قلوب الشرقيين ، ودب النشاط في نفوسهم ، فظهرت في الشرق نهضات مثورة ، لم تزل تعالج العوائق المحلية ، وتكافح المناهضات الخارجية ، وأخذت تبدو لها آثار تقوى الأمل .

« لفت ذلك أنظار بعض المفكرين من أفذاذ الشرقيين الى تنظيم هذه الجهود ، وتوجيهها وجهة صالحة متكافئة متضامنة .

« ترددت هذه الفكرة في الأذهان ، وألحت على الرؤوس ، حتى اختمرت في مصر قبل باقي الأقطار الشرقية . ولاغرو ففصر بالنسبة للشرق منارة ، ولأهله قبله ، إذ ليس بين بلدان الشرق اليوم من لها مميزات مصر ، وذلك لتوسطها بين القارات ، ولما لأهلها من دماثة تجعلهم يعتبرون كل شرقي بالنسبة لوادى النيل وطنياً . ومعاهدها العلمية — الأزهر والجامعة ومختلف المدارس — مازالت ترحب أكرم الترحيب بجميع رواد العرفان من شباب الشرقيين . حتى نبغ منهم عدد ليس بالقليل ، ومنهم من انتظم في سلك خدمتها الحكومية ، فأدى لها خدمات عظيمة .

« ومصر ، فوق ذلك ، قنطرة الشرق الى الغرب ، وواسطة عقد الثقافتين ، ونقطة اتصال الحضارتين .

» ثم عرضت برنامج الجمعية وما قامت به من الأعمال الهامة منذ نشأتها، وختمت الكلمة بما يأتي :

« الى هذه الوسائل الأدبية ينبغي أن تشجع الجمعية المشروعات الاقتصادية التي يقوم بها أبناء الشرق مجتمعين ، كتأسيس شركات برأسمال شرقي ، لاستثمار الأراضي بريها ، واستخراج ماتحتوى من كنوز ثمينة ، ومعادن نفيسة ، وإنشاء الطرق ، وتحسين المواصلات ، لاستخدامها في نشر التجارة وتعميمها ، متبعة في ذلك الأساليب الفنية الحديثة . وليس لدينا شك في أن « بنك مضر » لا يتباطأ في تقديم العون الممكن لجميع الشرقيين في هذا السبيل .

« اذا حققنا ذلك البرنامج ، ووصلنا الى هذه الغايات المحددة ، انتظم حالنا ، واستطعنا أن نرفع رءوسنا ، شاعرين بمجدنا الشرقي ، وكبريائنا القومي ، وسائرنا الغرب في مدنية تضارع مدينته ، وحضارة تناسب حضارته .

« عندئذ يكون الشرق حقاً للشرقيين . والله ولى التوفيق »
وفي العدد الثانى كتبت مقالة بعنوان : « الشرق غنى في أرضه . فقير في أهله ، وما جاء بها :

« تكاففت دول الغرب على أمم الشرق فوضعت فيما بينها نظاماً حددت فيه مناطق النفوذ لكل واحدة منها حتى لا يطغى بعضها على بعض .

أحست الأمم الشرقية بالضغط والارهاق المادى الذى كاد يذهب بثروتها ، فأخذت في الذود عما بق بيدها ، واسترداد مآذبه منها .

« وهى في نهوضها هذا فقيرة في بعض نواحيها يعوزها المال مقفرة في النواحي الأخرى ينقصها العلم والتبوغ . لهذا فواحدة منها لا تستطيع النهوض وحدها بكل ما يوصل الى تحقيق الأغراض المرجوة ، والآمال المرموقة .

« من أجل ذلك نرى التضامن بين هذه الأمم الشرقية ، وعقد حلف معنوى اقتصادى مقرباً لهذه الغايات البعيدة

« قد لا يكون يسيراً عقد حلف رسمى بين أمة وأمة ، والحال كماهى الآن في الشرق فلا دخال المسألة في حيز الامكان والعمل ، نقترح بادى الرأى إنشاء شركة مساهمة ذات رأس مال لا تشترط ضخامته أولاً ، بل يزداد عند الاقتضاء ، توزع أسهمها بين الشرقيين في مختلف البلدان . وتكون أسمية ، كي لا تتسرب الى الأيذى الأجنبية ويكون مركزها في مصر — لتوسطها بين القارات الثلاث ولأنها البلد الذى يعيش

فيه أكثر عدد من مختلف الاخوان الشرقيين — ويكون من أغراض هذه الشركة (أولاً) درس وتحضير البحوث الوافية في المشروعات المالية والاقتصادية في كل قطر من أقطار الشرق، سواء أكان لحسابها الخاص أم لحساب غيرها من أبناء الشرق أم بالاشتراك معه؛ ويحسن أن تقوم بهذا العمل هيئة مصرية فنية تجوب الأقطار الشرقية تدريجياً وتتفق مع حكوماتها وأهلها على الأعمال الضرورية لها. (ثانياً) السعى في إيجاد رؤوس الأموال لتنفيذ ما يتقرر من هذه المشروعات. والابحاث المشار إليها هي التي يقضد بها إلى احياء موات أرض البلاد وتنمية ما فيها من بركة من نواحي الزراعة والصناعة مثل مشروعات الري لشق الترع وإيجاد الأحواض والسدود والخزانات والآبار الارتوازية وتوليد الكهرباء؛ ثم مشروعات استقلال الصناعات بتأسيس المصانع واستثمار المناجم والمعادن من فحم حجرى ومنابع زيت البترول واستخراج الزمرد والياقوت والفيروز والمرجان واللؤلؤ والزبرجد الثمين القيمة. وكل ذلك موجود في جزيرة العرب. نضيف إلى ذلك وإنشاء السكك الحديدية، وتسيير الترام والبواخر وغيرها من وسائل النقل.

«وأشد البلاد حاجة لهذه الشركات هي الواقعة على شواطئ البحر الأحمر، وأهم المشروعات في الوقت الحاضر التي تفتقر إليها هذه البلاد هو إنشاء شركة بواخر مشتركة بينها وبين مصر تديرها أيد شرقية، يعلم أصحابها حاجات المسافرين من اخوانهم حجاجاً وتجاراً، فيجده هؤلاء الراحة متوفرة على الصورة التي ألفوها وتجارهم مصنونة من كل عبث.

«ولعلنا نجد قريباً (لشركة مصر للنقل والملاحة) أسطولا تجاريا يقوم بهذا الغرض الضروري العظيم بزيادة رأس مالها تحفظ للبلاد الواقعة على شواطئ البحر الأحمر حصصاً في أسبهمها؛ وبذلك يتحقق التضامن، وتتقوى ناحية من نواحي الرابطة الشرقية.

«تلك فكرة عرضت اطرحها على القراء الكرام رجاء بحثها وتمحيصها ونقدها بكل صراحة واخلاص حتى إذا ما وضع الرأي وجدنا الآخذين به من الدائبين على خدمة الشرق والشرقيين، ويد الله مع الجماعة»

تمثيلي للرابطة في افتتاح المسجد الاقصى: انتدبتى الجمعية لتمثيلها في حفلة افتتاح المسجد الاقصى. وقد أقيمت كلمة شكرت فيها اللجنة التي قامت بتعمير هذه المقدسات حفظتها من التداعي والزوال.

ثم شرحت للحاضرين أغراض الرابطة التي انتدبتني عنها ، وما قامت به من جلائل الأعمال . ودعوت الى عقد مؤتمرات دورية في بلاد الشرق تضم مندوبين عنها للتعارف والدراسة والتقريب بين الجميع
وفي ١٤ أكتوبر تقرر أن تصدر الرابطة بياناً للحكومات والشعوب بمناسبة اعتداء اليهود على البراق تبين فيه حق المسلمين التقليدي في هذا المكان ، وأن اعتداء اليهود عليه يسبب كثيراً من المشاكل وسفك الدماء ، وتدعو هذه الحكومات لمنع حدوث هذه المشاكل .

تدخل الجمعية للاصلاح بين الأحزاب في جاوه : وفي ١٨ ديسمبر تقرر إنشاء شعبة للجمعية في جاوه ، وأن تتدخل الجمعية لحسم النزاع القائم بين بعض الأحزاب فيها ، وقد نجحت في تدخلها .

تقدير الملك فيصل لمجلة الرابطة : وفي ٢٣ فبراير سنة ١٩٣٠ ورد خطاب من ديوان الملك فيصل يبلغني فيه تقدير جلالتهم لمجلة الرابطة وأنه تفضل بالاشتراك فيها وأرسل ١٠ جنيهات مقابل ذلك ، فتقرر كتابة رسالة بالشكر وهذا نصها :
« حضرة صاحب السعادة رستم بك حيدر — البلاط الملكي . بغداد .
« تشرفت لجنة مجلة الرابطة الشرقية بكتابكم المؤرخ ١٦ فبراير سنة ١٩٣٠ المتضمن أمر جلالة الملك بالاشتراك في مجلة الرابطة الشرقية .

« ولقد قدرت للجنة أحسن تقدير ذلك العطف الملكي السامي على المجلة ، ورأت تفضل صاحب الجلالة بالاشتراك فيها اشارة سامية إلى رضا جلالتهم عنها ، وذلك مما تغتبط المجلة به أكبر اغتباط ، ويحفز من همم الباعضين بها والقائمين في خدمتها .

« وقد أنهت اللجنة إلى مجلس ادارة الجمعية تلك المبرة الملكية ، فاستقبلها بما هي أهله من جزيل الحمد والثناء وكلفني أن أنوب عنه في رفع آيات الشكر الوافر إلى عرش صاحب الجلالة مع عظيم الاجلال والاحترام .
« فأرجو أن تتفضلوا برفع ذلك إلى السدة الملكية العالية والسلام عليكم ورحمة الله . »

معونة الجمعية لعرب فلسطين المتهمين في حوادثها : وفي ٣٠ أكتوبر ورد للجمعية كتاب من سكرتير اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني ، يستنهض فيه بواسطة

مجلس إدارة الرابطة الشرقية سنة ١٩٢٩



من اليمين: أحمد شوقي باشا، الشيخ محمد النديم، القنصل رافع المساعد المرقى، السيد محمد رشيد رضا نائب ثان، السيد عبد الحليم البكري (رئيس الجمعية)، الشيخ محمد نجيب نائب أول، الشيخ عبد الحسن الكاظمي، أحمد زكي باشا، كاتب السرايا - وفوف، من اليمين: زود الدين، مصطفى بك، المساعد التركي، محمد رضا ترويعي، المساعد الفارسي، الدكتور محمود بك، نائب بك، صالح جوزت بك، ميرزا مهدي قزويني، مني بك، أمين الصندوق.

همة المحامين المصريين للدفاع عن عرب فلسطين المتهمين أمام المحاكم الفلسطينية في المحاكمات الخاصة بحوادث فلسطين الأخيرة مع اليهود .
وقد أبلغ المجلس هذا الخطاب إلى نقابة المحامين الأهلين لانتداب من يتبرع منهم لهذه المهمة .

وقد تبرع للدفاع كثيرون من بينهم محمد علي باشا وتوفيق باشا دوس والاستاذ مكرم عبيد (باشا) .

الرابعة تقدم لى تذكارا : فى جلسة ٧ مايو سنة ١٩٣٠ اقترح السيد التفاتزانى أن يقوم مجلس ادارة الرابطة بتقديم تذكار لى بمناسبة بلوغى سن السبعين وتقرر أن يكون هذا التذكار اطارا ثمينا على الطراز العربى ، كتب به اسم الرابطة وتوقعات أعضاء مجلس الادارة .

استقالتي من لجنة المجلة : وفى يوم ٤ نوفمبر سنة ١٩٣٠ عرضت استقالتي من لجنة المجلة ، بعد ان كف بصرى ، لعجزى عن القيام بهذه المهمة ، فقرر استبقائى لعدم الاستغناء عن جهودى ومشورتي ، وحرصاً على راحتي تقرر اختيار محمد بك عبد الرسول كشميرى للقيام بادارة المجلة مالياً

فتور الرابطة ثم انقطاعها عن العمل : وبكل أسف بعد هذه المجهودات وبعد اتساع أعمال الرابطة ، وانتشار سمعتها فى الشرق والغرب حتى أمريكا . انتهت إلى فتور عن العمل ، أعقبه انقطاعه ، وانفراط عقدھا

بعض عطاء الزائرين للرابطة : وبهذه المناسبة أذكر هنا بعض عطاء

الزائرين الذين زاووا الرابطة فى حياتھا وهم :

من الهند حضرات السيد سليمان الندوى من أعظم كره — الشيخ عبد القادر القصورى من لاهور — الشيخ عبد الماجد القادري بدوان — ابو المختار أمين احمد — الزعيمان الدكتور أجمل خان — « رحمة الله عليه » والدكتور انصارى من دلهى — السيد عبد الكريم الحسينى والدكتور عبد الحى وظهير الدين احمد من حيدر آباد الدكن وسمو الأمير لوهار والفيلسوف الكبير طاغور والسيد أبو المظفر احمد ونبدت مونيلال نهرو الزعيم الهندوسى وظفر على خان صاحب جريدة زمندار فى لاهور والحاج اسماعيل من لاهور والكااتب أبو سعيد العربى الصحفى والسيد أمير على



السيد أمير علي

ومن كابتاون بجنوب أفريقيا الإمام عبد الرحمن قاسم جمال الدين رئيس مدرسة مسجد الأزهري والشيخ أحمد بن محمد بهاء الدين . مدير العلوم الشرعية بمدرسة البرهانية الشافعية ومن حضر موت سمو الأمير صالح بن عوض القعيطي والسيد أحمد العطاس خليفة السادات والسيد محمد بن عقل والسيد محمد بن هاشم وآل السيد أحمد بن عمر بن يحيى ومن نجد والحجاز الأمير سعود بن عبد العزيز والأمير عبد العزيز بن عبد الله والشيخ فوزان السابري ، معتمد جلالة ملك الحجاز ونجد والشيخ حافظ وهبه المستشار والشيخ يوسف يسمن ، مدير مطبوعات الحجاز والشيخ يحيى عدنان والشيخ عبد الله سراج والشيخ صالح شحنا والسيد محمد سعيد الدردير . ومن الأفغانين غلام حسين السفير فوق العادة وعلي أحمد خان والى مدينة كابول وسلطان أحمد خان والجنرال غلام جيلاني وشير رضا وغيرهم .

ومن العراقيين جلالة الملك فيصل والشيخ عطا الله الخطيب ، مدير الاوقاف وفهمى بك المدرس ، أمين جامعة آل البيت .

ومن القدس الحاج أمين الحسيني ، مفتي القدس ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى والاساندة إسعاف النشاشيبي وجبر عادل وبندي الجوزي و خليل بك الخالدي .

ومن سومطرا الحاج عبد الكريم أمر الله رئيس معلمي الدين الاسلامي بالمدرسة العليا . ودرويش زكريا بمجلس سومطرا .

ومن مرا كش سعادة قدور بن غبريط وزير السلطان .

ومن تونس الزعيم الكبير السيد عبد الحميد الثعالبي بجامعة آل البيت ببغداد وقد اختير عضواً بمجلس الإدارة .

ومن جاوه السيد أبو بكر العطاس والسيد حسن بك أحمد العطاس ومختار لطفي رشيد . ومن بولونيا يعقوب شنكر مفتيها .



السيد عمر بن أبي بكر

مطرباني من عباس : سبق أن ذكرت شيئاً عن هذه المخطوبات متفرقة في سنة ١٩٣٠ عند تقديم المذكرة لعباس التي أعقبها استقالتي ، وفي سنة ١٩٣٢ عند مطالبي له ببعض مالي عنده علي يد حسن بك صبري (باشا)

بيان وواف بمطلوباتي: ولم يكن ماذكرته هو كل المطلوبات ، فالآن أجملها هنا وهي ٦٣٠ جنيهها بقية سلفة الشيخ على يوسف وقد سبق ذكرها و ٢٢٨٧ جنيهها نقود حصي المعروفة للقاريء و ٧٧ ألف فرنك سويسرى (٣٠٠٠ جنيهه تقريباً) ما فقدته في سياحتي في انسبروك و ٢٢٠٥ جنيهها ما حكم به ضدى في قضية الأوقاف (غير فوائدها من ١٩١٤ - ١٩٢٣) و ٥٠٠ جنيهه كنت قد سلفتها لقصر جبوقلى ورصدت في دفاتره . فيكون المجموع حوالى ٨٥٠٠ جنيهه غير الفوائد ، وبعضها من سنة ١٩١٤ وبعضها من سنة ١٩١٨ وقد عرف القاريء أن عباساً أبى سداد شئ منها وفي ١٨ فبراير سنة ١٩٢٤ حررت لدولة الوالدة خطاباً قلت فيه :

« تعلمين يادولة الوالدة كيف أننى خدمت سمو الخديو بصدق وإخلاص ، ففي صباه كنت أستاذة ، وفي مدة حكمه ٢٣ سنة كنت الخادم الصادق ، وفي مدة الحرب ضحيت كل غال في خدمته ، مع أنه كان في إمكانى أن أنتهز الظروف مثل الكثيرين ولكننى وأنا رجل مبدأ . لم أرد أن أغير خطي ، لأن عباساً هو ابن ولى نعمتى ، وقد أردت أن أدفع ديني فسدده .

« ولكنه لم يكافأنى على خدمتى الصادقة ، بل أنه يرفض الاعتراف بما لى عنده من الدين بحجة أننى سأقاضيه أمام المحاكم مرة ، أو أننى لا أحبه مرة أخرى ، وهذا غير صحيح ، والدليل على ذلك أننى بعد مضى عدة سنوات بعيداً عنه ، لم أحرك ساكناً بالمطالبة ، ورغم المساعى التى لم تنتج فائدى لازلت صابراً ، أرجو الوصول الى تسوية . وكيف أقدم للمحاكم بينما أنت يامولاتى أمرتى ألا أعمل شيئاً بأمل الوصول الى حل مرض ؟

« لذلك جئت راجياً دولتك ، حتى لا يقال : إننى قدمت نقوداً للسيدة التى وسطها الخديو بينه وبين البرنس عبد المنعم فى سويسرة ولموظفيه بقصد تخليصهم من البؤس الذى كانوا فيه فى زمن الحرب . وسموه مع اعترافه بهذا الدين يأبى دفعه ، فضلاً عن رفضه سداد خمسمائة جنيهه ذهباً دفعتها لدائرته فى جبوقلى فى وقت كانت فى حاجة شديدة للنقود وكذلك بقية دين الشيخ على يوسف الذى خصم من نقودى ، بينما سموه هو الذى أمرنى بضمانته .

« وكل هذه الأشياء لا تقدر بجانب ما فعله معى من صدور أمره لى بصرف مبالغ من الأوقاف لانفاقها فى الأعمال الخيرية بصفتى مديراً لها . مع أنها دفعت بدون على فى نفقات الفنادق لصاحبه فى أوروبا ، وفي شراء عجلات لسيارته الخصوصية

التي أرسلها الى أراضيه في الضلعمان ، وفي نفقات الاشراف بضيافة سموه . وغير هذه من الحقائق التي ثبتت في التحقيق وفي المحكمة .

ومما ساءنى أن مبلغا مقداره ثمانية آلاف جنيه وكسور حيز من مالى الخاص في المحكمة بناء على طلب الاوقاف الخصوصية ، مدة عشر سنوات ، مع أن هذا الحيز كان خليقا أن يوقع على الخاصة الخديوية ، لأن سموه هو المتسبب في ذلك . وقد دافعت عن نفسى أمام محكمة الاستئناف المختلطة بدون جدوى ، فحكم على وعلى سموه بالتضامن ، ودفعت للمحامى ما يقرب من الف جنيهه .

« فمن الحق أن تدفع لى هذه المبالغ ، وإلا فلا يسعنى إلا مقاضاة سموه أمام المحاكم ، دون أن ألام على ذلك .

« غير أننى أتريث في هذا لأنه سيكون سببا في فرج أعداء سموه ، واعتمادا على عدالة دولتكم ومكارمكم المشهورة ، فأرجو أن يصدر أمركم بسداد هذه المبالغ التي تعود على خدامكم أولادى .

« وانى مستعد لتقديم كل المستندات التي تثبت حقوقى لم تنتد بينه دولتكم » وقد انتظرت بعد وصول هذا الخطاب لدولة . لوالدة حتى يوم ٢٤ مارس دون أن يصلنى ردعليه ، فعزمت على اتخاذ الاجراءات القانونية .

مقابلتى لوزير المالية ورد لجنة التصفية : وفي يوم ٢٨ يوليو قابلت توفيق نسيم باشا وزير المالية ، وقدمت له عريضة أرجوه فيها أن يطلب من ملفات الخاصة ، الملف الخاص بمبلغ الخمسائة الجنيه التي سلفتها لجبوقلى ، ومبلغ الستائة والثلاثين جنيها التي دفعت من نقودى في ضمانه الشيخ على يوسف . وإذا تبين للوزارة أحقيتى لهذين المبلغين أمر بصرفهما . فوعدنى باحاله طلبى إلى اللجنة المشكلة في المالية لتصفية الأملاك الخديوية .

وقد امتد بيننا الحديث إلى ما نقيته من الاضرار بسبب الخديو السابق ماديه وأدبيه ، وقلت : « أما الآن فأترك الأمر للقضاء والقدر ،

وفي يوم ٢٨ أغسطس ورد لى من هذه اللجنة الرد الآتى :

« حضرة صاحب السعادة احمد شفيق باشا

« بالاشارة الى كتاب سعادتكم بشأن مطالبة لجنة تصفية أملاك سمو الخديو السابق بسداد مبلغ ٥٠٠ (خمسمائة جنيه انجليزى) التي سبق أن اقترضتها الخاصة

من سعادتك لحساب سمو الخديو السابق عند ما كان بالأستانة في نوفمبر سنة ١٩١٤ مع حفظ حقكم في المطالبة بمبلغ ٦٣١ جنيه و ٩٢٥ ملياً الذي دفع من مال سعادتك الخاص للبنك الشرق الألماني نيابة عن الخاصة في ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٤ قيمة باقى سلفة المرحوم الشيخ على يوسف بضمانة الخاصة، أشرف بالافادة بأن اللجنة قررت بأن المبالغ المذكورة دخلت ضمن أعمال التصفية التي قام بها الحارس لأملاك الأعداء والتي أقرها القانون نمرة ٢٨ سنة ١٩٢٢ واعتمدها، وحرم المطالبة بها أمام جهات القضاء؛ وعلى ذلك لا يكون للجنة الحكومية المنصوص عليها في هذا القانون شأن في هذه الطلبات»

وكيل المالية

ورئيس لجنة تصفية أملاك سمو الخديو السابق

مقابلتي لوزير الحقانية . وفي يوم ٥ سبتمبر قابلت محمد سعيد باشا وزير الحقانية وقدمت له طلباً بأن يصدر أمره إلى النائب العام لدى المحاكم الأهلية بأعطائي صوراً رسمية من محاضر تحقيق النيابة ضد احمد بك صادق، وفيها مستندات المبالغ المحكوم بها على وعلى الخديو حتى أقدمها للحارس القضائي على أملاك الأعداء، وذلك لأثبت له ان المبالغ المذكورة صرفت في شئون سموه أو لرجاله، وبذلك أتمكن من استرداد ما خسرت في قضية الأوقاف، وقد وعدني بأجابة طلي

رسالتي لمصفي أملاك الاعداء ورده عليها: وبعد حصولي على هذه المستندات

قدمت إلى المصفي طلباً جاء فيه :

« صدر حكم محكمة الاستئناف المختلطة ضد سمو عباس حلمي بالتضامن في القضية المقامة علينا من الأوقاف الملكية الخصوصية بدفع مبلغ ٢٠٢٥ جنيه مع الفوائد ٥٪ اعتباراً من ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ مع الرسوم . وبما أنه كان حجز على بمبلغ ٨٧٠٦ ج ٩٦١ م ونفذ على بمبالغ هذا الحكم والباقي من الحجز ببق في صندوق المحكمة طول هذه المدة ، وضاع على ما كنت طلبته من الانتفاع بهذا المبلغ فيما يعود على بالمنفعة تحت حجزه في خزانة المحكمة . هذه المبالغ التي دفعت مني خلاف ألعاب المحامي ورسوم أخرى مما يبلغ مقداره ألف جنيه . ومن العدل أن المبالغ التي تحملتها كان يجب أن يدفعها سمو عباس لأن المبالغ عرفت من الأوقاف بأوامر سموه، وكان يقال عنها إنها للخيرات، وأنا نفذت أوامره بصفته خديوياً وناظراً لهذه الأوقاف؛ فاذا ظهر انها صرفت في خلاف ذلك بغير على

فلمست في الحقيقة مسؤولاً ؛ فالحجز الذي حصل على ما كان لي في بنكودى روما جعله عديم الانتفاع وحرمنى من دفع المبالغ المطلوبة منى من بعض البنوك ، وكانت النتيجة مبيع الأسهم التى كانت مودعة عندها باسمى بأثمان منخفضة ، وفي وقت حرج فالحجز الذى حصل على المبالغ التى كانت باسمى كانت نتيجته إفلاسى ، وهذا من أعمال سمو الخديو وهو المسئول مادياً وأديباً ، وعليه أن يدفع لى كل الخسائر . وبما أن جنابكم يامصطفى أملاك الأعداء حاجزون على أمواله ، وبما أنكم مكلفون بدفع ديونه أرجوكم دفع المبلغ المحكوم به من محكمة الاستئناف »

وكان رده أن على أن أتوجه للجنة المالية
وبذلك كنت كمتسول يمد يده ذات اليمين وذات الشمال ، بدل أن أشكر
وأكافأ على عواطفى وبذل المساعدات وقت الشدة

تدخل دار المندوب السامى : وفي يوم أول يونيو سنة ١٩٢٥ جاءتني دعوة من دار المندوب السامى إلى ليلة ساهرة ، وكان ذلك لأول مرة ، فخطر على بالي أن اللورد ربما تلقى معلومات عنى وعن الظروف التى أحاطت بى ، ففكرت فى أن أطلب مساعدته عند الحارس القضائى لتصفية أملاك الأعداء ، ليدفع لى ما خسرتة فى قضية الأوقاف

وفي يوم ٥ منه تقابلت مع السكرتير الشرقى لدار المندوب ، وشرحت له الموضوع فأبدى لى عطفه ، وأوصانى أن أكتب للمندوب السامى ، وأطلب منه التوسط لدى الحارس القضائى ، وقال : إنه نظراً لقرب سفره سيرك مذكورة بخصوصى . فشكرته وفي يوم ١٣ منه قابلته ووسلته خطاباً منى إلى اللورد اللبى أوضحت فيه مسألة قضية الأوقاف ، ورجوت مساعدته عند الحارس

وفي يوم أول يوليو قابلت الحارس القضائى ، وتحدثنا فى سيرة عباس فشرحت له مقدار ما أصابنى من الضرر فى سبيله ، فظهر عليه التأثر ثم قال : « إن عريضتك وصلت من دار المندوب السامى ، وقد رددت عليها رسمياً بأنتى موافق على ما سبق أن أبداه زميلى السابق من أن الحكم لا يخليك من المسئولية . ولكننى بعد أن سمعت حديثك هذا أرى من العدل أن ينظر إلى طلبك من جهة العدل والانصاف ، لا من الجهة القانونية » ووعدنى بأنه سيكتب مذكورة فى هذا الموضوع بصفة غير رسمية فشكرته كثيراً

وفي يوم ٩ منه قابلته مرة أخرى ، فسألني عما إذا كان قد وصل إلى شيء من دار المندوب خاصاً بطلي ، فأجبتة نفيًا . فقال : « إن الأولى أن تذهب إلى هناك وتشرح لهم الموضوع شفهيًا ، وإنني قد أرسلت منذ أيام رسالة إلى مستر هندرسون السكرتير الذي يقوم بأعمال الدار ، قلت فيها : إنني بصفة خصوصية أرى ألا يتحمل شفيق باشا مسؤولية تصرفات الخديو ، وإن كان الحكم لم يخله من المسؤولية القانونية فهو مظلوم ، وما كان يستطيع أن يرد طلب الخديو »

وفي يوم ٢٣ منه توجهت اليه بناء على دعوة منه ، فقال لي : « إن دار المندوب السامي أشارت بأنه إذا أمكنك أن تثبت أن المبالغ المحكوم بها عليك وعلى الخديو صرفت بناء على أوامر رسمية منه ، فإن هذه المبالغ ترد لك » ونصحتني بأن أذهب إلى محامي الحراسة لاتحادت معه في هذا الموضوع .

وفي يوم ٢٧ منه قابلت المحامي ، وعلمت منه أن مهمته محصورة في أن يطلع على الأوراق التي ربما تكون تحت يدي ، تثبت أمر الخديو السابق لي بدفع المبالغ المحكوم بها علي ، فأجبتة بأن هذه الأوراق لو كانت لدى لقدمتها إلى المحكمة ، وأن الخديو السابق أو الملك الحالي ، لا يعطى أمراً كتابياً عند ما يأمر بصرف نقود .

وفي يوم ٢٩ قابلت الحارس فأخبرني أن المحامي حضر عنده بعد مقابلتي له ، وأنه كلفه بكتابة تقرير عن مسألتى ، وسيرفعه إلى دار المندوب ، وينتظر الأوامر العودة إلى لجنة التصفية : وفي سنة ١٩٣٥ عاودت المطالبة عند لجنة التصفية فجاءني الرد منها ، بأنها مصرة على الرد الذي بعثت به إلى في المرة الأولى سنة ١٩٢٤ نهاية المطاف : وهكذا كان الفشل والخسارة هما نهاية المطاف بعد هذه المحاولات .

صوت عباس الشخصية : اطلع القارئ في خلال هذا الجزء الأخير على علاقات عباس بصاحبه « مدام لوزانج » في تواريخها ومناسباتها وقد سبق إن كانت له علاقات بصاحبة أخرى قبلها ، وكان موضع ذكر هذه العلاقات ، هو القسم الثاني من حكم عباس ، ولكن لأسباب خاصة حذفت منه .
وهأنذا أذكرها في نهاية الجزء الأخير ، حتى أرسم للحقيقة والتاريخ صورة كاملة لعباس .

الكونتيس توريك : في عام ١٩١٢ حضرت « الكونتيس » صاحبة الخديو — وكان قد تعرف بها في باريس عقب عودته من أوروبا عن طريق الأستانة — وعلمت منها أنها لما وصلت يصحبها كلبها إلى الأستانة لقيت في الجمر ك بعض الصعوبات ، وأن مستشاره محمد علي بك قدم لرؤيتها هي و كلبها ؛ وربما كان ذلك بناء على أخبار وردت اليه من منير باشا سفير الدولة بباريس ليتمكن من التقاط صورتها ، وعرضها على السلطان .

وكانت تدعى أنها « الكونتيس توريك دوسيزندرو » ولكن اسمها الحقيقي هو « مدام بوسكاش » .

نعم إن الكونت توريك تزوج بوالدتها ، ولكنه تركها لما رابه منها ، ثم سافرت مع خدين لها إلى أمريكا . وبعد أن وضعت هذه « الكونتيس » وأختاً لها ، عادت إلى زوجها ، ورغبت في أن يعترف بهما ، فرفض وطلقها ، وتزوجت والدتها برجل من عامة الناس .

وقد حضرت الاثنان إلى مصر في الشتاء ، ومكثتا مع « الكونتيس » مدة ، ثم عادتا إلى باريس ، وأعادتا الكرة مرارا

ولما حضرت إلى العاصمة سكنت خلال فصل الشتاء في منزل بجهة التوفيقية . ونظراً لبعده هذه الجهة عن سراى القبة ، استأجر لها منزلاً آخر عند محطتها . وقد كان ذهابه إلى هذا المنزل يلفت الأنظار ، فنقلها فيما بعد إلى سرايه بموسطر بين المزارع وكان الخديو يقوم بجميع نفقاتها .

وقد بلغني من دومرتينو باشا وبروستر بك أن نفقاتها الشهرية كانت تتراوح بين الثمانمائة والألف من الجنيهات ، تنفق منها ما شاءت ، وترسل لأوروبا ما تشاء .

وقد أخبرني بروستر بك في ١٢ مارس سنة ١٩٠٣ أنها اشترت من « لانس » بائع الجواهر الشهير ، مجوهرات بأكثر من ١٩٨٠٠ جنيه على حساب الخاصة ، من ذلك عقد لؤلؤي بمبلغ ٥٠٠ جنيه ، و « دياديم » بمبلغ ٣٠٠ جنيه ، وكانت فوق ذلك تشتري ما يلزمها على الحساب ، حتى أنه عند قيامها من مصر إلى الاسكندرية ، في أوائل مايو تبعها بائع الأزهار مطالباً إياها على ملأ من الناس بسداد باقي حسابه . وربما كان ذلك بناء على اتفاق بينهما ، حتى يعلم الخديو أنه يطالبها

فيدفع له ما يطلب . وكان هذا رأى بروستر بك الذى تدخل فى الأمر ، وبعث بالرجل إلى العاصمة ، وصرف له ما يطلبه ، كما صرفت مطالب غيره من الدائنين ! ولقد ذاع أنها صاحبة سموه ، وعرف ذلك معظم الناس ، وكانت هى نفسها لا تدع فرصة حتى تعلن هذه الصفة لكل من يخاطبها أو يقابلها .

وكانت قبل السفر إلى الاسكندرية ، تختلف إلى سراى عابدين ، كلما جاء إليها الخديو ، فتعدي معه ، وتسامر به بضع ساعات . وعند انصرافه تذهب إلى منزلها فتنتظره بعد العشاء .

ولما سافرت إلى الاسكندرية نزلت فى « المنتزه » وكان قد أعد لها مكاناً خاصاً فوق السلامك ، واستمر على تناول الغداء والعشاء معها ، فى ردهة الأكل الكبيرة ، والحاشية تتعدى وتتعشى فى حجرة المائدة الصغيرة بالسلامك . وكان يقضى معها كل أوقات فراغه

ومن أغرب ما علمت أنها رافقت عباساً فى حفله افتتاح خزان اسوان ، وطلبت أن تحضر الحفلة ، فرغب فى أن ترافق موسيو « دوتريش » المصور ، ولكنه أبى ، وكان الواسطة الدكتور كاوتسكى بك ، فغضب سموه من كليهما ، لأن صاحبه لم تستطع مشاهدة الاحتفال .

ومما يذكر أن السراى كانت تقيم حفلة راقصة فى شتاء كل عام فلما أرسلت تذاكر الدعوة لرجال السلك السياسى الأجنبى مع عقيلاتهم وإلى كبار رجال الجاليات الأجنبية . الأمراء والنظار وعظماء المصريين ، طلبت الكونتيس أن تحضر هذه الحفلة مع الخديو تشبهاً ببعض ملوك فرنسا الذين كانت صاحباتهم تحضر الحفلات فامتنع عباس أولاً ، ولكنه خضع لارادتها بعد الإلحاح .

وفى اليوم المحدد أمر سموه طورنيزن باشا بأن يرافقها ، وينتظر معها فى إحدى غرف الاستقبال البعيدة عن الجناح المخصص للحفلات ، حتى تصدرلها أوامر أخرى . وفى الوقت نفسه كلف دومرتينو باشا أن يحس نبض قناصل الدول الجزالية ، وكان من بينهم معتمد إيطاليا مسيو دومرتينو وهو قريب له . فكان جواب القناصل بالاجماع الانسحاب مع عقيلاتهم إذا وقع هنا الأمر

وعلى ذلك فإن الكونتيس احتجبت حتى آخر السهرة وانصرفت إلى محل إقامتها

ولكنها حنقت حقاً شديداً لعدم حضورها ، وطلبت عدم إقامة هذه الحفلة مرة أخرى . وقد تم ذلك .

وعلمت من الدكتور كاوتسكى أنها حاتقة عليه ، وعلى بروستر ، وطورنيزن ، ودومرتينو ، وأنها تسعى بهم عند الخديو ، مع أن الدكتور نصح لها مرات بالألا تتدخل فى مالا يعينها ، وأن تحافظ على حسن العلاقة بين سموه وموظفيه ، وتجتهد فى أن يكون راضياً عنهم

وفى ذات مرة ذهبت إلى المنتزة ، وبعد الغداء وتلقى أوامر سموه ، خرجت . وقد حان وقت رجوعى إلى الاسكندرية ، فذهبت لأخذ عصاى من السلامك ، فلما دخلت وجدت « الكونتيس » فى الممر ، فتجاهلت وجودها ، ولكنها حيتنى عن بعد ، فكانها أثبت إلا أن تعرفنى بأنها تسكن المنتزه !

وقد سافر الخديو إلى ديفون صيف هذا العام للعلاج بجماماتها ، فرافقه « الكونتيس » . وكانت ترد لها من باريس « طرود » مختلفة ، فيها ثياب وأمتعة وما شاكل ذلك ، فيقوم بسداد ثمنها .

وفى أثناء جلوسى مع سموه بالحديقة ذات يوم لقراءة البريد ، وتلقى الأوامر للرد عليه . قدمت هى من خلفى ، فقال عباس : « ها هى ذى (غزية الصعيد) حضرت ... وأمرنى ألا أحول وجهى نحوها ؛ وأضاف على ذلك : إنها قادمة علينا الآن وقد رأيتها حين حضرت أمامنا لابسة ثوبا من « التلى » موشى بورق شجر عريض أصفر من « الترت » فكان تشبيهها بغزية الصعيد فى موضعه . وقد ذهبت معه فى المساء بهذه الثياب إلى المسرح ، وكانت هذه أول مرة يستصحبها معه أمام الأنظار .

ويمكننى القول بأن هذه « الكونتيس » صورة مجسمة من المبالغة . فاذا كتبت خطاها كتبت بحروف كبيرة . وإذا تكلمت بالغت فى نطق الفرنسية خلافا للمعتاد ، وإذا ارتدت زيا اختارته خارجا على المسألوف . وهكذا هى فى كل شئ من أعمالها !

وفما يلى صورتان لها :



الكونتيس ثوريك

وفي صيف سنة ١٩٠٤ كانت تصحبه أثناء إقامته بفينا ، وقد أخبرني طوريرن باشا بأن سموه اشترى لها خاتما يساوي عشرة آلاف كورون ، وفراء بسبعة آلاف . وأنه أنفق عليها في هذه الرحلة مائة وثمانين ألف فرنك ، وأن أدوات الزينة وحدها بلغ ثمنها ألفي جنيه . وأنه اشترى لها جواهر في خلال هذا العام بثمانية آلاف جنيه . هذا فضلا عما أغدقه عليها من النفقات الباهظة في « فرانسز باد » من أجور الأطباء لعلاجها رجاء أن تحمل ، دون جدوى .

وقال لي مرة : « إن جملة ما تسكبه الخديو من النفقات في هذه الفترة يبلغ نحو أربعة عشر ألف جنيه ، وأنه أفضى إلى بأن الكونتيس تنوى خرابه ! »

وفي سنة ١٩٠٦ وقعت مشادة بين الخديو واللورد كرومر من جراء موقف سموه في مسألة طابة . وقد أخبرني دومرتينو باشا أنه علم من بروستر بك أن الذي يشجع سموه على مناوأة الانجليز هي « الكونتيس » ، وأنها كانت كلما جاء اللورد لمقابلته ، تجلس وراء الباب الفاصل بين قاعة الاستقبال وغرفة المكتب في عابدين وتستمع لما يدور بينهما من الحديث

وبينا كانت الكونتيس تتردد على سراى القبة ، وتحتل بعباس في مكتبه لتضية

الوقت معه ، والاطلاع على أسرارها من مكاتبات وغيرها ، كانت تتقابل مع الأسرّة سواء في حديقة السراى أو خارجها . مما كان يسبب تكدير الأسرّة أشدّ تكدير ولما علمت الوالدة بخطورة ما قد يحدث من جراء هذه الحالة حضرت إلى عابدين يوم ١١ ابريل ، وكان الخديو مشغولا ، فأرسلنى إليها للاعتذار ، ورجائها فى الانتظار قليلا ، فلما رأتنى أجلستنى إلى جانبها وقالت : « يا شفيق كيف يكون حالنا ؟ » فأجبتها أن الخديو لم يخبرنى بشىء ما .

وعلمت بعد مقابلتها لسموه أنها أزالّت سوء التفاهم الذى كدر صفو العائلة وكان الخديو خلال هذه الفترة يبدو متهيج الأعصاب ، مشتت الأفكار ، يستخط ويثور لأتفه الأسباب

وفى ٢٤ مايو حدث بين الخديو وأحمد زكى باشا مشادة عاصفة ، اقتضت أن يقدم استقالته ، ولكن دومرتينو باشا أخبره أن الخديو معذور فى ثورته وتهيجه وأوضح له السبب ، فاقتنع وسحب استقالته

قال دومرتينو باشا : « بعد العشاء طلب سموه طورنيزن باشا ، الذى قدم له حساب الكونتس عند الجوهري « لاتس » والسكتي « ديمر » وغيرهما . والأول يطالب بثمانية آلاف جنيه ، والآخرون بنحو ألفى جنيه ، فدخل سموه مع طورنيزن إلى أعلى السلامك عند الكونتيس ، وجلس على مقعد ، وأخذ يقرأ مفردات هذا الحساب بعناية ، ويقول . « من أين أتى بهذا المبلغ ؟ وكيف أطلبه من دومرتينو باشا ناظر الخاصة ، مع أن الدائرة فى أزمة ؟ فلم ترد عليه بكلمة ، وعندئذ احمر وجهه ، والتهبت أعصابه ، حتى كاد يخشى عليه من حدوث مالا تحمد عقباه » ومن ذلك تأكدنا أن ثورته علينا بدون سبب ، أو لأسباب تافهة ، مبعثها أمور من هذا الطراز .

ثم قال لى دومرتينو باشا : « إن الخادم الخاص « فردريك » قص على أنه كثيرا ما شاهد « الكونتيس » وهى غاضبة مع الخديو ، وتقذف فى وجهه بكل ما عندها من الأوراق الخاصة من رسائل وغيرها ، ولكن سموه يلاطفها ويردها إليها قلت : إن الأوراق التى تقذفها وقت غضبها ليست هى الأوراق المهمة ؛ على الأرجح . فقد بلغنى أنها حفظت الوثائق الخطيرة لدى مسجل فى باريس لوقت الحاجة . وسموه يخشى الفضيحة ، فهو مرغم على الاحتفاظ بها وتحمل نفقاتها .

فقال دومرتينو : « إنه يعرف أن الكونتس صارت كاتمة أسرار الخديو فهي تكتب له الخطابات السياسية ، ولا يبعد أنها حفظت « مسوداتها » عندها ، فهي تحيط بكل أسرار وأفكاره » .

وفي ٨ يناير سنة ١٩٠٨ علمت أن طورنيزن باشا دفع أربعة آلاف جنيه لحل الرهونات بباريس ، إذ كانت الكونتيس رهنت حزاما مرصعا بالجواهر . وهذا المبلغ من المبالغ المحصلة من بيع الرتب والنياشين .

وفي يوم ٢٦ يناير سنة ١٩١٠ كان عباس قد عاد من الأرض المقدسة بعد حجّه ، وبهذه المناسبة عقد عقده على صاحبه بعد اسلامها ، وقد سميت « جاويدان هانم أفدى »

ولكنها ما لبثت أن تركته ، وسافرت خلسة إلى أوربا ، فبعث في أثرها يوسف صديق باشا لاسترضائها ، ولاسترداد أوراقه منها ، فلم ينجح في ارجاعها ، ولكنه نجح في اقناعها برد الأوراق مستخدما كل الوسائل اللازمة . وهكذا انتهت علاقته معها تحليل شخصية عباس : مما تقدم في المذكرات يستطيع القارىء أن يتصور شخصية عباس ، بمحاسنها وعيوبها ، فهي واضحة في تصرفاته وأعماله ، داخل الحكم وخارجه . ومع هذا قد آثرت أن أفرد لذلك فصلا خاصا ملخصا ، أرسم فيه الصورة التي تركتها في نفسى صحبتي الطويلة لعباس ، مبينا فيها ما له وما عليه .

جاذبية عباس : كل الذين اتصلوا بعباس ، لفت نظرهم فيه قوة جاذبيته ولطف حديثه ، واستطاعته أن يستميل محادثه إلى صفه ، وكان لهذا أثر كبير في التفاف المصورين حوله عند توليه العرش مضافا إلى ما كان معروفا به من الوطنية ومعارضة السلطة الانجليزية ، وكثيرا ما شهد له بهذ ، الصفة مراسلو الصحف الأوربية الذين حادثوه ورجال السياسة الذين حضروا مجلسه .

فضله على الحركة الوطنية : ليس من ينكر أن تبوأ عباس العرش ، كان من المنهات القوية للروح القومية في مصر ، إذ وجد الشعب فيه رمزا لثورته على تغلغل السياسة الانجليزية في عهد والده الخديو توفيق .

ومن الأعمال التي انتفعت بها البلاد في عهده معونته للزعيم الشاب مصطفى كامل فانهما والحق يقال أوقدا نار الحماسة في نفوس المصريين ، ولم يبخل الخديو

بالمساعدات المادية للزعيم في جهاده ، كما عاونه بانشاء هيئة سرية من بعض الشبان الذين درسوا في أوروبا ومن موسيو روليه سكرتيره ، وبعض الفرنسيين وعلى رأسهم موسيو جافيو عميد الجالية الفرنسية بمصر للاتصال به وتغذيته بجميع المعلومات مع تغيير وكيل شركة هافاس بمصر ، ليساعد الوكيل الجديد على نشر أخبار الحركة المصرية .

عمله على حفظ حقوقه الشرعية : ولم يأل عباس جهدا في محاربة النفوذ الانجليزي في أول عهده ، والوقوف للمستعمرين بالمرصاد ، والمحافظة على كرامته معهم ومن ذلك أنه لما لاحظ ان الضباط الانجليز في الجيش المصري لا يؤدون له التحية العسكرية عند مروره بهم أصدر أمره باجراء تحقيق في ذلك ، وكانت النتيجة أن أرسلت الأوامر من السردارية بالانتباه إلى أداء هذا الواجب . كما أنه سمع بأن موظفا انجليزيا أهان مرءوسه المصري ، فأمر باجراء تحقيق دقيق حفظا لكرامة الموظفين المصريين . وأوضح من هذا موقعه في حادثتي إقالة النظارة الفهمية والحدود ، ومحاولة استعمال كامل سلطته الشرعية فيهما ، ولو أنه وجد في كلتا الحادثتين نظارا حوله يؤيدونه بحكمة ، ولا يبالغون له في تصوير الأخطار التي تحيط بمركزه ، أو لو أنه وجد من السلطان بعض المساعدة ، لتغير تاريخ الاستعمار البريطاني في مصر . ولكنه مع الأسف وقف وحيدا أمام قوة انجلترا فاضطر للاستسلام .

على انه رغم فشله في الاحتفاظ بسلطته الشرعية ، ظل يناضل كرومر ، ولكن في حذر ، وقد اشتد النزاع مرتين بينهما حتى هدد سموه العميد بالتنازل عن العرش فترجع كرومر خشية أن تتدخل الدول في هذا الأمر الخطير .

مهارته السياسية : كانت لعباس مهارة سياسية ظهرت في بعض المشروعات التي فكر فيها ، مثال ذلك : انه لما علم بعزم امبراطور ألمانيا على زيارة مصر في طريقه لفلسطين فكر في انتهاز هذه الفرصة ، لإنشاء علاقات ودية بين فرنسا وألمانيا ، باستدعاء مجلس شركة قناة السويس لاستقبال الأمبراطور . وقد خابر الفرنسيين في هذا ، فوعده بالموافقة ، ولو تم هذا المشروع لكسب من هذه السياسة أعظم نصيب ، غير أن السلطان وانجلترا حالا دون إتمامه :

ومثل هذا يقال عن المشروع الذي قام به في إبان الحرب العظمى ، لفصل فرنسا عن انجلترا بأموال ألمانية ، وبمشاركة موسيو بولو ، ولكن حال دون نجاحه المطامع المالية من كليهما .

وتبدو هذه المهارة السياسية، في مناوراته سنة ١٩١٧ مع الانجليز والأتراك قبل عودته إلى الأستانة، ففي الوقت الذي كان يرسلني فيه بمهمة إلى برن مع فتواد بك سليم سفير الدولة، كان يتصل بالسفير الانجليزي وملك البلجيكي لتسوية موقفه، موهما كل فريق انه معه، وأن الفريق الآخر راغب في استماتته اليه . وتبدو كذلك في إشاعة عزمه على زيارة منشآت نهر الطونة التي أنشأها حلفاؤه، عند ما رأى منهم فتوراً من ناحيته وهو بالسويسرة، وبذلك استعداد هتمامهم به .

وكان يستخدم مهارته هذه في بعض الشؤون الداخلية، فمثلاً حينما أراد تغيير محمد سعيد باشا، نقمة عليه لأنه لم يساعد سموه في بيع سكك حديد مربوط بالثمن الذي يريده، لوج كتشنر بأنه يفضل مصطفى فهمي باشا عليه، فكان هذا داعة قبول كتشنر تغيير النظارة .

عباس لا يكتم السر ولا ينتصح : من أظهر صفات عباس إنه لم يكن يكتم السر

وكذلك كان سكرتيره الذي اختاره معه من النمسا وهو أستاذه موسيو روليه . وقد جنت عليه هذه الخلة كثيراً في حياته السياسية ، ذلك أنهما اتفقا في طريقهما لمصر على اتباع عدم استسلام الخديو للانجليز والمحافظة على حقوقه الشرعية في حكم البلاد ولما وصلا ، لم يستطيعا كتمان هذه الخطة ، ولا المحافظة على ما يدور في السراى من الاسرار ، فكنا إذا جلسنا نحن رجال الحاشية على المائدة الخديوية لتناول طعام الغداء مع سموه ، باح لنا بما دار بينه وبين كرومر من الحديث ، أو بما دار في مجلس النظار .

وقد حدث في مسألة الحدود ، إن الخديو كان قد أعرب ونحن على المسائدة إن عزمه على إبداء ملاحظاته على الجيش باعتباره قائداً أعلى له ، ووصل الخبر الى السردار كتشنر . من أحد ياوران عباس ، وكان لذلك أثره السيء فيما وقع بعد ذلك .

وعند ما تولى أراد أن يتعرف بكبار الموظفين والأعيان ، فخصص لهم أياماً معينة لمقابلته في السراى، والتحدث اليهم في شتى الامور ؛ وكان بعضهم يطلعه على أسرار المصالح ؛ ولكنه لم يحافظ عليها فكان يرددها في أحاديثه، فتنتقل إلى الانجليز فيحاسبونهم عليها . ولذلك امتنعوا عن إمداده بالمعلومات

وكذلك كان رولييه قد اصطفى قنصل روسيا في مصر ، فكان يجتمع به ، ظناً منه أنه يناوئ سياسة إنجلترا في مصر ، ويبوح له ببعض أسرار السراى وبمعاذته هو لسياسة عباس ، فتصل هذه الأخبار إلى كرومر . وفي إحدى زيارات رولييه . للعميد حادثه في عدائه للانجليز ، ونصح له ألا يتدخل في السياسة ؛ وانتهى الأمر إلى أن يطلب كرومر عزل رولييه ، ثم يكتفى بمنحه أجازة طويلة بناء على تدخل الخديو على أن يتبعد عن الشؤون السياسية .

وكثيراً ما كان عبد العزيز بك عزت يلاحظ على أحاديث عباس ، وإفشاءه الأسرار ، بكل اخلاص ، فيتضايق الخديو من ملاحظاته ، وقد انتهى الأمر بتقديم استقالته من خدمة سموه .

وكذلك أبعد عنه الرجل المخلص له محمود شكرى باشا لمجرد أنه كان يقول عند الضرورة « أنصح لكم يا أفندينا » فكان يثقل عليه ذلك ، وكأنه يقول في نفسه : « وهل أنا لا أدرك الخطأ والصواب ، حتى يكرر لى هذه النصائح ؟ ! »

ومن أغرب ما يروى عن خلة إفشاء السر عند عباس أنه وهو يشتغل بمشروع فصل فرنسا عن إنجلترا سنة ١٩١٥ كلف يوسف صديق باشا ألا يذكر اسم (بولو) أمام البارون أوبنهايم الألماني ، بل يكتفى بأن يقول عنه « الرجل الواسطة » بينما هو نفسه قد راح يذكر الاسم صريحاً للبارون !

هل عباس دستورى ؟ : تمسك الإجابة على هذا السؤال بالايجاب والنفي في آن واحد ؛ وإن كان جانب النفي هو الذى يغلب عند التطبيق العملى .

ففي ظروف كثيرة ، كان يصرح بأنه راغب في سن دستور لبلاده ؛ ولكن في بعض الظروف كان يرى منه النفور من أعمال قانونية منافية لرغائبه الشخصية ، فسخط على الامام الشيخ محمد عبده عندما أراد سموه أن تعطى كسوة التشريف العلية لامام المعية ، فرد عليه الشيخ بأن مجلس الادارة أعطاها لمن هو أحق منه مستخدماً في ذلك السلطة التى يخولها إياه القانون

وكذلك عندما عارض الشيخ وحسن عاصم باشا في استبدال أرض مشتهر بالقيمة التى كان يطلبها ، فانه غضب عليهما ، وأسرها في نفسه لهما ، فعاكس الشيخ عبده كثيراً ، وأقال عاصم باشا من خدمة الديوان

ومثل ذلك موقفه من بعث قانون مطبوعات سنة ١٨٨١ لمجرد أن الصحف انتقدت سموه بشدة

مطامع عباس المالية وملاذه الخاصة : بعد أن رأى عباس أنه لا فائدة من الاصطدام مع الانجليز وأن السلطان عبد الحميد لم يعاونه أية معاونه في نضاله معهم حتى ساءت العلاقات بينهما ، قرر زيارة لندن سنة ١٩٠٠ ، وتعد هذه الزيارة بدء الهدنة بين عباس والانجليز .

وعند ذلك جنح إلى ملاذه الخاصة . التي كلفته نفقات باهظة ، ولم يستطع أن يكبح ميوله ويقف عند حد فيها فاندفع في إيجاد موارد مالية جديدة ، يستطيع بها تأدية هذه النفقات الشاذة ، واضطره هذا الاندفاع إلى الدخول في أعمال تجارية كانشاء سكة حديد مربوط ، التي سمح الانجليز ببيع بعض أدواتها له بأثمان بخسة ، حتى يلهو بها عن مناوئتهم .

ومثل اشتراك الخاصة الخديوية مع السيد بك يس في استغلال بعض المحاجر . ثم انحطت هذه الأعمال التجارية فلبجأت الخاصة إلى الدخول في المزايدة على « معدية » الوايلى ، وحرمان الرجل الفقير الذى كان يعيش منها ، مما لا يتفق مع كرامه الخاصة .

ولما لم تكف هذه الموارد الظاهرة لسد حاجات عباس . أخذ في تجارة أخطر وهى الرتب والنياشين؛ ثم التجارة في استبدالات الأوقاف ، وفى المناصب الكبيرة ويرى القراء ذلك تحت عنوانات : « صفقة طيبة . مدير الأوقاف يباع ويشترى . عباس يصيب عصفورين بحجر ، فى القسم الثانى من حكم عباس ؛ وكذلك اهتم باستخراج معادن طاشيوز وسواها وتحمل فى ذلك ما تحمل من السلطان عبد الحميد وتتضح مطامعه المالية ، فى تصرفاته بنقود ألمانيا وما طلته فى ردها ، مجازفاً بفقده الثقة من حلفائه به ، وانفضاض رجال حاشيته عنه ، حتى لقد قرروا عدم الاعتراف بخديويته ، والالتفاف حول ولى عهده لولا أن عاد فرد هذه النقود

كما يتضح ذلك من إضرابه عن دفع نقود حمصى التى صرفت لسد نفقات بعض المتصلين به . وفى عدم دفعه لبقية مطلوباتى منه . وكلها قد أنفقت من مالى الخاص فى ظروف حرجة بأمره أو بسببه .

نوادير عن بخل عباس : ولقد بلغ من بخل عباس أن يكون بعضه من النوادر الطريفة التى لا يتمالك الإنسان نفسه أمامها من الدهش والابتسام !

من هذه الطرائف أنه كان بعد تلاوة الرسائل الواردة إليه ، يقتطع منها الصفحات البيضاء فيها ، لتستعمل لكتابة مذكرات صغيرة

ومنها ما رواه البروفسور هيس عند ما استدعاه عباس ليحدثه في إخراج يكن من السجن وحدد له يوم السبت للحضور ، فحضر مساء الجمعة ليسكون تحت أمره ، فاستكثر عباس أن يتحمل نفقاته ليلة .

وكذلك نقده لتفسير القرآن لمدام جاويدان (الكونتس توريك) بعد ما كلفه إياه ، حتى يتخلص من دفع أتعابه وهي ثلاثون جنيهًا !

آداب عباس وأخلاقه : بما لاشك فيه أن آداب عباس في أول عهده كانت آداباً راقية .

وقد كنت أخجل عندما يطلب مني أمراً فيقول « ألتس منك كيت وكيت » . وقد أخرج من موظفي المعية من كان يعلم عنهم تعاطي الخمر والجلوس في المشارب والاستخفاف بالدين والأخلاق ، حرصاً على كرامة حاشيته ، وأمر بمراقبتهم لمعاقبة من يخالف هذه الأوامر .

ولكن هذه الآداب العالية لم تستمر حتى نهاية حكمه ، نظراً لوجود بعض أصاغر الموظفين الذين لاخلاق لهم ، فاقبلس منهم عادة السب والشتم ، والكلام الذي لا يصح صدوره من مثله .

وكذلك تغيرت أخلاقه فكان لايتورع عن طرد موظفين في سن الشيخوخة ، وعقاب بعضهم عقاباً بدنياً بيده ، أو عقاباً مادياً لأتفه الأشياء .

وقد برزت من خلاله خلة الأنانية ، فكان الذين يخدمونه أشبه شيء بالليمونة يعتصرها حتى آخر نقطة؛ ثم يقذف بها بعيداً عنه ، من ذلك تصفيته لرجال الحاشية في سنة ١٩٢٠ ، ومعاملته قبل ذلك ليوسف صديق بالحجز على أمواله في بنك زيوريخ ، ومعاملته ليسكن بعد القبض عليه ، ولمحمد بك فريد بعد ما قبل أن يعمل معه وينسى معاكساته ومضايقاته . وأخيراً بموقفه معي مما اضطرني للاستقالة بعد ما قمت له به من الخدمات في محنته بكل إخلاص .

ثم إنه كان يهتم بأشياء صغيرة لا يصح أن يشتغل بها حاكم مثله ، فكان يسره أن يوقع الشقاق بين أفراد حاشيته ، كما أوقع الخلف بين فريد بك والشيخ جاويش ، ففقد الأخير منه لهذا الغرض ، حتى إذا تم غضب عليه بحجة أنه من رجال سعيد

حليم . ويبدو حبه للدسائس الصغيرة ، في محاولة إيقاعه بين يكن باشا وزوجته إذ يتهمه أمامها بأن له عشيقة أخرى سنة ١٩١٧ .

ولا يعدم الباحث تصرفات كثيرة لعباس تنقصها الشهامة ، وفي أول ذلك مواقفه مع رجال تركيا الفتاة أيام السلطان عبد الحميد ، فانه كان يستميلهم إليه ، ويوهمهم بالحماية ، ثم يضحى بهم في سبيل التقرب للسلطان قضاء لمآربه الخاصة .

ولا يقل عن هذا امتناعه عن معاونة محمد بك فريد بالمال في أثناء غربته بأوربا مع أنه قبل العمل معه في مسائل خطيرة .

ويمكن ملاحظة ذلك في كل ما يختص بمطامعه المالية وبخله الشديد .

تردد عباس : وما يلاحظ على عباس ، أنه كان كثير التردد بين الاقدام والاجحام ، ولم يكن هذا لأنه كثير الأناة والروية ، بل لأنه يتوهم مخاوف كثيرة في كل خطوة يخطوها ، وكثيراً ما كانت هذه المخاوف مبعثها الحرص المادى . وأشد ما يظهر ذلك في تردده بين الأنجليز والأتراك سنة ١٩١٧ ، حتى تغلب الرأى القائل بعودته لتركيا بعد فترة طويلة ومناقشات ممة .

وبعد فهذه هي الخطوط البارزة في صورة عباس ، وتتلخص في كلمتين قلتهما لمندوب « البورص اجبسيان » ادجار جلاذ عند ما سألتى عن رأى فى شخصية عباس بعد عودتى من أوربا وهما : « مادى منتهز للفرص »

وقد رسمتها دون تفريط أو افراط ، للحقيقة والتاريخ؛ ويجد القارىء مصداقها فيما مر به فى الحوادث فى الجزء الأخير والله على ما أقول وكيل .

كلمة ضمانية : الآن وقد انتهيت من طبع « مذكراتي في نصف قرن » أستشعر راحة في نفسي ، واطمئناناً في بالي ، لأنني تمسكنت من تحقيق أعظم أمانى في الحياة وهو إخراج هذه المذكرات .

وكثيراً ما كانت تهجس في نفسي الهواجس ، فأتساءل : ترى يمد الله في أجلي ، ويمنحني الصحة الكافية ، لاتمام هذا العمل الذي وقفت عليه جانباً من حياتي ؟ ثم أدعو الله أن يحقق هذه الرغبة ، حتى تحققت أخيراً والحمد لله .

لقد عشت حياتي كلها معتزلاً بهذه المذكرات أعظم اعتزاز ، وكنت أستصحبها في أسفاري خوفاً عليها ، ثم أودعها في إحدى خزائن بنك من البنوك مدة إقامتي في أوروبا ، خوفاً أن تمتد إليها يد النسيان أو السرقة ، حتى أنه عند ما قطعت المواصلات بين تركيا والسويسرة وأنا عائد مع عائلتي ، وكنا في نيس كما مر ذلك سنة ١٩١٨ ، كنت حائراً بهذه المذكرات وأنا أحملها كخبرتي بعائلتي وأبنائي .

وعند ما ظهر الجزء الأول ، وفيه تحليل لشخصية الخديو اسماعيل وبعض الأخبار التي عرفتھا عنه ، وكان ذلك في عهد ضيق فيه على الحريات العامة ، وأولها حرية النشر ، وسن قانون استثنائي للصحافة ، خفت أن يقع لهذا الجزء حادث ، ولكنه مر بسلام ، فحمدت الله .

وكذلك عند ما ظهر الجزء الثاني الخاص بعباس بقسميه ، وفيه ما فيه عن أخباره وحوادثه ، عاودني الخوف والقلق ، رغم أنه صدر في عهد أكثر حرية ، ولكن الله سلم .

وهأنذا أخرج الجزء الثالث والآخر في عهد مليكنا المعظم فاروق الأول : عهد الحرية والاستقلال ، وقد ضمنت بعض ما حذف من القسم الثاني لظروف خاصة ، ورأيتني في ذكر ما ذكرت الحق والتاريخ .

ولئن كنت قد رحبت بالنقد عند صدور الجزء الأول ، فأنا اليوم أشد ترحيباً به ، بعد تمام المذكرات ، وإنني أتقدم لحضرات القراء راجياً أن يبدو آراءهم بصراحة في هذه المذكرات كلها ، حتى تتمحص الحقائق للأجيال القادمة ، ولا تتهنأ بالمحابة أو التقصير .

والحمد لله أولاً وآخراً على حسن توفيقه .

دار "مجلتي" للطبع والنشر
القاهرة — شارع الداخلية
تليفون : ٥٥٤٥٥ و ٥١٤٥١

